وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة القادسية . كلية الآداب

قسم اللغة العربية

التراكم الدلالي في نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة للشيخ محمد باقر المحمودي (ت ١٤٢٧هـ)

أطروحة تقدم بها الطالب

حامد عبد الرضا جبَّار

إلى مجلس كلية الآداب ، جامعة القادسية ، وهي جزء من متطلَّبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها ، لغة ودلالة .

بإشراف

الأستاذ المساعد الدكتور

حسام عدنان رحيم الياسري

١٤٤٣هـ ٢٠٢١م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

صدق الله العلي العظيم

(النمل : ١٩)

الإهـــــــداء

- إلى من تراكمت في شخصه قيم الإنسانية جمعاء يعسوب الدين وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه أفضلُ الصلاة وأتم التسليم) .
- إلى روحه الطاهرة والدي العزيز .
- إلى من ربتني صغيرًا ، وحرصت عليّ كبيرًا والدتي الغالية .
- إلى عائلتي الكريمة التي تحملت معي الصعاب .

أُهدي ثمرة بحثي حبًا ووفاءً

الباحث

شكر وعرفان

من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق ، عرفاناً مني بالجميل أتقدَّمُ بالشكر الوافر والامتنان العظيم إلى اساتذتي جميعًا في قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة القادسية ؛ وذلك لما بذلوه وقدموه من أجلنا .

ويملي علي واجب الوفاء والاعتراف بالفضل والجميل أن أتقدَّم بالشكر والامتنان والتقدير إلى أستاذي المشرف (**الدكتور حسام عدنان الياسري**) -أعزَّه الله- لما بذله من جهدٍ وعونٍ في تقويم هذه الرسالة، وإنارتها بتوجيهاته السديدة .

وأشرك كثيراً أسرتي الكريمة التي تحمَّلت معي الصعاب والمتاعب .

ولا يفوتني أن أتوجَّهُ بالشكر الخالص إلى زميلي الدراسة العزيزين الدكتور محمد فيصل الموسوّي، والدكتور إبراهيم خليل الأسديّ، فقد كانا لي خير صديق ومعين .

كذلك أتوجه بشكري وامتناني الخالصين إلى كل من أمين مكتبة قسم اللغة العربية في كلية الآداب الأستاذ مازن عبد نور ، وأمينة مكتبة كلية الآداب ، وأمين المكتبة المركزية في جامعة القادسية .

وشكري وامتناني في نهاية المطاف إلى كلِّ من أعانني ونصحني وأرشدني .

وفقهم الله جميعًا وجزاهم عني خير جزاء المحسنين .

الباحث

مقدمة

التمهيد

مفهوم التراكم الدلالي في المدونة المعرفية

الفصل الأول

التراكم الدلالي في ضوء المستوى الصوتي

الفصل الثاني

التراكم الدلالي في ضوء المستوى الصرفي

الفصل الثالث

التراكم الدلالي في ضوء المستوى النحوي

الفصل الرابع

التراكم الدلالي في ضوء العلاقات الدلالية

الخاتمة

روافد البحث

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ - ج
التمهيد : مفهوم التراكم الدلالي في المدونة المعرفية	١ ـ ٢١
الأول : مفهوم (التراكم) في المدونة المعجمية	٢
الثاني : مفهوم الدلالة	٤
الثالث : توظيف مادة (ركم) في النصوص الدينية والأدبية	٦
الرابع : ملامح (التراكم الدلالي) في تراث اللغويين والبلاغيين	٩
الخامس : مصطلح (التراكم الدلالي) في الدرس اللغوي الحديث	١٥
السادس : مسوغات(أسباب) التراكم الدلالي	١٨
الفصل الأول : التراكم الدلالي في ضوء المستوى الصوتي	٢٢ ـ ٧٩
مُدخل	٢٣
المبحث الأول : المشاكلة	٢٥
المبحث الثاني : التنغيم	٣٣
المبحث الثالث : الاستبدال الصوتي	٣٩
أ . الاستبدال الصوتي بين الصوامت	٣٩
ب . الاستبدال الصوتي بين الصوائت	٤٣
المبحث الرابع : البناء المقطعي للفاصلة	٤٧
المبحث الخامس : الجناس	٥٣
أ . جناس التصريف	٥٥
ب . الجناس المعكوس	٦٠
جـ . جناس الاشتقاق	٦٤
المبحث السادس : جُرس الألفاظ	٦٨
الفصل الثاني : التراكم الدلالي في ضوء المستوى الصرفي	٨٠ ـ ١٤٤
مُدخل	٨١

المبحث الأول : التراكم الدلالي في ضوء بنية الأفعال	٨٢
الأول : الأفعال المُجرَّدة	٨٢
أ . الثلاثي المُجرَّد	٨٢
١ . بناء (فَعُلَ)	٨٢
٢ . بناء (فَعِلَ)	٨٦
ب . الرباعي المُجرَّد	٩٠
الثاني : الأفعال المزيدة	٩٤
أ. المزيد بحرف واحد	٩٤
١. بناء (أفْعَلَ)	٩٤
٢. بناء (فَعَّلَ)	٩٨
٣. بناء (فَاعَل)	١٠٠
ب . المزيد بحرفين	١٠٣
١. بناء (تَفَعَّلَ)	١٠٣
٢. بناء (تَفَاعَل)	١٠٦
جـ . المزيد بثلاثة أحرف (اسْتَفْعَلَ)	١٠٨
المبحث الثاني : التراكم الدلالي في ضوء المشتقات	١١١
أ . اسم الفاعل	١١١
ب . اسم المفعول	١١٦
ج . أبنية المبالغة	١١٩
الأول : بناء (فَعَّال)	١٢١
الثاني : بناء (فَعُول)	١٢٥
الثالث : بناء (فَعِيْل)	١٢٧
الرابع : بناء (مِفْعَال)	١٣٠
الخامس : بناء (فَعِل)	١٣١
المبحث الثالث : التراكم الدلالي في ضوء المشترك الصرفي وأبنية الجموع	١٣٤

الأول : المشترك الصرفي (الصيغي)	١٣٤
الثاني : أبنية الجموع	١٤٠
١. صيغ منتهى الجموع	١٤٠
٢. أبنية أخرى للجمع	١٤٢
أ . بناء (فُعَّال)	١٤٢
ب . بناء (فُعَّل)	١٤٣
الفصل الثالث : التراكم الدلالي في ضوء المستوى النحوي	١٤٥ ـ ٢١٧
مُدخل	١٤٦
المبحث الأول : التضمين	١٤٨
المبحث الثاني : التعريف والتنكير	١٥٣
المبحث الثالث : التقديم والتأخير	١٥٨
المبحث الرابع : الحذف	١٦٢
المبحث الخامس : التوكيد	١٦٨
الأول : التوكيد بالأداة	١٦٩
الثاني : التوكيد بغير الأداة	١٨١
المبحث السادس : اختلاف أوجه الإعراب	١٩٥
المبحث السابع : اختلاف عود الضمير	١٩٩
المبحث الثامن : التمييز	٢٠٢
المبحث التاسع : الوصف بالمصدر	٢٠٧
المبحث العاشر : تعدد الخبر والحال والنعت وأثره في التراكم الدلالي	٢١٢
الفصل الرابع : التراكم الدلالي في ضوء العلاقات الدلالية	٢١٨ ـ ٢٥٠
مُدخل	٢١٩
المبحث الأول : المشترك اللفظي	٢٢٠
المبحث الثاني : المشترك المتضاد	٢٢٨
المبحث الثالث : الترادف	٢٣٣

المبحث الرابع : التقابل الدلالي	٢٣٨
المبحث الخامس : علاقة الإجمال والتفصيل	٢٤٢
المبحث السادس : علاقة التشبيه (التمثيل)	٢٤٧
الخاتمة	٢٥١
روافد البحث	٢٥٥

الأول : مفهوم (التراكم) في المدونة المعجمية :

أ . في المعجمات القديمة :

يرجعُ مصطلح (التراكم) إلى مادة (رَكَمَ) ، وهي في المدونة المعجمية تدل على جمع الشيء وإلقاء بعضه على بعض، قال الخليل (ت ١٧٥هـ) : ((الرِّكمُ : جُمعكَ شيئًا فوق شيء، حتى تجعله رُكامًا مَركومًا كرُكام الرمل، والسحاب ونحوه من الشيء المُرتِكم بعضه على بعض، قال الله عز وجل : ﴿فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا﴾ [الأنفال : ٣٧]، و ﴿ثُمَّ يَجْعَلَهُۥ رُكَامًا﴾[النور :٤٣]))[١] .

وورد في معجم الصحاح في اللغة : ((رَكَمَ الشيء يَرْكُمُهُ، إذا جمعَه وألقى بعضَه على بعض، وارْتَكَمَ الشيء وتراكَمَ، إذا اجتمع، والرُكْمَةُ : الطين المجموع، والرُكامُ : الرمل المُتَراكِمُ ، وكذلك السحاب المُتَراكِمُ وما أشبهه، ومُرْتَكَمُ الطريق : جَادَّتُهُ))[٢] .

وهذه المادة مثلما ذكر ابن فارس اللغوي (ت٣٩٥هـ) لها أصل دلالي واحد، هو التجمع، إذ قال : (("ركم" الراء والكاف والميم أصلٌ واحدٌ يدلُّ على [تجمُّع] الشيء، تقول ركَمت الشيء : ألقَيت بعضَه على بعض، وسحابٌ مُرْتكمٌ ورُكام، والرُّكمة : الطِّين المجمُوع ، ومُرْتَكَم الطريق : سَنَنُه ؛ لأنّ المارة تَرْتَكِمُ فيه))[٣] .

والذي يبدو من كلام المعجميين أنَّ دلالة (ركم) مأخوذة من المعنى الحسي ، وهو تراكم الرمل والسحاب والطين، ونحوها من الشيء المجموع بعضه على بعض، أو فوق بعض .

ثم إنَّ ما يُلاحظ كذلك في مادة (ركم) أنَّها لا تعني تجمع الشيء بعضه على بعض اعتباطًا، بل هو تجمع وفق ترتيب وتنضيد، يقول ابن سيده (ت ٤٥٨هـ) : ((الرَّكم : إلقاء بعض الشيء على بعض وتنضيده))[٤] ، ولاريب أنَّ التنضيد يعني الاتساق، والرصف، والترتيب ، قال أبو منصور الازهري (ت ٣٧٠هـ) : (يُقال: نَضَد، وضَمَد : إذا جمع، وضَمَّ، ونَضَد الشيء بعضه إلى بعض مُتّسقًا))[٥] .

وورد كذلك في معجم الصحاح : ((نَضَدَ متاعَه يَنضِدُهُ بالكسر نَضدًا ، أي وضع بعضه على بعض، والتَنْضيدُ مثله ، شُدِّد للمبالغة في وضعه متراصفًا))[٦] ، أي مرتبًا .

---

١ . كتاب العين : للخليل بن أحمد الفراهيدي : (ركم)، ١/ ٤٤٣، وينظر : تهذيب اللغة : الازهري : (ركم)، ٣٧٦/٣ .
٢ . الصحاح في اللغة : إسماعيل بن حماد الجوهري : (ركم)، ٢٦٨/١ .
٣ . معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس : (ركم)، ٣٥٦/٢ .
٤ . المحكم والمحيط الأعظم : ابن سيده : (ركم)، ١٧٧/٣ .
٥ . تهذيب اللغة : (نضد)، ١٤٧/٤ .
٦ . الصحاح في اللغة : (نضد) ، ٢١٤/٢ .

وقد يخرج مفهوم التراكم عن معناه الحقيقي الدال على تجمع الطين والسحاب والرمل الى المعنى المجازي ليدل على تراكم اللحم في الابل، يقول الزمخشري (ت٥٣٨هـ) : ((ومن المجاز : تراكم لحم الناقة إذا سمنت وناقة مركومة : سمينة))[١] .

ب . في المعجمات الحديثة :

إنَّ معجمات المحدثين في تناولها لمفهوم مادة (ركم) لم تأخذ مسارًا واحدًا، بل سارت في اتجاهين اثنين :

١. هو الاتجاه المُقلِّد المُساير للمعجمات القديمة؛ إذ لم يتم ابتكار أي معنى جديد غير ما تداوله القدماء من معنى (التراكم) وهو التجمع، ومن تلك المعجمات (المعجم الوسيط)، والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم[٢]، إذ جاء في المعجم الوسيط : ((ركمه ركمًا جمعه، وألقى بعضه على بعض، (ارتكم) اجتمع، (تراكم) ارتكم يقال تراكمت الأشغال، (الركام) ما اجتمع من الأشياء و تراكم بعضه فوق بعض يقال : ركام من رمل، و ركام من سحاب، و قطيع ركام ضخم، (الركم) السحاب المتراكم، (الركمة) الطين، والتراب المجموع ، (مرتكم) الطريق : جادته))[٣] .

٢. هو الاتجاه المُطوِّر (المُبتكر)، إذ ابتكر المحدثون مصطلحات حديثة من مادة (ركم) فضلًا على أنَّهم قد تلمسوا دلالات جديدة للتراكم قد غفل عنها المعجميون القدماء، ومن تلك الدلالات :

. التماسك : يدل التراكم على تماسك الشيء، يقول الدكتور أحمد مختار عمر : ((تراكم الشيءُ : تكوَّمَ واجتمع، تحول إلى كومة متماسكة))[٤] .

. التمكن ، ذكر المستشرق (رينهارت دوزي) في معجمه أنه ((يُقال تمكن الرجل إذا تراكم))[٥] .

ومن تلك المصطلحات الحديثة المبتكرة (الاستثمار التراكمي) : جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة : ((الاستثمار التراكمي : مبدأ يتم من خلاله ادخار مبالغ معينة وبشكل دوري منتظم لاستثمارها في الأسهم، وتلك الطريقة مربحة للاستثمار على المستوى البعيد))[٦] .

---

١ . أساس البلاغة : الزمخشري : (ركم) ، ١٨٢/١ .

٢ . ينظر : المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القران الكريم : د . محمد حسن حسن جبل : (ركم) ٨٤٩ ـ ٨٥٠ .

٣ . المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية في القاهرة : (ركم) ٧٧٠ .

٤ . معجم اللغة العربية المعاصرة : د. أحمد مختار عمر : (ركم)، ٢/ ٩٣٨ .

٥ . تكملة المعاجم العربية : رينهارت دوزي : (ركم) ٥/ ٢١٠ .

٦ . معجم اللغة العربية المعاصرة : (ركم) ٩٣٨/٢ .

وعلى الرغم من كون هذا المصطلح خاص بعلم الاقتصاد إلاَّ أنَّه مصطلح مستحسن إيجابي؛ لأنَّه يدلُّ على الانتظام، والربح، والفائدة المتوخاة من تراكم وتجمع المبالغ والسلع .

الثاني : مفهـــوم الدلالـــــة :

الدلالة لغةً :

الدلالة مثلثة الدال مصدر الفعل (دلَّ)، وتعني عند الخليل الكشف والارشاد والهداية[١]، وذكر الجوهري أنَّ ((الدلالة في اللغة مصدر دَلَّهُ على الطريق دَلالَةً ودِلالَةً ودُلولَةً، في معنى أرشده))[٢]، وجاء في لسان العرب ما نصه ((دَلَّه على الشيء يَدُلُّه دَلاًّ ودَلالةً فانْدَلَّ : سدَّده إليه ،... والدَّلِيل : ما يُسْتَدَلُّ به، والدَّلِيل : الدَّالُّ، وقد دَلَّه على الطريق يَدُلُّه دَلالة ودِلالة ودُلولة والفتح أَعلى، والدَّلِيل والدِّلِّيلي : الذي يَدُلُّك))[٣].

ومن المجاز يُقال : الدال على الخير كفاعله، ودلَّهُ على الصراط المستقيم أرشدهُ إليه وسددهُ نحوه وهداه[٤] .

.

وبهذا العرض المعجمي نلحظ أنَّ المعنى المحوري الذي تدور حوله مادة (دلل) هو الإرشاد، والإبانة، والاستدلال إلى الشيء بأي علامة لفظية كانت أو غير لفظية .

الدلالة في الاصطلاح :

أ . مفهوم الدلالة عند القدماء :

الدلالة مثلما عرفها الراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ) هي ((ما يتوصل به إلى معرفة الشيء ، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرموز، والكتابة والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة أو لم يكن بقصد كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حي))[٥] .

---

١ . ينظر : العين : (دلل) ٨/٨ .

٢ . الصحاح في اللغة : (دلل) : ١٩٨/٤ .

٣ . لسان العرب : (دلل) : ٣٩٩/١ .٤٠٠ .

٤ . ينظر : أساس البلاغة : الزمخشري : ١٣٤ .

٥ . المفردات في غريب القرآن : الراغب الاصفهاني : ١٧١ .

وهي عند الشريف الجرجاني تعني ((كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول))[١]، وهذا ما درج عليه أهل الميزان والأصول العربية والمناظرة[٢] .

وبلحاظ ما تقدم فإنَّ ما أورده الجرجاني يمثل معنى عامًا للدلالة؛ إذ يشمل كل أنواع العلامات سواء كانت لغوية أم غير لغوية، ولذا فهو أقرب إلى علم السيمياء منه إلى اللسانيات اللغوية .

ولم يقتصر الجرجاني على ذكر ما هو عام، بل انتقل بالدلالة من معناها العام إلى معنى خاص بالألفاظ بعدِّها من الرموز الدالة، فقال : ((الدلالة اللفظية الوضعية : هي كون اللفظ بحيث متى أُطلق أو تُخيِّلَ فُهِم منه معناه للعلم بوضعه ، وهي المنقسمة إلى المطابقة، والتضمن، والالتزام؛ لأنَّ اللفظ الدال بالوضع يدل على تمام ما وضع له بالمطابقة، وعلى جزئه بالتضمن، وعلى ما يلزمه في الذهن بالالتزام، كالإنسان فإنَّه يدل على تمام الحيوان الناطق بالمطابقة، وعلى جزئه بالتضمن، وعلى قابل العلم بالالتزام))[٣] .

ب . مفهوم الدلالة عند المحدثين :

مما لاشك فيه أنَّ مصطلح الدلالة في العصر الحديث قد تطور كثيرًا ، واتخذ أبعادًا عدة أخرجته من حيِّز الدراسة القديمة إلى طور الدراسة الحديثة، وأصبح مجال البحث فيه يشمل ميادينَ عدة من حياة الإنسان، ويلتقي مع كثير من المعارف الإنسانية الحديثة كعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الإشارات وغيرها من العلوم[٤] .

وإذا جئنا إلى مفهوم الدلالة في الدرس اللغوي الحديث، ولاسيما في التفكير اللساني الغربي نجد أنَّ العالم السويسري (دي سوسير) كان له الأثر البالغ في بيان مفهومها، فالدلالة عنده عبارة عن العلاقة التي تربط الدال بالمدلول داخل العلامة الألسنية، ومن خواص هذه العلاقة أن يكون بين الدال والمدلول كمال الاتصال، وأنَّ أحدهما يقتضي الآخر ويؤذن به[٥] .

فيما عرَّف (موريس) الدلالة بأنَّها ((علاقات العلامات بالأشياء التي بها تكون العلامات قابلة للاستعمال))[٦] .

---

١ . كتاب التعريفات : الشريف الجرجاني : ٩١ .

٢ . ينظر : كشاف اصطلاحات الفنون : التهانوي : ٢٨٤/٢ .

٣ . كتاب التعريفات : ٤٩٨ .

٤ . ينظر : علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي) : منقور عبد الجليل : ٤١ .

٥ . ينظر : دروس في الألسنية العامة : فردينان دي سوسير : ١٧٢. ١٧٣ .

٦ . نقلا عن كتاب وصف اللغة العربية دلاليًا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية (دراسة حول المعنى وضلال المعنى) : د. محمد محمد يونس علي : ٧٥ .

ولم يبتعد المحدثون العرب كثيرًا عما أقره الغربيون من تعريفات للدلالة، فيرى بعضهم ((أنَّ الدلالة هي فرع اللسانيات الذي يدرس معنى الوحدات اللسانية وتغيراتها))[١] ، فيما يرى الدكتور محمد محمد يونس ((أنَّها الحدث الذي يقترن فيه الدال، فإذا جاز لنا أن نقول : إنَّ الضرب هو اتصال الضارب بالمضروب جاز لنا قياسًا على ذلك أن نقول : إنَّ الدلالة : هي اتصال الدال بالمدلول، أو العلاقة بين الدال والمدلول))[٢].

أما بخصوص علم الدلالة فيُعرَّف بأنَّه : ((العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرًا على حمل المعنى))[٣]، فيما حدد الدكتور كمال بشر مهمة هذا العلم بقوله : ((إنَّ مهمة هذا العلم هي البحث في معاني المفردات ومشكلاتها، فضلًا عن معاني الجمل والعبارات، فهو يدرس القوانين والقواعد التي تخضع لها معاني الالفاظ من حيث علاقتها بالظروف الاجتماعية والثقافية، ومن حيث ما يطرأ عليها من تغيير كالتوسع أو التضييق))[٤] .

الثالث : توظيف مادة (ركم) في النصوص الدينية والأدبية :

أ . في القرآن الكريم :

ورد في القرآن الكريم استعمال مادة (ركم) في ثلاثة مواضع وبصيغ مختلفة، إذ جاء الاستعمال الاول بصيغة الفعل (يركم) المسند الى الضمير العائد على لفظ الجلالة ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[الأنفال : ٣٧] ، فيما جاء الاستعمال الثاني بصيغة المصدر (رُكام) بزنة (فُعال) ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾ [النور : ٤٣] .

وأمَّا الاستعمال الثالث فكان بصيغة اسم المفعول (مركوم) ليكون صفة للسحاب المجتمع فوق بعضه ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾[الطور : ٤٤] .

---

١ . علم الدلالة (دراسة وتطبيق) : نور الهدى لوشن : ٣١ .

٢ . وصف اللغة العربية دلاليًا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية (دراسة حول المعنى وضلال المعنى) : د. محمد محمد يونس علي : ٣٤٥ .

٣ . علم الدلالة : د. أحمد مختار عمر : ١١ .

٤ . دراسات في علم اللغة (القسم الثاني) : د. كمال بشر : ١٣ .

ب . في النصوص النثرية :

ورد مصطلح (التراكم) في أحدى خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان عظمة الخالق جلت قدرته : **((وَكَانَ مِنِ اِقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ وَ بَدِيعِ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ اَلْبَحْرِ اَلزَّاخِرِ اَلْمُتَرَاكِمِ اَلْمُتَقَاصِفِ يَبَسا جَامِدا ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقا فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْدَ اِرْتِتَاقِهَا))**[1] .

ج . في النصوص الشعرية :

١ـ إنَّ أقدم استعمال لمادة (ركم) في المدونات الشعرية، هو مجيؤها بصيغة اسم المفعول المؤنث (مركومة) ، للدلالة على شدة تراكم ظلمة الليل، وذلك في بيت للشاعر الجاهلي (عبيد بن الابرص (ت ٥٥٤م ، ٢٥ ق م) الذي قال فيه[2] :

يا مَن لِبَرقٍ أَبيتُ اللَيلَ أَرقُبُهُ في مُكفَهِرٍّ وَفي سَوداءَ مَركومَةْ

ومعنى البيت : أنَّ الشاعر بات تللك الليلة المتراكمة الظلام، وهو يرقب البرق الذي يلمع في سُحبٍ سوداء كثيفة غزيرة الامطار .

٢ـ ورد استعمال اسم الفاعل (متراكم) من الفعل (تراكم) دالا على تجمع، وتراكم الامواج الشديدة فوق بعضها، وذلك في بيتٍ للشاعر الجاهلي المسيب بن عَلس (ت ٥٨٠ م) من قصيدةٍ يمدح بها القعقاع بن معد بن زرارة ، إذ يقول فيه[3] :

وَلَأَنتَ أَجوَدُ مِن خَليجٍ مُفعَمٍ مُتَراكِمِ الآذِيِّ ذي دُفّاعِ[4]

٣ـ جاء استعمال لفظة (رِكام) بصيغة (فِعال) للدلالة على كثرة النباتات المتكسرة المجتمعة فوق بعضها في الوادي اللجب أي (الصاخب الغاضب)، وذلك في قول النابغة الذبياني (ت٦٠٤ م) :

فما الفراتُ إذا جاشت غواربه ترمي أواذيُّه العبرين بالزبدِ

يَمُدُّهُ كُلُّ وادٍ مُترَعٍ لَجِــبٍ فيهِ رِكامٌ مِنَ اليَنبوتِ وَالخَضَدِ[5]

---

١ . شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد : ١/ ٢٢٩ .

٢ . ينظر : ديوان عبيد بن الأبرص : ١٢٨ .

٣ . ينظر : ديوان المسيب بن علس : ٩٨ .

٤ . الآذي بالمد والتشديد : الموج الشديد ، ينظر :لسان العرب : (آذى) ١٠٩/١ ، والدفاع : كثرة الماء وشدته، وقيل : طحمة السيل العظيم والموج ، ينظر : لسان العرب : (دفع) ٣٧٠/٤ .

٥ . ينظر : ديوان النابغة الذبياني : ١٦ .

٤ـ حصل تطورٌ دلالي لمادة (ركم) وذلك بانتقالها من الدلالة على تجمع الشيء فوق بعضه البعض وتنضيده، الى الدلالة على ضخامة الابل وقوتها، وهذا التطور جاء في استعمال المصدر (رُكام) بصيغة (فُعال) صفة للإبل الضخام في قول لَبيد بن ربيعة العامِري (ت ٦٦١م) :

يُكَسِّرُ ذابِلَ الطَرفاءِ عَنها بِجَنبٍ سُوَيقَةَ النَعَمُ الرُكامُ[١]

٥ـ كذلك حصل تطورٌ آخر في دلالة (ركم) لتكون دالةً على الكثرة بدل دلالتها الاصلية وهي (التجمع والتراكم) ، ونلحظ هذا التطور في قول عمرو بن حسان لامرأته وكانت لامته في نابين عقرهما لضيف نزل به يقال له إساف ، فقال :

أفي نابين نالهما إساف تأوه طلتي ما أن تنامُ ؟

أجِدَّك هلْ رأيْتَ أبا قُبَيْسٍ أطالَ حياتَه النَّعَمُ الرُّكامُ ؟

بَنَى بالغَمْرِ أرْعَنَ مُشْمَخِرًّا يُغنّي في طوائِقِه الحَمامُ[٢]

وهذه الدلالة الجديدة قد تنبَّه عليها ابن منظور من خلال بيانه معنى البيت الشعري إذ قال : ((والركام الكثير، يقول لو كانت كثرة المال تُخْلِدُ أَحدًا لأَخلَدَتْ أَبا قابوس))[٣] .

٦ـ شاع عند العرب اطلاق لفظي (الرُكام) و(المرتَكِم) على السُحب الكثيفة، وبذلك اصبحت ألفاظ (الرُكام ، و المُرتَكِم ، والسُحب ، والغيم) من المترادفات ، ولعل حصول هذا الترادف كان بسبب كثرة مجيء لفظي (الرُكام) أو (المرتَكِم) صفتين للموصوف (السحاب)، فيقال : السُحب الركام أو المُرتَكِمة : ويُرادُ بها السُحب الكثيفة التي قد تشكلت من تراكم غيمها فوق بعضه بعض، ثم إنَّه بعد حذف الموصوف (السُحب) وإقامة الصفة مقامه، حدث ذلك الترادف، وهذا الحذف لا يحصل إلا في سياق لغوي يُفهم عن طريقه أنَّ المراد بالركام أو المرتَكِم هو السحب الكثيفة؛ ذلك كون (الركم) مصطلح عام يصدق على أشياء كثيرة متراكمة غير محددة، والذي يحدد معناه هو السياق اللغوي، ومن شواهد ذلك الاستعمال (الترادف) قول الحطيئة (ت٤٥هـ)[٤] :

سَقَى دَارَ هِنْدٍ مُسْبِلُ الوَدَقِ مَرَّهُ رُكامٌ سَرَى مِنْ آخِرِ اللَيلِ مُرِدِفُ

---

١ . ينظر : ديوان لبيد بن ربيعة العامري : ١٧٩ .

٢ . ينظر : لسان العرب : (كثر) ١٣١/٥ .

٣ . المصدر نفسه والصفحة .

٤ . ينظر : ديوان الحطيئة : ١٢٩ .

فالرُكام عند الحطيئة يُراد به السحب الكثيفة الممطرة ، والذي ساعد في كشف هذا المعنى هو السياق اللغوي في صدر البيت (سقى دار هند...)، فالسقاء هو نتاج السحب الممطرة ، والسحب هي سبب السقاء ، فالنتيجة هي كاشفة لمعنى المسبب (الركام) .

ومن الشواهد كذلك على مجيء مصطلح (المرتَكِم) بمعنى السحاب الكثيف قول الشاعر المعروف بابن قلاقس (ت٥٦٧هـ)[١] :

فسقَى الجزيرةَ كُلَّ مُرْتَكِمٍ لَمْ يَأْلُـها نَهْـلًا ولا عَـلَّا

إذ يُشير الشاعر هنا الى كثافة وكثرة تلك السُحب الممطرة على جزيرة العرب، بحيث سقت كلَّ أرجاء الجزيرة، ولم يبق منها منخفض أو مرتفع إلا وقد وصل إليه ماء المطر .

الرابع : ملامح (التراكم الدلالي) في تراث اللغويين والبلاغيين :

من خلال تتبعي لظاهرة (التراكم الدلالي) في مدونات اللغويين والبلاغيين القدماء، فقد وجدتها قد زخرت بفيض غامر من المقولات التي تناولت جوانب هذه الظاهرة بالبحث والتقصي، والاشارة إليها، ولكن من غير تصرح بهذا المفهوم المتداول اليوم، وهو (التراكم الدلالي) ، والحال هذا لا تجده متحققًا مع هذه الظاهرة فحسب ، بل تجده واقعًا كذلك مع العديد من الظواهر اللغوية التي تنبَّه عليها القدماء، وبحثوها في مدوناتهم، من غير أن يضعوا لها عنوانًا جامعًا مانعًا .

وعند تتبع تلك المقولات التي تحدثت عن مضمون التراكم الدلالي، اتضح لي أنَّ هذا المفهوم قد نحا منحيين :

الأول : هو التراكم الدلالي الحاصل من اللفظة الواحدة، أو العبارة الواحدة، أو (الألفاظ القليلة) .

الثاني : هو التراكم الدلالي الحاصل من ركم الالفاظ ، أو تكثيرها، أو زيادتها .

فمن الأول ما جاء عند البلاغيين تحت مفهوم الإيجاز، قال الجاحظ (ت٢٥٥هـ) : ((الإيجاز الجمع للمعاني الكثيرةِ بالألفاظ القليلة))[٢]، وذكر أبو العباس القلقشندي (ت٨٢١هـ) : (الإيجاز : وهو جمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة وعليه ورد أكثر آي القرآن الكريم، فمن ذلك قوله تعالى في مفتتح سورة الفاتحة﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ

١ . ينظر : ديوان ابن قلاقس : ٨٤ .

٢ . الحيوان : للجاحظ : ٣/ ٨٦ .

﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[الفاتحة :٢] ، انتظم فيه خلق السموات والأرض، وسائر المخلوقات لم يشذ عنه شيء في أوجز لفظ ، وأقربه، وأسهله، ومنه قوله تعالى :﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾[الأعراف : ٥٤]))[١] .

والذي يُلحظ في هذا المقام أنَّ عبارة (الجمع للمعاني الكثيرة) في هذين النصين لا تخلو من ملمح تراكمي؛ ذلك أنَّ مصطلح (التراكم) مثلما عهدناه في مدونات المعجميين يعني التجمع، والتكثير، وعليه فالمقصود من الإيجاز هو ركم المعاني الكثيرة تحت الألفاظ القليلة .

و يمكن تلمس مفهوم التراكم الدلالي كذلك في حديث ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) عن اتساع التأويل في البيت الشعري، إذ قال : ((وذلك أن يقول الشاعر بيتاً يتسع فيه التأويل، فيأتي كل واحد بمعنى ، وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ ، وقوته واتساع المعنى))[٢] .

فعبارة ابن رشيق (اتساع المعنى) في ختام قوله هي إشارة واضحة وبينة تصب في حقل التراكم الدلالي من النوع الاول .

ولو عرَّجنا على إمام البلاغيين عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) لوجدنا له لمساتٍ تحوم حول مفهوم التراكم الدلالي، ولاسيما في حديثه عن نظرية (اللفظ والنظم) ، و (المعنى ومعنى المعنى) ، إذ قال : (الكلام على ضربين : ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج على الحقيقة، فقلت: خرج زيد، وبالانطلاق عن عمرو فقلت : عمرو منطلق، وعلى هذا القياس ، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل، وقد مضت الأمثلة فيها مشروحة مستقصاة، أو لا ترى أنك إذا قلت : هو كثير رماد القدر، أو قلت : طويل النجاد، أو قلت في المرأة : نؤوم الضحا فإنك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره ، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانيا هو غرضك كمعرفتك من كثير رماد القدر أنَّه مضياف، ومن طويل النجاد أنَّه طويل القامة، ومن نؤوم الضحا في المرأة أنَّها مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها، وكذا إذا قال : رأيت أسدا، ودلك الحال على أنه لم يرد السبع، علمتَ أراد التشبيه، إلا أنه بالغ فجعل الذي رآه بحيث لا يتميز من الأسد في شجاعته، وكذلك تعلم في قوله : بلغني أنك تقدم رجلا وتؤخر أخرى، أنه أراد التردد في أمر البيعة، واختلاف العزم في الفعل، وتركه على ما مضى الشرح فيه . وإذ قد عرفت هذه الجملة فها هنا عبارة مختصرة، وهي أن تقول المعنى ومعنى المعنى، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ ، والذي تصل

---

١ . صبح الأعشى في كتابة الإنشا : أبو العباس أحمد القلقشندي : ٣٦١/١ .

٢ . العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيق القيرواني : ٩٣/٢ ، وينظر : الكليات : أبو البقاء الكفوي : ٣١/١ .

إليه بغير واسطة ، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر كالذي فسرت لك))[١] .

والمتتبع لنص ابن الأثير الحلبي (ت٦٣٧هـ) الذي قال فيه : ((وقد سنح لي في زيادة المعنى على اللفظ من غير المحذوفات دليل أنا ذاكرِه، وهو أنَّا نجد من الكلام ما يدل على معنيين وثلاثةٍ واللفظ واحدٍ، والمعاني التي تحته متعددة ، فأما الذي يدل على معنيين فالكنايات جميعها، كالذي ورد في الحديث عن النبي وعن أصحابه رضي الله عنهم أنهم كانوا إذا خرجوا من عنده لا يتفرقون إلا عن ذواقٍ، وهذا يدل على معنيين أحدهما إطعام الطعام، أي أنهم لا يخرجون من عنده حتى يطعموا، و الآخر أنهم لا يتفرقون إلا عن استفادة علم وأدب يقوم لأنفسهم مقام الطعام لأجسامهم، وأما الذي يدل على ثلاثة فكقول (كذا)[٢] أبي الطيب المتنبي[٣] :

وَأَظْلَمُ أَهْلِ الظُّلم مَنْ بَاتَ حَاسِدًا لِمَنْ بَاتَ في نَعْمَائِه يَتَقَلَّبُ

فهذا يدلُّ على ثلاثة معان، الأول أنه يحسد من أنعم عليهِ، الثاني ضد الأول، الثالث أنه يحسد كل رب نعمة كائنًا من كان، أي يحسد من بات في نعماء نفسه يتقلب، وهذا وأمثاله من أدل الدليل على زيادة المعنى على اللفظِ وهو شيء استخرجتهِ ولم يكن لأحد فيه قول سابق))[٤] .

ولعلَّ المتتبع لنص ابن الاثير يجد أنَّ في عبارتيه (زيادة المعنى) و (تعدد المعنى) ملامح دلالية واضحة توحي بالتراكم الدلالي، إذ إنَّ مفاهيم التعدد، والزيادة، والتكثير، والتكثيف، والتجميع وغيرها ما هي إلاَّ مفاهيم تدخل تحت إطار مفهوم (التراكم)؛ إذ هو مفهوم واسع عام تتجاذبه كل التخصصات المعرفية مثلما مرَّ بنا .

أمَّا عند اللغويين فنجد ابن جني (ت ٣٩٢هـ) قد أشار إلى هذا النوع من التراكم في (باب في اللفظ يرد محتملًا لأمرين أحدهما أقوى من صاحبه أيُجازان جميعا فيه أم يقتصر على الأقوى منهما دون صاحبه) : إذ قال :((اعلم أن المذهب في هذا ونحوه أن يعتقد الأقوى منهما مذهبًا، ولا يمتنع مع ذلك أن يكون الآخر مرادًا وقولًا، من ذلك قوله :

كَفَى الشَّيْبُ والإسلامُ للمرءِ ناهِيًا[٥]

---

١ . دلائل الاعجاز : عبد القاهر الجرجاني : ٢٠٢ . ٢٠٣ .

٢ . الأصوب : نحو قول أبي الطيب المتنبي .

٣ . ينظر : ديوان المتنبي : ٤٦٩ .

٤ . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين ابن الأثير : ٧٦/٢ .

٥ . هذا عجز بيت لسحيم عبد بني الحسحاس ، و تمام البيت هو : عُمَيْرَةَ وَدِّع إنْ تَجَهزتَ غازيًا ... كفى الشَّيْبُ والإسلامُ للمرءِ نَاهِيًا، ينظر : ديوان سحيم : ١٦ .

فالقول أنَّ يكون (ناهيًا) اسم الفاعل من(نهيت) كساع من سعيت وسارٍ من سريت ، وقد يجوز مع هذا ان يكون (ناهيًا) هنا مصدرًا كالفالج والباطل والعائر والباغز، ونحو ذلك مما جاء فيه المصدر على فاعل حتى كأنه قال : كفى الشيب والإسلام للمرء نهيًا وردعًا أي ذا نهى فحذف المضاف وعلقت اللام بما يدل عليه الكلام))[١] .

وأما النوع الثاني : وهو التراكم الدلالي الناتج من تراكم الألفاظ ، فقد كانت الإشارات إليه عند القدماء أقل من النوع الاول، ولكنها لا تمنع من وجود هذا النوع ، ومن تلك الاشارات ما ورد عند ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) في قوله : ((وأمَّا تكرار المعنى بلفظين مختلفين فلإشباع المعنى، والاتساع في الالفاظ ، وذلك كقول القائل، آمرك بالوفاء ، وأنهاك عن الغدر ، والامر بالوفاء هو النهي عن الغدر ، وآمركم بالتواصل ، وأنهاكم عن التقاطع ، والامر بالتواصل هو النهي عن التقاطع))[٢] .

وتجدر الإشارة هنا من دون أدنى شك أنَّ عبارة ابن قتيبة وهي (اشباع المعنى، والاتساع في الالفاظ) هي بحد ذاتها قريبة جدا من مفهوم التراكم الدلالي المتولد من جراء تراكم الالفاظ ؛ ذلك أن إشباع المعنى يعني شحن العبارة بجملة من الدلالات المتراكمة المكثفة ، وهذا يعني أن التراكم اللفظي لا يكون إلا عن طريق اتساع الالفاظ وتعددها في النص المعروض .

وبعد ابن قتيبة نجد من تلك المقولات التي ألمحت إلى تحقق هذا النوع من التراكم الدلالي ما ورد عن ابن جني في كتابه الخصائص وذلك بقوله : ((وبعد فإذا كانت الألفاظ أدلة المعاني ثم زيد فيها شيء أوجبت القسمة له زيادة المعنى به))[٣] . فزيادة الالفاظ ، أو تراكمها، أو اتساعها عند ابن جني توجب زيادة المعاني وتراكمها أيضا .

ومما جاء في هذا الصدد محاكيا قول ابن جني قول أبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) في كتاب (فقه اللغة وسر العربية) إذ قال : في باب (في زيادة المعنى حسنا بزيادة اللفظ) : ((هي من سنن العرب كما تقول : زيد ليث ، إنما شبهته بليث في شجاعته ، فإذا قال : زيد كالليث الغضبان فقد زاد المعنى حسنًا ، وكسا الكلام رونقًا))[٤] .

ولعلَّ حديث العلماء عن تجمع المترادفات (تراكمها) ودفع توهم تكرارها من غير فائدة هو ما يصب في حقل هذا النوع من التراكم، وهذا ما أشار إليه الزركشي (ت٧٤٥هـ) بقوله : ((مما يدفع وهم التكرار في مثل

---

١ . الخصائص : لابن جني : ٢/٤٨٨ ـ ٤٨٩ .

٢ . تأويل مشكل القرآن : لابن قتيبة : ١٥٢ .

٣ . الخصائص : ٣/ ٢٦٨ .

٤ . فقه اللغة وأسرار العربية : أبو منصور الثعالبي : ١٣٧٩ .

هذا النوع أن يعتقد أنَّ مجموع المترادفين يحصل معنى لا يوجد عند انفراد أحدهما فإن التركيب يُحدثُ معنى زائدًا، وإذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى فكذلك كثرة الألفاظ))[١] .

وقد ذهب أبو البقاء الكفوي (ت ١٠٤٩هـ) هذا المذهب، مستشهدًا ببعض النصوص القرآنية التي حصل فيها تراكم (تجمع) للألفاظ المترادفة الموحية بمعنى زائد، إذ قال : (المترادفان مثل : بثي وحزني، سرهم ونجواهم، شرعة ومنهاجا، لا تبقي ولا تذر، إلا دعاء ونداء، أطعنا سادتنا وكبراءنا، صلوات من ربهم ورحمة ، عذرا أو نذرا ، والمخلص في هذا أن يعتقد أنَّ مجموع المترادفين يحصل معنى لا يوجد عند انفرادهما فإن التركيب يحدث معنى زائدا وإذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى فكذلك كثرة الألفاظ))[٢] .

وفضلًا على ذلك ثمة مفاهيم نحوية وبلاغية عدَّة قد تحدَّث عنها القدماء تحت أبواب خاصة بها يمثل كل منها عاملًا مهما من عوامل التراكم الدلالي، ومن أهم تلك المفاهيم (التكرار، والتوكيد، والإطناب) .

فالتكرار مثلما عرَّفتهُ كتب البلاغة والأدب : ((هو أن يُكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى والمراد بذلك تأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد أو الإنكار أو التوبيخ أو الاستبعاد أو لغرض من الأغراض، فأما ما جاء منه للذم فكقول (كذا)[٣] مهلهل بن ربيعة أخي كليب :

يَا لِبَكرٍ أنشِرُوا لي كُلَيبًا يَا لِبَكرٍ أينَ أينَ الفِرَارُ[٤]

وأما ما جاء منه للمدح فكقول كثير في عمر بن عبد العزيز :

فأرْبِحْ بِهَا مِنْ صَفْقَةٍ لِمُبَايِعٍ وأَعْظِمْ بِهَا أَعْظِمْ بِهَا ثُمَّ أَعْظِمْ[٥]

وأما ما جاء منه للتهويل فكقوله تعالى : ﴿ **ٱلْقَارِعَةُ مَا ٱلْقَارِعَةُ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ** ﴾ [القارعة : ١-٣]، وكقوله : ﴿ **ٱلْحَآقَّةُ مَا ٱلْحَآقَّةُ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ** ﴾[الحاقة : ١-٣] ، وأما ما جاء منه للإنكار والتوبيخ فهو تكرار قوله تعالى في سورة الرحمن ﴿ **فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴾[الرحمن :١٣] ، فإنَّ الرحمن جلَّ جلاله ما عدد آلاءه هنا إلا ليبكت بها من أنكرها على سبيل التقريع، والتوبيخ كما يبكت منكر أيادي المنعم عليه من الناس بتعديدها له، وأما ما جاء منه للاستبعاد فكقوله تعالى :﴿ **هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ** ﴾[المؤمنون :٣٦])[٦] .

---

١ . البرهان في علوم القرآن : الزركشي : ٤٧٧/٢ .

٢ . الكليات : ٤٨٦ ، وينظر : الاتقان في علوم القرآن : السيوطي : ٣١٠/١ .

٣ . الأصوب : نحو قول .

٤ . ينظر : ديوان المهلهل بن ربيعة التغلبي : ٣٢ .

٥ . ينظر : ديوان كُثير عزة : ٣٣٦ .

٦ . خزانة الأدب وغاية الأرب : ابن حجة الحموي : ٣٦١/١ ـ ٣٦٢، وينظر : تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن : ابن أبي الاصبع المصري : ٣٧٥ ـ ٣٧٦.

إذًا ((فالتكرار اللفظي منه والمعنوي ما هو إلا توالي أكثر من دال على مدلول واحد تجتمع الدوال مكونة دلالة متراكمة، وهو كثير في القرآن))[١] .

والتوكيد هو أيضا تراكم دلالي؛ لأنَّه يؤدي ((تقرير معنى لفظ سابق))[٢] ، فهو زيادة في مبنى الكلام لغرض ((تمكين المعنى في النفس أو ازالة الشك عن الحديث أو المُحدَّث عنه))[٣] ، فهو كالتكرار يُراد به تمكين المعنى وتقويته في نفس السامع وذهنه وقلبه[٤] .

وأما الإطناب فهو ((زيادة اللفظ على المعنى لفائدة))[٥]، وقيل فيه : هو ((كثرة العبارة بسبب كثرة المعاني))[٦] ، ولا ريب أنَّ تكثير الألفاظ ، والمعاني إنما هو إشارة واضحة إلى تراكمهما في النص، ذلك التراكم الذي يسعى المتكلم من ورائه إلى البيان، والاشباع، والإقناع ، يقول أبو هلال العسكري في هذا الصدد : ((قال أصحاب الإطناب : المنطق إنما هو بيان، والبيان لا يكون إلا بالإشباع، والشفاء لا يقع إلاّ بالإقناع، وأفضل الكلام أبينه، وأبينه أشدّه إحاطةً بالمعاني، ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامّة إلاّ بالاستقصاء))[٧] .

ومن هنا فالإطناب ليس مذمومًا في البلاغة، بل هو موطنٌ محمودٌ مستحسن ؛ قال ابن أبي الأصبع المصري (ت٦٥٤هـ) مؤكِّدًا حُسن الإطناب وذم الإسهاب : ((فالمحمود في هذه المواضع الإطناب، والمذموم الإسهاب، وإنما كان الإطناب محمودا، والإسهاب مذموما، لأن الإطناب تفخيم الأمر وتقويته وتوكيده وشد أواخيه ، والإسهاب مأخوذ من السهب وهو المتسع من الفلاة التي لا ينتهي النظر فيه إلى علم يهتدى به ، ولا معلم يؤوى إليه، فكأن المسهب اتسع في الكلام اتساعا لا فائدة فيه))[٨] .

وعليه يمكننا القول : إنَّ التراكم الدلالي المتحقق من قبيل الاطناب هو شيءٌ محمود مستحسن أيضا ؛ لأنه يهدف الى البيان والتوضيح، والبيان لا يكون إلا بإشباع المعنى وتراكمه والاحاطة به عن طريق اتساع الالفاظ وتراكمها .

---

١ . التراكم الدلالي في النص القرآني : د. مجيد طارش عبد : ١٦ .
٢ . التبيان في علم البيان : ابن الزملكاني : ١١٠ .
٣ . المقرب : لابن عصفور : ٢٦١ .
٤ . ينظر : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : يحيى بن حمزة العلوي : ١٧٦/٢ . وينظر معاني النحو : د . فاضل السامرائي : ٥٠٩/٤ .
٥ . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ١٢٠/٢ .
٦ . تحرير التحبير : ٤٩٠ .
٧ . كتاب الصناعتين الكتابة والشعر : ١٩٦ .
٨ . تحرير التحبير : ٤٢٤ .

الخامس : مصطلح (التراكم الدلالي) في الدرس اللغوي الحديث :

أ . توظيف المصطلح :

إنَّ تعبير (التراكم الدلالي) وإن لم يقل به القدماء كمصطلح مستقل، إلاَّ أنَّه أصبح مصطلحًا قارًا مستعملًا في الدرس اللغوي الحديث في مدونات لغوية عدة، إذ وجدته مستعملا عند الدكتور (مجيد طارش عبد) عنوانًا لأطروحته في الدكتوراه والموسومة بـ (التراكم الدلالي في النص القرآني)[١] ، والتي نُوقشت في كلية التربية للبنات . جامعة بغداد عام ٢٠٠٠ م ، واستعمله الدكتور أحمد عبد التواب الفيومي عنواناً لأحد فصول كتابه المعنون بـ (من ظواهر علم الدلالة في القرآن الكريم)[٢] .

ولم يكن له هذان الاستعمالان فحسب، بل وظَّفه كذلك الدكتور حسام عدنان الياسري ليكون عنوانًا لبحثه الموسوم بـ (التراكم الدلالي في المقولات الباقرية التوظيف والنتائج – قراءة لِسَانيّة)[٣] .

وتأسيسًا على ما تقدم يمكن عده مصطلحًا متداولًا له قيمتهُ اللغوية الفاعلة في الدرس اللغوي الحديث، فهو مصطلح يهدف الى كشف حقائق ومزايا ظاهرة لغوية نحوية بلاغية مهمة طالما تطرق لمضمونها القدماء في مواضع متفرقة من مدوناتهم ، وهو ما يتبين أكثر فيما بعد في فصول هذه الدراسة .

ب . التعريف بالمصطلح :

لقد حدَّ الدكتور (مجيد طارش) مصطلح (التراكم الدلالي) بقوله : ((إنَّ التراكم الدلالي مصطلح يعني : توالي أكثر من دال على مدلول عام واحد ضخم فتجتمع الدوال بعضها مع بعض مكونة دلالة متراكمة، وهذا هو مقصود هذا البحث))[٤] .

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أنَّ هذا التعريف فيه نظر، ويمكن نقده من وجوه عدة، أجملها في الاتي :

١. لم يكن هذا التعريف تعريفا جامعًا مانعًا؛ إذ لا يدلُّ على كل ما يُراد بالتراكم الدلالي، ذلك أنَّ التراكم الدلالي مثلما اتضح في مقولات القدماء الآنفة الذكر هو مفهوم ذو اتجاهين ، الأول : تراكم دلالي ناتج من اللفظ القليل، والآخر : تراكم دلالي ناتج من تراكم الألفاظ وتكثيرها، بيد أنَّ الذي وجدته في هذا التعريف يقتصر على النوع الثاني دون النوع الأول، علمًا أنَّ دكتور مجيد قد تناول في اطروحته مباحث الإيجاز،

---

١ . ينظر : التراكم الدلالي في النص القرآني : ١ .

٢ . ينظر : من ظواهر علم الدلالة في القرآن الكريم : د. أحمد عبد التواب الفيومي : ١ .

٣ . التراكم الدلالي في المقولات الباقرية التوظيف والنتائج ـ قراءة لسانية : د. حسام عدنان رحيم : ٢٤٣.

٤ . التراكم الدلالي في النص القرآني : ١٥ .

والتضمين، والتنكير، وغيرها وهي مما ينضوي تحت النوع الأول من التراكم الدلالي، وهذا يمثلُ تعارضًا بين ما أقره من تعريفٍ وبين بعض مباحث الأطروحة .

٢. إنَّ عبارة (توالي أكثر من دال على مدلول عام واحد ضخم) في هذا التعريف يشوبها الاضطراب، وعدم الدقة، لأنها تضيق دائرة مفهوم التراكم الدلالي، وتوظفه في جانب واحد دون الجوانب الاخرى، فهذه العبارة دون أدنى شك جعلته يبتعد عن الأبواب الاخر ويقترب من باب الترادف الذي يُراد به توالي الالفاظ العديدة على معنى واحد، نحو السيف والمهند والصارم ، وغيرها .

وتأسيسًا على هذين الملحظين يمكن أن أضع تعريفًا لهذا المصطلح يكون جامعًا مانعًا، فمصطلح التراكم الدلالي : هو مفهوم عام يصدق على تراكم المعاني الكثيرة تحت اللفظ الواحد أو الألفاظ القليلة، و يصدق أيضًا على توالي أكثر من دال في النص من أجل زيادة معنى على المعنى الأصلي بتوضيح، أو فائدة، أو بيان، أو إشباع، أو كل ذلك مجتمعًا على المعنى الأصلي، فضلًا على تزيين الكلام صوتيًا .

ج . مصطلحات مقاربة لمصطلح (التراكم الدلالي) :

لا شكَّ من أنَّ هناك جملةً من المصطلحات اللغوية الحديثة التي أقرَّها المحدثون المقاربة لمصطلح التراكم الدلالي، ولابدَّ من ذكرها والتعريف بها، مع تلمس الفرق بينها وبين مصطلح التراكم الدلالي، ومن تلك المصطلحات هي :

١. توسيع المعنى (إعمام الدلالة) .

لقد شاع هذا المصطلح عند اللغويين المحدثين كثيرًا، ولاسيما علماء الدلالة، فلا تكاد تخلو مدوناتهم من توظيف هذا المصطلح؛ لأنَّه أحد جوانب التطور الدلالي، فقد أورده الدكتور أحمد مختار عمر قائلًا فيه : ((يعني توسيع المعنى أن يصبح عدد ما تشير إليه الكلمة أكثر من السابق، أو يصبح مجال استعمالها أوسع من قبل))[١]، واستعمله الدكتور فاضل صالح السامرائي كاشفًا عن مضمونه بقوله : ((قد يؤتى بالعبارة محتملة لأكثر من معنى، وقد يؤتى بها لتجمع أكثر من معنى، وهذه المعاني كلها مرادة مطلوبة، فبدل أن يُطيل في الكلام ليجمع معنيين، أو أكثر يأتي بعبارة واحدة تجمعها كلها، فيوجز في التعبير ويوسع في المعنى))[٢]، وقال فيه الدكتور فريد عوض حيدر : ((تعميم الدلالة أو توسيع المعنى ...، يعني تحويل الدلالة من المعنى الجزئي الى المعنى الكلي، وبه تصبح الكلمة تدل على عدد من المعاني أكثر مما كانت تدل عليه من قبل))[٣] .

---

١ . علم الدلالة : د. أحمد مختار عمر : ٢٤٣ .

٢ . الجملة العربية والمعنى : د . فاضل صالح السامرائي : ١٤٢ .

٣ . علم الدلالة . دراسة نظرية وتطبيقية : د. فريد عوض حيدر : ٧٦ .

فيما عرَّفهُ الدكتور طه سبتي ابراهيم بأنَّه : ((قدرة اللفظ الواحد أو العبارة الواحدة على تحمل أكثر من معنى في سياق واحد كل معنى من هذه المعاني صحيح))[١] .

٢ـ التركيز الدلالي :

أطلق هذا المصطلح الدكتور أحمد نصيف الجنابي معرفًا إياه بقوله : ((التركيز الدلالي، وأعني به : تكثيف أكثر من معنى في اللفظة الواحدة، في جملة واحدة، في سياق واحد، لغاية وهدف مقصودين، بحيث تكون كل تلك المعاني مطلوبة في التركيب اللغوي مقصودة من إيراده))[٢] .

٤. التكثيف الدلالي :

استعمل هذا المصطلح جملة من الباحثين معرفين إياه بأنَّه ((شحن النصوص بالدلالات العميقة لثراء المعنى بتوظيف التقنيات اللغوية))[٣] .

الفرق بين مصطلح (التراكم الدلالي) و ما تقدم من مصطلحات مقاربة له :

إنَّ التراكم الدلالي ومثلما اتضح من قبل هو مفهوم واسع يشمل تراكم المعاني العديدة تحت الالفاظ القليلة نحو الايجاز و الحذف و التنكير ، ويشمل كذلك تكثير الالفاظ لأجل تكثير المعاني ، ومن خلال الموازنة بين مفهوم التراكم الدلالي من جهة وبين ما ورد من مفاهيم من جهة أخرى يتضح بلا ريب أنَّ مفهوم التراكم الدلالي أوسع، وأشمل، وأدق منها ؛ ذلك أنَّ أغلب من عرَّف بتلك المصطلحات من العلماء والباحثين مثلما ورد في مدوناتهم قد جعلوه ضمن احتمال اللفظ الواحد، أو العبارة الواحدة لأكثر من معنى .

ومن هنا يمكنني القول : إنَّ هذه المصطلحات الثلاثة تختلف عن مفهوم التراكم الدلالي، ولم تكن مرادفات له، بل إن صحَّ القولُ : إنَّها تُعد جزءًا من التراكم الدلالي، فكل توسع، أو تركيز، أو تكثيف في المعنى إنما هو تراكم دلالي، وليس الضد .

---

١ . التوسع في المعنى في الجامع لأحكام القرآن : طه سبتي إبراهيم ، أطروحة دكتوراه ، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م : ١٢، وينظر : التوسع في المعنى في التعبير القرآني عند القاضي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) في كتابه أنوار التنزيل وأسرار التأويل : منذر محمود جاسم ، رسالة ماجستير ، كلية التربية، جامعة ديالى ، ٢٠١١م : ١٣ .

٢ . ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة : د. أحمد نصيف الجنابي ، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي – الجزء الرابع ـ المجلد الخامس والثلاثون ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م : ٤٠٤ .

٣ . التكثيف الدلالي في نهج البلاغة : محمد باسم درهم السعيدي، رسالة ماجستير، كلية التربية الأساسية، جامعة الكوفة، ١٤٤١هـ ـ ٢٠٢٠م : ١٧، وينظر : التكثيف اللغوي والدلالي في قصائد محمد الماغوط النثرية : علي محمد عاصي الإزيرجاوي ، بحث منشور في مجلة أوروك للعلوم الإنسانية ، العدد الرابع ، المجلد الثالث عشر ، ٢٠٢٠م ، ص ١٤٨٠ .

السادس : مسوغات(أسباب) التراكم الدلالي :

التراكم الدلالي لم يحدث جزافا بل لا بدَّ من وجود عوامل (مسوغات) أدت إلى حدوثه ، ولعل من أهم هذه العوامل (المسوغات) ما يلي :

١. طبيعة اللغة العربية :

إنَّ للغة العربية سماتٍ وخصائص تميزها عن غيرها من لغات العالم وذلك من خلال توسيع دائرة المعنى للمفردات اللغوية، وقد زادها الله شرفًا بنزول القرآن المعجز بها، يقول الدكتور فاضل السامرائي : (إنَّه لا شكَّ أنَّ الذي عنده شيء من المعرفة باللغة العربية وأسرارها يعلم دقة هذه اللغة العظيمة في التعبير عن المعاني وسعة مساحتها التعبيرية وقدرتها الهائلة على توليد المعاني، وعلى التوسع في المعنى، وتفوقها الفني حتى تصل إلى درجة الإعجاز))[١] .

ومن الأمثلة التي تؤيد سعة المساحة الدلالة في هذه اللغة الشريفة قولنا : (عندي حُبٌّ عسلٍ) فهذا يحتمل أن يكون عندك الوعاء وليس عندك العسل، ويحتمل أن يكون عندك من العسل مقدار حُبٍّ[٢] .

ونحو ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[البقرة : من الآية ٨٨] ، يقول الفراء (ت ٢٠٧هـ) : ((هل كان لهم قليلٌ من الإيمان أو كثيرٌ؟ ففيه وجهان من العربية: أحدهما : ألاّ يكونوا آمنوا قليلًا ولا كثيرًا، ومثلهُ مما تقوله العرب بالقِلّة على أن ينفوا الفعل كلّه قولهم: قَلَّ ما رأيتُ مثلَ هذا قَطّ، وحكى الكسائي عن العرب : مررتُ بِبلادٍ قَلَّ ما تُنبت إلاّ البصلَ والكُرَّاث، أي ما تنبت إلاَّ هذين، وكذلك قول العرب : ما أكاد أَبرحُ منزلي؛ وليس يَبرحُه وقد يكون أَنْ يبرحه قليلًا، والوجه الآخر : أن يكونوا يصدقون بالشيء قليلًا ويكفرون بما سواه بالنبي (صلى الله عليه و آله وسلم) فيكونون كافرين؛ وذلك أنه يُقال : مَن خلقكم؟ وَمن رزقكم؟ فيقولون : الله تبارك وتعالى، ويكفرون بما سواه بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبآيات الله ...))[٣] .

٢. وجود علاقة بين اللفظ ودلالته الجديدة :

من مسوغات التراكم التي أكدها اللغويون والنحويون هي وجود علاقات بين اللفظ ودلالته الجديدة (المكتسبة) ، وهذه العلاقات تتمثل بالمشابهة أو السببية أو المجاورة أو الملابسة، فقد أشار ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) الى تلك العلاقات المسوغة لركم المعنى عند حديثه عن الاستعارة قائلا : ((فالعرب تستعير الكلمة فتضعها

---

١ . الجملة العربية والمعنى : ٥ .

٢ . ينظر : المصدر نفسه : ١٢ .

٣ . ينظر : معاني القرآن : للفراء : ٥٩/١ .

مكان الكلمة إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى أو مجاورًا لها أو مشاكلًا))[1] ، ونبَّه المبرد (ت٢٨٥هـ) على هذه العلاقات بقوله : ((والكلام يكون له أصل ثم يُتسع فيه فيما شاكل أصله))[2] ، وتناول ابن جني علاقة الملابسة قائلا : ((كما يُسمى الشيء باسم غيره إذا كان ملابسا له، ومثله في الملابسة قول الله سبحانه : ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾[إبراهيم :١٧]، ومعناه ـ والله أعلم ـ أسباب الموت))[3] .

فعلاقة الملابسة عنده تعني المشابهة بين الشيء ومسماه الجديد، وهذه المشابهة هي مسوغ للتراكم الدلالي؛ ذلك أن تسمية الشيء بمسمى جديد يضفي عليه معنى متراكمًا مضافًا إلى المعنى الأول .

كما نجد أن ابن فارس اللغوي لم يغفل عن علاقتي المجاورة والسببية وأثرهما في نقل المعنى ، إذ قال : ((قال علماؤنا : العرب تسمي الشي باسم الشيء إذا كان مجاورا له أو كان منه بسبب))[4] .

٣. غموض المعنى (اللبس في المعنى) :

يُعرف الغموض بأنه ((خفاء المعنى أو عدم وضوحه، أو تعدده سواء في المفردات أو التراكيب))[5] .

فيما حدَّ الدكتور (محمد محمد يونس) اللبس وهو مصطلح مرادف لمصطلح الغموض، مبينا أثره في تعدد (إكثار) المعاني من خلال عرض بعض الامثلة التي تكشف ذلك، إذ قال : ((يُقصدُ باللبسAmbiguity اختلاط المعاني واشتباهها ، بسبب كون اللفظ يحتمل أكثر من معنى ، وهي ظاهرة شائعة في جميع اللغات ، ومن أمثلتها في العربية على مستوى التركيب :

١. زيد طبيب بصير .

٢. زيارة العمات ظهرا مزعجة .

٣. صغار التجار أكثر تبذيرا من غيرهم .

فالمثال الأول يمكن أن يكون بمعنى زيد طبيب، وهو بصير كذلك، ويُحتمل أن يكون بمعنى أنَّ له بصرًا بالطب، فعلى المعنى الاول تكون كلمة (بصير) خبرًا ثانيًا لزيد، وعلى الثاني تكون نعتا لطبيب، وفي المثال الثاني يُحتمل أن تكون الإضافة من إضافة المصدر إلى فاعله، ويكون المعنى حينئذ زيارة العمات لأولاد إخوتهن، ويُحتمل أن تكون من إضافة المصدر الى مفعوله، ويكون المعنى زيارة أولاد الاخوة لعماتهم، وفي

---

١ . تأويل مشكل القرآن : ١٠٢ .

٢ . المقتضب : المبرد : ١: ٤٦ .

٣ . الخصائص : ١٩/١ .

٤ . الصاحبي في فقه للغة : أحمد بن فارس : ١١٠ .

٥ . الدلالة السياقية عند اللغويين : د . عواطف كنوش : ٢٣٢ .

المثال الثالث يُحتمل أن يكون المقصود التجار الصغار أكثر، ويُحتمل أن يكون المعنى أطفال التجار أكثر))[١] .

وجاء أيضا في كتاب العربية والغموض للدكتور حلمي خليل : ((إنَّ البناء اللغوي الذي يقال عنه أنَّه غامض هو البناء الذي يحتمل أو يرتبط به أكثر من معنى))[٢] .

ومما تقدم ينكشف أنَّ الغموض (اللبس) هو أحد مسوغات التراكم الدلالي، ولاسيما عبارة الدكتورة عواطف كنوش (تعدد المعنى) ، وعبارة الدكتور محمد محمد يونس (احتمال اللفظ لأكثر من معنى) اللتان تدلان دلالة واضحة على حدوث التراكم الدلالي .

ولا يخفى أنَّ حدوث التراكم الدلالي الحاصل بسبب الغموض يكون في اللغة المكتوبة أكثر منه في اللغة المنطوقة ، يقول الدكتور حلمي خليل : ((يبقى الغموض جزءًا من طبيعة اللغة الانسانية لا يمكن إنكاره أو تجاهله سواء على مستوى اللغة المنطوقة أو المكتوبة...، أما على مستوى اللغة المنطوقة ، فقد يكون أمر الغموض أقل عنتا ومشقة ، إذ تصحب الكلام إشارات وحركات وإيماءات باليد والجسم والوجه والعين فيما يُعرف الآن باسم (علم الحركة الجسمية) ...، أمَّا اللغة المكتوبة فقد يكون أمر الغموض فيها أكثر عنتا ومشقة ؛ لأن الكتابة تحصر الكلام في قناة واحدة بعيدا عن كل ما يصحبه من سياقات تُسَّهل معناه ، وتُقرب مأخذه وترفع الغموض عنه))[٣] .

وهذا ما أكدته الدكتورة عواطف كنوش بقولها : ((فالغموض الناشئ من اللغة المكتوبة تكون ألوانه أكثر من اللغة المنطوقة، وقد يكون بسبب من التركيب النحوي المعقد الذي يحتمل هذا التعقيد معنيين أو أكثر))[٤] .

٤. اسقاط بعض الملامح التمييزية للفظ :

يمكن وقوع التراكم الدلالي (تعميم الدلالة) في لفظ ما ((نتيجة اسقاطٍ لبعض الملامح التمييزية للفظ))[٥]، فكلية الآداب ، جامعة القادسية مثلا تدل دلالة خاصة على كلية معينة، ولكن إذا ما سقطت الملامح التمييزية المتمثلة في إضافتها الى كلمة الآداب وجامعة القادسية، فإنها ستصبح كلمة مجردة من الملامح التمييزية جميعها، وتدل دلالة عامة على أي واحدة من كليات أي جامعة دون استثناء .

---

١ . وصف اللغة العربية دلاليًا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية : ٢٨٣ .

٢ . العربية والغموض : د. حلمي خليل : ٢٤ .

٣ . المصدر نفسه : ١٥ . ١٦ .

٤ . الدلالة السياقية عند اللغويين : ٢٣٥ .

٥ . علم الدلالة : د. أحمد مختار عمر : ٢٤٥ .

٥. التطور الاجتماعي والثقافي للكلمة عبر التاريخ :

يحدث التراكم في دلالات الكلمة أحيانا نتيجة تطورها تاريخيا، أي انتقالها من مجال إلى آخر، وهذا الانتقال يكسبها أحيانا دلالات جديدة تضاف الى جانب دلالتها القديمة، يبين لنا الدكتور أحمد مختار ذلك بقوله : ((فقد يكون في شكل الانتقال من الدلالة الحسية الى الدلالات التجريدية نتيجة لتطور العقل الانساني ورقيه ، وانتقال الدلالة من المجال المحسوس الى المجال المجرد يتم عادة في صورة تدريجية ، ثم قد تنزوي الدلالة المحسوسة، وقد تندثر، وقد تظل مستعملة جنبا الى جنب مع الدلالة التجريدية لفترة تطول أو تقصر))[١] .

إذا فانتقال الكلمة من مجال دلالي إلى آخر، و إبقاء هاتين الدلالتين مستعملتان جنبًا إلى جنب هذا بحد ذاته يُؤدي إلى حدوث التراكم الدلالي لتلك اللفظة المتطورة تاريخيًا .

١ . علم الدلالة : د. أحمد مختار عمر : ٢٣٨ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك المعبود، ذي العطاء والمن والجود، واهب الحياة وخالق الوجود ، الذي اتصف بالصمدية وتفرد بالوحدانية، والملائكةُ وأولو العلمِ على ذلك شهود، والصلاةُ السلامُ على نبينا المختارِ من أصلِ الكرم، والمُنتَجبِ من سلالةِ المجدِ الأقدم، والمنتخبِ من خلاصةِ أشرافِ بني آدم، وعلى آله الأطهارِ ينابيعَ الحكم، ومصابيحَ الظُلم، ويعاسيبَ الأمم، ومفاتيحَ الكرم .

أمّا بعدُ :

فهذه الأطروحة هي دراسة نظرية تطبيقية في علم الدلالة، وقد عاشت في ذهني فكرة موضوعها منذ دراستي في مرحلة الدكتوراه، أخذت اثناءها أجمع ما يتعلق بالموضوع مما كتبه القدماء و المحدثون من اللغويين وغيرهم، وبعد استشارة استاذي المشرف الدكتور ـ حسام عدنان رحيم الياسري ـ أعزَّه الله ، استقرَّ الرأيُ على أن يكونَ عنوان الأطروحة هو **(التراكم الدلالي في نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة للشيخ محمد باقر المحمودي (ت١٤٢٧هـ)** .

ولا ريب أنَّه ثمَّة أسباب ثلاثة قد دعت إلى اختيار هذا الموضوع : الأول : هو ندرة هذا الموضوع وجدته، فضلًا على أصالته؛ إذ لم يكتب فيه أحد ـ فيما أعلم ـ دراسة مستقلة تجمع شتاته وتبسط القول فيه سوى الدكتور (مجيد طارش عبد) الذي درس التراكم الدلالي في النص القرآني، وكانت دراسته مستقلة على بعض الجوانب دون بعض، والسبب الثاني : هو أنَّ كتاب مستدرك نهج البلاغة للشيخ محمد باقر المحمودي (ت ١٤٢٧هـ) هو أحد الكتب التي استدركت على نهج البلاغة كثيرًا من الخطب والوصايا والرسائل والأدعية والحكم المروية عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، فهو يشمل مادةً تراثية ذات قيمة علمية كبيرة ، جديرة بالبحث والدراسة، لأنها لم تُدرس من قبل؛ فجلُّ الدراسات التي تناولت كلام سيد البلغاء (عليه السلام) كانت في نهج البلاغة أو شروحه غير ملتفةٍ الى هذا التراث العلمي الذي استدركه الشيخ المحمودي .

وأما السبب الثالث والأهم : إنَّ كلام سيد البلغاء والمتكلمين (عليه السلام) يعدُّ رافدًا ثرًا للغة العربية وعلومها، فإنه معينٌ للفصاحة، والبيان، والبلاغة والاتقان، يتلو القرآن الكريم والسنة النبوية، وهو من وحيهما؛ لأنه ضمَّ فرائد الكلم، وروائع الابداع النظمي الذي عليه العربية، وفيه تجلَّت لغة القران ، وإعجازه، وبيانه ، فكلامه (عليه اسلام) يمثل بحرًا زاخرًا سيظل أبد الدهر، وآخر الأيام مثار عناية الباحثين والدارسين والمفكرين ، ولا يجوز لأحد إن كتب شيئا عنه أن يعتقد أنه قال الكلمة الاخيرة، بل أنَّ كُلَّ دراسةٍ فيه ستفتح دون أدنى شك أبوابًا جديدة لدراساتٍ أخر جديدة وهكذا الى يوم الدين .

وللوقوف على أهمية هذا الموضوع فقد اقتضى الأمر أن يُقسَّم البحث على تمهيد، وأربعة فصول تلتها الخاتمة ثمَّ روافد البحث .

تناول التمهيد عرضًا مفصلا لمفهوم التراكم الدلالي في المدونة المعرفية ، وذلك ببحث مفهوم التراكم في المعجمات القديمة والحديثة، ثم بيان مراد التراكم الدلالي في الدرس اللغوي الحديث، مع توضيح مسوغات هذه الظاهرة في اللغة العربية .

ثم جاء بعده الفصل الاول وكان بعنوان **(التراكم الدلالي في ضوء المستوى الصوتي)** وقد ضمَّ ستة مباحث، الأول : المشاكلة الصوتية، والثاني : التنغيم، والثالث : الاستبدال الصوتي، والرابع : البناء المقطعي للفاصلة، والخامس : الجناس، والسادس : جُرس الأصوات .

وأما الفصل الثاني فكان بعنوان **(التراكم الدلالي في ضوء المستوى الصرفي)**، وجاء في ثلاثة مباحث ، الأول : التراكم الدلالي في بنية الأفعال ، وتضمن الأفعال المجردة، والأفعال المزيدة سواء بحرف واحد أم بأثنين أو بثلاثة، والثاني : التراكم الدلالي في المشتقات، والثالث : التراكم الدلالي في ضوء المشترك الصيغي، وأبنية الجموع .

وأما الفصل الثالث فجاء ليدرس **(التراكم الدلالي في ضوء المستوى النحوي)** وقد توزع على عشرة مباحث، وهي : التضمين، والتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، والحذف، والتوكيد، واختلاف أوجه الإعراب، واختلاف عود الضمير، والتمييز، والنعت بالمصدر، وتعدد الخبر والحال والنعت .

وأما الفصل الرابع والأخير فهو بعنوان **(التراكم الدلالي في ضوء العلاقات الدلالية)**، وقد ضمَّ هذا الفصل ستة أنواعٍ من العلاقات توزعت على ستة مباحث، هي : الأول : المشترك اللفظي، والثاني : المشترك المتضاد، والثالث : الترادف، والرابع : التقابل الدلالي، والخامس : الإجمال والتفصيل، والسادس : التشبيه (التمثيل) .

ثمَّ أُلحقت هذه الفصول بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلتُ إليها في هذا البحث، ثم تلتها روافد البحث، والتي تنوعت بين كتب الصوت، والصرف ، والنحو ، والبلاغة ، والنقد الادبي، والمعجمات اللغوية، وكتب علوم القرآن ، وتفاسيره، فضلا على الدراسات والبحوث اللغوية، وكان ذلك التنوع لطبيعة البحث الرامية الى الكشف عن مضمون التراكم الدلالي وجماليته في كلام أمير الكلام (عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم) .

وكان منهجي في هذه الدراسة هو الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بعرض الأثر العلوي الشريف ثم الشروع في تحليله، معضدًا ذلك ببعض الشواهد القرآنية، و الأمثلة اللغوية، و اقتضت ضرورة

البحث تكرار عدد من النصوص العلوية في غير موضع من البحث؛ وذلك لاشتمالها على أكثر من شاهد يصدق كل منها لموضوع معين .

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أنّه قد واجهتني في رحلة البحث والدراسة بعض الصعوبات، ولا أريد أن أذكرها تشاكيًا؛ لأنَّه من رام الوصول إلى الغاية تحمل أعباء الطريق ومشاقه، والعسل لا يُنالُ إلا بعد لسعٍ وألمٍ، وعلى الرغم من ذلك فقد ذُللت تلك الصعوبات بمعونة من تصدى للإشراف على هذه الأطروحة، فقد كان لأستاذي الجليل الدكتور (**حسام عدنان الياسري**) ـ أعزه الله وأبقاه ذخرًا لنا ـ فضلٌ لا يُنسى في الإشراف على هذه الأطروحة، وإعدادها وإنارتها بتوجيهاته السديدة، وإغنائها بآرائه العلمية القيِّمة، فقد كان بحق أبًا وأستاذًا عالمًا مِعطاءً، لم يبخل يومًا عن الجميع بنصيحةٍ، أو توجيهٍ، أو إرشادٍ، أو مساعدةٍ، فله مني كل الحب والاحترام ما حييت، وجزاه الله عني وعن المؤمنين والمؤمنات خير جزاء المحسنين .

وختامًا أرجو من الله التوفيق في هذا العمل، وحسبي أنه خلاصة جهدٍ جهيد ، وحصيلة عناءٍ طويل ، فإن أصبتُ فيه فذلك من الله العزيز القدير، وإن تعثرتُ فإني من جنس البشر الذي لا يُعصم من الهنات والزلات، ولا يبلغ الكمال إلا الله وحده العزيز القدير الذي نسأله التوفيق والسداد لما فيه الخير والصلاح .

الباحث

مُدخل :

يُمَثِّلُ الصوتُ والكلمةُ وحدتين أساسيتين في إنشاء الكلام، وتكوينه؛ فاللغة بطبيعتها تتكون من وحداتٍ أساسيةٍ هي الكلمات، والكلمات بدورها تتألف من عناصر أصغر تسمى الأصوات التي تُشكِّلُ مع بعضها بعضًا نسيجًا كلاميًا يكون مُعبِّرًا عمَّا يجري في ذهن المتكلم من أفكار، فاللغة إذًا ظاهرة صوتية مؤلفة من ((نظام من الرموز الصوتية المنطوقة))[١]، وبذلك فالأصوات اللغوية ((تمثل الجانب العملي للغة، وتُقدم طريق الاتصال المشترك بين الإنسان وأخيه الإنسان مهما قل حظه من التعليم أو الثقافة))[٢] .

ومن المعلوم أنَّ ((الدراسة الصوتية هي عماد أية لغة من اللغات، وبدونها لا يمكن لها أن ترقى؛ لأنَّ أبنيتها، وتراكيبها تقوم على أساس التشكيلات الصوتية، وتبادلية المواقع، وإمكانية القدرة على إنتاج صور دلالية تُكوِّنُ المنظور الفكري، وتغني مساراته))[٣] .

ومن هذا المنطلق ولما كانت الأصوات هي دعامة اللغة الأساسية؛ لذا فقد شغل اللغويون القدماء أمثال الخليل، وسيبويه، وابن جني بالنظر في الأصوات اللغوية وفق دراسات لغوية فاحصة، فتنوعت دراساتهم للصوت بين تحليل وتقسيم للأصوات وفق صفاتها ومخارجها، و توصلوا إلى أثر الصوت في دلالة الكلمات، والتفريق بينها، وخير من تنبَّه إلى هذا الأمر هو العالم اللغوي ابن جني الذي يُعدُّ رائد دراسة الدلالة الصوتية قبل أن يتوسع فيها علم اللغة الحديث، فقد أوجد ابن جني علاقة دلالية بين بعض الأصوات وما ترمز إليه، إذ قال : ((فإن كثيرًا من هذه اللغة وجدتُه مضاهيًا بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر بها عنها، ألا تراهم قالوا : قِضم في اليابس، وخِضم في الرطب؛ وذلك لقوة القاف وضعف الخاء، فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى، والصوت الأضعف للفعل الأضعف، وكذلك قالوا : صرَّ الجندبُ فكرروا الراء لما هناك من استطالة صوته، وقالوا : صرْصرَ البازي فقطَّعوه لما هناك من تقطيع صوته، وسمَّوا الغراب غاقِ حكاية لصوته، والبط بطَّا حكايةً لأصواتها، وقالوا : قطَّ الشيءُ إذا قطعهُ عَرضًا، وقدَّه إذا قطعهُ طُولًا؛ وذلك لأنَّ منقطع الطاء أقصر مُدّة من منقطع الدال))[٤].

و ذهب ابن جني إلى أبعد من ذلك فرأى أنَّ الألفاظ التي تكون متقاربة الأصوات توحي بمعانٍ متقاربةٍ، فالمعاني المتقاربة تكون ذات أصوات متقاربة، وهذا ما عبر عنه بتصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني ، واستشهد لذلك بقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [مريم :٨٣] ، إذ قال :

---

١ . المدخل الى علم اللغة : د. محمود فهمي حجازي : ٣٧ .

٢ . دراسة الصوت اللغوي : د. أحمد مختار عمر : ١٣ .

٣ . علم الصرف الصوتي : د. عبد القادر عبد الجليل : ٢٨ .

٤ . الخصائص : ٦٥/١.

((أي : تزعجهم، وتقلقلهم، فهذا في معنى تهزهم هزا، والهمزة أخت الهاء؛ فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين))[١] .

ومن تراث المتقدمين استفاد المحدثون كثيرًا في دراستهم للأصوات، مشيرين كذلك إلى أنَّ كلَّ إشارةٍ لغويةٍ هي كيان ذو جانبين أحدهما : الصوت، والاخر : المعنى[٢]، والعلاقة بين الصوت والمعنى علاقة جلية واضحة[٣]، ومن هذا المنطلق أطلقوا ما يعرف بـ (الدلالة الصوتية)، والتي عرفوها بقولهم : هي الدلالةُ التي تُستمد من طبيعة الأصوات نغمها وجرسها[٤]، فُتعطي دلالة صوتية تُنتَجُ من ضمَّ الأصوات بعضها بعضا على نسقٍ موسيقي خاص[٥] .

و الدلالة الصوتية لا تقل أهمية عن غيرها من الدلالات (الصرفية، والنحوية، والمعجمية)؛ وذلك لما تقوم به من رفد البحث اللغوي بالقيم المعنوية، والمحسنات الإيقاعية، وبناءً على هذه الرؤية، ولكون الدرس الصوتي هو جزءٌ لا يتجزأ عن مستويات البحث الدلالي، وأنَّ ((التحليلَ الصوتي واحدٌ من مستويات الكشف عن جماليات النص، ودلالاته، والكشف عن قدرة الباث، ومهاراته في انتقاء المفردات لتكون منسجمة مع دلالة النص))[٦] ، لذا عمدتُ في هذا الفصل إلى بيان ما للجانب الصوتي من أثرٍ في تحقيق التراكم الدلالي الدلالي على المستويين : الصريح، والضمني .

وقد اتبعتُ من أجل هذا منهجًا قائمًا على وصف الظاهرة الصوتية المتعلقة بموضوع البحث، واستقصاء الشواهد لكل ظاهرة، وتحليلها صوتيًا بغية الكشف عن مكامن التراكم الدلالي فيها .

---

١ . الخصائص : ١٤٦/٢.

٢ . ينظر : ست محاضرات في الصوت والمعنى : رومان جاكوبسن : ترجمة : حسن ناظم وعلي حاكم صالح : ٣١ .

٣ . ينظر المصدر نفسه : ٥٤ .

٤. يُنظر: دلالة الألفاظ : د . إبراهيم أنيس : ٤٦ .

٥ . يُنظر: الدلالة السياقية عند اللغويين : ٤٤ .

٦ . سورة الناس دراسة صوتية دلالية : د. شاكر سبع الأسدي : ١٣ .

المبحث الأول

المشاكلة

المشاكلة في اللغة هي : المماثلة والمشابهة، وهذا ما دلَّ عليه جذرها الذي اشتُقت منه، يقول ابن دريد : ((الشَّكل : المِثل والشِّبه، بفتح الشين؛ هذا شَكل هذا، أي مثله؛ وهذا من شَكل هذا، أي من جنسه))[١]، وقال ابن فارس : ((الشين والكاف واللام مُعظمُ بابِه المُماثَلة، تقول : هذا شكلُ هذا، أي مِثلهُ، ومن ذلك يُقال أمرٌ مُشكِلٌ، كما يقال أمر مُشتبِهٌ، أي هذا شابَهَ هذا، وهذا دخل في شِكلِ هذا))[٢] .

وقد استعمل القرآن الكريم لفظ (الشكل) مرادًا به معنى المثل والنظير، وذلك في قوله تعالى :﴿ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴾[طه : ٥٨] .

أمَّا مفهوم المشاكلة في الاصطلاح، فقد حدَّها السكاكي (ت٦٢٦هـ) بقوله : ((وهي أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته))[٣] ، وتمثل لها البلاغيون بقول الشاعر :

قالوا اقْتَرِحْ شيئاً نُجِدْ لك طَبْخَهُ قلتُ اطْبُخُوا لي جُبَّةً وقَمِيْصًا[٤]

إذ ورد لفظ (اطبخوا) في عجز البيت بمعنى (خيطوا) بقرينة ما بعده (الجبة والقميص)؛ وذلك لأنهما لا يُطبخان، والذي دعا إلى ذكر الخياطة بلفظ ليس لها بل بلفظ الطبخ هو مشاكلة (اطبخوا) لقوله (نجد لك طبخهُ) في صدر البيت[٥] .

واستدل البلاغيون[٦] كذلك على هذا الفن ببعض الآيات القرآنية كقوله تعالى : ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾[البقرة : ١٩٤] ، وقوله : ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[ال عمران: ٥٤] ، وقوله تعالى على لسان عيسى (عليه السلام) :﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة :١١٦] ، وقوله :﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾[الشورى :٤٠] .

---

١. جمهرة اللغة : (شكل) ٤٩١/١ .

٢ . معجم مقاييس اللغة : (شكل) ١٥٩/٣ .

٣ . مفتاح العلوم : السكاكي : ٥٣٣ .

٤ . البيت لأبي الرقعمق أحمد بن محمد الأنطاكي : ينظر : الايضاح في علوم البلاغة : القزويني : ٣٤٨، وعروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح : بهاء الدين السبكي : ٢٣٧/٢.

٥ . ينظر : عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح : ٢٣٧/٢ .

٦ . ينظر : مفتاح العلوم : ٥٣٣ . ٥٣٤ ، وعروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح : ٢٣٧/٢ . ٢٣٩ .

وقد تابع السكاكي في هذا التعريف جملة من العلماء كابن مالك (ت٦٧٢هـ) ، والقزويني (ت٧٣٩هـ) ، وشُراح التلخيص[١]، إلا أنَّ القزويني قد زاد على تعريف السكاكي، وذلك بذكره نوعي المشاكلة التحقيقية والتقديرية، إذ قال : ((المشاكلة وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقًا أو تقديرًا))[٢] .

فاعلية المشاكلة في تحقيق التراكم الدلالي :

تتجلى فائدة المشاكلة بوصفها نمطًا أسلوبيًا بوضوح في إنتاج التراكم الدلالي على المستويين الصوتي (اللفظي) ، والمعنوي (الدلالي)، فأمَّا فائدتها على المستوى الصوتي فإنَّها تعمل على تحقيق تراكم صوتي، وذلك عن طريق تكرار أو إعادة الألفاظ المتشاكلة ذات المقاطع الصوتية المتماثلة، وتكمن فائدة هذا التكرار اللفظي (التراكم الصوتي) بأنَّه يحققُ إبداعًا موسيقيًا، وإيقاعًا تنغيميًا يُداعبُ مخيلة المتلقي، ويؤثر في نفسيته؛ ذلك أنَّ ((تكرار الكلمة في الجملة أو النص، وتكرار الجملة في السياق لابدَّ أن يكون له من القيمة ما هو أكبر، وهذا ما يُلجأ إليه لأسر المستمعين المطربون وصانعو الألحان))[٣] .

وأمَّا على المستوى المعنوي، فإنَّ المشاكلة تُسهم في تكثيف الدلالات وتوليدها، تقول الدكتورة سعاد كريم بهذا الصدد : ((إنَّ لهذا التشاكل الصوتي أثرًا في تكثيف الدلالات وتعميقها في الآذان، إذ قد يكون للتعبير الواحد دلالات أولى سطحية، وأخرى عميقة، وباجتماع الدلالات تتكثف المعاني وتتعمق ثم تترسخ في الاذهان، وكان من أسباب تكثفها وعمقها هذا التشاكل الصوتي))[٤] . ويقول الباحث رائد حمد خلف : ((... فتداعب عملية استكشاف المعنى المشاكل مخيلته ـ أي المتلقي ـ وتُحدث الإثارة والانفعال الوجداني لديه، حتى تستقر صورة المشاكلة في ذهنه، فيلمحُ ما يُرادُ وراءها من معانٍ مستجلبةٍ بأسلوبٍ مدهشٍ يبعث على التفكر والتأمل والانزياح التصوري))[٥] .

بيد أنَّ هذا التكثيف للمعاني (تراكمها) لا يتحقق إلاَّ بعد توافر شرط رئيس للمشاكلة، ألا وهو التغاير أو الاختلاف بين معنى اللفظ الأول (المشاكَل) بالفتح، ومعنى اللفظ الثاني (المشاكِل) بالكسر[٦] .

---

١ ـ ينظر : المصباح في علم المعاني والبيان والبديع : ابن مالك : ٣٥٦ ، والمطول على تلخيص المفتاح : سعد الدين التفتازاني :٢٥٨/٢.

٢. الإيضاح في علوم البلاغة : ٣٤٨/٢ .

٣ ـ التكرير بين المثير والتأثير : عز الدين علي السيد : ٧٩ .

٤ ـ التشاكل الصوتي القرآني وأثره في تكثيف الدلالات : د. سعاد كريم خشيف، بحث منشور في مجلة جامعة ذي قار، العدد : الثاني، الثاني، المجلد: ٦ ، آذار ٢٠١١م : ١٦٣ .

٥ ـ التوظيف البلاغي للتجنيس والمشاكلة في شعر المتنبي : رائد حمد خلف، رسالة ماجستير ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة جامعة ديالى، ٢٠١٤م : ٥٤ .

٦ ـ ينظر : المصدر نفسه : ٤٩ .

إذا فالأصل في آلية المشاكلة هو عدول المتكلم عن الاتيان بالمعنى الأصلي للفظ الثاني (المشاكِل) إلى المعنى الثانوي (المعنى المجازي)، مع ثبات المعنى الأصلي للفظ الأول (المُشاكَل)، و لاشك من أنَّ العدول الدلالي في معنى (اللفظ المشاكِل) لا يتحقق إلا بوجود قرينة معنوية مانعة من إرادة المعنى الأصلي دون المعنى المجازي، ويمكنني توضيح أثر المشاكلة في تحقق التراكم بمستوييه الصوتي والدلالي عن طريق المخطط الآتي :

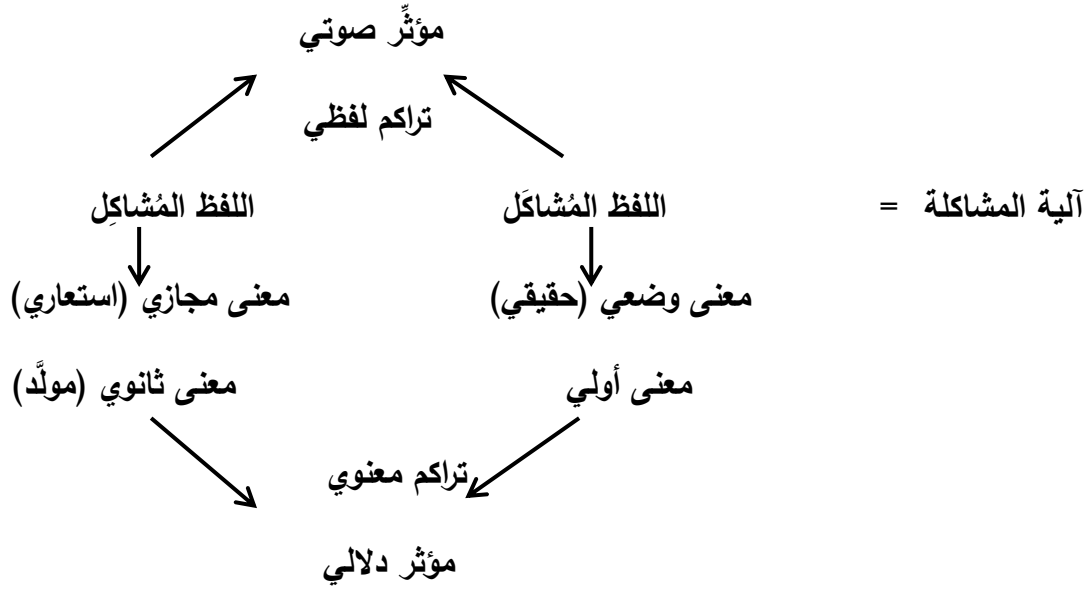

وبلحاظ ما تقدم ومن خلال هذا العرض ينكشف سرُّ اختلاف العلماء في تصنيف المشاكلة ، فبعضهم من جعلها ضمن المحسنات البديعية (المعنوية) معتمدًا في ذلك على جانبها المعنوي المؤدي إلى (توليدي المعنى السياقي)[١] ، وبعضهم ذهب إلى أنَّها من المحسنات اللفظية لا المعنوية، ولعله في ذلك نظر إلى جانبها الإيقاعي فحسب الناتج عن التماثل اللفظي[٢] ، ويرى ابن عاشور أنَّها من فنون البديع ولكن لها صلة بفنون البيان ولاسيما الاستعارة؛ وذلك للمشابهة بينهما، إذ يقول : ((والمشاكلة من المحسنات البديعية ومرجعها إلى الاستعارة وإنما قَصْدُ المشاكلة باعثٌ على الاستعارة، وإنما سمَّاها العلماء المشاكلة لخفاء وجه التشبيه فأغفلوا أن يسموها استعارة وسموها المشاكلة، وإنما هي الإتيان بالاستعارة لداعي مشاكلة لفظ للفظ وقع معه))[٣] .

١ . ينظر : البلاغة العربية في البيان والبديع : د. سامي أبو زيد : ٧٩ .
٢ . ينظر البلاغة الاصطلاحية : د. عبد العزيز قلقيلية : ٣٠٠ .
٣ . التحرير والتنوير : ابن عاشور : ٧٤٤/١٠ .

ولعل أصوب هذه الآراء وأقومها هو رأي ابن عاشور؛ إذ يمكن عدَّهُ رؤية وسطية في بيان طبيعة فن المشاكلة؛ وذلك أنها تمثلُ ((مؤثرًا بديعيًا وبيانيًا في الوقت ذاته؛ لما تحمله من إشارات وإيحاءات ذات طابع فاعل على المستويين الدلالي والصوتي دون تفضيل أو انحياز لأحدهما على الآخر))[١] .

وبعد هذا العرض لمفهوم المشاكلة لابد من تلمس فاعليتها في تحقيق التراكم الدلالي في كلام سيد البلغاء والمتكلمين (عليه السلام)، ومن مصاديقها ما جاء في خطبةٍ له (عليه السلام) قال فيها : ((**وإنَّه لا يَهْلِكُ عَالِمٌ إلاَّ هَلَكَ مَعَهُ بَعْضُ عِلْمِهِ**))[٢] .

فقد أورد الإمام (عليه السلام) فعل الهلاك مكررًا مرتين، وذلك على سبيل المشاكلة الصوتية، إذ تشاكل الفعلان وتماثلا صوتيًا، ولكنهما اختلفا من حيث المعنى، فقد دلَّ فعل (الهلاك) الأول على معنى (الموت) حقيقةً ؛ لأنَّه أُسنِدَ إلى لفظ (العالم) وهو يمثلُ استعمالًا حقيقيًا، في حين جاء فعل (الهلاك) الثاني دالًا على معنى (الذهاب والاختفاء) على سبيل المجاز وليس الحقيقة؛ وذلك أنَّه قد أُسنِدَ إلى لفظ (العلم)، وهو اسنادٌ غير حقيقي قد صرف الفعل (هلك) عن معناه الأصلي الذي هو الموت إلى المعنى الثانوي (المجازي) وهو الذهاب والانتهاء، وبذلك كان الاسناد هنا قرينةً لفظيةً قد بينت وحددت دلالة كل فعل، ومما يُستدلُّ به على مراد هذين المعنيين (الاصلي، والمجازي) ما روي في كتاب (الكافي) للكليني (قدس سره) عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قوله : ((إنَّ أبي كان يقول : إنَّ اللّه تعالى لا يقبض العلم بعد ما يهبطه، و لكن يموت العالم فيذهب بما يعلم، فتليهم الجفاة فيضلون و يُضلون، ولا خير في شيء ليس له أصل))[٣] .

وفضلًا على ما تقدم فإنَّنا لو تأملنا مادة الفعل (هلك) لوجدناها أكثرَ ثراءً وشمولاً للدلالة من الأفعال الأخرى نحو : (ذهب، أو انتهى، أو زال) لو جيء بها بدل اللفظ (المشاكِل) بالكسر؛ ذلك أنَّ الفعل (هلك) فيه من الدلالة النفسية ما لم يتوافر في تلك الأفعال؛ إذ إنَّه يبتدئ بصوت الهاء الدال على الانتهاء والتلاشي[٤]، وينتهي بصوت الكاف الدال على الانقطاع، و أنَّ الهلاك يدل على الانقطاع التام وعدم الرجوع، بينما تلاحظ غيره من الافعال لا تفيد الانقطاع التام، فالشيء إذا ذهب، أو انتهى، أو زال فبالإمكان أن يعود مرة أخرى، أما الهلاك فيعني الذهاب الأبدي من دون رجوع يُرتجى، وعلاوة على هذا الأمر فإنَّ الهلاك يوحي بعظمة، وفخامة، وشدة من هلك، فالإمام (عليه السلام) ومن خلال التعبير بـ (الهلاك) قد جعل العلم كالشيء النفيس المادي الذي يُفتقد ولا تتأمل عودته ؛ وذلك لبيان ما للعلم من أثرٍ وفضل كبيرين .

ويمكن توضيح آلية المشاكلة في نصِّ الإمام (عليه السلام) من خلال المخطط الآتي :

---

١ . التوظيف البلاغي للتجنيس والمشاكلة في شعر المتنبي : ٥٥ .

٢ . نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة : الشيخ محمد باقر المحمودي : ٣٢/٣ .

٣ . أصول الكافي : الشيخ محمد بن يعقوب الكليني : ٢١/١ .

٤ . ينظر : تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي : د. أسعد أحمد علي : ٦٤ .

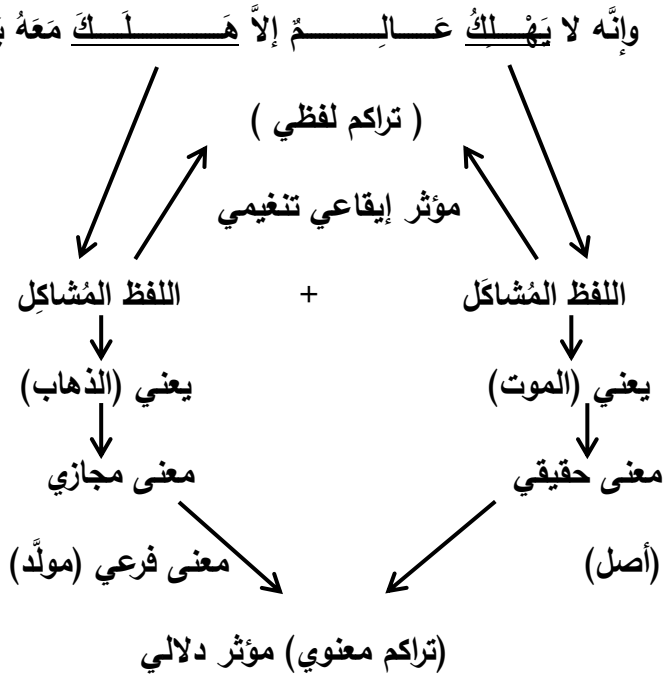

ومن خلال هذا العرض التقديمي تتضح فاعلية المشاكلة في انتاج التراكم الدلالي؛ إذ إنَّ تكرار الفعل (هلك) مرتين قد شكل راكمًا صوتيًا عمل على انتاج إيقاع تنغيمي تستذوقه الاسماع، ويؤثر في النفوس، كذلك ولَّد ركاما من المعاني النفسية التي منحت النص ثراءً دلاليًا .

ومن مصاديق التشاكل الصوتي أيضا ما جاء في قوله (عليه السلام) : ((**وَايمُ اَللَّهِ لَئِن فَرَرتُمْ مِن سَيفِ اَلعَاجِلَةِ لاَ تَسْلَمُوا مِنْ سَيفِ اَلْآخِرَةِ**))[1] .

فقد عبَّر (عليه السلام) عن عذاب الآخرة بـ (السيف) مجازًا؛ وذلك من أجل المشاكلة الصوتية مع لفظة (سيف) الأولى في عبارة (سيف العاجلة) والمراد بها الآلة الجارحة، ولعل هذه المشاكلة الصوتية الحاصلة بين اللفظين لا تخلو من لطائف لغوية وروائع جمالية، على المستويين الصوتي والدلالي، فعلى المستوى الصوتي تجد انَّ التكرار المقطعي للأصوات مرتين ولاسيما صوت السين إنما يشكَّل ايقاعًا صارخًا له أثره البالغ في النفوس؛ إذ إنَّ صوت السين من الأصوات الصفيرية مثلما يسميها سيبويه، وهي الصاد، والسين، والزاي[2]، وهو أي السين صوت مهموس[3] ، يجمع بين الخفاء واستساغة الإذن له؛ لأنَّه ((يمتلك طولًا في

١. نهج السعادة : ٢/١٤٥ .
٢ . الكتاب : سيبويه : ٤/٤٦٤ .
٣ . ينظر : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : د. محمود السعران : ١٦٠، والأصوات اللغوية : د. ابراهيم انيس : ٦٧ .

الأمواج الصوتية تصل الإذن من غير تعب وكد وصعوبة، فيسهل سماعه على الرغم من خفوته وهمسه))[١] ، وعلة الاستساغة تعود الى علو ترددات صوت السين، يقول : مالمبرج : ((إنَّ (s) يحتوي على أعلى الترددات من ٨ ـ ٩٠٠ دورة في الثانية مما يجعله حادًا))[٢] على طبلة الإذن ، وبذلك فإنَّ ((غشاء طبلة الإذن الذي يعمل بترددات الصوت تزداد حركته مع كثرة ترددات السين فتزداد الطرقات الناتجة من مطرقة الإذن مما يؤدي بالتالي الى ازدياد قوة سمع السين، فهو خافت ومع خفوته فهو واضح مسموع بسبب علو ترداداته))[٣] .

وأما على المستوى الدلالي فإنَّ الإمام (عليه السلام) إنما وظف لفظ (السيف) بدل (العذاب) ، وذلك لما يحمله لفظ السيف ـ والله أعلم ـ من شحنات دلالية متراكمة، فهو فضلا على دلالته على معنى العذاب مجازًا، يدلُّ كذلك دلالة نفسية على معان عدة منها : الشدة، والرهبة، والقوة، وقرب حلول العذاب، وشدة التوبيخ، والسخرية، وكلُّ ذلك عمل على ركم الدلالة وزيادتها في النص الشريف .

ويمكن تمثيل آلية هذه المشاكلة من خلال المخطط الاتي :

وَاَيْمُ اَللَّهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْـفِ اَلْعَاجِلَةِ لاَ تَسْلَمُوا مِنْ سَيْـــــفِ اَلْآخِـــــرَةِ .

اللفظ المشُاكَل	+	**اللفظ المشاكل**
يعني الآلة الجارحة		**يعنى العذاب**
معنى حقيقي		**معنى مجازي استعاري**

١ ـ سورة الناس دراسة صوتية دلالية : ١٤ .

٢ ـ علم الأصوات : مالمبرج : ٢٩ .

٣ ـ سورة الناس دراسة صوتية دلالية : ١٤ .

ومن تلك المشاكلات الصوتية الرامية الى التراكم الدلالي ما جاء في دعاءٍ له (عليه السلام) قال فيه : (**إلهي وعزتك لئن طالبتني بجرمي لأُطالبنك بعفوك**)[1] .

فقد تشاكل فعل الشرط وجوابه في النص العلوي الشريف بالمادة اللغوية والوحدات الصوتية، ولكن اختلفا في المعنى، إذ جاء فعل الشرط (**لئن طالبتني**) دالًا على معنى المحاسبة (المقاضاة)، وهو معنى حقيقي، قال ابن منظور (ت٧١١هـ) : ((والمُطالبة أَن تُطالب إِنسانًا بحقٍ لك عنده ولا تزال تتقاضاه وتُطالبه بذلك))[2] ، ومما يعضد معنى (المحاسبة) في هذا المقام دون غيره، هو توافر قرينتين لفظيتين في جملة فعل الشرط ، **الاولى** : هي أنَّ المطالبة في فعل (طالبتني) تكون صادرة ممن هو أعلى مرتبة، وهو (الخالق عزَّ وجل) الى من هو أدنى مرتبة وهو الامام (عليه السلام)، وممن هو أعلى مرتبة يُحاسب ويقاضي بلا شك من هو أدنى منه مرتبة .

والقرينة الثانية : هي تعلق الجار والمجرور (بجرمي) بفعل الشرط ، وهذا المتعلق (الجرم) يُمثل سببا يستجلب تلك النتيجة الحتمية في العدل الالهي ألا وهي (المحاسبة) وإنزال القضاء .

في حين جاء فعل جواب الشرط (**أطالبنك**) مخالفا بدلالته لدلالة فعل الشرط ، فقد دلَّ مجازا على معنى (التوسل والرجاء والتماس العفو) ، ومما يؤكد هذا الامر هو توافر قرينتين كذلك : **الاولى** : هي أنَّ المطالبة في الفعل (**أطالبُ**) تكون صادرة ممن هو أدنى مرتبة وهو الامام (عليه السلام) الى من هو أعلى مرتبة وهو (الحق جلَّ جلاله)، وبذلك فهي تعني التوسل، والتضرع، والتماس العفو والمغفرة، **والقرينة الثانية** : هي تعلق الجار والمجرور (بعفوك) بالفعل (أطالبُ)، وهذا دليل واضح على أن الذي يطلب العفو لابد من أن يلتجئ الى التوسل والتضرع حتى ينال المسامحة والعفو والرضوان ، ويمكن توضيح آلية هذا التشاكل الصوتي من خلال المخطط الاتي :

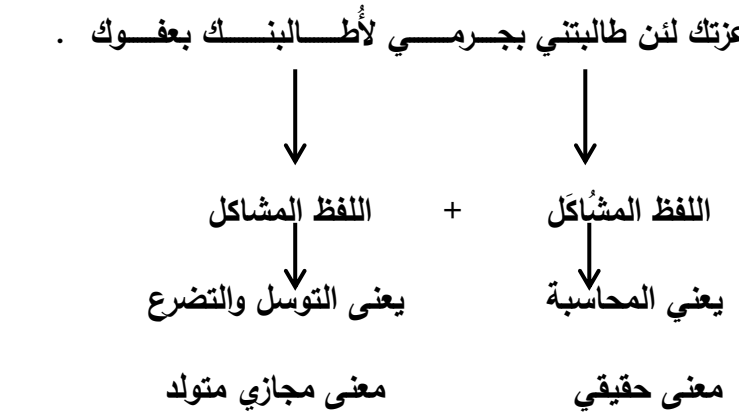

١ . المصدر نفسه : ٦٣/٦ .

٢ . لسان العرب : (طلب) ٥٥٩/٢ .

وبناءً على ما تقدم وعن طريق هذا العرض يتبين تحقق التراكم الدلالي في نص الإمام (عليه السلام) سواء أكان على المستوى الصوتي الناتج من تكرار لفظ (المطالبة) أم على المستوى المعنوي الناتج عن التغاير الدلالي بين معنى اللفظين .

ونظير ما تقدم من مصاديق التشاكل الصوتي ما جاء في كلامٍ له (عليه السلام) في بيان شمول علمه بنزول الذكر الحكيم وحث أهل الكوفة على الاستفادة مما احتواه صدره (عليه السلام) من ذلك العلم : **((سلوني يا أهل الكوفة قبل أن لا تسألوني فو الذي نفسي بيده ما نزلت آية إلا وأنا أعلم بها أين نزلت و فيمَ نزلت في سهل أم في جبل، أو في مسير أو في مقام))**[1] .

فقد تحقق التشاكل الصوتي في النص الشريف من خلال توارد فعل (السؤال) مرتين، وإن اختلفت الصيغة في كلا الموضعين، إذ جاء الفعل الأول بصيغة فعل الأمر (سل)، فيما جاء الفعل الثاني بصيغة الفعل المضارع (تسأل)، وهذه المشاكلة الصوتية الحاصل بين الفعلين فضلا على ما انتجته من إيقاع تنغيمي أكسب النص شعرية وجمالًا قد أسهمت في إثراء النص دلاليًا؛ فالإمام (عليه السلام) إنَّما عدل عن فعل (الفقدان) إلى فعل (السؤال) لأجل ركم المعنى وتعدده، ذلك أنَّ اللفظ (المُشاكَل) (لا تسألوني) لم يدل على عدم السؤال فحسب، بل أفاد معنى الفقدان كذلك، ومراد ذلك ـ والله أعلم ـ سلوني قبل أن تفقدوني، لأنه ينعدم السؤال في حال فقدي، فقد تراكم المعنيان في تعبير واحد بأوجز طريق وأيسره، وبذلك فلو قال (عليه السلام) : (قبل أن تفقدوني) بدل (قبل أن لا تسألوني) لانتفى غرض التراكم المعنوي مثلما ينتفي الأثر الإيقاعي الحاصل من التشاكل الصوتي .

---

١ ـ نهج السعادة : ٢/٥٣٤ .

المبحث الثاني

التنـــغـــيـــــم

يعرف التنغيم لغةً : بأنه جرسُ الكلمة ، وحُسْنِ الصوت في القراءة ، وغيرها ، والنغمُ : هو الكلام الخفي والنغمةُ : الكلامُ الحسن[١] .

أمّا في الاصطلاح فيُعرَّف بأنه ((المصطلح الصوتي الدالُّ على الارتفاع (الصعود)، والانخفاض (الهبوط) في درجة الجهر في الكلام))[٢]، أو هو ((توزيعات مستويات الصوت في الكلام المنطوق المتتابع))[٣] ، ويُعرَّف التنغيم أيضا بأنَّه ((تتابعات مطردة من مُختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملةٍ كاملة أو أجزاء متتابعة منها، وهو وصفٌ للجملِ، وأجزاء الجمل، وليس الكلمات المختلفة المنعزلة))[٤] . فالتنغيمُ في اللغة العربية إذًا ((هو تغيراتٍ موسيقية تتنابُ الصوت من صعود إلى هبوط ، أو من هبوط إلى صعود لبيان المشاعر والأحاسيس، من فرحٍ أو حزن، ويأسٍ أو أمل، وإعجابٍ أو استفهام، وشكٍّ أو يقين، ونفي أو إثبات أو غير ذلك))[٥]، وقد يُسمّى التنغيمُ بمسمّياتٍ أخرى مثل ((موسيقى الكلام))[٦] ، و ((التلوين الموسيقي))[٧] .

وللتنغيم وظيفتان أساسيتان : أحدهما صوتية ، والأخرى دلالية :

فأما وظيفته الصوتية : فتتجسدُ في ماله من سمةٍ صوتيةٍ تقوم على تنويعاتٍ موسيقية إيقاعية تبعثُ في نفسِ السامع أسباب التواصل والارتياح[٨] .

وأمّا وظيفتُه الدلالية : فتتمثل في التفريق بين معاني الجمل النحوية؛ ذلك أنَّ النغمة في الجملة الاستفهامية غيرها في الجملة الخبرية ، وهي في الجملة المنفية مختلفة عنها في المثبتة وهكذا[٩] .

---

١ . ينظر : لسان العرب : (نغم) ١٤/ ٢٢ .

٢ . علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : د. محمود السعران : ١٩٢ .

٣ . دراسة الصوت اللغوي : ٢٢٩ .

٤ . التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة : د. محمود عكاشة :٤٩.

٥ . المصدر نفسه : ٤٩.٥٠ ، و علم الأصوات : د. كمال بشر : ٥٣٩ .

٦ . الأصوات اللغوية : ١٦٣ .

٧ . علم الأصوات : بشر : ٥٣٣ .

٨ . يُنظر : التفسير الصوتي لقراءات سورة عبس في ضوء النبر والتنغيم : د. محمد جعفر ، ود. أسعد جواد، بحث منشور في مجلة جامعة القادسية ، كلية الآداب ، عدد ٣ ، سنة ٢٠٠٢م : ١٨٨.

٩ . يُنظر : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي : د. رمضان عبد التواب : ١٠٦، والدلالة اللغوية عند العرب : د. عبد الكريم الكريم مجاهد : ١٨٧ .

فاعلية التنغيم في التراكم الدلالي :

ربما يُثير هذا العنوان تساؤلًا مفاده كيف يكون التنغيم فاعلًا في تحقيق التراكم الدلالي ؟ ! .

وللإجابة عن هذا التساؤل أقول : إننا لو تأملنا طبيعة التنغيم لتبين لنا أنه أسلوب صوتي يعمل على تكثير معاني الجملة الواحدة، وتراكمها من خلال التلاعب بدرجة الصوت صعودا، أو انخفاضا، أو استواءً، فالجملة قد تكون واحدة، ولم تتعرض لتغيير في بنيتها، ولكن تتعدد وتتراكم معانيها باختلاف درجة تنغيمها، يقول الدكتور تمام حسان : ((وللنغمة دلالة وظيفية على معاني الجمل تتضح في صلاحية الجمل التأثرية المختصرة نحو : لا ! ، نعم ! ، يا سلام ! ، الله ! الخ، لأن تُقال بنغماتٍ متعددة ويتغير معناها النحوي، والدلالي مع كل نغمة بين الاستفهام، والتوكيد، والاثبات، لمعانٍ مثل الحزن، والفرح، والشك، والتأنيب، والاعتراض، والتحقير، وهلمَّ جرا حيث تكون النغمة هي العنصر الوحيد الذي تسبب عنه تباين هذه المعاني؛ لأنَّ هذه الجملة لم تتعرض لتغير في بنيتها، ولم يُضف إليها، أو يُستخرج منها شيء، ولم يتغير فيها إلا التنغيم، وما قد يصاحبه من تعبيرات لملامح، وأعضاء الجسم مما يُعتبر من القرائن الحالية))[١] . وتقول الدكتورة (عواطف كنوش) كذلك : ((إنَّ التنغيم وهو قرينة سياقية صوتية يبين لنا المعاني الإضافية التي تُرافق الكلام، فعبارة (لا يا شاطر) قد تفيد النفي والانكار، أو قد تدلُّ على الاحتقار والسخرية، وما إلى ذلك من المعاني الانفعالية الاخرى))[٢] .

ومما تقدم يتبين أنَّ التنغيم يعمل على ركم الدلالات من خلال ما يجلبه من معان إضافية بحسب رأي الدكتورة عواطف كنوش مما يزيد في ثراء معنى الكلام وتكثيره .

فالتنغيم أسلوب صوتي يتسم بالاقتصاد اللغوي؛ لأنه يجعل من التعبير الواحد مشعلا لأكثر من دلالة ، فهو يعمل على تعدد المعنى وإيجاز اللفظ .

أما بخصوص أنواع النغمات، فقد اختلف الباحثون في تقسيمها، إلا أنَّ أشهر الآراء أنها تنحصر في ثلاثة أنواع، وكل نوع منها يتمثلُ بمعان معينة[٣] ، وتلك الانواع هي :

١. المستوية : وتتمثل في معاني التقرير، والخبر، والتذكير، والنصح والارشاد، والنداء المحض .

٢. الصاعدة : وتتمثل في معاني الاستفهام ، والأمر، والنهي المحض ، والتعجب ، والاهانة .

٣. الهابطة : وتتمثل في معاني التمني، والتهكم، والتوبيخ، والدعاء، وإظهار الاسف والحزن .

---

١ . اللغة العربية معناها ومبناها : د. تمام حسان : ٢٢٨ .

٢ . الدلالة السياقية عند اللغويين : ٥٥ .

٣ . ينظر : التنغيم اللغوي في القرآن الكريم : سمير ابراهيم العزاوي : ١٥٧ .

ومن أمثلة التنغيم الرامية الى تراكم الدلالات ما جاء في إحدى وصايا الامام (عليه السلام) لكميل بن زياد النخعي ، والتي قال فيها : ((**يا كميل هلك خُزَّانُ الأموال وهم أحياءٌ، والعلماءُ باقون ما بقي الدهرُ. أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة، إنَّ ها هنا لعلمًا جمًا لو أصبتُ له حملةً**))[١] .

ومحل الشاهد في النص العلوي قوله (عليه السلام) : (**لو أصبتُ له حملة**) أي العلم، وهذه العبارة لم تكن محل اتفاق بين بعض العلماء، بل اختلفت تفسيراتهم في بيان مرادها، فقد ذهب السيد حبيب الله الخوئي الى أنها جملة شرطية فقط ، وجوابها محذوف، إذ قال : ((لو أصبت : جملة شرطية جوابها محذوف، و لو بمعنى إنْ))[٢] ، في حين ذهب الشيخ محمد تقي التستري الى أنها جملة يُقصدُ بها التمني لا غير ، إذ قال : ((لو أصبت له حملة (لو) هنا للتمني ، مثلها في قوله تعالى :﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾[هود : ٨٠]))[٣] .

وأما الشيخ محمد باقر المحمودي فقد وقف موقفًا وسطًا، فهو يرى أنَّها جملة تحتمل المعنيين (الشرط ، والتمني) ، إذ قال : ((كلمة (لو) للتعليق والشرط ، وجوابه محذوف ، أي لو وجدت لما في صدري من العلم الكثير والسر الخطير، أهلا ومستحقا لا ظهرته له ، وجدُّتُ به عليه ، وأودعته عنده ، ويحتمل أن تكون (لو) للتمني أي يا ليت لي الظفر بمن يكون أهلا لحمل الاسرار فأودعه ما خصني الله به من العلوم الكثيرة ، وأطلعه على ما رزقني به رسول الله (ص) من المعارف الخطيرة، والمرجع واحد، وعلى التقديرين فالكلام قد صدر عن قلب متلهف، وصدر عن فراق المحبوب متلهب ، وبنار الاشتياق متلظٍ))[٤] .

و المنعم النظر في هذه المقولات يرى أنَّ منبع اختلاف العلماء في مراد هذه الجملة لم يكن عن بنيتها التركيبية، بل هو ناجمٌ عن اختلاف نطقهم لها، فإنَّ هذه الجملة لم تتعرض لأي تغيير في بنيتها التركيبية، والذي يتغير فيها هو النغمة الصوتية المصاحبة لطريقة نطقها، فالذي ذهب الى أن عبارة : (لو أصبتُ له حملة) هي جملة شرطية كان معتمدًا على نغمتها الصوتية الصاعدة غير الهابطة، وهذا الصعود (الارتفاع) في النغمة فحسب وعدم هبوطها يكون دليلًا على عدم تمام الجملة الشرطية، وهي بذلك تحتاج الى جواب شرط كي يتمَّ معناها، يقول الدكتور كمال بشر : ((تنتهي جملة الشرط بنغمة صاعدة دليلا على عدم تمام

---

١ . نهج السعادة : ٨ /١٢ .

٢ . منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : السيد حبيب الله الخوئي : ٢١/ ٢٤٨ .

٣ . بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : الشيخ محمد تقي التستري : ٢٦٥/٦ .

٤ . نهج السعادة : ١٢/٨ .

الكلام ، فتمامه يحصل بجواب الشرط الذي ينتهي بنغمة هابطة ، دليلا على الاكتمال في المبنى والمعنى معا))[١] .

إذن يعد التنغيم عاملا مهما في ربط طرفي الجملة الشرطية مع بعضهما ، حتى يكونان وحدة متكاملة في البنية والدلالة، ويظهر ذلك بوجه خاص في الجمل التي يتوظف فيها أدوات الربط نحو : بينا، وبينما ، ولو، ولولا وغيرها[٢] .

ومما تقدم يتوجب علينا نطق جملة **(لو أصبت له حملة)** بنغمة صاعدة دون هبوط ، وذلك كونها جملة شرطية تحتاج الى جواب شرط يتمم معناها، وجواب الشرط بدوره يتسم بالنغمة الهابطة؛ إذ يدل الهبوط على تمام الكلام وانتهائه .

وأما من ذهب إلى أنَّ (لو) هي للتمني، فلا ريب أنه اعتمد على مستواها التنغيمي الهابط ؛ ذلك أن أسلوب التمني هو أسلوب (إنشائي طلبي) يتمثل في كون جمله تكون كاملة التركيب تامة المعنى، و إنَّ مثل هذه الجمل تتسم بنغمتها الهابطة عكس جملة فعل الشرط التي تتسم مثلما أسلفت بالنغمة الصاعدة المتوقفة ؛ لتكون دليلا على متعلق بعده يتوقف تمام المعنى عليه ألا وهو جواب الشرط .

ويمكن توضيح أثر تغير درجة التنغيم في تعدد هذه المعاني (تراكمها) في المخطط الاتي :

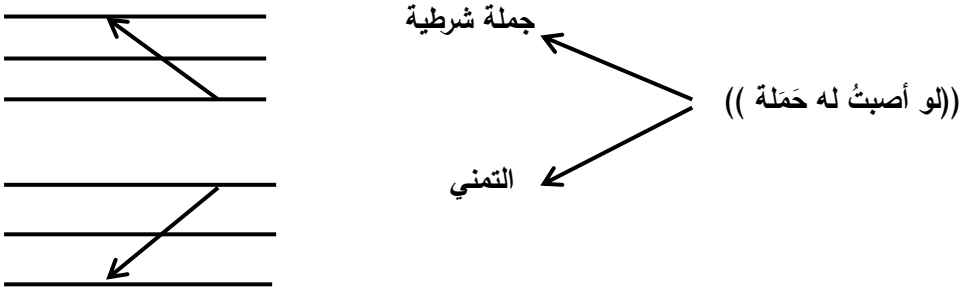

ومن طريق هذا العرض يتبين أنَّ اختلاف درجة التنغيم في نطق العبارة أعلاه قد عمل على تعدد المعنى، مما أدى الى ركم الدلالة وتكثيرها في النص الشريف، مع أنَّ العبارة لم تُصب بأي تغيير في بنيتها، وما تغير فيها هو طريقة نطقها بنغمات مختلفة .

١ . علم الأصوات : (بشر) : ٥٤١ . ٥٤٢ .

٢ . ينظر : المصدر نفسه : ٥٤٢ .

ومن أمثلة ذلك أيضا ما جاء في خطبةٍ (عليه السلام) في ذمِّ أهل الكوفة : ((... **يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الاطفال، وعقول ربات الحجال، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفة، والله جرت ندما وأعقبت سدما قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحا، وشحنتم صدري غيظا، وجرعتموني نغب التهمام أنفاسا**))[١] .

ومحل الشاهد في النص الشريف عبارة (**قاتلكم الله**) ، حيث يرى الشيخ المحمودي أنها كانت دعاء عليهم باللعن والطرد والبُعد عن رحمة الله تعالى[٢]، والرأي الثاني : يرى (("قاتلكم الله" ليس بدعاء عليهم ، وإنما هو نوع من التعجب))[٣].

وأقول : إنَّ منطلق تعدد هذه الآراء واختلافها في معنى عبارة (قاتلكم الله) كان بسبب تغير درجة التنغيم في كل مرة تنطق بها، فمن قال إنها للدعاء كان بلا شك مستندا على نطقه لها بنغمة هابطة، ذلك أنَّ الدعاء هو أسلوب تقريري، والجمل التقريرية كما يرى علماء الصوت تتصف بالنغمة المستوية الهابطة[٤] ، في حين أنَّ من يرى أنها تفيد التعجب فلا شك أنَّه أعتمد على نطقه لها بنغمة صاعدة، يقول أحد الباحثين : ((وسواء حُمل الاستفهام على التعجب والتهديد، فنوع النغمة لم يتغير، فهي صاعدة أو عالية في أسلوبي التعجب، والتهديد، ثم تتدرج منتهية الى أقل مستوى من النغم الكلامي))[٥] . وبعد هذا العرض يمكن توضيح الأثر التنغيمي في توجيه هاتين الدلالتين في المخطط الاتي :

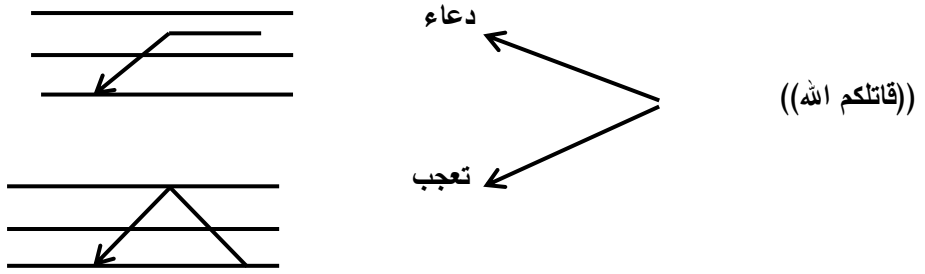

ومن المصاديق الدالة على تراكم المعنى بفعل التنغيم ما جاء في خطبة له (عليه السلام) في بيان فضله وفضل أهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين) وحث الناس على اتباعهم وأخذ العلوم عنهم : ((**الا إنَّ العلم الذي هبط به آدم من السماء إلى الارض، وجميع ما فضلت به النبيون إلى خاتم النبيين، في عترة خاتم**

١ . نهج السعادة : ٥/٢٨٦ .
٢ . ينظر : المصدر نفسه والصفحة .
٣ . منهاج البراعة : الراوندي ٤/ ٧١ .
٤ . ينظر : علم الأصوات : (بشر) : ٥٣٤ .
٥ . البحث الدلالي في إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (ت٩٨٢هـ) : زينب عبد الحسين بلال السلطاني ، اطروحة دكتوراه ، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد ، ٢٠٠٥م : ٤٦.

النبيين فأين يتاه بكم ؟ بل أين تذهبون ؟ يا من نسخ من أصلاب أصحاب السفينة هذا مثلها فيكم، فكما نجا في هاتيك من نجا، فكذلك ينجو في هذه من ينجو، ويل لمن تخلف عنهم))[1] .

فجملة **(ويل لمن تخلف عنهم)** وإنْ لم يُصرح أحدٌ بدلالتها إلا أنَّها تحتمل معنيي (الخبر والدعاء)، فهي قد تكون إخبارًا بما سيلاقونه من الويل والثبور بسبب تخلفهم عن العترة الطاهرة، وقد تكون دعاءً عليهم بالويل والعذاب، وهذا الاختلاف في المعنى ليس مرده الى تغيير بنية الجملة، ولكن مرده الى اختلاف النغمة التي تُنطق بها هذه العبارة في كلِّ مرة ، فلو نطقناها بنغمة مستوية لدلت على الإخبار فحسب، في حين لو نطقناها بنغمة مستوية هابطة لدلت على معنى الدعاء لا غير .

وقد ورد الويل في القرآن الكريم دالا على المعنيين، وذلك في قوله تعالى :﴿ وَيۡلٌ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴾[المطففين : ١] ، إذ تحتمل هذه الآية بحسب أقوال العلماء معنيي الخبر، والدعاء، يقول الدكتور فاضل السامرائي بهذا الصدد: ((... قوله تعالى : ﴿ وَيۡلٌ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴾المطففين :١] فهذا يحتمل الخبر والدعاء، فقد يحتمل أنه أخبر بما سيلاقونه من العقوبة بسبب تطفيفهم وأنَّ لهم الويل والثبور، ويحتمل الدعاء عليهم بالويل والثبور))[2] .

ويمكن بيان أثر تغير التنغيم في تغير الدلالة في نص الامام (عليه السلام) في المخطط الاتي :

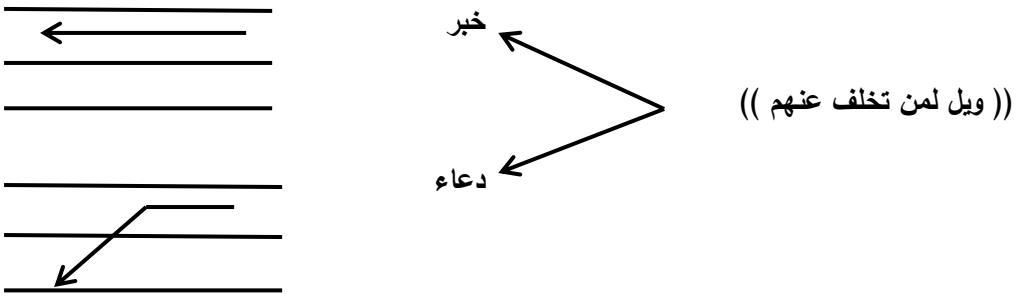

وتأسيسًا على ما تقدم من أمثلةٍ يمكن القول : إنَّ التنغيم يُعدُّ عنصرًا رئيسًا في تراكم المعاني عن طريق تكثيرها (تعددها) ، إذ إنَّ العبارة الواحدة مثلما لاحظنا تحتمل أكثر من معنى ، وذلك لا يكون الا نتيجة لتغير درجة التنغيم في كل مرة تُنطق بها العبارة مع بقاء بنيتها التركيبية ثابتة دون أي تغيير أو تبديل .

١ . نهج السعادة : ٣/ ٩ .

٢ . الجملة العربية والمعنى : ١٦٦ .

المبحث الثالث

الاستبدال الصوتيّ

تُعدّ عملية الاستبدال الصوتي من القضايا الأساسية في دراسة الصوت اللغوي، وهي تقتضي وضع صوتٍ أو مقطعٍ لغويٍّ مكان صوتٍ، أو مقطعٍ لغويٍّ آخر في الكلمة، إذ إنَّ تغيّر الدالات يقودُ إلى تغير في المدلولات[١]، فجذرُ الكلمة يتغيَّرُ تبعا لذلك التبادل الصوتي ويتولَّدُ منها جذرٌ آخر قد تختلف دلالته عن الجذر الأول أو تتقارب معه[٢] .

وينقسم الاستبدال الصوتي على الاستبدال بين الصوامت، والاستبدال بين الصوائت :

أ. الاستبدال الصوتي بين الصوامت :

الصامت :- ((هو صوتٌ لغوي يَحدِثُ لتيار النفس عند نطقهِ في أحدِ مواضعِ النُطقِ نوعٌ من الإعاقة التي قد تكون خفيفة، أو شديدة أو نوع من الإغلاق التام الذي قد يكونُ واحدًا أو مُتكررًا))[٣] . وبما أنَّ الصوامت هي لبن الكلمات، لذا فإنَّ لها تأثيرا واضحا في تشكيل دلالة الكلمة، فعلى سبيل المثال نجد كلمات نحو : ناب، عاب، تاب، غاب، شاب ... الخ قد اتفقت في صيغتها الصرفية ولكن اختلفت معانيها بسبب تغير الصوت الأول فيها وفق قانون الاستبدال الصوتي[٤].

وقد أدرك علماء العربية القدماء أهمية الصامت في تغيير معنى الكلمة فيما لو استُبدل بصامت آخر ، يقول ابن قتيبة : ((وقد يُفرقون بين المعنيين المتقاربين بتغيير حرف في الكلمة حتى يكون تقارب ما بين اللفظين كتقارب ما بين المعنيين : كقولهم للماء الملح الذي لا يشرب الا عند الضرورة : شَرُوب، ولما كان دونه مما قد يتجوَّزُ به : شريب، وكقولهم لما ارفضَّ على الثوب من البول إذ كان مثل رؤوس الابر : نضحٌ ... ، فإن زاد على ذلك قليلا قيل له : نضخٌ، وكقولهم للقبض بأطراف الاصابع : قبص، وبالكف : قبض، وللأكل بأطراف الاسنان : قضمٌ ، وبالفم : خضمٌ))[٥] .

وجاء في كتاب الخصائص : ((ومن ذلك قولهم الوَسِيلة والوَصِيلة والصاد – كما ترى – أقوى صوتًا من السين لما فيها من الاستِعلاء، والوَصِيلةُ أقوى معنى من الوسيلة، وذلك أن التوّسل ليست له عِصمة الوصل

---

١ . علم الأصوات العام : د. بسام بركة : ١١٠ .

٢ . ينُظر : الحقول الدلالية في القراءات القرآنية : أحمد عارف حجازي : ١٠٥ .

٣ . علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : ١٤٨، ويُنظر: الأصوات اللغوية : د. إبراهيم أنيس : ٢٦ .

٤ . ينظر : التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة : ٣٠ .

٥ . تأويل مشكل القرآن : ١٩ .

والصلةِ بل الصلة أصلها من اتصال الشيء بالشيء ومماسَّتِه له وكونه في أكثر الأحوال بعضا له كاتّصال الأعضاء بالإنسان وهي أبعاضه ونحو ذلك والتوّسل معنى يضعف ويصغر أن يكون المتوسِّل جزءًا أو كالجزء من المتوسَّل إليهِ، وهذا واضح، فجعلوا الصاد لقوّتها للمعنى الأقوى والسين لضعفها للمعنى الأضعف)[١] .

ومن أمثلة الاستبدال الصوتي بين الصوامت في نهج السعادة، ما جاء في لفظة (الصبر) في أحدى خطب الامام (عليه السلام) : (**وإنما النصر بالصبر، والورود بالصدور، والبرق بالمطر**)[٢] .

يقول الشيخ المحمودي في لفظة (الصبر) : ((ويمكن أن يُقرأ بالبصر بالباء، أي بالعلم والبصيرة))[٣] .

وتجدر الاشارة هنا إلى أن قراءة (بالصبر) التي أوردها المحمودي إنما هي نتاج استبدال مواقع الاصوات بين (الصاد، والباء) بالتقديم والتأخير بين الصوتين .

ويمكن القول : إنَّ هذا التغيير الصوتي الناتج عن الاستبدال الصوتي بين (الصاد والباء) قد نتج عنه (تراكم دلالي) بسبب تغير المعنى في كل قراءة ، ففي القراءة الاولى أي (بالصبر) يكون المعنى : إنَّ الصبر هو سبب النصر، وأما في القراءة الثانية وهي (بالبصر) فيصبح المعنى مختلفا ، فيكون المراد : أنَّ النصر إنما يتحقق بفضل العلم والبصيرة النافذة ، ومن هنا تلحظ أنَّ اختلاف القراءة أنتج ركاما دلاليا من المعاني في النص الشريف بعد أن كانت الدلالة محددة .

ومن المصاديق التي حصل فيها تبادلٌ صوتي أيضا هي لفظة (المغربة) الواردة في أحد أدعيته (عليه السلام) : ((**وتستحق بعد اليأس شكرا، منةً من مننك مجللة ، ونعمة من نعمك مفضلة، على بريتك المؤملة، وبلادك المغرَّبة، وبهائمك المعملة، ووحشك المهملة**))[٤] .

ذكر المحمودي أنَّ كلمة (المغرَّبة) هنا تعني : المبعدة عن الزاد، إذ يُقال دراه غاربة أي بعيدة[٥] ، ثم إنَّه يرى أنَّ رسم هذه اللفظة يساعد على قراءتها بصور أخرى، ذاكرا منها قراءتين، وذلك بقوله : ((وربما يقرأ بالغين والراء والنون أي اليابسة، وبالعين المهملة والراي والباء أي البعيدة عن المرعى))[٦] .

---

١ . الخصائص : ١٦٠/٢ .
٢ . نهج السعادة : ٢١١/٥ .
٣ . المصدر نفسه : ٢١١/٥ .
٤ المصدر نفسه : ١٧٣/٣ .
٥ . المصدر نفسه والصفحة .
٦ . المصدر نفسه : ١٧٣/٣ .

وانطلاقا من كلام المحمودي نجد أنَّ هذا التغير الصوتي بين أصوات (الغين، والعين) و(النون، والباء) قد أحدث تغييرا في جذر الكلمة مما تبعه تغيرٌ في المعنى، و لعل هذا التغاير (التعدد) في المعاني أنتج ركاما من الدلالات في النص الشريف .

ومن الأمثلة أيضا التي خضعت لقانون الاستبدال الصوتي لفظة (احتوث) الواردة في قوله (عليه السلام) : ((**إلهي اجعلنا ممن هام بذكرك لبهُ، وطار من شوقه إليك قلبه، فاحتوثه عليه دواعي محبتك، فحصل أسيرا في قبضتك**))[١] .

الشاهد في النص العلوي هو كلمة (احتوثه) ، وهي عند المحمودي تعني : الإثارة ، ويرى كذلك أنها يمكن أن تُقرأ (فاحتوشه) بالشين المعجمة من دون أن يبين معناها بالشين[٢] .

وفيما يبدو أنها تعني الإحاطة بالشيء من كل جوانبه، جاء في معجم الصحاح : ((حُشتُ الصيدَ أَحوشُهُ ، إذا جِئتَهُ من حواليه لتصرفه إلى الحبالة، وكذلك أَحَشتُ الصيدَ وأَحوشتُهُ، واحتَوَشَ القومُ الصيدَ، إذا أَنفرَهُ بعضُهم على بعض، واحتَوَشَ القومُ على فلان : جعلوه وَسطهم))[٣] .

فالاستبدال الصوتي في لام الكلمة بين فونيمي (الثاء) و(الشين) أحدث تغيرًا في المعنى نتيجة لتغير الجذرين، ففونيم (الثاء) يجعل الكلمة من الجذر (حوث) الدال على الاثارة والطلب والحركة، جاء في القاموس المحيط : ((وأحاثَ الأرضَ، واستَحاثها أثارها، وطلب ما فيها، والشيءَ حَرَّكَه وفَرَّقَه))[٤] ، أما فونيم (الشين) (الشين) فجعل الكلمة من الجذر (حوش) والذي يدل على الاحاطة بالشيء .

ومما تقدم يتضح أن الاستبدال الصوتي قد عمل على تغاير المعاني الناتجة عن تغاير جذرها اللغوي ، وبناءً على هذا التغاير والاختلاف سواء على مستوى المادة اللغوية أم المعنى نتج في النص الشريف تراكم دلالي بنوعيه (اللفظي والمعنوي) .

ومن مصاديق هذا الاستبدال الصوتي في فاء الكلمة ما جاء في لفظة (الانابة) في قوله (عليه السلام) : ((**... وهو رحيم كريم لم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه ولم يمنعك إن أسأت من التوبة، ولم يعيرك بالإنابة، ولم يعاجلك بالنقمة، ولم يفضحك حيث تعرضت للفضيحة**))[٥] .

---

١ . نهج السعادة : ٦/٢٣٠ .
٢ . ينظر : المصدر نفسه والصفحة .
٣ . الصحاح في اللغة : (حوش) ٢/ ١٥٥ .
٤ . القاموس المحيط : (حوث) ١/١٥٦ .
٥ . نهج السعادة : ٤/٢٨٧ .

إذ أشار الشيخ المحمودي الى نتائج هذا الاستبدال قائلا : ((والإنابة – بالنون الموحدة – الرجوع ، والله لا يُعيِّر الراجع إليه، بل يقبل إليه ويغفر له ذنوبه، ويُروى : الإثابة – بالثاء المثلثة – وعليه تحتمل أيضا أن تكون بمعنى الرجوع من قولهم : (ثاب إلى رشده) أي رجع، وتحتمل أن تكون بمعنى الثواب))[١] .

فقد عمل هذا الاستبدال الصوتي بين فونيمي (النون) و(الثاء) على تغاير معنى اللفظين، كونهما أصبحا من جذرين مختلفين ، فالإنابة من (ناب) وتعني (الرجوع)، والإثابة من (ثاب) وتعني (الثواب والرجوع) .

ويجدر القول : إنَّه مع تباين دلالة هذين الجذرين إلا أنَّ هناك صلة واضحة بين معنييهما، وتتمثل هذه الصلة بعلاقة العموم والخصوص، إذ إنَّ لفظة (الإنابة) اختصت بجزء المعنى، وهو الرجوع إلى الطاعة فحسب، يقول أبو هلال العسكري : ((الإنابة الرجوع إلى الطاعة فلا يقال لمن رجع إلى معصية أنه أناب، والمنيب اسم مدح كالمؤمن والمتقي))[٢] ، وجاء في لسان العرب : ((الإنابةُ الرجوعُ إِلى اللّه بالتَّوبة وفي التنزيل العزيز :﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾ [الروم :٣١] أَي راجعين إِلى ما أَمَرَ به غير خارجين عن شيءٍ من أَمرِه وقوله عز وجل :﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾ [الزمر : ٥٤]، أَي تُوبوا إِليه وأرجِعُوا))[٣] . فهي تمثل رجوعًا من غير جزاء .

في حين أنَّ لفظة (الاثابة) تكون أشمل معنى من لفظة (الإنابة)؛ ذلك أنَّها تضم معنى الرجوع والجزاء معًا، جاء في كتاب التوقيف على مهمات التعاريف : ((الإثابة ما يرجع للإنسان من ثواب أعماله، ويستعمل في المحبوب نحو : ﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ ﴾[المائدة : ٨٥]، وفي المكروه نحو :﴿ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا ﴾ [ال عمران : ١٥٣]))[٤] .

ومما تقدم نجد أنَّ الاستبدال الفونيمي بين الجذرين (ناب) و(ثاب) قد عمل على توسيع دائرة معنى النص ، وذلك من خلال تعدد (تراكم) جملة من الدلالات المتباينة .

١ . نهج السعادة : ٢١٥/٥ .
٢ . الفروق اللغوية : أبو هلال العسكري : ٧٥ .
٣ . لسان العرب : (نوب) ٧٧٤/١ .
٤ . التوقيف على مهمات التعاريف : محمد عبد الرؤوف المناوي : ٣٣ .

ب: الاستبدال الصوتي بين الصوائت :

الصائت : هو صوتٌ لغوي يصدرُ من إعاقة التيار النَفَسي الخارج من الرئتين[١] ، والصوائت هي الحركات الثلاث (الضمة ، والفتحة ، والكسرة) ، و((الحركة سواء أكانت مصاحبة لأصوات الكلم ، أم تقع على أواخر الكلم تعدُّ جزءا من الوحدات الصوتية التي تُشارِكُ في الدلالة، والحركة التي تصاحبُ أصوات الكلمة تسمّى حركة البناء أو الشكل ويصبح الكلامُ بها مشكولا، والحركة التي تقعُ آخر الكلمة تُسمّى حركة الإعراب، وهي الحركة التي تبّينُ وظيفةَ الكلمة في التركيب وموقعها فيه))[٢].

فحركة البناء أو الشكل تؤدي أثرا مميزا في دلالة الكلمة، فهي التي تميز بين الفعل والاسم مثل كلمة (ضرب) فهي بفتح الراء تكون فعلا ، وبسكونها تكون اسما، كذلك تفرق بين دلالتي اسم الفاعل واسم المفعول المشتقين من الرباعي فأكثر، نحو : (مُترجِم ، ومُترجَم) فالكسرة في الاولى تكسب الكلمة معنى الفاعلية، والفتحة في الثانية تكسبها معنى المفعولية[٣].

و قد أشار اللغويون القدماء في مدوناتهم إلى هذا الأثر الحركي الفاعل في التمييز بين دلالات الألفاظ ، إذ جاء في كتاب تأويل مشكل القرآن : ((وقد يفرقون بحركة البناء في الحرف الواحد بين المعنيين، فيقولون : "رجلٌ لُعْنةٌ" إذا كان يلعنه الناس، فإن كان هو الذي يلعن الناس، قالوا : "رجلٌ لُعَنَةٌ " ، فحركوا العين بالفتح، ورجلٌ سُبَّةٌ إذا كان يسبُّه الناس، فإن كان هو يسبُّ الناس قالوا : رجلٌ سُبَبَةٌ ...))[٤] ، وورد في كتاب المحتسب لابن جني : ((الذِّلُّ في الدابة : ضد الصعوبة، والذُّلُّ للإنسان : ضدُّ العِزِّ، وكأنّهم اختاروا للفصل بينهما الضمة للإنسان والكسرة للدابة؛ لأنَّ ما يلحق الإنسان أكبرُ قدرًا مما يلحقُ الدّابة، واختاروا الضمة لقوتها للإنسان، والكسرة لضعفها للدابة))[٥] .

أما المحدثون فهم لا يعدون نظرة القدماء في قدرة الحركات على توجيه معاني الألفاظ ، فوافقوهم فيما ذهبوا إليه، يقول الدكتور عبد الصبور شاهين : ((ولعلّ أفضلَ ما يُصوّر علاقة الصوامت بالحركات في بنية الكلمة أن نقول : إنَّ الصوامت وهي مادة الكلمة الثابتة تحمل المعنى الأصلي الذي تدلُّ عليه بمجموعها، وإنّ الحركات تُشخّص المعنى حين تبرزه في وضعٍ معين فهي التي تستقل بتوجيه الدلالة إلى حيثُ يُريد المتكلم))[٦].

---

١ . ينظر : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : ١٤٨، وفقه اللغة : د. حاتم الضامن : ١٦٤ .

٢ . التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة : ٣٤ .

٣ . ينظر المصدر نفسه : ٣٤ .

٤ . تأويل مشكل القرآن : ١٩ .

٥ . المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات: لابن جني : ٢/ ١٨ .

٦ . المنهج الصوتي للبنية العربية قراءة جديدة : د. عبد الصبور شاهين : ٤٤- ٤٥ .

ومن الأمثلة التي حصل فيها استبدال بين الصوائت في نهج السعادة ما حصل في لفظة (الزهرة) الواردة في دعاءٍ له (عليه السلام) : ((**وامنن على عبادك بإيناع الثمرة، وأحي بلادك ببلوغ الزهرة**))[١] .

فقد ذكر الشيخ المحمودي أنَّ للفظة (الزهرة) قراءتين، ولكل قراءة معناها الخاص، إذ قال : ((والزهرة إمَّا أن يُقرأ بكسر الزاي، فيُراد منها حاجة العباد ووطرهم، وإمَّا أن يُقرأ بفتح الزاي فيُراد منها نور النباتات والأشجار، ويُراد من بلوغه ما يُراد من بلوغ الإنسان، وهو وصولها إلى حد الكمال بحيث يترتب عليه جميع آثار النباتية على النحو الأتم))[٢] .

فإنَّ اختلاف الصائت القصير في صوت الزاي بين (الكسر، والفتح) قد أدى إلى تباين المعنى واختلافه؛ إذ إنَّ كلمة (الزِهرة) بالكسر تعني : وِطر الشخص وحاجته ، يقول ابن منظور : ((وقال بعضهم الازدِهارُ بالشيء أَن تجعلهُ من بالك ومنه قولهم قضيت منه زِهْرِي بكسر الزاي أَي وَطَري وحاجتي))[٣] .

أمَّا كلمة (الزَهرة) بالفتح فتعني (نور النبات)[٤] ، أي حِسنُهُ وبهجتُهُ ونضارتُهُ في حال تفتُّح أزهاره .

وبالعودة إلى النص العلوي تلحظ أنَّ اختلاف القراءة قد راكم الدلالة وكثرها؛ فمن قرأ (الزهرة) بـ كسر (الزاي) يكون مراد النص ـ والله أعلم ـ : اللهم احيي بلادك وذلك بتحقق حاجات عبادك، وأمَّا من قرأها بالفتح فيصبح المعنى : اللهم احيي بلادك بإنزال المطر على أهلها حتى تنبت الأرض وتعمر بخيراتها .

ومن مصاديق الاستبدال الصوتي الرامية للتراكم الدلالي هو الاستبدال بين الصائتين (الضمة) و(الكسرة) في لفظة (ذي الحجة) في قوله (عليه السلام) : ((**إنِّي فيكم كالكهف لأهل الكهف، وإني فيكم باب حطة، من دخله نجا، ومن تخلف عنه هلك، حجة من ذي الحجة في حجة الوداع**))[٥] .

إذ يرى المحمودي أنَّ كلمة (**الحُجة**) بالضم في عبارة (**من ذي الحجة**) إنما يُراد بها النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، ذلك أنَّ الإمام (عليه السلام) حُجةٌ وبرهان من صاحب الحجة الكبرى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أقامها له في حِجة الوداع[٦] ، ثم إنَّه (رحمه الله) قد أورد كذلك قراءة ثانية لهذه اللفظة وهي (**من ذي الحِجَّة**) بكسر الجيم، ويراد بها شهر (ذي الحجة) ، إذ يقول : ((وأيضا يحتمل أن يُقرأ لفظة " ذي الحجة

---

١ ـ نهج السعادة : ٣/٢١٨ .
٢ ـ المصدر نفسه والصفحة .
٣ ـ لسان العرب : (زهر) ٤/٣٣٤ .
٤ ـ المصدر نفسه والصفحة .
٥ ـ نهج السعادة : ١/ ٥٦٦ .
٦ ـ ينظر : المصدر نفسه والصفحة .

" بكسر الحاء ويراد منها الشهر فيكون المعنى : إنَّ حجتي على ما ادعيت قد انجزت وأبلغت في شهر ذي حجة لما نصبني رسول الله في حجة الوداع))[1] .

إذًا فالاستبدال الصوتي بين الصائتين (الضمة) و (الكسرة) في لفظة (الحجة) قد أدى إلى استبدال المعنى وتغيره ومن ثمَّ تراكمه في النص الشريف، فبالضم يكون معنى (الحُجَّة) هو الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) ، وبالكسر يكون المعنى : في شهر ذي الحجة .

وتجدر بي الإشارة إلى أنَّه على الرغم من اختلاف هذين المعنيين وتباينهما، إلا أنهما مرادان مطلوبان معًا في نصِّ الإمام (عليه السلام) . والله أعلم . ؛ ذلك أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) إنما هو حُجَّةٌ على المؤمنين ووليهم، وقد نصَّبهُ ذو الحُجَّةِ الكبرى رسول الله (صلى الله عليه واله) بأمر إلهي في الثامن عشر من شهر ذي الحِجَّة في غدير خم مثلما هو معلوم عند المسلمين كافة .

وبهذا الصدد نجد أنَّ هذا التعدد الدلالي الحاصل من طريق الاستبدال الصوتي بين صائتي (الضم) و(الكسر) قد أسهم في إثراء النص الشريف دلاليًا من خلال ما تراكم من دلالات .

ونظير ما تقدم أيضا ما ورد في لفظة (الغرور) في وصيةٍ له (عليه السلام) قد وصَّى بها زياد بن النضر الحارثي لما أنفذه أميرا على مقدمة جيشه الى صفين جاء فيها : ((**اتقِ اللهَ في كُلِّ مُمسى ومُصبح، وخَفْ على نفسك الغُرُور، ولا تأمنها على حالٍ من البلاء**))[2].

يقول الشيخ المحمودي : ((والغرور – بضم الغين : الأباطيل ، والانخداع ، وبفتحها : ما يوجب ويورث الانخداع ، ولذا توصف به الدنيا ، فيقال الدنيا الغرور ، قال الله تعالى : ﴿ **فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ** ﴾ [لقمان : ٣٣]))[3] .

فبلحاظ هذا الاستبدال الصوتي بين ضم (الغين) و(فتحها) في لفظة (الغرور) يتباين المعنى ويتراكم، فالبضم يكون معنى النص : لا يدخل نفسك الغُرور، أي التكبر والخيلاء ؛ ذلك كونهما من الأمور الباطلة الخدَّاعة المُضلَّة، وأمَّا بالفتح فيكون المعنى : خِفْ عليها من كلِّ شيء يوجب الغَرور، فيكون على حذف الموصوف وإبقاء صفته .

وجديرٌ بالقول : إنَّه مع حصول الاختلاف بين المعنيين ، إلا أنَّه ثمَّة صِلةٌ رابطةٌ بينهما؛ إذ إنَّ الأباطيل هي نتيجة مرتبطة بمسببها (موجبها) الذي هو أيضا يتصفُ بالبطلان والانخداع لا محال، ومن هنا يمكن أن

---

١ . نهج السعادة : ٥٦٧/١ .

٢ . المصدر نفسه : ٣٠٤/٨ .

٣ . المصدر نفسه والصفحة .

يكون الإمام (عليه السلام) . والله أعلم . في هذه الوصية قد قصد المعنيين معًا، فإنَّه (عليه السلام) قد حذَّر زياد تجنب الأباطيل ومسبباتها معًا؛ وهذا الأمر إنما هو أثبت وأضمن للنفس الإنسانية من الانجرار إلى المهالك والوقوع فيها .

وبناءً على كل ما تقدم أقول : إنَّ الاستبدال الصوتي بين الصوائت الناتج عن اختلاف القراءات قد عمل على تعدد الالفاظ وتكثيرها نتيجة لاختلافها في النطق، وهذا (التعدد والتكثير) لا يعدو أن يكون تراكما لفظيا ينتج عنه تراكم في المعاني كذلك ؛ وذلك لاختلاف دلالة الالفاظ فيما بينها ، وعليه فالاختلاف بين الصوائت يُعدُّ مسوغا مهما في تحقق التراكم الدلالي .

المبحث الرابع

البناء المقطعي للفاصلة

يُعرَّف المقطع لغة : بأنه من القطع ، والقطع : هو إبانة بعض الشيء عن بعض ، يقال قطعه يقطعه قطعا وقطيعة وقطوعا ، ومقطعُ كل شيء : آخره حيث ينقطع كمقاطع الرمال والاودية وما أشبهها[١] .

المقطع في الاصطلاح :

لقد اختلفت تعريفات علماء الصوت الغربيين للمقطع كثيرًا بسبب اختلاف نظرتهم إليه ، لذا ذكر الدكتور أحمد مختار عمر تعريفات عدة للغربيين، ومنها قولهم : هو ((تتابع من الاصوات الكلامية له حد أعلى أو قمة طبيعية تقع بين مدين أدنيين من الاسماع))[٢] ، وقولهم أيضا : هو ((أصغر وحدة في تركيب الكلمة))[٣] ، أو ((وحدة من عنصر أو أكثر يوجد خلالها نبضة صدرية واحدة قمة إسماع أو بروز))[٤]، أو ((وحدة تحتوي على صوت علة واحد))[٥] .

أما علماء العرب المحدثون فقد اختلفوا أيضا في تعريفهم للمقطع، فهو عندهم ((حركة قصيرة أو طويلة مكتنفة بصوت أو أكثر من الاصوات الساكنة))[٦] ، أو هو ((كمية من الاصوات تحتوي على حركة واحدة ، ويمكن الابتداء بها والوقوف عليها من وجهة نظر اللغة))[٧] ، وهو أيضا ((مزيج من صامت وحركة يتفق يتفق مع طريقة اللغة في تأليف بنيتها ، ويعتمد على الايقاع التنفسي))[٨] . وهناك تعريف آخر يقول : هو ((عبارة عن مجموعة من الاصوات تمثل قاعدة وقمة وقاعدة ، وقد تكون القاعدة السكون السابق على الكلام ، أو السكون اللاحق له))[٩] .

إلا أنَّ الدكتور حسام سعيد النعيمي قد وضع تقييدا واضحا لمعنى المقطع بقوله : ((وحدة صوتية تبدأ بصامت يتبعه صائت وتنتهي قبل أول صامت يرد متبوعًا بصائت أو حيث تنتهي السلسلة المنطوقة قبل

---

١ . ينظر : لسان العرب : (قطع) ١٠ / ١٤٥.
٢ . دراسة الصوت اللغوي : د. أحمد مختار عمر : ٢٨٤ .
٣ . المصدر نفسه : ٢٨٥ .
٤ . المصدر نفسه :٢٨٥ .
٥ . المصدر نفسه : ٢٨٦ .
٦ . موسيقى الشعر : د. ابراهيم أنيس : ١٤٧ .
٧ . التطور اللغوي : د. رمضان عبد التواب : ٦٢ .
٨ . المنهج الصوتي للبنية العربية ـ رؤية جديدة في الصرف العربي : ٣٨ .
٩ . محاضرات في اللغة : د. عبد الرحمن أيوب : ١٤١ .

مجيء القيد))[١] ، ولذا يرى بعض الباحثين أنَّ تعريف الدكتور حسام النعيمي للمقطع إنما هو تعريفٌ جامعٌ مانعٌ ، ويُعد من أكثر التعريفات تقييدًا لمعنى المقطع[٢] .

وتنقسم المقاطع في العربية كما ذكرها علماء الصوت على ستة أنواع ، وهي[٣] :

١. المقطع القصير المفتوح : ويتكون من صامت يتبعه صائت ، ورمزه (ص ح) نحو كلمة (كَتَبَ) .

٢. المقطع الطويل المفتوح : ويتكون من صامت يتبعه صائت طويل ، ورمزه (ص ح ح) نحو كلمة (كا) من كاتب .

٣. المقطع الطويل المغلق : ويتكون من صامتين بينهما صائت قصير ، ورمزه (ص ح ص) نحو كلمة (مِنْ) .

٤. المقطع المديد أحادي الاقفال : ويتكون من صامتين بينهما صائت طويل ، ورمزه (ص ح ح ص) نحو كلمة (قَامْ) عند الوقف .

٥. المقطع المديد مزدوج الاقفال : ويتكون من صائت قصير قبله صامت وبعده صامتان ، ورمزه (ص ح ص ص) وذلك نحو كلمة (نَهْرْ) عند الوقف .

٦. المقطع المتماد : ويتكون من صائت طويل قبله صامت وبعده صامتان ، ورمزه (ص ح ح ص ص) نحو كلمة (رادّ) عند الوقف ، وهو نادر الورود في العربية .

وبعد هذا العرض من تعريف المقطع وبيان أنواعه ، نستعرض بعض فواصل كلام الامام (عليه السلام) ، وذلك بتحليلها مقطعيا ، لبيان ما لها من أثر في تراكم الدلالات ، وذلك على النحو الآتي :

جاء في بعض مناجاته (عليه السلام) التي قال فيها : **((وسبحان الله الذي خلق الدنيا للفناء والبيود ، والآخرة للبقاء والخلود ، وسبحان الله الذي لا ينقصه ما أعطى فأسنى ، وإن جاز المدى في المنى ، وبلغ الغاية القصوى ، ولا يجور في حكمه إذا قضى ، وسبحان الله الذي لا يرد ما قضى ، ولا يصرف ما أمضى ، ولا يمنع ما أعطى ، ولا يهفو ، ولا ينسى))**[٤] .

---

١ . أبحاث في أصوات العربية : د. حسام سعيد النعيمي ٨ .

٢ . ينظر : المصطلح الصوتي في الدراسات العربية : د. عبد العزيز الصيغ : ٢٧٨ .

٣ . ينظر : دروس في علم اصوات العربية : جان كانتينو ١٦٠، ودراسة الصوت اللغوي ٢٤٨ ، الاصوات اللغوية : ١٦٠ ، وأبحاث في أصوات العربية : ٨ . ٩ .

٤ . نهج السعادة : ١٢.١١/٦ .

ويمن تحليل فواصل النص الشريف مقطعيا في الاتي :

الْبِيُودْ : ص ح ص/ ص ح/ ص ح ح ص .

الْخُلُودْ : ص ح ص/ ص ح/ ص ح ح ص .

فَأَسْنَى : ص ح / ص ح ص / ص ح ح .

الْمُنَى : ص ح ص / ص ح / ص ح ح .

اَلْقُصْوَى : ص ح ص / ص ح ص / ص ح ح .

إِذَا قَضَى : ص ح / ص ح ح / ص ح / ص ح ح .

مَا قَضَى : ص ح ح / ص ح / ص ح ح .

مَا أَمْضَى : ص ح ح / ص ح ص/ ص ح ح .

مَا أَعْطَى : ص ح ح / ص ح ص/ ص ح ح .

لَا يَهْفُو : ص ح ح / ص ح ص / ص ح ح .

لَا يَسْنَى : ص ح ح / ص ح ص/ ص ح ح .

ومن الامثلة كذلك ما قاله (عليه السلام) لشريح القاضي لما أقرَّ عنده أنه اشترى دارا بثمانين دينارا : ((**بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أشترى عبد ذليل ، من ميت أزعج بالرحيل ، أشترى منه دارا في دار الغرور ، من جانب الفانين، الى عسكر الهالكين، وتجمع هذه الدار حدود أربعة : الحد الأول منها ينتهي الى دواعي الآفات، والحد الثاني منها ينتهي الى دواعي العاهات، والحد الثالث منها ينتهي الى دواعي المصيبات، والحد الرابع منها ينتهي الى الهوى المردي، والشيطان المغوي، وفيه يشرع باب هذه الدار**))[1] .

ذَلِيلْ : ص ح / ص ح ح ص .

اَلْرَّحِيلْ : ص ح ص / ص ح / ص ح ح ص .

اَلْغُرُورْ : ص ح ص / ص ح / ص ح ح ص .

---

١ . نهج السعادة : ١/٦٢٨ . ٦٢٩ .

اَلْفَانِينْ : ص ح ص / ص ح ح / ص ح ح ص .

اَلْهَالِكِينْ : ص ح ص / ص ح ح/ ص ح/ ص ح ح ص .

اَلْآفَاتْ : ص ح ص / ص ح / ص ح ح ص .

اَلْعَاهَاتْ : ص ح ص / ص ح ح/ ص ح ح ص .

اَلْمَصِيْبَاتْ : ص ح ص / ص ح ص / ص ح ح ص .

اَلْمُرْدِي : ص ح ص / ص ح ص / ص ح ح .

اَلْمُغْوِي : ص ح ص / ص ح ص / ص ح ح .

اَلْدَّار : ص ح ص / ص ح ح ص .

ومن دعاء له (عليه السلام) : **((اللهم لك الحمد مثل ما حمدت به نفسك، وحمدك به الحامدون ، ومجدك به الممجدون ، وكبرك به المكبرون، وعظمك به المعظمون، حتى يكون لك مني وحدي في كل طرفة عين وأقل من ذلك، مثل حمد جميع الحامدين، وتوحيد أصناف المخلصين، وتقديس أحبائك العارفين، وثناء جميع المهللين ...))**[1] .

اَلْحَامِدُونْ : ص ح ص / ص ح ح / ص ح / ص ح ح ص .

اَلْمُمَجِدُونْ : ص ح ص / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح ح ص .

اَلْمُكَبِرُونْ : ص ح ص / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح ح ص .

اَلْمُخْلِصِينْ : ص ح ص / ص ح ص/ ص ح / ص ح ح ص .

اَلْعَارِفِينْ : ص ح ص / ص ح ح / ص ح / ص ح ح ص .

اَلْمُهَلِّلِينْ : ص ح ص / ص ح / ص ح ص/ ص ح / ص ح ح ص .

---

١ . نهج السعادة : ١٤٦/٦ .

ومن دعاء له (عليه السلام) جاء فيه : ((**اللهم اجعل خير أيامي يوم ألقاك، واغفر لي خطاياي فقد أوحشتني، وتجاوز عن ذنوبي فقد أوبقتني ، فانك مجيب منيب رقيب قريب قادر غافر قاهر رحيم كريم قيوم، وذلك عليك يسير ، وأنت أحسن الخالقين**))[1] .

أَلْقَاكْ : ص ح ص / ص ح ح ص .

خَطَايَايْ : ص ح / ص ح ح / ص ح ح ص .

أَوْحَشَتْنِي : ص ح ص / ص ح / ص ح ص / ص ح ح .

ذِنُوْبِي : ص ح / ص ح ح /ص ح ح .

أَوْبَقَتْنِي : ص ح ص / ص ح / ص ح ص / ص ح ح .

مُجِيْب ، مُنِيْب ، رَقِيْب ، قَرِيْب : ص ح / ص ح ح ص .

قَادِر ، غَافِر ، قَاهِر : ص ح ح / ص ح ص .

رَحِيْم ، كَرِيْم : ص ح / ص ح ح ص .

قَيُّوم : ص ح ص / ص ح ح ص.

يَسِيْر : ص ح / ص ح ح ص .

اَلْخَالِقِيْنْ : ص ح ص / ص ح ح / ص ح / ص ح ح ص .

وعن طريق هذا التحليل المقطعي لفواصل كلام الامام (عليه السلام) نجد أنَّ هناك مناسبة لطيفة بين مقاطع تلك الفواصل ، فالملاحظ هنا أنَّ المقطع الأكثر ورودا في هذه الفواصل جميعها هو المقطع الطويل ، سواء أكان مغلقا أم مفتوحا ، ثم يليه المقطع القصير المفتوح، إذ إنَّ أغلب هذه الفواصل تبدأ بالمقطع الطويل المغلق وتنتهي كذلك بالمقطع الطويل المغلق، أو المديد المغلق، ويتوسطها المقطع القصير المفتوح ، ما عدا بعض الفواصل التي تبدأ بالمقطع القصير المفتوح؛ لأنها جاءت مجردة من (ال) التعريف ، و يُلاحظ على هذه الفواصل أيضا تقاربها في أعداد المقاطع ، ولاسيما فواصل (الحامدون ، الممجدون ، المكبرون ...) ، وكذلك فواصل (مجيب ، منيب ، رقيب ، قريب) و(قادر، غافر، قاهر) .

---

١ . نهج السعادة : ٦/١٥ .

ومن هنا يتبادر في الذهن تساؤل عن سبب تراكم هذه الفواصل ذات المقاطع الطويلة في كل نص، وعن مدى حصول تناسب البناء المقطعي بينها ؟ .

وإنَّ الاجابةَ على هذا التساؤل تنطلق من كون هذه النصوص قد جاءت مشحونة بمعاني جليلة عظيمة، ذات قيمة معنوية عالية، وبما أنَّ الفاصلة هي خاتمة الكلام، لذا فإنَّ عظمة تلك المعاني وهيمنتها لا يناسبها سوى الفواصل ذات المقاطع الطويلة، لأنها تكون ذات جرس موسيقي عالٍ (يحاكي عظمة تلك المعاني وهيمنتها) ، وبذلك فإنها تولد أثرا في نفس المتلقي عند إشباع الصوت، مما يساعده على تنبيه المشاعر والاحاسيس الإنسانية لديه ، يقول الدكتور محمود عكاشة : (قد يؤدي طول المقطع الى المبالغة في المعنى مثل : " هذا الرجلُ طويل " بإشباع مد الياء أكثر من المألوف للدلالة على الطول غير الألوف)[١] ، ويقول في موضع آخر : (يؤدي طول المقطع الى التأثير في المتلقي، ويتحقق هذا في أصوات اللين (الالف والواو والياء) ؛ لأنها أوضح في السمع وأكثر أثرا في النفس من الاصوات الساكنة مثل : البلاد ، العماد ، الاوتاد ، سميع ، عليم ، عظيم ، المؤمنون ، القاسطون ، الساجدون)[٢] .

ومما تقدم يتبين أنَّ تراكم تلكم الفواصل ذات المقاطع الطويلة لم يكن اعتباطا ، لأنه قد عمل على تحقيق نوع من التلوين الصوتي، والايقاع الموسيقي الذي قد وُظِّفَ خدمةً لهذه المعاني الجليلة، وبذلك كانت هذه الفواصل هي بمثابة مؤثرات صوتية موسيقية ربطت الصوت بالمشهد فأصبح مشهدا مصورا .

وفضلا على ما تقدم فإنَّ تراكم أصوات اللين (الألف، والواو، والياء) في الفواصل أعلاه قد زاد في شحنة المعاني، وذلك عن طريق اشباع هذه الاصوات ومدِّها، وهو ما أصطلح عليه بعض المحدثين ((النبر المدي أو الطولي))[٣]، والذي يُلجأ إليه لغرض المبالغة في المعنى، يقول الدكتور غانم قدوري الحمد موضحا ذلك : ((واضاف بعض علماء التجويد سببا آخر ، وهو السبب المعنوي ، فقالوا : السبب المقتضي لزيادة المد قسمان : معنوي، ولفظي ، فالمعنوي هو قصد المبالغة في النفي في مثل :﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾[البقرة : ٢]، ومنه مد التعظيم في نحو : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[محمد : ١٩]))[٤] .

---

١ . التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة : ٤٢ .

٢ . المصدر نفسه : ٤٢ .

٣ . علم الصرف الصوتي : د. عبد القادر عبد الجليل : ١١٤ .

٤ . الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : د. غانم قدوري الحمد : ٤٤٣ .

المبحث الخامس

الجنـــــاس

الجناس لغة :

جاء في لسان العرب : أنَّ ((الجِنْسُ : الضَّربُ من كل شيء وهو من الناس ومن الطير ومن حدود النَحْوِ والعَرُوضِ والأَشياء جملةٌ ...، والجِنْسُ أَعم من النوع ومنه المُجانَسَةُ والتَجْنِيسُ، ويقال هذا يُجانِسُ هذا أَي يشاكله وفلان يُجانس البهائم ولا يُجانس الناسَ إذا لم يكن له تمييز ولا عقل))[١] .

الجناس اصطلاحًا :

مفهومه عند القدماء :

لقد تعددت تعريفات الجناس كثيرًا ، وذلك بسبب كثره تصرُّف العلماء في هذا الفن، إذ شرَّقوا فيه وغرَّبوا وتعدَّدت أقسامه عندهم، ومع تعدد تعريفات الجناس وكثرتها لابد من ذكر بعضها ايضاحا لمفهوم الجناس ومقصده، فقد عرَّفه أبو هلال العسكري بقوله : ((هو أن يورد المتكلم في الكلام القصير نحو البيت من الشعر، والجزء من الرسالة أو الخطبة كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتها في تأليف حروفها))[٢] .

وقال فيه ابن مالك : ((هو أن تأتي في غيرِ ردِّ العجز على الصدر بلفظتين بينهما تماثل في الحروف وتغاير في المعنى))[٣] ، وجاء في جوهر الكنز : ((وحدُّ التجنيس أنه اتفاق الالفاظ واختلاف المعاني))[٤] ، وقريب من هذا التعريف تعريف يحيى بن حمزة العلوي(ت٧٤٩هـ) الذي قال فيه : ((هو أن تتفق اللفظتان في وجه من الوجوه ويختلف معناهما))[٥]

مفهوم الجناس عند المحدثين :

لم يبتعد المحدثون عن القدماء في حدِّ (الجناس) ، فقد عرَّفه الدكتور عبد العزيز عتيق بقوله : ((هو تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى ، وهذان اللفظان المتشابهان نطقاً المختلفان في المعنى يُسميان (ركني الجناس) ولا يُشترط في الجناس تشابه جميع الحروف ، بل يكفي في التشابه ما نعرف به

---

١. لسان العرب : (جنس) ٤٣/٦ .

٢ . كتاب الصناعتين : ٣٣ .

٣ . المصباح في علم المعاني والبيان والبديع : ٨٤ .

٤ . جوهر الكنز : نجم الدين احمد بن اسماعيل بن الأثير الحلبي : ٩١ .

٥ . الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز : يحيى بن حمزة العلوي: ١٩/٥ .

المجانسة))[1]، وقيل فيه : هو أن يتفق اللفظان في وجه من وجوهٍ أربعة : نوع الحروف، أو عددها، أو هيئتها، أو تركيبها مع اختلاف المعنى[2] .

وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ مجمل ما تقدم من تعريفات ترى أن الجناس في الكلام يقوم على معيارين : الاول : صوتي ، والاخر : معنوي (دلالي) ، فالقاعدة التي رسمها القدماء لتحقق الجناس هو التقارب الصوتي بين بعض الالفاظ المجتمعة (المتراكمة) في نص واحد، وعليه فإن ألفاظ أي نص إذا لم يكن بينها تشابه صوتي في وجه من الوجوه لم تكن متجانسة وإن كانت مختلفة في المعنى .

أثر الجناس في التراكم الدلالي :

عن طريق ما تقدم من تعريفات الجناس، التي أشارت إلى أنَّه قائم على تعدد اللفظ المتشابه مع اختلاف المعنى، يبدو واضحا أنَّ الجناس يصب في حقل التراكم الدلالي القائم على تعدد الدوال وتعدد الدلالات .

وليس بغريب أنَّ التراكم الدلالي الحاصل عن طريق الجناس تتجلى فائدته على المستويين (اللفظي والمعنوي) ، فأما على المستوى اللفظي فإنَّ تشابه الألفاظ المتجانسة تُحدث إيقاعا تنغيميا يميل إليه السمع وتتشوق له النفوس ، يقول ضياء الدين ابن الاثير : ((إن تشابه ألفاظ التجنيس تُحدث بالسمع ميلاً إليه، فإنَّ النفس تتشوَّقُ إلى سماع اللفظة الواحدة إذا كانت بمعنيين، وتتوق الى استخراج المعنيين المشتمل عليهما ذلك اللفظ ، فصار للتجنيس وقعٌ في النفوس وفائدة))[3] .

وأما على مستوى المعاني فإن الجناس يعمل على توسعة ساحة المعنى، وذلك بإضافة معنى آخر يغاير معنى اللفظ الاول (المجانَس) بالفتح، فيحصل تراكم المدلولات أثناء التلاعب بالدوال، يقول الدكتور علي الجندي : ((هذا التلاعب الأخاذ الذي يلجأ إليه المجنِس ـ بالكسر ـ لاختلاب الأذهان واختداع الأفكار، فبينما هو يريك أنه سيعرض عليك معنى مكررا ولفظا مرددا لا تجني منه غير التطويل والانقباض والسآمة، إذا هو يروغ منك فيجلو عليك معنى مستحدثا يغاير ما سبقه كل المغايرة وإن حكاه بنفس الصورة وذات المعرض، فتأخذك الدهشة لهذه المفاجأة السارة اللذيذة التي أجدَّتْ عليك جديدا مفيدا لم يقع في حسابك، ولا ريبة أنَّ كل طريف يفجأ النفس ويباين ما كانت تنتظره تتنزى له وتتفتح وتستقبله بالبشر والفرح))[4]. والى هذا المعنى ذهب عبد القاهر الجرجاني من قبل وذلك في حديثه عن فائدة الجناس قائلا : ((قد أعاد عليك اللفظة كأنَّه

١. في البلاغة العربية . علم البديع : د. عبد العزيز عتيق : ١٩٦ .
٢ . ينظر : المفصل في علوم البلاغة العربية : د. عيسى علي العاكوب : ٦٣٢ .
٣ . جوهر الكنز : ١١١ .
٤ . فن الجناس : د. علي الجندي : ٢٩ ـ ٣٠ .

يخدعُك عن الفائدة وقد أعطاها، وقد يوهمك كأنه لم يُزدك شيئا وقد أحسن الزيادة، ووفَّاها فبهذه السريرة صار التجنيس وخصوصًا المستوفى منه المُتَفَقُ في الصورة من حُلَى الشعر))[١] .

إذًا فالجناسُ عنصرٌ مهمٌ من عناصرَ توليد المعاني وتعدّدها، يقول الدكتور إبراهيم سلامة : ((فهناك ألفاظٌ متفقة كُلَّ الاتفاق أو بعضه في الجرس، وهناك ألفاظ متقاربة أو متشابكة في المعنى بحيث تذكر الكلمة أختها في الجرس واختها في المعنى ، كما يولد المعنى الاول معنى ثانياً وثالثاً ، وهذه الحالة النفسية هي التي تشرح لنا كيف يقع التجنيس للشاعر دون معاناة إذا كان ملماً بلغته مُحسًّا بذوقها عالمًا بتصاريفها واشتقاقها))[٢] .

وبعد هذا العرض لابد من ذكر بعض أنواع الجناس مما له علاقة جادة في تحقيق التراكم الدلالي ، وهي كالاتي :

أ . جناس التصريف :

حدَّه ابن منقذ (ت٤٧٥هـ) بقوله : ((هو أن تنفرد كل كلمة من الكلمتين عن الاخرى بحرف))[٣] ، ومثَّل له بقوله تعالى : ﴿لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾[فاطر : ٤٢]، وقول الرسول (صلى الله عليه واله) : ((الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة))[٤] ، وهو عند ابن أبي الأصبع المصري (ت٦٢٤هـ) يعني : ((اختلاف صيغة الكلمتين بإبدال حرف من حرف إما من مخرجه أو من قريب منه))[٥] .

وهذا النوع من التجنيس يضم نوعين هما : تجنيس المضارع، وتجنيس اللاحق .

يقول شهاب الدين الحلبي (ت٧٢٥هـ) : ((ومن أجناس التجنيس تجنيس التصريف، وهو ما كان كالمصحف إلا في اتحاد الكتابة ثم لا يخلو من أن تتقارب فيه الحروف باعتبار المخارج أو لا تتقارب ، فإن تقاربت سُمِّي مضارعًا وإن لم تتقارب سُمِّي لاحقًا ، فالمضارع كقوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾ [الأنعام : ٢٦]، واللاحق كقول الإمام علي (عليه السلام) : (الدنيا دارُ ممرٍّ والآخرة دارُ مقرٍّ))[٦] .

---

١ . أسرار البلاغة في علم البيان : عبد القاهر الجرجاني : ١٦ .
٢ . بلاغة ارسطو بين العرب واليونان : د. ابراهيم سلامة : ١١٧ .
٣ . البديع في نقد الشعر : اسامة بن منقذ : ٢٢ .
٤ . صحيح البخاري : ١٠/ ٢٨٢ ، والسنن الكبرى للنَّسائي : ٣٩/٣ .
٥ . تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن : ١٠٧ .
٦ . حسن التوسل الى صناعة الترسل : شهاب الدين الحلبي : ٩٥ .

وقد فرق بينهما ابن حجة الحموي (ت٨٣٧هـ) حين قال: ((وأما اللاحق فقلَّ من فرق بينه وبين المضارع ، والمراد بالمضارع المشابه، والفرق بينهما دقيق فإنَّ اللاحق هنا ما أُبدل من أحد ركنيه حرف من غير مخرجه ، ومتى كان الحرف المبدل من مخرج المبدل منه سمي مضارعا، وإن كان قريبًا منه كان مضارعًا أيضا...، والمضارع هو المتشابه في المخرج كقوله تعالى :﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ﴾[الأنعام : ٢٦]، ومنه قوله (صلى الله عليه وسلم) : الخيل معقودٌ في نواصيها الخير الى يوم القيامة) ... ، واللاحق قد تقدم أنه ما أبدل من أحد ركنيه حرف من غير مخرجه كقوله تعالى :﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ [الضحى :٩ ـ ١٠] ، ومن النظم قول البحتري[١] :

عجبَ الناسُ لاعتزالي وفي الأط رافِ تُلْفَى منازلُ الأشرافِ

وقعـــودي عـــن التَّقَلُّـبِ والأرْ ضُ لمثلي رحيبةُ الأكنافِ

لســتُ عـن ثروةٍ بلغتُ مَــداها غيرَ أني امرؤ كفاني كفافي

فـ (كفاني) و (كفافي) هو اللاحق الذي لا يلحق))[٢] .

وقد كان لهذا اللون من التجنيس حضورًا مُميَّزًا في نهج السعادة، فمن أمثلته ما جاء في وصية الإمام (عليه السلام) لجيشه يوم صفين وهو يحضهم ويحثهم على المنازلة : ((**معاشر الناس استشعروا الخشية وأميتوا الأصوات وتجلببوا بالسكينة وأكملوا اللامة، وقلقلوا السيوف في الغمد قبل السلة، والحظوا الخزر ، واطعنوا الشزر ، ونافجوا بالظبا وصلوا السيوف بالخطا**))[٣] .

فقد تمت المجانسة بين لفظتي (الخزر، والشزر) في قوله (عليه السلام) : (الحظوا الخزر، واطعنوا الشزر)، على سبيل جناس التصريف، ذلك أن كل من كلمتي (الخزر والشزر) قد انفردت بحرف خاص بها، وهذا النوع هو من (التجنيس المضارع) ؛ ذلك أنَّ صوتي (الخاء والشين) المتبادلين قد تقاربا في المخرج؛ لأنَّ مخرج صوت (الخاء) كان من أقصى الحنك[٤] ، وأما مخرج صوت (الشين) فهو من وسط الحنك[٥] .

---

١ ـ ديوان البحتري : ١٣٨٦ ـ ١٣٨٧ .

٢ ـ خزانة الأدب وغاية الأرب : ٢٩ .

٣ ـ نهج السعادة : ٨/ ٣٢٨ .

٤ ـ ينظر : علم اللغة : د. السعران : ١٧٧، والمصطلح الصوتي : ٦٨ .

٥ ـ الأصوات اللغوية : د. إبراهيم انيس : ١٠٧ .

وتجدر الاشارة إلى أنَّ الخزر و الشّزر هما صفتان لمصدرين محذوفين، وتقدير الكلام هو : الحظوا لحظًا خزرًا ، واطعنوا طعنًا شزرًا .

وتبدو صورة التراكم الدلالي جلية في هذه المجانسة الصوتية، إذ شكَّل تداعي (اجتماع) لفظي (الخزر والشزر) تراكما لفظيا، وكانت مناسبة هذا التداعي هو التشابه الصوتي بينهما، ثم إنَّ اختلاف دلالتي اللفظين قد أنتج تراكما دلاليا؛ ذلك أنَّ ((الخَزَر هو ضيق العين وصغَرُها، يقال رجلٌ أخزَر وامرأة خزراء، وتخازرَ الرجُل إذا قبض جفنَيه ليحدِّد النّظَر))[١]، و((الطَّعْنُ الشَّزرُ ما طعنت بيمينك وشمالك))[٢] .

ومع اختلاف دلالتي (الخزر والشزر) الا أنه يلمح في اللفظين معنى ثانوي يمكن أن يكون هو الجامع بينهما، وهو (دلالة الغضب)، ذلك أنَّ الخزر بالعين هو إمارة الغضب، و إنَّ الطعن عن اليمين والشمال هو نتاج ذلك الغضب، يقول المحمودي : ((والخزر ـ محركة ـ النظر من أحد الشقين وهو علامة الغضب))[٣] .

وفضلا على تراكم دلالتي الخزر والشزر في النص العلوي فإنَّ معنى الغضب المتولد منهما قد أسهم في توسيع ساحة المعنى، ومن ثم زاد من تراكم الدلالات .

ومن مصاديق هذا النوع من الجناس الرامية الى التراكم الدلالي ما جاء في وصيةٍ له (عليه السلام) لابنه محمد ابن الحنفية (رضوان الله عليه) ، والتي قال فيها : ((**واعلم يا بني أنه مالك من دنياك إلا ما أصلحت به مثواك ، فأنفق من خيرك، ولا تكن خازنًا لغيرك**))[٤] .

يكشف لنا النص الشريف عن تراكم لفظي ودلالي تتحقق عن طريق جناس التصريف بين لفظي (**خيرك وغيرك**)، وليس بعيدا إذا قلتُ : إن سبب هذا التداعي (التراكم) هو توافق اللفظين صوتيا وتخالفهما دلاليا، إذ يبدو التقارب الصوتي بينهما كبيرا جدا، لاسيما على صعيد الاصوات المتبادلة (الخاء والغين) ، إذ تجد أن هذين الصوتين لا يصدران الا من مخرج صوتي واحد وهو مخرج أقصى الحنك[٥] ، فضلا على أنهما يشتركان في أغلب صفاتهما الصوتية، يقول الدكتور ابراهيم انيس : ((تشترك الخاء مع الغين في كل شيء غير أنَّ الغين صوت مجهور نظيره المهموس هو الخاء، فكل من الغين والخاء صوت رخو ومخرجهما واحد))[٦] .

---

١ . معجم مقاييس اللغة : (خزر) ١٤٤/٢ .
٢ . لسان العرب : (شزر) ٤٠٤/٤ .
٣ . نهج السعادة : ٣٢٨/٨ .
٤ . المصدر نفسه : ١١/٥ .
٥ . ينظر : علم اللغة : د. السعران : ١٧٧، والأصوات اللغوية : د. إبراهيم أنيس : ٨٣ .
٦ . الأصوات اللغوية : ٨٥ .

وقد ولَّد هذا التجانس الصوتي بين لفظي (خير، وغير) تراكمًا صوتيًا أسهم في تحسين الكلام وتزينه كي تستذوقه الأسماع ويتوق إليه المتلقي، ولا يقتصر الأمر عند هذا الحد بل يتعداه إلى ما هو أكبر وأجل، وهو توليد معانٍ ثانوية تسهم في ركم دلالة النص الشريف .

فالذي يبدو في كلمة (خير) ومن خلال السياق الذي وردت فيه أنها تتسم بالسعة الدلالية (الشمولية) ؛ كونها لفظا عاما يصدق على كل ما يملكه الإنسان من أموال أو أرض أو حيوان أو زرع أو غيرها ، وهذه التعددية للأصناف لا تخرج عن دائرة الملك الحلال الطيب، ولذا قيل في أصل وضعه : إنَّ ((الخير ضد الشر))[1]، ومن هنا كان الأمر بالإنفاق من صنف هذه الاقسام الحلال فحسب .

وأما عن كلمة (غير) فلا تقل مساحتها الدلالية عن كلمة (خير)، فقد كان اختيار الإمام (عليه السلام) لها في هذا المقام في غاية الروعة والابداع؛ وذلك لما تراكم فيها من معان عدة، يمكن إجمالها في الآتي :

١. إنَّ (غير) كلمة تفيد المغايرة، أي مغايرة مجرورها لموصوفها إما ذاتا أو صفةً، وهذه هي دلالتها الأصل، يقول الشيخ الخضري (ت١٣٤٥هـ) : ((واعلم أن أصل (غير) كونها صفة مفيدة لمغايرة مجرورها لموصوفها ذاتًا أو صفةً))[2] .

فالمغايرة بالذات نحو (محمد غير إبراهيم)، فشخصُ محمدٍ غيرُ شخصِ إبراهيم، والمغايرة بالصفة نحو قوله تعالى : ﴿ نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾[فاطر : ٣٧] ، ومررتُ برجلٍ غيرِ طويل[3] ، وانطلاقًا من هذا الرأي فإنَّ كلمة (غيرك) في كلام الإمام (عليه السلام) تعني كون شخص المخزون له مغاير لشخص الخازن أو المنفق من الخير .

٢. إنَّ (غير) في هذا المقام تدل على عموم المغايرة، وهو معنى إضافي، ولذا تجد أنَّ الإمام (عليه السلام) إنما قال : (لا تكن خازنا لغيرك)، ولم يقل مثلا : (لمن يرثك)، أو (لخاصتك) أو غير ذلك من التقديرات؛ لأنَّ (غير) تشمل عموم الورثة وغيرهم، في حين أنَّ لفظ (الورثة) يكون خاصا لا يشمل سوى وارثي الميت ، ومن هنا وبهذا التعبير كأنه (عليه السلام) قال : لا تخزن للورثة، لا تخزن لغيرهم ... الخ .

ودلالة (غير) على معنى العموم والشمول قد نبَّه عليها الدكتور فاضل السامرائي بقوله : ((تقول : (لا تعبد الا الله) و (لا تعبد غير الله) فالمطلوب في الاولى عبادة الله وحده ، والثانية قد تكون بمعنى الأولى وقد

---

١ . لسان العرب : (خير) ٢٦٤/٤.

٢ . حاشية الخضري : الشيخ محمد الخضري الشافعي : ٢٠٨/١ .

٣ . ينظر : شرح المفصل : ابن يعيش : ٢٠٠/١، وشرح الرضي على الكافية : ٢٦٧/١، ومعاني النحو : ٢٢٦/٢ .

تكون لمعنى آخر، وهو النهي عن عبادة غير الله، وغير الله الصنم والحجر وغيرهما، فكأنه قال في الجملة الثانية : لا تعبد الصنم، لا تعبد الحجر، لا تعبد الشجر ونحوه))[١] .

٣. فضلا على ما تقدم فإنَّ في مجيء لفظة (غير) نكتة لغوية أخرى، وهي السماح باجتماع دلالتي (النهي والأمر) معا في مقامٍ واحد، وتكون دلالة النهي صريحة، بينما دلالة الأمر تكون ضمنية (استلزامية) تُفهم من فحوى الكلام، جاء في معاني النحو : ((وأما قولك : لا تعبد غير الله ، فهو نهي عن عبادة غير الله ، ومضمونه الأمر بعبادة الله))[٢] ، ومثل هذا المثال أيضا قولك : (لا تقرأ غير هذا الكتاب) فهي تدل على النهي عن قراءة أي كتاب، و تدل في الوقت نفسه على الأمر بقراءة ذلك الكتاب المشار إليه فحسب .

وبلحاظ ما تقدم فإن قوله (عليه السلام) : (لا تكن خازنا لغيرك) إنما أراد به النهي عن الخزن للغير، والأمر ضمنا بالإنفاق من ذلك المخزون وهو (الخير)، وبذلك فقد حصل تكرارٌ لأمر الإنفاق مرتين : **الاولى** : كانت صريحة في قوله (فانفق من خيرك)، **والثانية** : كانت ضمنية من خلال النهي في قوله : (ولا تكن خازنا لغيرك)، ومن هنا يتبين حدوث التراكم الدلالي لأمر الإنفاق من الخير مرتين .

٤. زد على ما تقدم إنَّ جرس صوت الغين في (غير) لا يخلو من إيحاءٍ صوتي يدل على الغياب والبعد والخفاء، يقول الدكتور صالح سليم الفاخري : ((الغين : يدل على الاستتار، والغيبة، والاختفاء إذا كان في أول الكلمة نحو : غاب، غار (اختفى)، الغبس (الظلمة)، الغبش (بقية الليل)، الغبي (الذي به غفلة)، الغدر، الغرب (البعد)، غرق، غرس، الغسق، غفر، الغيظ، الغيم ...))[٣] .

ومن كل ما تقدم يتبين سر التجانس الحاصل بين لفظي (خيرك، وغيرك) في تحقيق التراكم الدلالي بمستوييه (الصريح والضمني) .

ومن مصاديق هذا الجناس كذلك ما جاء في قوله (عليه السلام) : ((**اعلم أنَّ كُفرَ النعمةِ لؤمٌ، وصُحبةَ الجاهلِ شؤمٌ**))[٤] .

ففي النص العلوي تجانست كلمتا (لؤم، وشؤم) صوتيا، إذ اتفقت هاتان الكلمتان بصوتي (الهمزة ، والميم) ولكن انفرد كلٌّ منهما بصوت خاص، وهذا التجانس يعرف بـ (الجناس اللاحق) ، إذ إنَّ صوتي (اللام ،

---

١ . معاني النحو : ٢٢٨/٢ .

٢ . المصدر نفسه : ٢٢٩/٢ .

٣ . الدلالة الصوتية في اللغة العربية : د. صالح سليم عبد القادر الفاخري : ١٥٠ .

٤ . نهج السعادة : ٥٣/١ .

والشين) المتبادلين لم يصدرا من مخرج واحد، وإنما صدرا من مخارج مختلفة، فمخرج (اللام) كان من حافة اللسان[١] ، و مخرج (الشين) كان من وسط الحنك[٢] .

وعلى الرغم من تباعد المخرج الصوتي إلا أن اللفظين متجانسان، وقد أحدث تجانسهما تراكما صوتيا أكسب الكلام حسنا بما أحدثه من تلوين إيقاعي .

بيد أنَّ هذه المجانسة لم تقتصر على الجانب الصوتي فحسب، بل إنها تتعدى ذلك الى المجانسة الدلالية بين لفظي (لؤم، وشؤم) ، وما يؤيد ذلك أنهما ينتميان إلى حقل دلالي واحد، هو حقل صفات الذم، فـ ((اللؤم ضد العِتق والكرم، واللئيم الدَّنيء الأَصل الشحيح النفس، وقد لَؤُم الرجلُ بالضم يَلؤُم لُؤْما على فُعْل، ومَلأَمةً على مَفْعَلة ، ولامةً على فَعالةَ فهو لئِيمٌ من قوم لئامٌ، ولُؤَماء))[٣]، وأما الشؤم : فهو الشر[٤] ، يقول المحمودي : إنَّ ((اللؤم : دناءة الأصل ومهانة النفس، والشؤم : ضد اليمن والبركة))[٥] .

وبلحاظ هذا الأمر فإنَّ هذه الزيادة بمساحة المعاني الذميمة قد مهدت لإنتاج هذه التراكمات الدلالية تحت باب الجناس اللاحق ، فضلا على أنَّ تكرار صوت الهمزة فيهما قد راكم المساحة الصوتية بجرسه القوي المناسب للمعنى المعجمي .

ب . الجناس المعكوس :

الجناس المعكوس ((هو أن يُقدم المتكلم المُؤخَر من الكلام ويُؤخر المُقدَّم منه))[٦] ، وقيل فيه : ((أن تعكس الكلام فتجعل في الجزء الأخير منه ما جعلته في الجزء الأول، وبعضهم يسميه التبديل))[٧] .

وهذا النوع من الجناس كثير الورود في النثر والشعر؛ لأنه يُكسب الكلام رونقًا وجمالًا، يقول ابن الأثير : ((وهذا الضرب من التجنيس له حلاوة وعليه رونق))[٨]، ومما ورد منه في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾[الأنعام : ٩٥] ،

١ . ينظر : سر صناعة الاعراب : ابن جني : ١/ ٤٧ ،
٢ . ينظر : الكتاب : ٤/٤٣٣ ، وسر صناعة الاعراب : ١/٤٧ .
٣ . لسان العرب : (لأم) ١٢/٥٣٠ .
٤ . ينظر : المعجم الوسيط : (شر) ١/٩٧٤ .
٥ . نهج السعادة : ١/٥٣ .
٦ . معجم المصطلحات البلاغية : د. أحمد مطلوب : ٣/ ٩٨ .
٧. كتاب الصناعتين: ٣٧١، وينظر : فن الجناس : ١٠٩ .
٨ . المثل السائر : ١/٢٦١ .

وقوله تعالى : ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[فاطر : ٢]، ومن الحديث الشريف قول النبي (صلى الله عليه وآله) : ((جارُ الدارِ أحقُّ بدارِ الجارِ))[١] .

ومما ورد من الشعر قول الأضبط بن قريع الجاهلي[٢] :

قَدْ يَجْمَعُ الْمَالَ غَيْرُ آكِلِهِ ... وَيَأْكُلُ المَالَ غَيْرَ مَنْ جَمَعَهْ

وَيَقْطَعُ الثَّوْبَ غَيْرُ لاَبِسِهِ ... وَيَلْبَسُ الثَّوْبَ غَيْرُ مَنْ قَطَعَهْ[٣]

ومنه أيضا قول المتنبي[٤] :

فَلاَ مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ ... وَلاَ مَالَ فِي الدُّنْيا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ

وفي هذا المقام يجب الإشارة إلى مسألة مهمة فيما يخص الجناس المعكوس أو التبديل، وهي أنّ بنيته الثنائية ((لا تتم إلا بين التراكيب، فلا مدخل لها بين المفردات، كما أنَّ هذه الثنائية لا تقوم على نفي أحد الطرفين للآخر، بل من المحتم تلازمهما، لكنه تلازم مع المغايرة، على معنى أن اكتمال بنية العكس بمجيء الطرف الثاني، يترتب عليه تعديلا في المعنى على نحو من الأنحاء، لأنَّ التغاير في شكل التركيب ... يقتضي تغاير الناتج الدلالي))[٥] .

ولعل ذلك التعديل في المعنى، أو تغير الناتج الدلالي إنما هو مصدر لتوليد دلالات متنوعة متغايرة ، يُحدث اجتماعها في نصٍ واحدٍ تراكمًا دلاليًا على المستويين : الصوتي، والدلالي .

ولو عرَّجنا على نهج السعادة لوجدنا أنَّ هذا النوع من التجنيس قد شكل ظاهرة بارزة ؛ وذلك لكثرة وروده في أقوال الإمام (عليه السلام)، ولاسيما تلك التي تتعلق بتوحيد الله وبيان عظمته وقدرته جلَّ جلالُه، ومن ذلك ما جاء في كلامٍ له (عليه السلام) في بيان ما لله تعالى من صفات الجلال والجمال، ومرتبة معرفة الله وتوحيده وإخلاص التوحيد له تعالى : ((**إنَّ أول الديانة معرفة الله، وكمال معرفته توحيده ، وكمال توحيده**

---

١ . السنن الكبرى : للبيهقي : ١٠٦/٦ .

٢ . هو الأضبط بن قريع بن عوف بن كعب السعدي التميمي. شاعر جاهلي قديم، وسيد من سادات بني تميم، أساء قومه إليه، فانتقل فانتقل عنهم إلى آخرين ففعلوا كالأولين، فقال: بكل واد بنو سعد ! يعني قومه، ينظر : كتاب الأغاني : لأبي الفرج الأصفهاني : ١٨/ ٩٢ ـ ٩٣، و الأعلام : خير الدين الزركلي : ٣٣٤/١ .

٣ . ينظر : خزانة الأدب وغاية الأرب : ٤٤١/١ .

٤ . ينظر : ديوان المتنبي : ٤٥٤ .

٥ . بناء الأسلوب في شعر الحداثة (التكوين البديعي)، د. محمد عبد المطلب: ٣٢١ .

الاخلاص له، وكمال الاخلاص له نفى الصفات عنه، بشهادة كُلِّ صفةٍ أنها غير الموصوف، وشهادة الموصوف أنَّه غير الصفة، وشهادتهما جميعًا بالتنبيه على أنفسهما بالحدث الممتنع من الأزل))[1] .

فقد تمثل الجناس المعكوس في قوله :

بشهادة كل صفة أنَّها غير الموصوف

وشهادة الموصوف أنَّه غير الصفة

فإنَّ تعاكس أو تبادل مواقع الألفاظ قد أسهم في تحريك التراكيب وتحريك الدلالة، فأما تحريك التراكيب فقد نتج عنه تكرار الألفاظ نفسها مع تغيير مواقعها، وأما تحريك الدلالة فتمثَّل بتدوير المعنى نفسه بين شيئين مختلفين، فقد دلت العبارة الأولى على اختلاف الصفة عن الموصوف، وعلى الرغم من اختلافها عنه ألا أنها محتاجة إليه ولا تقوم من دونه، وفي العبارة الثانية دلت على اختلاف الموصوف عن الصفة ، وهو كذلك محتاج لتلك الصفة ولا يمكنه القيام من دونها، يقول الشيخ المحمودي : ((استدل (عليه السلام) على نفي زيادة الصفات بأنَّ العقول تشهد بأنَّ كل صفة محتاجة إلى الموصوف لقيامها به، والموصوف كذلك لتوقف كماله بالصفة، فهو في كماله محتاج إليها، وكل محتاج ممكن فلا يكون شيء منهما واجبا ولا المركب منهما، فيحتاجان إلى علة ثالثة ليست بموصوف ولا صفة))[2] .

ومن هنا يتضح تكرار معنى المخالفة والاحتياج في كلتا العبارتين ، والذي يبدو أن تراكم معنى الاحتياج في كل من الصفة والموصوف لبعضهما قد انبثق عنه معان ثانوية تمثلت بـ (التلازم، وعدم الفردانية)، فإنَّ تلازم تلك المخلوقات لبعضها وعدم فردانيتها دليلٌ على عظمته وحدانيته وكمال قدرته جلَّ جلاله .

ومن المصاديق على هذا الجناس أيضا ما جاء في قوله (عليه السلام) واصفا به عظمة الخالق عز وجل : ((**عَلِمَ ما خَلَقَ ، وخَلَقَ ما عَلِمَ**))[3] .

فقد حققت عملية التعاكس (التبديل) بين المفردات من خلال التقديم والتأخير في المواضع زيادة في حقل التراكيب فضلًا على زيادة المعنى مع الحفاظ على الجانب الصوتي في كلا التعبيرين، فمن خلال التبادل الحاصل تمَّ توليد تركيب جديد كان الغرض منه توليد معنى جديد يوازي المعنى الأول، ويعادلهُ بالقوة، فقد دلَّ التركيب الأول على تعلق علمه تعالى بمخلوقاته بعد خلقها، فيما دلَّ التركيب الثاني على تعلق علمه

---

١ . نهج السعادة : ٣/٣٩ .

٢ . المصدر نفسه : ٣/ ٤١ .

٣ . المصدر نفسه : ٢/٢٧٧ .

بمخلوقاته قبل خلقها، ومن تراكم هذين المعنيين يتولد معنى آخر هو التأكيد على أنَّ علمه تعالى واحد وثابت سواء قبل الخلق أم بعده، يقول المحمودي : ((أي إنَّ علمه بمخلوقاته سيان قبل خلقهم وبعده))[١]، وقال في موضع آخر : ((أي إنَّ ما خلقه الله تعالى وأوجده هو عين ما تعلق به علمه قبل خلقه إياه ، وما علمه بأن سيخلقه هو عين ما خلقه بعد ، أو عين ما أراد أن يخلقه بعد فخلقه))[٢] .

ومن الجناس المعكوس كذلك قوله (عليه الصلاة والسلام) في إحدى وصاياه : ((... **إذا كان الرِفقُ خرقًا كان الخرقُ رِفقًا**))[٣] .

فالمنعم النظر في النص الشريف يلحظ أنَّ الجناس المعكوس تظهر فائدته في تحقيق التراكم الصوتي والمعنوي؛ فقد شكَّل تكرار الألفاظ نفسها في تركيبين مختلفين ركامًا صوتيًا أكسب النص رونقا وجمالا وقبولا لدى المتلقي، فيما حققت إعادة تدوير الألفاظ ركم تراكيب جديدة يرمي من خلالها الامام (عليه السلام) إلى وجوب مراعاة الإنسان لمقامي (اللين والرأفة)، و(العنف والشدة) وأن يعطيهما حقهما عند تعامله مع الآخرين، يقول المحمودي : ((والخرقُ بالضم فالسكون كقفل : العنف والشدة، والرفقُ كحبر : المداراة واللين، وحاصلهُ : إنَّ كُلَّ مقامٍ يلزم أن يُعطى حقه، فإن كان المقام مقام العفو والإغماض كما إذا كان الحق لك وطرفك شخصٌ شريفٌ كريمٌ يزيده التجاوز والعفو برًا وصلاحًا ومعدلة، فينبغي العفو، وإن كان الخصمُ ممن يزيده العفو عتوًا ودناءةً وجرأةً على الفساد والإفساد كما في أغلب سواد الناس، أو كان الحق المتنازع فيه من قبيل حق الله فالمقام مقام الشدة والعنف، ولا ينبغي اللين والرقة))[٤] .

ولعل المقابلة بين مقامي (اللين والرأفة)، و(العنف والشدة) إنما يتولد عنهما معنى عام هو وجوب مراعاة توظيف طريق الإصلاح خدمة للصالح العام .

ومما تقدم يمكن تلمس فائدة الجناس المعكوس في الاتي :

١. لقد شكل توليد الجمل الثواني النابعة من رحم تلك الجمل الأوائل (الأصل) تراكما لفظيا، و يتمثل هذا التوليد بإعادة تدوير /تكرار مفردات الجمل الاوائل في جمل أخرى تابعة لها، ولكن بصياغات مختلفة، وتكمن فائدة هذا التكرار / التراكم اللفظي الذي أعتمده الامام (عليه السلام) هنا في أمرين :

الاول : تحقيق الاقتصاد اللفظي، فقد عمد الامام (عليه السلام) إلى إنتاج جمل عديدة بألفاظ قليلة .

---

١ . نهج السعادة : ٢/٢٧٧ .
٢ . المصدر نفسه : ٣/ ٢٥٣ .
٣ . المصدر نفسه : ٤/٢٢٤ .
٤ . المصدر نفسه والصفحة .

والثاني : وهو الأهم إنَّ هذا اللون من التفنن يُكسبُ الكلام رونقًا وجمالًا ، فضلا على أنَّه يُعد بمثابة محفزات لغوية تنبه الأذهان وتنشطها، يقول دكتور ماهر مهدي هلال في هذا الصدد : ((فإن ترجيع الألفاظ المتشابهة تدق السمع وتوقظ الأذهان وتتشوق لوقعها النفوس))[١] .

٢. زد على ذلك إنَّ نظام إعادة تدوير الألفاظ الذي اعتمده الإمام (عليه السلام) في الجمل المتولدة قد أسهم في توليد معان جديدة مغايرة (مخالفة) لما هو موجود في الجمل الأصلية، ولا ريب إنَّ تتابع المعاني المتخالفة (المتغايرة) قد يتولد عنه معان ثانوية ايحائية (ضلال معاني) تمثل حلقة الوصل بينها ، ومن هذا المنطلق فقد شكل تتابع (تعدد) تلك المعاني تراكمات دلالية متوافقة مع بعضها لإثراء النص العلوي دلاليًا .

ج . جناس الاشتقاق :

ويسمى الجناس المشتق، ويُعرَّف بأنَّه ((ما توافق فيه اللفظان في الحروف الأصلية مع الترتيب والاتفاق في أصل المعنى))[٢] ، كقوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ ﴾[الروم : ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾[الواقعة :٨٩]، ومنه قول أبي تمام :

وَأَنجَدتُمُ مِن بَعدِ إِتهامِ دارِكُم فَيا دَمعُ أَنجِدني عَلى ساكِني نَجدِ[٣]

وهذا النوع من الجناس أطلق عليه شهاب الدين الحلبي (ت٧٢٥هـ) (جناس الاقتضاب)، إذ قال فيه : ((ويسمى الاقتضاب أيضا، وهو أن تجيء بألفاظ يجمعها أصل واحد في اللغة))[٤] ، كما قد فرَّق ابن حجة الحموي بينه وبين الجناس المطلق بقوله : ((أما الجناس المطلق فلشدة تشابهه بالمشتق يوهم أحد ركنيه أنَّ أصلهما واحدٌ وليس كذلك كقوله تعالى : ﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾[يونس : ١٠٧]، وكقوله تعالى : ﴿ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾[المائدة : ٣١]، فهذه الأركان هنا شواهد على الجناس المطلق ليس فيها ركنان يرجعان إلى أصل واحد كالمشتق بل جميع ما ذكرنا أسماء أجناس وهي محمولة على عدم الاشتقاق))[٥] .

---

١. جرس الألفاظ ودلالتها : د . ماهر مهدي هلال : ٢٧٣ .
٢ . فن الجناس : ١١٤ .
٣ . ديوان أبي تمام : ١١٠/٢ .
٤ . حسن التوسل إلى صناعة الترسل : ١٩٣ .
٥ . خزانة الأدب وغاية الأرب : ٢٥ .

وقد أكَّد الدكتور علي الجندي أنَّ هذا النوع من الجناس يختص بالاشتقاق الأصغر فحسب دون الاشتقاقين (الأكبر أو الأوسط) ، فقوله تعالى مثلا : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ ﴾[الروم : ٤٣]، أنَّ (أقم) و(قيِّم) مشتقان من قام يقوم على مذهب الكوفيين، أو مشتقانِ من القيام على مذهب البصريين[١] .

ومن مصاديق هذا الجناس في نهج السعادة ما جاء في أحد أدعيته (عليه السلام) : ((**الحمد لله أول محمود، وآخر معبود، وأقرب موجود، البدئ بلا معلوم لأزليته، ولا آخر لأوليته، والكائن قبل الكون بغير كيان، والموجود في كل مكان بغير عيان، والقريب من كل نجوى بغير تدان**))[٢] .

فإنَّ تتابع (تراكم) ألفاظ (الكائن، والكون، والكيان) في عبارة : (**الكائن قبل الكون بغير كيان**) قد شكل جناسًا اشتقاقيًا، ومما يؤكد ذلك هو رجوع تلك الألفاظ المتجانسة إلى جذر لغوي واحد قد اشتقت منه، هو الجذر (كون) ، فتقول : ((كانَ يَكُون كَونًا، وكِيانًا، وكَينُونَةً فهو كائِن))[٣] .

وقد أسهم هذا التجانس في ركم فوائد عدة، يمكن بيانها في الآتي :

١. ولَّد تكرار صوتي (الكاف) و(النون) في كل مشتق ترجيعًا صوتيًا أكسب النص الشريف إيقاعا تنغيميا جعل من النص أكثر مقبولية عند المتلقي .

٢. لا يخفى أنَّ كل مشتق من تلك المشتقات إنما يمثل وحدة اختزالية ذات دلالة تراكمية؛ إذ يدلُّ اسم الفاعل (كائن) على معانٍ ثلاثة هي : حدث الوجود، وثبوت الحدث، وذات الفاعل جلَّ جلاله، فيما يدلُّ المصدر (كون) دلالة ركامًا على الموجودات جميعها؛ فهو لفظ يفيد العموم؛ إذ يعني ((الوجود المطلق العام))[٤]، ويدلُّ المصدر (كيان) دلالة ركامًا كذلك على الهيئة و البنية، والذات، والوجود، والطبيعة، والخليقة[٥] .

٣. عن طريق إيراد تلك المعاني المتراكمة أراد (عليه السلام) بيان عظمة الخالق جلت قدرته، فإنه تعالى ثابت الوجود، وموجود بغير هيأة أو بنية أو ذات أو طبيعة محددة، ووجوده أزلي فهو موجودٌ قبل كل الموجودات جميعًا .

ويمكن توضيح التراكم الدلالي الحاصل من طريق الجناس الاشتقاقي في النص العلوي في ضوء المخطط الاتي :

---

١ . ينظر : فن الجناس : ١١٤ .

٢ . نهج السعادة : ٦/ ٢٠٨ .

٣ . لسان العرب : (كون) ٣٦٣/١٣، وينظر معجم اللغة العربية المعاصرة : ١٩٧٣.

٤ . المعجم الوسيط : (كون) ٥٢٨/٢ .

٥ . ينظر : معجم اللغة العربية المعاصرة : ١٩٧٤ .

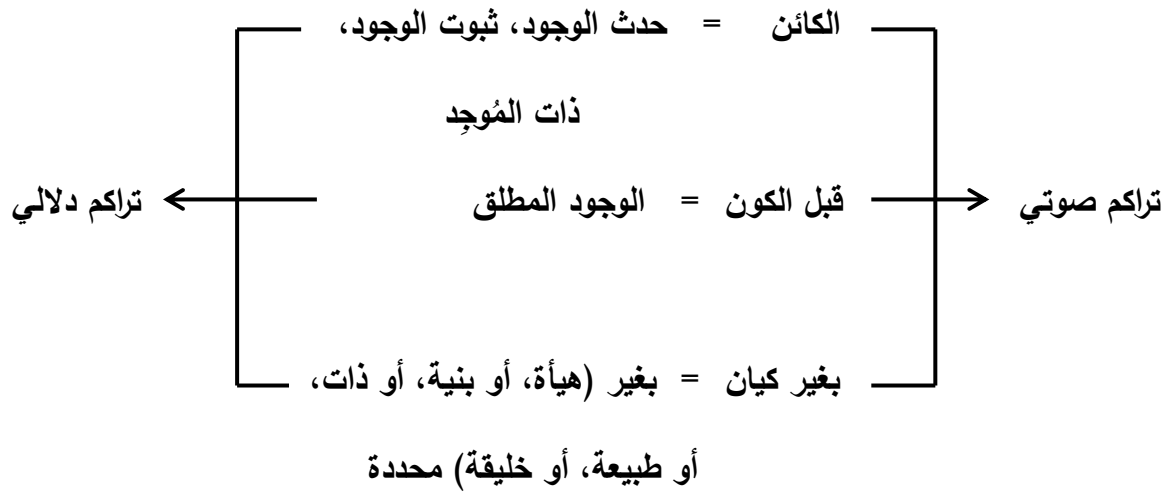

ومن أمثلة هذا الجناس أيضا ما جاء في أحد أدعيته (عليه السلام) التي قال فيها : ((**يا معطي الخيرات من أماكنها ومرسل البركات من معادنها، منك الغيث المغيث، وأنت الغيَّاثُ المستغاثُ، ونحن الخاطئون وأهل الذنوب، وأنت المُستغفَرُ الغفَّار، نستغفرك للجهالات من ذنوبنا، ونتوب اليك من عوامِّ خطايانا**))[١] .

فقد حصل جناس الاشتقاق في النص الشريف في موضعين :

الاول : (منك الغيثُ المغيثُ، وأنت الغيَّاثُ المستغاث)، ومعنى (الغيث المغيث) : المطر العام (الشامل)[٢]، ومعنى (الغياث) هو الاسم من الإغاثة، والمستغاث : الذي يُستغاث به أي يفزع إليه في الشدائد[٣] .

والثاني : (أنت المُستغفَرُ الغفَّار، نستغفرك للجهالات من ذنوبنا) .

وفي كل ذلك أفاد تراكم المشتقات الدلالة على معان عدة منها : بيان سعة رحمته ومغفرته تعالى لعباده المغفرة، فمنه تعالى الغيث وهو الغيَّاث، وهو المُستغفَر وهو الغفار، تأكيد معنى الإغاثة والمغفرة وإثباتهما لدى المتلقي، ديمومة الحدث واستمراره ، الاقتصاد اللغوي في استعمال المادة اللغوية، الانسجام الصوتي الرامي إلى تلوين النص موسيقيًا .

و من مصاديق هذا الجناس كذلك ما جاء في كلامه (عليه السلام) في بيان عظمة الله وكبريائه واتصافه بالمجد والجلال : ((**إن ربي لطيف اللطافة لا يوصف باللطف، عظيم العظمة لا يوصف بالعِظَمِ، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ ، قبل كل شيء لا يقال شيء قبله ، وبعد كل**

---

١ . نهج السعادة : ٣/٢١٩ .
٢ . ينظر : المصدر نفسه والصفحة .
٣ . ينظر : المصدر نفسه والصفحة .

شيء لا يقال له بعد، شاءِ الاشياءِ لا بهمة، درَّاك لا بخديعة، هو في الاشياء كلها غير متمازج بها، ولا بائنٌ منها))[1] .

فإنَّ مجيء كلمتي (شاء) و (الأشياء) في عبارة : (شاء الاشياء) إنما هو على سبيل التجنيس الاشتقاقي ، فإنَّ كلتا الكلمتين مشتقة من الجذر (شيأ)[2]، وقد سبب هذا التجانس تراكمًا لفظيًا لألفاظ تجمعها صلة الاشتقاق، و تجدر الإشارة هنا إلى أنَّ هذا التجانس لا يخلُ من فائدتين قد عمد لهما الإمام (عليه السلام) :

فأما الاولى : فتكمن فيما أحدثه التراكم الصوتي لهذين المشتقين من إيقاع تنغيمي بسبب الترجيع الصوتي بين الأصوات المتشابهة مما يكسب الكلام رونقًا وجمالًا .

وأما الثانية : فتتعلق بالجانب الدلالي، فقد اختار (عليه السلام) الفعل (شاء) دون الفعل (أراد) مثلا ؛ وذلك لما في لفظ المشيئة من تراكم دلالي ؛ إذ هي أوسع دلالة من معنى الإرادة وأكثر دقة، إذ المشيئة تدل على سرعة الإنجاز وعدم التراخي في حين تدل الإرادة على ما يتراخى وقته ومالم يتراخى أيضا، يقول ابو هلال العسكري موضحا ذلك الفرق بينهما : ((الفرق بين الإرادة والمشيئة: أن الإرادة تكون لما يتراخى وقته ولما لا يتراخى، والمشيئة لما لم يتراخ وقته، والشاهد أنك تقول فعلت كذا شاء زيد أو أبى فيقابل بها إباه وذلك إنما يكون عند محاولة الفعل وكذلك مشيئته إنما تكون بدلًا من ذلك في حاله))[3] .

وجاء في كتاب التعريفات : ((مشيئة الله : عبارة عن تجلي الذات والعناية السابقة لإيجاد المعدوم أو إعدام الموجود، وإرادته : عبارة عن تجليه لإيجاد المعدوم، فالمشيئة أعم وجه من الإرادة، ومن تتبع مواضع استعمالات المشيئة والإرادة في القرآن يعلم ذلك، وإن كان بحسب اللغة يستعمل كل منهما مقام الآخر))[4].

ومما تقدم يتبين سر اختيار المشيئة بدل الإرادة؛ لأنَّ المشيئة أوسع دلالة ؛ إذ تراكمت فيها معان عدة ، نحو : الإيجاد، والإرادة، والعناية، وعدم التراخي (التأني) في خلق الأشياء جميعا، وبما أنّ لفظ الأشياء هو لفظ عام يدلُّ دلالة ركامًا على المخلوقات جميعها باختلاف أنواعها وأصنافها؛ لذا أورد الامام (عليه السلام) ما يناسب دلالة هذا اللفظ وهو لفظ (شاء) الدال على العموم كذلك ، فحصل بذلك تناسب صوتي ودلالي في آن واحد .

---

١ . نهج السعادة : ٥١٦/١ .

٢ . لسان العرب : (شيأ) : ١ :١٠٣ .

٣ . الفروق اللغوية : ٣٥/١ .

٤ . كتاب التعريفات : الشريف الجرجاني : ١٧٦ .

المبحث السادس

جُـــرس الصوت

الجُرسُ في اللغة يعود الى الجذر (جرس)، وهذا الجذر في المعجمات اللغوية لا يدل على شيء محدد بل قد توسعت معانيه وكثُرت : فيُقال : الجَرْسُ مصدرٌ الصوتُ المَجْرُوسُ ، وقيل : الجَرْسُ الصوتُ نفسه ، كما قيل الجَرْسُ والجِرْسُ الصوت الخَفِيُّ ، وقيل : الجَرَسُ الحركةُ والصوتُ ، وقيل الجَرَسُ الذي يُعلَّقُ في عنق البعير، والجَرْسُ الأَكل ، والجاروسُ الكثير الأَكل[١] .

و الجرس كذلك هو نغمة الكلام حيث قيل : (جرستُ وتجرستُ : أي تكلمتُ بشيء وتنغَّمتُ)[٢] ، وورد : (جَرَسَ الكلام : نغَّمَ به)[٣] .

أما في الاصطلاح فقد حدَّ القدماء اصطلاح (الجرس) من خلال مفهومه اللغوي، وهو الصوت ، فقال فيه الجاحظ (ت٢٥٥هـ) : (الصوت آلة اللفظ ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف)[٤] .

وقال فيه الشريف الجرجاني : (الجرس : إجمال الخطاب الإلهي الوارد على القلب بضرب من القهر، ولذلك شبه النبي صلى الله عليه وسلم الوحي بصلصلة الجرس، وبسلسلة على صفوان، وقال: إنه أشد الوحي، فإن كشف تفصيل الأحكام من بطائن غموض الإجمال في غاية الصعوبة)[٥] .

أما عند المحدثين فهو ((أي أثر سمعي غير ذي ذبذبة مستمرة مطردة كالنقر على الخشب))[٦] .

وقيل فيه : ((هو أداة التأثير الحسي بما يوحيه الى السامع باتساق اللفظة وتوافقها مع غيرها من الألفاظ في التعبير الأدبي والذي يشبه إلى حدٍّ بعيد طرب الإنسان باللحن الموسيقي))[٧] .

وخير من حدَّه من المحدثين هو الدكتور محمد إبراهيم شادي بقوله : ((هو أن يأتي مسموع الأصوات على حذو محسوس الأحداث))[٨] ، و قال فيه أيضا : ((ونحن لا ينبغي أن ننظر الى الجرس في ذاته؛ لأنَّ

---

١ . ينظر لسان العرب : (جرس) ٣٥/٦ .
٢ . تهذيب اللغة : (جرس) ٥٧٨/١٠ .
٣ . اساس البلاغة : (جرس) : ١١٨ .
٤ . البيان والتبيين : للجاحظ : ٧٩/١ .
٥ . كتاب التعريفات : ٦٠ .
٦ . مناهج البحث في اللغة : ٥٩ .
٧ . جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب : ٢٠ .
٨ . البلاغة الصوتية في القرآن الكريم : د. محمد ابراهيم شادي : ٢٨ .

لأنَّ العبرة بأهميته في الإشعار بالحدث وتصويره للنفس عن طريق حكاية صوته، ولذا فكثيرًا ما يرتبط الجرس بالإيحاء))[١] .

ومن هنا يفهم ولاسيما من كلام الدكتور إبراهيم شادي أنَّ جُرس الصوت هو انعكاس أو (محاكاة) الصوت لمعناه، وهذا ما أطلق عليها المحدثون اسم (الدلالة الصوتية غير المطردة)[٢] ، وتُعرف بأنها الدلالة (التي تُستمد من طبيعة بعض الأصوات)[٣] .

ومن الواضح في الدرس اللغوي أن قضية التناسب بين الصوت ومدلوله كانت قديمة قدم التاريخ نفسه ، فقد أيدها بعض اليونانيين من أمثال إفلاطون، إذ يقول جسبرسن : ((إنَّ فكرة المناسبة الطبيعية بين الصوت والمعنى، وإن الكلمات تكتسب محتواها وقيمتها من خلال رمزية أصوات معيَّنة كانت لها دائما الافضلية في الاهتمام اللغوي، وأكثر الأمثلة شهرة على ذلك ما جاء في كراطيلوس أفلاطون))[٤] ، و يصفهم الدكتور ابراهيم أنيس قائلا : ((وبدا من سحر الألفاظ في أذهان بعضهم، وسيطرتها على تفكيرهم أن ربط بينها وبين مدلولها ربطًا وثيقًا، وجعلها سببًا طبيعيًا للفهم والإدراك، فلا تؤدى الدلالة إلا به، ولا تخطر الصورة في الذهن إلا حين النطق بلفظ معين))[٥] .

وأما علماء العرب فقد ناصر كثيرٌ منهم هذه الفكرة، ولعلَّ أشهر من عُرِفَ عنهم هذا الرأي هو (عباد بن سليمان الصيمري) من المعتزلة ، فيما يُروى عنه ((أنَّه ذهب إلى أنَّ بين اللفظ ومدلوله مناسبةً طبيعيةً حاملةً للواضع على أن يضعَ، وإلاّ لكانَ تخصيصُ الاسم المُعيَّن بالمسمَّى المُعَّين ترجيحًا من غير مُرَجّح، وكان بعضُ مَنْ يرَى رأيَه يقول : إنه يعرفُ مناسبةَ الألفاظ لمعانيها فَسُئِلَ ما مُسَمَّى (اذغاغ) وهو بالفارسية الحجر فقال : أجدُ فيه يُبسًا شديدًا وأراه الحجر))[٦]، وقد وجدت هذه الفكرة كذلك عند اللغويين القدماء أمثال أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي عند عرضهِ لصوت الجندب، إذ قال:((صرَّ الجُندبُ صريرًا ...، وصرَّ البابُ صريرًا، وكُلَّ صوتٍ شبه ذلك فهو صرير، إذا امتدَّ، فإن كان فيه تخفيفٌ وترجيح في إعادةٍ ضوعفَ كقولِك : صرصر الأخطبُ صرصرة))[٧] .

---

١ . البلاغة الصوتية في القرآن الكريم : ٢٨.

٢ . الدلالة اللغوية عند العرب : ١٨٢ .

٣ . دلالة الالفاظ : ٤٦ .

٤ . الدلالة اللغوية عند العرب : ٢٠٤ .

٥ . دلالة الالفاظ : ٦٢ .

٦ . المزهر في علوم اللغة : السيوطي : ٤٧/١ .

٧ . يُنظر : كتاب العين(صرّ) : ٧/ ٨١- ٨٢ .

وألمح سيبويه كذلك إلى التناسب بين الأصوات ومدلولاتها ، وذلك عند حديثهِ عن أوزان المصادر، إذ قال: ((ومن المصادر التي جاءت على مثالٍ واحد حين تقاربت المعاني قولُك: النزوان ، والنقزان ، وإنّما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع، ومثل هذا الغليان؛ لأنّه زعزعة وتحرك، ومثله الغثيان؛ لأنّه تجيش نفسه وتثور))[١] .

وتبعهما في هذا الأمر ابنُ جني الذي كان من أكثر اللغويين العرب تحمسًا لفكرة الصلة بين اللفظ ومدلوله، إذ بسَّط المسألة، وأخذ على عاتقهِ تفصيل دقائقها، فقد عقد لها فصولًا أربعة في كتابه الخصائص متلمسًا هذه الصلة فيما عرض له من ظواهر صوتية معتمدًا على قوةٍ في التصريف أورثته دقة النظر في الأصوات، وجرس الحروف طبع في ذهنه دلالاتٍ خاصة لطولِ مخالطتهِ إياها، وكثرة تعاملهِ بها ومعها[٢]، وتلك الأبواب التي عقدها هي : تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني[٣]، والاشتقاق الأكبر[٤]، وتصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني[٥]، وإمساس الألفاظ أشباه المعاني[٦] .

فاعلية الجُرس الصوتي في انتاج التراكم الدلالي :

لا يقتصر الأمر هنا على مناسبة الجرس الصوتي لمعنى الصوت فقط كما لاحظنا فيما تقدم، بل إنَّ الأمر أوسع من ذلك، إذ ما يتم بحثه هنا هو أمر جدير بالاهتمام، وذلك كونه يتعلق بأثر الجرس الصوتي في ركم المعنى وزيادته .

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أنَّ أثر جرس الصوت في تراكم المعنى ليس بغريب عن الواقع اللغوي، ذلك أنه جاري الحضور على ألسنة العامة أثناء عملية التفاهم اللغوي ، و إن المدونات اللغوية كذلك لم تخلُ من إشارات و إلماحات إليه، و خير من تنبَّه له وفصل القول فيه من القدماء العالم اللغوي ابن جني في كتابه الخصائص ، ولاسيما في باب (إمساس الالفاظ أشباه المعاني) ، إذ جاءت أغلب أمثلة هذا الباب تدعم وتؤيد هذه الفكرة .

---

١ . يُنظر: الكتاب: ١٤/٤.
٢ . يُنظر: الدلالة اللغوية عند العرب : ٢٠٨- ٢٠٩ .
٣ . ينظر : الخصائص : ١١٣/٢ .
٤ . ينظر : المصدر نفسه :١٣٣/٢ .
٥ . ينظر : المصدر نفسه : ١٤٥/٢ .
٦ . يُنظر : المصدر نفسه : ١٥٢/٢ .

فلو تأملنا قوله مثلا : ((من ذلك قولهم : خَضِمَ وقَضِمَ، فالخَضم لأكل الرَّطب كالبِطّيخ والقِثَّاء وما كان نحوهما من المأكول الرَطب، والقَضم للصُلب اليابس نحو قضِمتِ الدابَّة شعيرها ونحو ذلك، وفي الخبر قد يُدرَك الخَضم بالقَضم، أي قد يدرك الرخاء بالشدّة واللين بالشَظَف، وعليه قول أبي الدرداء : يخضَمون ونقضم والموعِد الله ، فاختاروا الخاء لرخاوتها للرَّطْب والقافَ لصلابتها لليابس حَذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث))[1] .

نجد هنالك إشارة واضحة إلى دور الجرس في زيادة المعنى وتراكمه، إذ يرى ابن جني أنَّ العرب إنما اختاروا صوت الخاء لأكل الرطب، وصوت القاف لأكل الصلب، وذلك لمناسبة جرس كل صوت لمعنى خاص محدد، فلما وجدوا أن المأكول الرطب لا يحتاج الى مجهود عضلي كبير أثناء مضغه؛ لذا وضعوا له صوت الخاء الذي يمتاز بجرسه الضعيف أيضا؛ كونه يخرج من دون تراكم جهد عضلي يذكر، فضلا على أنَّ صوت الخاء مناسب لصوت المضغ الخفي داخل الفم؛ و ذلك أن المأكول الرطب لا يحدث (لا ينتج) مضغه أصواتا داخل الفم ؛ بسبب تركيبته اللينة .

ولما وجدوا أن المأكول اليابس يسبب مضغه جهدًا عضليًا أكبر مما عليه في المأكول الرطب، لذا اختاروا له صوت القاف الذي يمتاز بجرسه القوي المدوي المناسب للأكل اليابس؛ فهو لا يصدر من مخرجه إلا بعد تراكم مجهود عضلي أكبر مما في الخاء، بالإضافة لذلك فإنَّ صوت القاف يضفي ضلالاً معنوية أخرى ، إذ يوحي جرسه الصوتي بصوت قرقعة تكسير أجزاء ذلك المأكول اليابس عند مضغها داخل الفم بسبب شدة صلابتها .

ومن هنا يتبين الفرق بين جرس الصوتين (الخاء، والقاف)، فالخاء في (خضم) لا يدل جرسه سوى على أن المأكول كان رطبا، وأن مضغه لا يكلف جهدًا عضليًا، ولا يُحدث صوتًا مصاحبًا للأكل، أما القاف في (قضم) فقد تمكن بجرسه القوي أن يزيد في المعنى؛ وذلك من خلال دلالته على أمور عدة تمثلت بقوة الأكل وشدته ، و تراكم المجهود العضلي الناتج عن صلابة المأكول، وسماع صوت المضغ، فضلا على طول مدة الأكل وعدم تمامه بسرعة ممكنة .

والمنعم النظر كذلك في قوله : ((ومن ذلك أيضا سدَّ وصدَّ، فالسُّدّ دون الصدّ لأنَ السدَّ للباب يُسدُّ والمَنْظَرة ونحوها والصدّ جانب الجَبَل والوادِي والشِعْب، وهذا أقوى من السدّ الذي قد يكون لثَقْب الكُوز ورأس القارورة ونحو ذلك، فجعلوا الصاد لقوّتها للأقوى، والسين لضعفها للأضعف))[2] يجدُ دلالة واضحة على أن قوة الجرس الصوتي تزيد في المعنى ، ذلك أن كلمتي (السد، والصد) كلتيهما تدل على منع السائل ونحوه من

---

١ . ينظر : الخصائص : ١٥٧/٢ .

٢ . المصدر نفسه : ١٦١/٢ .

التسرب ، إلا أن في (الصد) تكون الدلالة أكبر منها في (السد)؛ إذ يدل (الصد) على أنه سد وزيادة ، فهو يدل على المنع والصرف ، قال الراغب الاصفهاني (ت٤٢٥هـ) : ((الصدود والصد قد يكون انصرافًا عن الشيء، وامتناعًا نحو :﴿ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾[النساء :٦١] ، وقد يكون صرفًا، ومنعًا نحو :﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [النمل :٢٤]، ﴿ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الحج : ٢٥]))[١] ، وجاء في لسان العرب : ((ويقال صدَّه عن الأَمر يَصُدُّه صَدًّا منعه، وصرفه عنه))[٢] ، فدلَّ الصدُّ على معنى المنع، والصرف أي الإبعاد عن الشيء، في حين لا تدل كلمة (السد) سوى على المنع دون الصرف .

ويمكن القول : إنَّ هذه الزيادة التراكمية في الدلالة إنما كانت مكتسبة من صوت الصاد الذي يمتاز بجرسه القوي، مما دفع اللغوين إلى جعل كلمة (الصد) تُطلق على السد بين جبلين ونحوهما؛ لأن صوت الصاد يتصف بصفة الصعود والقوة وهذا ما يناسب معنى القطع بين جبلين بسبب صعودهما وارتفاعهما، أما السين فيتصف بالضعف واللين ولذا فهو مناسب لسد ثقب الكوز والقارورة ونحوهما .

إذن فالصد أكثر ركمًا للدلالة من السد، فهو أي . الصد . يمثلُ سدًّا وزيادة .

وما يُعضد هذا الأمر كذلك ما جاء في قوله : ((ومن ذلك القَسْم والقَصْم ، فالقصم أَقوى فِعْلا من القسم لأنَّ القصم يكون معه الدقّ وقد يقسم بين الشيئين فلا يُنْكأ أحدهما فلذلك خصّت بالأقوى الصادُ وبالأضعف السينُ))[٣] ، فإنَّ قوة جرس الصاد عملت على زيادة المعنى، فعلى الرغم من أنَّ كلا من (القسم، والقصم) يدلان على فصل الشيء، وانقسامه، إلا أنَّ (القصم) أكثر ركمًا للدلالة من (القسم)؛ فهو يدلُّ على فصل الشيء الشديد بقوة عن طريق دقه وكسره، جاء في لسان العرب : ((القَصمُ دَقُّ الشيء يقال للظالم قَصَمَ الله ظهره، القَصمُ كسرُ الشيء الشديد حتى يَبين قَصمه يَقْصِمه قَصمًا فانْقَصَمَ وتقَصَّمَ كسَره كسرًا، ورجل أَقصمُ الثنية إذا كان منكسرها من النصف بيّن القَصَمِ والأَقْصَمُ أَعمُّ وأَعرف من الأَقصف وهو الذي انقصمت ثنيته من النصف))[٤] .

ويدلُّ القصم كذلك على التحطيم والتهشيم والهلاك لأنه أوقع في النفس، ولذا قال تعالى في وصف هلاك الجبابرة : ﴿ وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴾ [الانبياء :١١] ، يقول الراغب الاصفهاني : ((أي : حطمناها وهشمناها، وذلك عبارة عن الهلاك ، ويسمى الهلاك قاصمة الظهر))[٥] .

---

١ . مفردات الفاظ القران : ٤٧٦ .
٢ . لسان العرب : مادة (صد) ٢٤٥/٣ .
٣ . الخصائص : ١٦١/٢ .
٤ . لسان العرب : (قصم) ٤٨٥/١٢ .
٥ . مفردات الفاظ القرآن : ٦٧٣ .

بينما لفظة (قسم) لا تدل سوى على انقسام الشيء وتجزئته فقط دون تكسيره، أو تحطيمه وتهشيمه ، ولذا جُعل صوت الصاد بجرسه الأقوى لما فيه دلالة أكبر وأقوى وذلك للمناسبة بين الصوت والحدث الدال عليه، وجُعل صوت السين بجرسه الأضعف لما فيه معنى أقل .

وما أورده ابن جني في هذه الامثلة وغيرها إنما كان على المستوى الافرادي ، ويُقصد به فاعلية أحد اصوات الكلمة في تراكم المعنى ، إلا أنه قد توسع في هذه الظاهرة ، وذلك أنه يرى أن كل صوت من أصوات الكلمة إنما يوحي بمعنى (حدث) جزئي معين ، و يأتي ترتيب تلك الاصوات الموحية جرياً على ترتيب أجزاء ذلك الحدث المحسوس (المعنى العام) للكلمة ، وبذلك يقول ابن جني : ((نعم ومن وراء هذا ما اللُطف فيه أظهر والحكمة أعلى وأصنع ، وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبَّر عنها بها ترتيبهَا وتقديم ما يضاهي أوّل الحدث وتأخير ما يضاهي آخره وتوسيط ما يضاهي أوسطه سَوْقا للحروف على سَمْت المعنى المقصود والغرض المطلوب ، وذلك قولهم : بحث ، فالباء لغلظها تُشبه بصوتها خَفقة الكفّ على الأرض ، والحاء لَصحلها تشبه مخالب الأسد وبراثِن الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض ، والثاء للنفثِ والبث للتراب، وهذا أمر تراه محسوسا محصَّلا فأيُّ شبهةٍ تبقى بعده أم أيّ شك يعرض على مثله . ومن ذلك قولهم : شدّ الحبل ونحوه، فالشين بما فيها من التفشيّ تشبَّه بالصوت أوّل انجذاب الحبل قبل استحكام العَقْد ثم يليه إحكام الشدّ والجذب وتأريب العَقْد فيعبر عنه بالدال التي هي أقوى من الشين لا سيما وهي مدّغمة فهو أقوى لصنعتها وأدلّ على المعنى الذي أريد بها))[1] .

وتأسيسًا على ما تقدم يمكن القول : إنَّ هذه الفكرة التي تجلت عند بن جني ترسم ملامح قضية مهمة مفادها : أنَّ المعنى العام للكلمة إنما يكون حاصل تراكم (اجتماع) المعاني الجزيئة التي توحي بها أصوات تلك الكلمة ، فكلمة (بحث) مثلا لها معنى عام قد تكوَّن من مجموع معاني حروفها الموحية (الباء، والحاء، والثاء)، وكذلك كلمة (شدَّ) وغيرها، وهذا ما ذهب إليه وأيده الدكتور صالح سليم عبد القادر إذ قال : ((أما تحقق اجتماع المعاني الجزئية فمرجعه إلى مواضع تلك الاصوات في الكلمة، فإذا تكونت كلمة من أصوات مختلفة المواضع، فلا شكَّ من أنَّ معناها العام يكون حاصل تلك المعاني الجزئية جميعًا، فمثلًا كلمة (كتم) معناها المعجمي ضد الإعلان (يقال : كتم فلان السرَّ : أخفاه) ، فالكاف تدل على التمكن أينما وقعت ، والتاء تحمل معنى القطع إذا كانت ثاني الكلمة ، والميم تحمل معنى القطع والاستئصال إذا وقعت في آخر الكلمة ، ولست أرى في الكتمان إلا معنى إجمالي لتلك المعاني الجزئية ، ففيه تمكن لأنه لا يكون سرًّا إلا إذا كان متمكنًا عند صاحبه، وفيه قطع لانقطاعه عن الاخرين ، وكذلك فيه استئصال ...، وكلمة (نقم) المكونة من أصوات النون الذي يحمل معنى الظهور، والقاف الذي يحمل معنى الاصطدام والقطع كيفما كان موقعه

---

١ . الخصائص : ٢/١٦٢ ـ١٦٣ .

في الكلمة أيضا، والميم يحمل الاستئصال إذا كان آخر الكلمة ، وهذه المعاني الجزئية يمكن ملاحظتها في المعنى المعجمي لكلمة (نقم) الذي هو (المكافأة بالعقوبة) ففيها ظهور واصطدام وانقطاع))[١].

ولاريب أنَّ ما ذهب إليه ابن جني وغيره من اللغوين القدماء والمحدثين إنما يصدقُ على بعض ألفاظ اللغة دون بعض؛ وذلك لأنَّ هذا الأمر منافٍ للعرف اللغوي الذي يؤمن بأنَّ ألفاظ اللغة ككائن حي ماضٍ في حالة تطور دلالي وعدم ثبات، فضلا على أنَّ أصوات اللغة العربية ليست جميعها تمتاز بالإيحاء الصوتي، بل هذا الأمر يقتصر على بعضها دون بعض .

ومهما يكن من أمر فإنَّ أثر الجرس الصوتي في إنتاج التراكم الدلالي يبدو جليًا وواضحًا في كثير من المفردات التي وظَّفها الإمام (عليه السلام) في كلامه رغبة في التأثير في المتلقي، ومن تلك الألفاظ :

١. استصرخ :

جاء الفعل (استصرخ) على زنة استفعل وذلك في خطبة له (عليه السلام) ألقاها في الكوفة ، وذلك لما بلغه مقتل محمد بن ابي بكر (رضوان الله عليه) في مصر على يد جيش (عمرو بن العاص) ، إذ قال فيها : **((إنّي و اللّه ما ألوم نفسي على التقصير و إنّي لمقاساة الحرب مجدّ خبير ، و إنّي لأقدم على الأمر و أعرف وجه الحزم و أقوم فيكم بالرأي المصيب ، فأستصرخكم معلنا ، و اناديكم نداء المستغيث معربا ، فلا تسمعون لي قولا و لا تطيعون لي أمرا حتى تصير بي الامور إلى عواقب المساءة))**[٢] .

لقد ورد الفعل (استصرخ) على زنة استفعل دالًا على طلب النصرة ، والطلب ((معناه نسبة الفعل إلى الفاعل للدلالة على إرادة تحصيل الحدث من المفعول))[٣] .

وإنما عبَّر الإمام (عليه السلام) عن طلب النصرة بالفعل (استصرخ) دون غيره من الافعال؛ وذلك لما تحمله مادة (صرخ) من معنى عام متراكم من دلالات جزئية ثانوية يوحي بها جرس أصواتها .

فعند النظر في المعجمات اللغوية نجد أنَّ ((الصرخة تعني الصياح الشديد عند الفزع أَو المصيبة، وقيل الصُّراخُ هو الصوت الشديد))[٤] .

---

١ . الدلالة الصوتية في اللغة العربية : ١٥٢ .

٢ . نهج السعادة : ٣٩١/٢ .

٣ . دروس التصريف : محمد محيي الدين عبد الحميد : ٧٨ .

٤ . لسان العرب : (صرخ) : ٣٣/٣ .

والصياح الشديد ما هو الا دلالة على الصوت المرتفع عند حدوث مصيبة أو ضيق الموقف ، وهذا ما يناسبه (صوت الصاد) الذي يتصف بالصفير ؛ كونه أحد أصوات الصفير التي : هي الصاد والسين والزاي[١] ، (والصفير هو صوت يسمع عند نطق أصوات الصاد والسين والزاي ، حيث يضيق مجرى الهواء جدا عند خروجه فتُحدثُ عند النطق بها صفيراً عالياً)[٢] .

وصفة الصفير هذه قد أكسبت صوت الصاد وضوحًا وعلوًا على بقية الأصوات فهو من الاصوات كالرصاص من الحروف وكالإعصار من الرياح ، يقول الدكتور حسن عباس واصفًا صلابة صوت الصاد وشدته : ((هذا الحرف إنما هو تفخيم لحرف السين وصفيري مثله ، إلا أنه أملأ منه صوتًا، وأشدُّ تماسكًا، فهو من أصوات الحروف كالرصاص من المعادن رجاحة وزن وكالرخام الصقيل من الصخور الصماء صلابة ونعومة ملمس ، وكالإعصار من الرياح ، صرير صوت يقدح نارًا، ولقد منحته هذه الخصائص الصوتية شخصية فذة طغى بها على معاني معظم الحروف في الالفاظ التي تصدرها ليعطيها من نقاء صوته صفاء صورة وذكاء معنى ، ومن صلابته شدة وقوة وفاعلية ومن طبيعته الصفيرية مادة صوتية نقية ما كان أصلحها لمحاكاة الكثير من أصوات الناس والحيوانات وأحداث الطبيعة))[٣] .

ثم إنَّ طلب استنصار الإمام لقومه لم يكن منقطعًا بل كان مستمرًا مرارًا وتكرارًا في كل حروبه الحاصلة خلال مدة خلافته، وهذا المعنى يناسبه صوت الراء الدال على التكرار واستمرار ديمومة الحدث في أكثر أحواله[٤] .

ولا يخفى أنَّ صوت الصياح (الصراخ) إنما يعلو وينتشر في بادئ الأمر، ألا أنه سرعان ما يتلاشى ويختفي في النهاية، وهذا المعنى إنما يتوافق معه صوت الخاء الذي يأتي ((للمطاوعة والانتشار والتلاشي))[٥] والاختفاء .

ومما تقدم نلحظ أنَّ الفعل (استصرخ) الذي وظفه الامام (عليه السلام) قد رسم لنا الحالة الصعبة التي كان يعيشها وسط تلك الاحداث المضطربة ، فكان (عليه السلام) يدعو الناس بعلو صوته مرارا وتكرار الى نصرة الحق ، إلا أن هذه الدعوات المتكررة والمستمرة سرعان ما كانت تتلاشى وتنتهي دون تحقيق هدف النصرة ، بسبب تخاذل وتقاعس أغلب المجتمع المسلم في ذلك الوقت عن نصرته (عليه السلام) .

---

١ . الكتاب : ٤/٤٦٤ ، وينظر : الاصوات اللغوية : ٧٣ .

٢ . ينظر : المصطلح الصوتي : ١٥٧ .

٣ . خصائص الحروف العربية ومعانيها : د. حسن عباس : ١٤٩ .

٤ . فقه اللغة وخصائص العربية : محمد المبارك : ١٠١ .

٥ . خصائص الحروف العربية ومعانيها : ١٧٤ .

٢. جرجر :

ورد الفعل الرباعي (جرجر) في ختام خطبته (عليه السلام) التي القاها بعد مقتل محمد بن ابي بكر (رضوان الله عليه) ، والتي جاء فيها : ((**وأنتم قوم لا يدرك بكم الثأر ولا يقتص بكم الأوتار، دعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة ، فجرجرتُم علي جرجرة الجمل الأسر**))[١] .

يعود الفعل الرباعي (جرجر) إلى الأصل الثلاثي (جرَّ)، و تذكر المعجمات اللغوية أنَّ معنى (الجر) ((هو مدُّ الشيءِ وسَحبُه، يقال : جررتُ الحبلَ وغيرَه أجُرُّهُ جَرًا))[٢]، وقيل : إنَّ (الجَرُّ : الجذبُ، جَرَّهُ يَجُرُّه جَرًّا وجررتُ الحبلَ وغيرهُ أَجُرُّه جَرًّا وانجرَّ الشيءُ انجذبَ))[٣] .

وأما الجَرجَرَةُ فهي ((صوتٌ يردِّدُهُ البعيرُ في حنجرته))[٤]، ولاشك أنَّ هذه الأصوات المتكررة يُطلقها ((البعير عند الضجر))[٥]، ولذا قيل: ((جرجَرَ الفحلُ يُجرجِر جرجرةً إذا تضوَّر وتشكَى))[٦] ، وبذلك فهي تُمثِّلُ ((حكاية ذلك الصوت يُقال : جرجر الفحلُ من الإبل في هديره اذا ردده في شقشقته حتى يحكى هديره جرجرة الفحل))[٧]، وجاء في كتاب فقه اللغة وسر العربية : ((الجرجرة حكاية صوت الفحل ، وحكاية صوت جرع الماء))[٨] .

وجدير بالقول : إنَّ أصل الجرجرة هي من باب (جر) أيضا، لكن لما لوحظ تكرار هذا الصوت عند البعير بسبب الإعياء قيل له (جرجرة) حكاية لذلك الصوت المتكرر ، قال أحمد بن فارس : ((فأما الجرجرة ، وهو الصّوت الذي يردِّده البعير في حَنجرته فمن الباب أيضا، لأنّه صوتٌ يجرُّه جرًا ، لكنَّه لما تكرَّر قيل جَرْجر، كما يقال صَلَّ وصَلصَلَ))[٩] .

ومع اختلاف معاني مادة (جرر) بسبب اختلاف اشتقاقاتها إلا إنها تدل على معنى عام يتمثل بـ (القوة المضطربة) ، وهذا المعنى العام إنما تحصل (تراكم) من خلال محاكاة صوتي (الجيم ، والراء) لمعان ثانوية، فالجيم بجرسه الشديد يحاكي معنى القوة ، وأما الراء فبجرسه المتكرر يحاكي معنى الاضطراب وعدم

---

١ ـ نهج السعادة : ٣٩١/٢ .
٢ ـ معجم مقاييس اللغة : (جرر) : ٤١٠/١ .
٣ ـ لسان العرب : مادة (جرر) : ١٢٥/٤ .
٤ ـ الصحاح في اللغة : (جرر) : ٨٦/١ .
٥ ـ لسان العرب : مادة (جرر) : ١٢٥/٤ .
٦ ـ جمهرة اللغة : مادة (جرر) : ٦٦/١ .
٧ ـ الزاهر في معاني كلمات الناس : ٣٩/١ .
٨ ـ فقه اللغة وأسرار العربية : ٤٨ .
٩ ـ معجم مقاييس اللغة : (جرر) ٤١٣/١ .

الاستقرار، يقول ابن جني : ((ومن ذلك أيضا جرَّ الشيء يجره، قدَّموا الجيم لأنَّها حرف شديد وأول الجر بمشقةٍ على الجار والمجرور جميعا ثم عقبوا ذلك بالراء وهو حرف مكرر وكرروها مع ذلك في نفسها؛ وذلك لأنَّ الشيء إذا جُرَّ على الأرض في غالب الأمر اهتزَّ عليها واضطرب صاعدًا عنها ونازلًا إليها وتكرر ذلك منه على ما فيه من التعتعة والقلَقِ، فكانت الراء لما فيها من التكرير ولأنها أيضا قد كررت في نفسها في (جرَّ) و (جررت) أوفقَ لهذا المعنى من جميع الحروف غيرها، هذا هو محجَّة هذا ومذهبه))[١] .

ومن هنا يتضح سِرُّ اختيار الامام (عليه السلام) للفعل (جرجر) وذلك لما يحمله هذا الفعل من معان موحية ، فالجيم تدل بجرسها الموحي على شدة تململهم وقوة تضجرهم من دعوات الامام المتكررة لهم ، و الراء تدل على اضطراب آرائهم المتذبذبة بين القبول والرفض لدعوة إمامهم لنصرة الحق ودحض الباطل .

٣. كؤود :

وردت لفظة (كؤود) في وصية الامام الى ابنه الامام الحسن (عليهما السلام) في قوله : ((**واعلم أن أمامك عقبة كؤودًا لا محالة أنَّ مهبطها بك على جنة أو نار**))[٢] .

يمكن أن يلاحظ في اصوات هذه اللفظة ما يقارب دلالتها اللغوية ، فهي من (كأد) تَكأَّدَ الشيءَ تَكَلَّفَه وتكاءَدَني الأَمْرُ شَقَّ عليَّ))[٣] ، فعقبة كؤود ، أي تعني العقبة الصعبة الشاقة .

وليس بغريب إذا قلت أن هنالك ترابطا بين أصوات هذه اللفظة ودلالتها اللغوية ، فلفظة (كؤود) قد تكونت من تراكم جملة أصوات ذات جرس قوي يتناغم مع ما دلت عليه ، ولو فتشنا في صفات أصواتها لانكشفت لنا الصورة بوضوح ، فكلمة (كؤود) تبدأ بصوت الكاف الذي يدل على ((التمكن في الشيء في أغلب أحواله كيفما كان موقعه في الكلمة من ذلك : كب الاناء : قلبه على رأسه ، كبت : لم يخرج غيضه من جوفه ، كبح الدابة باللجام : جذبها ، كبل الاسير : قيده ، كتم الشيء أخفاه))[٤] .

ومن هنا تجد أن صوت الكاف غالبا ما يرد في النص القرآني للتعبير عن الشدة والارتباط بكل ما هو حركي ذو جلبة وصخب[٥] ، إذ قال تعالى : ﴿كلا إذا دُكت الارض دكا دكا﴾ (الفجر /٢١) ، وقال

---

١ . الخصائص : ١٦٤/٢ .

٢ . نهج السعادة : ٢١٤/٤ .

٣ . لسان العرب : (كأد) ٣٧٤/٣ .

٤ . الدلالة الصوتية في اللغة العربية : ١٥١ .

٥ . الدلالة الصوتية في القرآن الكريم : كريم مزعل : ٥٤ .

تعالى : ﴿ فصكت وجهها وقالت عجوزٌ عقيم ﴾ (الذاريات :٢٩) ، وقوله تعالى : ﴿ أفمن يمشي مُكباً على وجهه أهدى ﴾ (الملك :٢٢) .

ولعل دلالة صوت الكاف على الشدة والتمكن والصعوبة إنما هي مستنبطة من عملية صنع الكاف نفسها داخل جهاز النطق والتي ترسم لنا ملامح صعوبة تكون الكاف ، يقول الدكتور السعران : ((يتكون الكاف بأن يعترض الهواء الخارج من الرئتين اعتراضا تاما ، وذلك برفع اقصى اللسان حتى يلتقي بأقصى الحنك الاعلى الذي يرفع هو الاخر ليمنع مرور الهواء الى الانف ، يضغط الهواء ثم يطلق سراح المجرى الهوائي بأن يخفض اللسان فيندفع الهواء خلال الفم محدثا في اندفاعه صوتا انفجاريا))[١] .

ويلي الكاف صوت الهمزة الذي لربما يزيد على الكاف في الشدة والقوة ، فهو أشق الاصوات ، يقول الدكتور أنيس : ((ولا شك أن انحباس الهواء عند المزمار انحباسا تاما ثم انفراج المزمار فجأة عملية تحتاج الى جهد عضلي قد يزيد على ما يحتاج إليه أي صوت آخر ، مما يجعلنا نعد الهمزة أشق الاصوات))[٢] .

ومما يزيد الصعوبة في النطق هو الرجوع العكسي من مخرج الكاف الى مخرج الهمزة ، إذ إنَّ ((الانتقال من صوت الى آخر في مدارج اللسان أو الحلق أو اللهاة يكون أيسر بكثير مما يكون الانتقال من هذه المواقع الى الحنجرة))[٣] .

ثم تنقلنا اللفظة الى صوت المد (الواو) وما تتركه صفة المد من إشباع الصوت وتطويله من دلالة تؤكد المبالغة في شدة وصعوبة تلك العقبة المهلكة ، ثم إن صوت (الدال) يشترك مع صوتي الكاف والهمزة في الانفجار الحاصل في مخرجها ، إذ يلتقي في مخرجها طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاءً محكماً فإذا انفصلا سمع صوت انفجار وهو الدال[٤] .

وبهذا الأمر تجد أنَّ تراكم تلك الأصوات الشديدة الانفجارية جميعها في لفظة واحد مثل (كؤود) قد زاد في جرسها الصوتي ومن ثمَّ زِيدَ في معناها فأصبحت تدل على الشدة والصعوبة وضيق الموقف، وبذلك جاءت متسقة كمال الاتساق مع السياق الذي وردت فيه، إذ جاءت في سياق التنبيه، والتحذير، والتخويف في وصيته لولده الإمام الحسن (عليه السلام) التي كان يهدف بها إلى إيصال رسالة تربوية إلى أبناء المجتمع كافة .

---

١ . علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : ١٥٦ .

٢ . الأصوات اللغوية : ٨٧ .

٣ . المدخل إلى علم أصوات العربية : د. غانم قدوري الحمد : ١٩١ .

٤ . ينظر : الأصوات اللغوية : ٤٩ .

٤. **مَيَثَ :**

وردت لفظة ميث بصيغتي فعل الأمر (امث)، والمصدر (ميث) في دعائه (عليه السلام) على أهل الكوفة، لما تقاعسوا عن نصرته : ((**اللهم إني قد مللتهم وملوني، وسئمتهم، وسئمنوني فأبدلني بهم من هو خيرٌ لي منهم، وأبدلهم بي من هو شرٌ لهم مني، أللهم أمث قلوبهم ميث الملح في الماء**))[١] .

والميث يدل على ذوبان الملح وغيره في الماء، جاء في لسان العرب : ((ماث يُمِيثُ مَيثًا أَذابَ الملح في الماء حتى امَّاثَ امِّياثًا، وكلُّ شيءٍ مَرَسته في الماء فذاب فيه من زعفرانٍ وتمرٍ وزبيبٍ وأَقِط فقد مِثْتَه ومَيَّثْتَه))[٢] .

وفي هذا المقام لنا أن نسأل لِمَ عدل الإمام (عليه السلام) عن الأصل (ذاب) فلم يقل : (أذِبْ قلوبهم كإذابة الملح في الماء) إلى الأصل (مَيَثَ) ؟ .

إنَّ الإجابة عن هذا التساؤل تكمن في أنَّ صيغة (ميث) فيها من التراكم الدلالي مالم يتحقق في صيغة (ذاب) لو جيء بها، ومنشأ هذا التراكم الدلالي مردَّه إلى جرس صوت (الثاء) الطاغي في الكلمة، إذ يدل صوت الثاء بجرسه المدوي على النفث، والنفث ((هو انتشار الصوت عند النطق بالفاء، والثاء))[٣]، ولذلك وصف ابن جني صوت الثاء قائلًا : ((الثاء حرف مهموس، وهو أحد حروف النفث))[٤] .

ومن هذا المنطلق يمكن بيان أثر صوت الثاء بجرسه الدال على الانتشار في ركم جملة أمور، وهي :

١. مناسبته الدقيقة لسياق النص الدال على الدعاء على أهل الكوفة .

٢. دلالته على التفرق والتشتت، فالإمام (عليه السلام) . والله أعلم . كأنما أراد القول وعن طريق هذه الصيغة : اللهم فرق وشتت قلوبهم كتشتت الملح من خلال ذوبانه في الماء .

٣. إنَّ صيغة (ميث) المكررة في النص الشريف هي بمثابة عنصر مفاجأة للمتلقي، تبعثه على التأمل والتفكر والتدبر في مدلولات هذه الكلمة ، فجرس الثاء فيها يُعطي شحنة تحفيزية عند المتلقي لأنه أوقع في النفس .

٤. لقد أراد الإمام (عليه السلام) أن يُعبِّرَ كذلك ومن خلال هذا الجرس الصوتي عن شدة حزنه وغضبه على أهل الكوفة المتخاذلين لنصرة الحق والدين .

---

١ . نهج السعادة : ٤٢٢/٢ .

٢ . لسان العرب : (ميث) : ١٩٢/٢ .

٣ . المصطلح الصوتي : ١٧٣ .

٤ . سر صناعة الإعراب : ١٧١/١ .

مُدخل :

الصرف في اللغة هو : التغيير، والتحويل، والتقليب، ومنه تصريفُ الكلام، أي اشتقاقُ بعضه من بعض، وتصريفُ الرياح، أي تحويلها من وجهٍ إلى وجه ، ومن حالٍ إلى حال[١] ، قال تعالى :﴿ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾[الأنعام : ٦٥] .

وفي الاصطلاح : ((هو العلمُ الذي يدرسُ أبنية الألفاظ، وأوزانها، وما يطرأ عليها من تغير، كالزيادة، والحذف، والإعلال، والإبدال، والإدغام، والإمالة، وغير ذلك))[٢].

والصرف له أهميةٌ بالغة عند علماء العربية، ذلك لصلته الوشيجة بفروع اللغة الأخرى، إذ يحتاجُ إليه أهلُ العربية أتمّ حاجة، وبهم إليه أشْدَّ فاقة، فهو ميزانُ العربية، وبه تُعرفُ أصول كلامِ العرب[٣] .

والدلالة الصرفية هي مرآة هذا العلم، فقد عرَّفها المحدثون بأنّها : ذلك النوعُ من الدلالة المُستمدةُ من طريق الصيغِ، وأبنيتها[٤] ، وبذلك فالبحثُ في الاشتقاق، والتصريف، والأبنية، وتغيُّرها بتغيُّر المعنى هو المُسَمّى بـ (علمِ الأبنية)[٥] .

وبناءً على ما تقدم ذكره يمكن القول : إنَّ الدلالة الصرفية ترفد علم الدلالة بنوع آخر من أنواع الدلالةِ التي أقرّها علماء اللغة المحدثون، وأرسى دعائمها علماء العرب الأوائل ببحوثٍ مستفيضةٍ عن طريق المعجمات اللغوية بصورةٍ عامة، والمعجمات الصرفية بخاصة، مثل ديوان الأدب للفارابي (ت٣٥٠هـ) ومعجم الأفعال لابن القوطية (ت٣٦٧هـ)، و كتاب الأفعال لابن القطاع الصقلي (ت٥١٥هـ) وغيرها[٦] .

ولذلك فإنَّ علم الصرف يدرس البنيات والصيغ المختلفة ، ويُحدد وظائفها واشتقاقاتها، ويدرس ما يتعلقُ بها من سوابق ولواحق ثُمّ يدرسُ الحركات الداخلية للكلمة التي تُسِّجلُ معاني الكلمات، ودلالاتها من خلال اختلاف مواضعها داخل الكلمة إذ اصطلح عليه الغربيون علم (المورفولوجي Morphology)، وقد سَمُّوا وحدته الصرفية بـ (المورفيم)، ويعني ((عنصر أصواتي : صوت، أو مقطع، أو عدّة مقاطع يدلُّ على العلاقات بين الأفكار في الجملة))[٧] .

---

١ . ينظر : معجم مقاييس اللغة : (صَرَفَ) : ٣٤٢/٣ .
٢ . شرح الرضي على الشافية : رضي الدين الاستراباذي : ٧/١ .
٣ . ينظر : المنصفُ : لابن جني : ٢/١ .
٤ . ينظر : دلالة الألفاظ : ٤٧، وعلم الدلالة : د . أحمد مختار عمر : ١٣.
٥ . ينظر : الدراسات اللغوية عند العرب : د٠محمد حسين آل ياسين : ٤٣٧ .
٦ . ينظر : المدخل إلى علم اللغة العربية : ١١٤ .
٧ . مناهج البحث في اللغة : ٢٠٥ .

المبحث الأول

التراكم الدلالي في ضوء بنية الأفعال

الأول : الأفعال المُجرَّدة :

أ . الثلاثي المُجرَّد :

١. بناء ((فَعُلَ)) :

يرى علماء العربية أنَّ هذا البناء لا يكون إلا لازمًا، وهو في الأغلب يأتي في أفعال الغرائز والطبائع وشبهها من الصفات الخِلقية التي لها لبثٌ ومكث في صاحبها نحو : حَسُن، قَبُح، وَسُم، كبُر، صَغُر، طَوُل، قَصُر، حَلُم، بَرُع، كَرُم، فَحُش، وغيرها[١]، ومصادر هذا البناء تكون على (فَعَالة) أو (فُعُولة) أو على (فَعَال) أو (فُعْل)[٢] .

وتجدر الإشارة إلى أنَّ بناء (فَعُلَ) هو أحد الأبنية الصرفية الرامية إلى تحقيق التراكم الدلالي؛ إذ يخرج للدلالة على أمورٍ عدة أُوضحها في الآتي :

١. ذكر العلماء قدماء ومحدثون أنَّ بناء (فَعُلَ) يدلُّ في بعض ما يدلُّ عليه على المبالغة والكثرة، قال ابن جني : ((وتلك الأفعال بابها : فَعُل يفعُل نحو فقُه يفقُه إذا أجاد الفقه وعلُم يعلُم إذا أجاد العلم، وروينا عن أحمد بن يحيى عن الكوفيين : ضَرُبتِ اليدُ يدَه على وجه المبالغة))[٣]، و ذهب الدكتور هاشم طه شلاش إلى أنَّ (فَعُلَ) يدل على (الكثرة)، وضرب لذلك بعض الأمثلة نحو : وَبُؤَت الأرضُ، أي كَثُر وباؤُها، وطَمُعَ، كثُرَ طمعُهُ، وخَرُجَت المرأةُ ، إذا كانت كثيرة الخروج، ولَحُمَ ، كَثُرَ لحمُهُ[٤] .

وأقول : إنَّ المبالغة والتكثير هما شيء واحد؛ ذلك أنَّ (المبالغةَ تكثيرٌ)[٥]، وكلاهما عماد التراكم الدلالي؛ إذ تتراكم الاشياء نتيجة تكثيرها وتعددها، فلو أخذنا مثلا هذين الفعلين (طَمُعَ محمدٌ)، و(خرُجت المرأةُ) الدالين على كثرة الطمع وكثرة الخروج، لوجدنا أنهما يمثلان وحدات تراكمية لأفعال طمع كثيرة، وأفعال خروج كثيرة، ويمكن توضيح ذلك في التحليل الآتي :

---

١ . ينظر : الكتاب : ٢٨/٤، وشرح المفصل : ١٥٧/٧، وشرح الرضي على الشافية : ٧٤/١ .

٢ . ينظر : المهذب في علم التصريف : د. صلاح مهدي الفرطوسي ، ود. هاشم طه شلاش : ٢١٨ . ٢٢٠ .

٣ . الخصائص : ٢٢٥/٢ .

٤ . ينظر : أوزان الفعل ومعانيها : د. هاشم طه شلاش: ٢٩٤ .

٥ . الفعل في اللغة العربية . بحث في تولد الصيغ وانتظامها : د. الأزهر الزناد : ١٦١ .

طَمُعَ محمدُ = طَمُعَ ، وطَمُعَ ، وطَمُعَ ... الخ = كثير الطمع .

خرُجت المرأةُ = خَرُجَت ، وخَرُجَت ، وخَرُجَت ... الخ = كثيرة الخروج .

٢. ذهب الدكتور إبراهيم السامرائي إلى أنَّ بناء (فَعُلَ) لا تتحدد دلالته بزمن معين بل تتسع لتشمل الأزمنة كلها؛ لأنه فعل عام يخلو من الدلالة على زمن معين[١] ، وهذا يعني أنَّه يدلُّ على ثبوت الحدث واستمراره في الأزمنة الثلاثة (الماضي والحاضر والمستقبل) وعدم انقطاعه، وهذا الأمر جعل بناء (فَعُل) يُشم منه رائحة الوصفية فضلا على الفعلية، يقول الدكتور الطيب البكوش : ((إنَّ بناء (فَعُلَ) ليس فعلا بأتم معنى الكلمة، وإنما يدلُّ على الاتصاف بصفةٍ، لذلك فهو قليل العدد نسبيًا، قليل التصرف))[٢] .

٣. أكد الدكتور الزَّناد أنَّ الفاعل المسند إليه (فعُلَ) إنما هو فاعل نحوي إعرابي وليس فاعلًا نفسيًا حقيقيًا، وإنَّ الفاعل الحقيقي يكون مجهولًا غير معلوم، إذ قال : ((وتجري (فَعُلَ) في صوغ الأفعال من الجذور الدالة على أحداث أو هيئات ولَّدتها أحداث موضوعها ما يرد فاعلا دون أن يكون محدثا ولذلك كان إحداثه لها إحداثا سلبيا؛ ففاعل (فَعُلَ) هو فاعل نحوي إعرابي وليس فاعلًا نفسيًا منطقيًا، فالأفعال : كبُر، وصغُر، وحسُن، وكرُم، وما شاكلها تُسند الى الفواعل التي هي موضوعات لها، ومحدثها غير معلوم أو هو قوة ما غير مسماة، بل إنَّ تسميتها لا تفيدُ شيئا، وإن أُسندت هذه الأفعال الى فواعلها فلمقتضيات بنية إعرابية تستوجب المِلء، ولذلك اعتبرناها فواعل لا نفسية ولا منطقية، فقولنا : (كَبُرَ زيدٌ) مثلا تأويلها : (شيءٌ جعل زيدًا كبيرًا)، أو (كان زيدٌ كبيرًا) حيث يكون الفاعل الحقيقي مفهومًا غير مُدرك أو قوة مجهولة يقتضيها تصور الكبر أو النمو، ولكن تسميتها ممتنعة غير مفيدة))[٣] .

و انطلاقًا من قول الزَّناد نجد أن يكون الفاعل الحقيقي في بناء (فَعُلَ) يكون مجهولًا وغيرَ معلوم، ولاشك أنَّ هذه المجهولية إنما تفتح المجال أمام تعدد / تراكم التقديرات المفسرة لهذه الفاعلية، وعليه فعبارة (شيءٌ جعل زيدًا كبيرًا) الآنفة الذكر تُشيرُ إلى تراكم التقديرات، إذ يُحتمل أنَّ كرمُ زيد، أو ذكاءُهُ، أو شجاعتُهُ، أو فقهُهُ، أو غيرُ ذلك هو من جعل زيدًا كبيرًا، ومن هنا فبناء (فَعُلَ) يكون أشبه دلالةً بالمبني للمجهول الذي تتراكم (تتعد) فيه تقديرات الفاعل / محدث الحدث .

---

١ . ينظر : الفعل زمانه وأبنيته : د. إبراهيم السامرائي : ٣٠ .

٢ . التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث : د. الطيب البكوش : ٨٦ .

٣ . الفعل في اللغة العربية . دراسة في تولد الصيغ وانتظامها : ١٠٦ . ١٠٧ .

ومن مصاديق هذا البناء في مستدرك النهج ما جاء في قوله (عليه السلام) في ذكر صفات المتقين : **((عَظُمَ اَلْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَ اَلْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ، وَ هُمْ وَ اَلنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ))**[1] .

فـ (عَظُمَ) و (صَغُرَ) هما صيغتان على بناء (فَعُلَ)، ولعل المنعم النظر فيهما يجدهما قد أفادا جملة معان أغنت النص الشريف، والتي يمكن بيانها في الآتي :

١. إنهما يدلان في بعض ما يدلان عليه على المبالغة في الحدث، فهما يمثلان وحدات تراكمية لأفعال تعظيم كثيرة، وأفعال تصغير أو تحقير كثيرة، وهذا ما يوضحه التحليل الاتي :

عَظُمَ = عَظُمَ و عَظُمَ و عَظُمَ ... الخ = كثرة التعظيم .

صَغُرَ = صَغُرَ و صَغُرَ و صَغُرَ ... الخ = كثرة التصغير والتحقير .

٢. أفاد الفعلان الدلالة على استمرار زمن التعظيم والتحقير ودوامهما دون انقطاع ، جاء في كتاب (في ظلال نهج البلاغة) : ((عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم) أبدًا لا تنفك المسببات عن أسبابها، و النتائج عن مقدماتها، فالضعيف ينهزم أمام القوي، و الجهل أمام العلم، والعقيدة تحطم الحواجز، و الإخلاص يبعث على التضحية، و كذلك من أيقن باللّه و جلاله ، و قدرته و كماله فإنه يرى كل من عداه و ما عداه هباءً و سرابًا))[2] .

٣. هذا الأمر مرتبط بما قبله فهما ومن خلال دلالتهما على استمرار الحدث فإنهما جعلا حدث التعظيم والتحقير كالوصف لصاحبه؛ لأن (فَعُلَ) مثلما مر تدل على الوصفية .

٤. أفاد (عَظُم) الدلالة على مدح الذات الإلهية، فيما دلَّ (صغُرَ) على ذم الأمور الدنيوية الزائلة .

٥. أفاد تراكمهما معا بيان حقيقة المتقين والدلالة على ثبوت عقيدتهم ، وصدق نواياهم .

ومما تقدم يتبين أنَّ اللفظين (عَظُمَ وصَغُرَ) قد دلَّا دلالةً ركامًا على المبالغة في وقوع الحدث، واستمراره حتى أصبح كالوصف الثابت في صاحبه، فضلا على المقابلة بين المدح والذم .

---

١ . نهج السعادة : ٥٠٠/١ .

٢ . في ظلال نهج البلاغة : الشيخ محمد جواد مغنية : ٢٤/١ .

ومن مصاديق هذا البناء أيضا ما جاء في خطبةٍ له (عليه السلام) ، قال فيها : ((**مَنْ كَمُلَ عقلُه حَسُنَ عملُه**))[١] .

لقد تراكم بناء (فَعُلَ) في النص الشريف في موضعين : هما فعل الشرط (كَمُل) وجوابه (حَسُنَ) ، وقد وظفهما الإمام (عليه السلام) لما يسهمان به من تراكم جملة أمور أكشفها في الآتي :

١. أفاد الفعلان الدلالة على المبالغة في الحدث وتكثيره، فالفعل (كَمُلَ) يدلُّ على كثرة الكمال، و(حَسُنَ) يدلُّ على كثرة الحسن، فهما يمثلان وحدتين اختزاليتين لأفعال كمال وحسن كثيرة .

٢. الدلالة على العموم والشمول ، قال أبو هلال العسكري في صفة الكمال : ((الفرق بين الكمال والتمام : أنَّ قولنا كمال اسم لاجتماع أبعاض الموصوف به ولهذا قال المتكلمون : العقل كمال علوم ضروريات يميز بها القبيح من الحسن يريدون اجتماع علوم، ولا يقال تمام علوم؛ لأنَّ التمام اسم للجزء والبعض الذي يتم به الموصوف بأنه تام، ولهذا قال أصحاب النظم : القافية تمام البيت ولا يقال كمال البيت، ويقولون : البيت بكماله أي باجتماعه، والبيت بتمامه أي بقافيته، ويُقال : هذا تمام حقك للبعض الذي يتم به الحق، ولا يقال كمال حقك))[٢] .

وقال الراغب الأصفهاني في صفة الحسن : ((الحُسْنُ : عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه، وذلك ثلاثة أضرب : مستحسن من جهة العقل، ومستحسن من جهة الهوى، ومستحسن من جهة الحس))[٣] .

٣. الدلالة على ثبوت الحدث ودوامه في الأزمنة جميعًا، جاء في المعجم الوسيط : ((كمُلَ كمالًا ثبتت فيه صفات الكمال))[٤]، وجاء في كتاب التعريفات : ((الحسن : هو كون الشيء ملائمًا للطبع كالفرح، وكون الشيء صفة كمال كالعلم، وكون الشيء متعلق المدح كالعبادات، وهو ما يكون متعلق المدح في العاجل والثواب في الآجل، والحسن لمعنى في نفسه : عبارة عما اتصف بالحسن لمعنى ثبت في ذاته كالإيمان بالله وصفاته، والحسن لمعنى في غيره : هو الاتصاف بالحسن لمعنى ثبت في غيره كالجهاد))[٥] .

٤. أفاد الفعلان الدلالة على تراكم الفاعلية وتعددها، فـ (العقل) و(العمل) لم يكونا فاعلين أصليين، بل كانا فاعلين نحويين إعرابيين؛ ذلك أنَّ العقل لم يكتمل بنفسه فحسب، وكذلك العمل لم يكن حسنا لوحده، وإنما

---

١ . نهج السعادة : ٤٥٩/٩ .
٢ . الفروق اللغوية : ٤٥٨ .
٣ . مفردات ألفاظ القرآن : ٢٣٥ .
٤ . المعجم الوسيط : (كمل) ٥١٣/٢ .
٥ . كتاب التعريفات : ٧٠ . ٧١ .

يصبح العقل كاملا والعمل حسنا بمساعدة مؤثرات خارجية، وهذه المؤثرات الخارجية هي جزء من الفاعلية، ولاشك أنَّ الحدث إذا تعدد / تراكم فاعلوه يصبح أكثر ثباتا وقوة ممن قل فاعلوه .

ومما تقدم يتبين أنَّ صيغتي (كمُلَ) و (حَسُنَ) قد دلتا دلالة ركامًا على معاني المبالغة في حصول الحدث، ودوام ثبوته، وشموليته، وتراكم الفاعلين له، وبذلك يكون مراد الامام (عليه السلام) في النص الشريف ـ والله أعلم ـ أنَّه من أصبح عقله كاملا شاملا لعلوم دينه ثابتا ومستمرا على منهج العلم ولا يزيغ عنه أصبحت أعماله كذلك تتصف بالحسن، وهي صفة ملازمة لأعماله لا تنفلت عنها في دنياه وآخرته .

ونظير ما تقدم من أمثلة ما ورد في إحدى خطبه (عليه السلام) : ((... **إنَّ نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خلَّف فيكم كتاب الله وأهل بيته فعندهم علم ما تأتون وما تتقون، وهم الطريق الواضح، والنور اللائح، وأركان الأرض، القوَّامون بالقسط ، بنورهم يستضاء، وبهداهم يُقتدى، من شجرة كَرُمَ منبتُها، فثبتّ أصلُها وبسقَ فرعُها وطابَ جناها** ...))[1] .

فالفعل (كَرُمَ) ورد على بناء (فَعُلَ) ، وهو مثلما مرَّ من الأفعال قد دلَّ على :

١. المبالغة في المعنى وتعدده .

٢. الدلالة على ثبوت صفة الكرم واستمرارها دون انقطاع .

٣. الدلالة على تعدد / تراكم الفاعلين، فإن شجرة أهل البيت (عليهم أفضل الصلاة والسلام) قد أكرمَ اللهُ منبتها فكَرُم ذلك المنبت فيما بعد ، فالمنبت فاعل ومفعول به في الوقت نفسه؛ فهو متقبل للفعل وقائم به كذلك .

٢. بناء ((فَعِلَ)) :

يأتي هذا البناء لازمًا ومتعديًا، إلا أنَّ اللازم أكثر من المتعدي، والغالب في وضعه أن يكونَ في الأفعال الدالة على النعوت الملازمة نحو : ذَرِبَ لسانُهُ ، وبَلِجَ جبينُهُ ، وفي الأفعال الدالة على الأعراض من الهيج نحو : بَطِرَ، وفَرِحَ، ومن المرض وما يجري مجراه نحو : مَرِضَ، و جَرِب، وعَرِجَ، وحَزِنَ، ونَكِدَ ونحوها، ويأتي كذلك في الأفعال الدالة على الألوان والحلي، نحو : سَوِدَ، وخَضِرَ، وصَهِبَ، وحَوِرَ، ونحوها[2] .

---

١ ـ نهج السعادة : ٣٤٨/٨ .

٢ ـ ينظر : الكتاب : ١٧/٤، وشرح الرضي على الشافية : ٢٧/١، ودروس التصريف : ٥٧ ـ ٦٠.

و لا يختلف هذا البناء عن بناء (فَعُلَ) في تحقيق التراكم الدلالي، وما يؤيد ذلك أمور عدة يمكن توضيحها في الآتي :

١. ذهب الدكتور هاشم طه شلاش إلى أنَّ هذا البناء يدلُّ في بعض ما يدلُّ عليه على الكثرة والمبالغة[١]، مستشهدا لذلك ببعض ما ذكره اللغويون العرب نحو : حَمِئتْ البئرُ : إذا كثُرت فيها الحمأة أي الطين[٢] ، و قَمِل رأْسُه : كثُر قَمْلُ رأْسه[٣]، و كَتِفَ الرجل : عظُمتْ كتفهُ[٤]، وعَجِزَتْ المرأةُ : عظُمتْ عجيزتُها[٥]، فهذه الأمثلة وغيرها إنما تمثل وحدات اختزالية تعبر عن أحداث تراكمية، يوضحها التحليل الآتي :

فَعِلَ = فَعِلَ + فَعِلَ + فَعِلَ + فَعِلَ ... الخ = تراكم الحدث .

٢. يرى الدكتور إبراهيم السامرائي أنَّ هذا البناء مشابه لبناء (فَعُلَ) من حيث الدلالة على استمرار الحدث في الأزمنة الثلاث، فهما يخلوان من الدلالة على زمن معين، إذ قال : ((ومثل هذا مما يأتي على (فَعِلَ) نحو صَفِرَ، وعَرِجَ، وكَحِلَ، وعَوِرَ مما يفيد الصفات الثابتة فالمراد من ذلك الإخبار عن ثبوت الصفة فيما أُسندت إليه من الصفات، وليس في ذلك ما يدل على شيء من الزمان))[٦]، ولعلَّ ما أورده الدكتور السامرائي إنما يصدق على بعض الصيغ دون بعض؛ ذلك أنَّ هنالك جملة من الصيغ التي لا تدل على الثبوت نحو : قَوِيَ، وشَرِبَ، ورَوِيَ، وعَلِمَ، وفَرِحَ، وحَزِنَ ونحوها، ومن هنا فإنَّ (فَعِلَ) يفيد الثبوت في بعض الصيغ دون بعض .

٣. هذه الزنة مثلُها مثل زنة (فَعُلَ) فتعمل كذلك على توسعة دائرة الفاعلية، فهي تشير إلى تعدد / تراكم الفاعلين للحدث، يقول الدكتور الزَّنَّاد : ((وتجري (فَعِلَ) في صوغ الأفعال من الجذور الدالة على أحداث أو هيئات، الفاعل فيها موضوع لها ومُحدث لها في آن دون أن يغلب الواحد منهما على الآخر، فالأفعال من قبيل : عَلِمَ، وفَرِحَ، وسَكِرَ، وهَوِيَ، وغيرها مما ينقاس عليها، الفاعل فيها موضوع لها من حيث كانت أحوالا تلابسه وقد أحدثتها عوامل أخرى، وهو في الوقت نفسه محدثٌ لها من حيث يملك التصرف فيها بوجه من الوجوه))[٧] ، ويقول في موضع آخر : ((ومتى كان الحدث معلوما ظاهرا بآثاره والمحدث خفيا غير ظاهر ولكنه في متناول الادراك والتصور، جرى تعويضه بمن يحمل آثار الحدث أي بما هو مفعول له في الأصل ولكنه يمكن أن يكون فاعله بتوفر الإرادة منه... ، فالفعل (حَزِنَ) مثلا يكون من شخص يحمل آثاره الظاهرة

---

١ . ينظر : أوزان الفعل ومعانيها : ٢٨٩ . ٢٩٠ .
٢ . ينظر : لسان العرب : (حمأ) ٦١/١ .
٣ . ينظر : المصدر نفسه : (قمل) ٥٦٨/١١ .
٤ . ينظر : المصدر نفسه : (كتف) ٩/ ٢٩٤ .
٥ . ينظر : المصدر نفسه : (عجز) ٣٦٩/٥ .
٦ . الفعل زمانه وأبنيته : ٣٠ .
٧ . الفعل في اللغة العربية . بحث في تولد الصيغ وانتظامها : ١٠٧ .

ولكن فاعله هو أسباب الحزن، فالأسباب ظاهرة وخفية في آن، هي ظاهرة بآثارها خفية إذ تستنبطها الذات وهي في متناول الادراك، وفي ذلك تختلف (فَعِلَ) عن (فَعُلَ)))[١] .

ويمكن الإفادة من نصي الزناد في أنَّ فاعل / محدث الفعل المصوغ على (فَعِلَ) يمثل وحدة تراكمية عامة تضم أكثر من فاعل، وهي تقوم جميعا بفعل الحدث، بيد أنها تنقسم بين الخفاء والظهور، ويمكن تبيان ذلك بتحليل فعل (حَزِنَ) على سبيل التوضيح في المخطط الآتي :

فاعل (حَزِنَ) = وحدة تراكمية = فاعل (خفي) وهو أسباب الحزن + فاعل (ظاهر) ويتمثل بالشخص الحامل لأثار الحزن .

٤. يختلف هذا البناء عن بناء (فَعُلَ) الخاص بالصفات، فإنَّ (فَعِلَ) يكون خاصًا بالحالات الدالة على التحرك والتغير والتبدل، يقول الدكتور الطيب البكوش بشأن (فَعِلَ) : ((ولئن كان هذا الوزن خاصًا بالحالات بالنسبة لـ (فَعُلَ) الخاص بالصفات، فإنَّ تفوقه الكبير على (فَعُلَ) يرجع إلى أنَّ الحالات متغيرة، فهي أكثرُ حركية من الصفات الثابتة))[٢] .

ومن مصاديق هذا البناء في نهج السعادة هو مجيء الفعل (أمِرَ) في خطبةٍ له (عليه السلام) خطبها بعد مقتل عثمان حين بايعه الناس، جاء فيها : ((**حقٌّ وَ باطلٌ و لكُلٍّ أَهلٌ، ولَئِنْ أَمِرَ اَلْبَاطِلُ لقَدِيمًا فَعَلَ، وَلَئِن قَلَّ الحَقُّ فلَرُبَّمَا وَ لعلَّ، وَلَقَلَّمَا أَدبَرَ شَيءٌ فَأَقبَلَ**))[٣] .

ورد الفعل (أمِرَ) في النص الشريف على زنة (فَعِلَ)، وهو يمثل وحدة تراكمية دلت على أمور عدة :

١. تدلُّ صيغة (أمِرَ) في ضوء المعنى المعجمي على الكثرة والتعدد ، يقول ابن فارس : ((أمِرَ الشيءُ أَي كَثُرَ، ويقول العرب : "من قَلَّ ذَلَّ ، ومن أَمِر فَلَّ" ، أَي من كثُرَ غَلَبَ ، وتقول : أمِرَ بنو فلان أَمَرَةً أي كثُروا وولدَتْ نَعَمُهُم، قال لبيد[٤] :

إنْ يُغْبَطُوا يُهبَطُوا وإنْ أَمِرُوا يَوْمًا يصيروا للهُلكِ والنَّفدِ))[٥] .

وانطلاقًا من كلام ابن فارس فإنَّ تكثير أفراد الشيء يفيد التراكم والتعدد، وبذلك فالفعل (أمِرَ) في قوله (عليه السلام) (**أَمِرَ الباطلُ**) في ضوء الدلالة المعجمية يدل على المبالغة في كثرة الباطل وتعدده، ويمكن توضيحه في التحليل الاتي :

---

١ . الفعل في اللغة العربية . بحث في تولد الصيغ وانتظامها : ١٠٩ .

٢ . التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث : ٨٧ .

٣ . نهج السعادة : ١/ ٢٠٠ .

٤ . ينظر : ديوان لبيد بن ربيعة العامري : ٥٠ .

٥ . معجم مقاييس اللغة : (أمِرَ) ١٣٨/١ ، وينظر : لسان العرب : (أمِر) ٢٦/٤ .

أمِر الباطلُ = كَثُرَ، وكَثُرَ، وكَثُرَ ... الخ = تراكم دلالي .

٢. فضلا على دلالة (أَمِرَ) على الكثرة والتعدد فإنه يدلُّ على القوة والغلبة، يقول الشيخ المحمودي : (("ولئن أمِر الباطلُ " وهو من باب علم ومعناه : ولئن كَثُرَ الباطل، وقوي أصحابه فليس بأمر بديع إذ الباطل كان كثيرا من زمن قديم ، ولا مؤنة في بقاء الشيء على أصله))[١]، وقال في موضع آخر : ((ثُمَّ إنَّ المراد من قوله : "كَثُرَ الباطل وقل الحق" ، لازمهما وهو قوة الأول وغلبته، وضعف الثاني ومغلوبيته))[٢] .

٣. إنما وظَّف (عليه السلام) صيغة (أمِرَ) دون (كثُرَ)؛ لأنَّ (أمِرَ) على زنة (فَعِلَ) ومثلما مرَّ فإنَّ هذه الزنة تختص بالأفعال الدالة على التحرك والتغير، وأما (كَثُرَ) فهو على زنة (فَعُلَ) الخاصة بالصفات الثابتة، وبما أنَّ الباطل ليس ثابتًا بل هو متغير ومتقلب، لذا استعمل له الامام (عليه السلام) ما يناسبه وهو صيغة (إمِرَ) ، وبذلك تكون صيغة (أمِرَ) أكثر دلالة في هذا السياق من (كثُرَ)؛ لأنها قد جمعت معنيي (الكثرة والتغير) بلفظ واحد .

٤. زد على ذلك أنَّ صيغة (أمِرَ) تعمل على توسعة دائرة الفاعلية، أي مشاركة أكثر من فاعل (محدث) في إنتاج الحدث، فإنَّ الباطل في قوله : (أمِرَ الباطلُ) ليس فاعلا حقيقيا بل الفاعل الحقيقي هم بنو البشر، إذ الباطل لا يكُثُر لوحده من دون مؤثر خارجي، ولذلك دلت صيغة (أمِرَ) على تعدد الفاعلين وتعدد الحدث القائمين به، إلا أنَّ الإمام (عليه السلام) . والله أعلم . عمد الى حذف الفاعل الحقيقي لغرض الإشارة إلى ممازجة الباطل لأهله حتى كأنهما أصبحا شيئا واحدا لا يفترقان، واستحقوا هذا الوصف بسبب كثرة ممارستهم الباطل، وتمسكهم به وعدم تخليهم عنه، فضلا على أنَّ ذكر الأثر دون المؤثر هو للدلالة على أهمية ذلك الأثر فهو المقصود من الكلام .

ومن شواهد هذا البناء أيضا ما جاء في كتاب للإمام (عليه السلام) كتبه إلى بعض أصحابه واعظا إياه جاء فيه : ((**أوصيك ونفسي بتقوى من لا تحل معصيته، ولا يرجى غيره ولا الغنى إلا به، فإنَّ من اتقى الله [عزَّ وجلَّ] عزَّ وقوِيَ، وشَبِعَ، ورَوِيَ، ورفع عقله عن أهل الدنيا فبدنه مع أهل الدنيا، وقلبه وعقله معاين الآخرة**))[٣] .

إذ ورد في النص الشريف تراكم ثلاثة أفعال على زنة (فَعِلَ) وهي : **قَوِيَ، وشَبِعَ، ورَوِي**، ولا شك أنَّ كلا منها يدل دلالة ركاما على : معنى المبالغة في الحدث وتعدده ، ثبوت الحدث وديمومته ، الدلالة على الحركة الجسمانية والمجهود العقلي، الدلالة على المشاركة في الحدث واكتسابه من قوة خارجية أخرى ؛ لأنَّ

---

١ . نهج السعادة : ١/٢٠٠

٢ . المصدر نفسه : ١/٢٠١

٣ . المصدر نفسه : ٤/ ١٣٦ . ١٣٧ .

((الفاعل بالنسبة لهذه الطائفة من الأفعال يقوم بالفعل ويتلقى الفعل فتعود عليه نتائجه))[1]، يقول الشيخ المحمودي بقوله : ((وقوله (عليه السلم) : وقوي – على زنة روي، وهما من باب عَلِمَ – أي يقوى بقوة ربانية معنوية لا تشبه القوى البدنية، كما روي عنه (عليه السلام) إنَّه قال: ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية، بل بقوة ربانية، وقوله (عليه السلام): (وشبع وروي) أي يحصل له ما يشبعه ويرويه من غير اكتساب، كما قال تعالى :﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ [الطلاق : ٢ ـ ٣] أو شَبِعَ بالعلوم الدينية، وارتوى بزلال الحكمة الالهية))[2] .

ب ـ الرباعي المُجرَّد :

وهو ما كانت حروفه الأصلية أربعة، وله بناء واحد هو : (فَعْلَلَ ـ يُفَعْلِلُ) ، ويكون الفعل الرباعي على نوعين : الأول : مُضعَّف ، وهو ما كانت فاؤه ولامه الأولى من نوع واحد، وعينه ولامه الثانية من نوع آخر ، نحو : زلزل ، وقلقل ، وسلسل .

والثاني : غير مُضعَّف ، وهو ما لم تكن فاؤه ولامه الأولى من نوع ، وعينه ولامه الثانية من نوع آخر، نحو : دحرج ، وحرجم، وبعثر، وسرهف، وقد يصاغ من مركب قصدًا إلى اختصاره للدلالة على حكايته نحو : (بسمل) إذا قال : باسم الله ، و(سبحل) إذا قال : سبحان الله ، و (حوقل) إذا قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، وغيرها[3] .

وقد ذكر اللغويون أنَّ هذا البناء يأتي لمعانٍ عدَّة ، منها : الاتخاذ، والمشابهة، والجعل، والإصابة، والظهور ، والترجيع (التكرار)، والتلبيس وغيرها[4] .

ولم يختلف بناء (فعلل) الرباعي عن بنائي (فَعُلَ)، و (فَعِلَ) الثلاثيين في إحداث التراكم الدلالي، ويمكن بيان ذلك في ضوء الاتي :

١. يدلُّ بناء (فَعْلَلَ) على زيادة المعنى والمبالغة فيه، يقول ابن جني : ((فلمّا كانت الأفعال دليلة المعاني كرروا أقواها وجعلوه دليلًا على قوّة المعنى المحدَّث به وهو تكرير الفعل كما جعلوا تقطيعه في نحو : صرصر، وحقحق دليلًا على تقطيعه))[5]، وذهب جمع من المفسرين إلى أنَّ تكرير الأحرف في الفعل

---

١ ـ التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث : ٨٧ .

٢ ـ نهج السعادة : ١٣٦/٤ .

٣ ـ ينظر : أبنية الصرف في كتاب سيبويه : د. خديجة الحديثي : ٢٦٠ .٢٦١ .

٤ ـ ينظر : دروس التصريف : ٦٦ ـ ٧٦ ، وينظر : أوزان الفعل ومعانيها : ٣٤٨ .

٥ ـ الخصائص : ١٥٥/٢ .

الرباعي (كبكب) في قوله تعالى : ﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴾[الشعراء :٩٤] هو دليلٌ على زيادة المعنى والمبالغة فيه[١] .

وبحسب رأي ابن جني والمفسرين فإنَّ التكرار الصوتي في الفعل الرباعي يمثل تراكما لفظيا، فيما يمثل مصطلح (قوة المعنى / زيادته) تراكما معنويا .

٢. إنَّ بنية الرباعي تُمثلُ بنيةَ عطفٍ أولية ذات عناصرَ متعددةٍ / متراكمة تُختزل في بنية عطفٍ ثنائية، يقول الدكتور الزناد : إنَّ ((الرباعي المُضعَّف عائدٌ إلى بنية العطف الأولية الجارية دون أداة عطف، ولا أحد ينفي حدوث العطف بلا أداة، ثمَّ هي بنية محفوظة في الاستعمال، فالعطف كما هو معلوم جارٍ بأداة ومن غير أداة، بل لعل الجاري بغير أداة أقوى في الدلالة على التعالق بين المعطوفين من حيث الشدة واللحمة، وإنَّ رُفضت هذه الفكرة في فرضيتنا نُوكلُ الأمرَ مرة أخرى الى الخليل بن أحمد ليكفينا مؤونة إثباتها ، يقول : الا ترى الحكاية أنَّ الحاكي يحكي صلصلة اللجام فيقول : صلصل اللجام ، وإن شاء قال : صلَّ ، يخفف مرة اكتفاء بها، وإن شاء أعادها مرتين أو أكثر من ذلك، فيقول : صل، صل، صل، يتكلف من ذلك ما بدا له، يعني ذلك أنَّ (كركر) مثلا تعود الى بنية عطف ذي عناصر متعددة هي [كر، كر، كر، كر...]، تُختزلُ هذه في بنية عطف ثنائية العناصر هي [كر، كر] وهي بدورها تُختزلُ اختزالًا بنيويًا مقطعيًا بحذف الحرف الثالث من المكونين، لينشأ في اللغة قالبٌ رباعي فيه العناصر المتبقية))[٢] .

وبما أنَّ الرباعي المضعف وحسب رأي الزناد يدخل في باب العطف، لذا فإنه لا يخرج عن دائرة التراكم الدلالي، ودليل ذلك قول الزناد : ((يُعبِّرُ العطفُ من جملة ما يُعبِّرُ عنه عن تراكم الأحداث أو الاشياء تراكمًا ما، هو مطلق الاجتماع في العطف بـ [و] كما هو معلوم، والتراكم يعود الى المعاودة والاستمرار))[٣] .

ومن مصاديق هذا البناء الرباعي الرامي إلى التراكم الدلالي ما جاء في قوله (عليه السلام) : ((**معاشر الناس استشعروا الخشية وأميتوا الأصوات وتجلببوا بالسكينة وأكملوا اللامة، وقلقلوا السيوف في الغمد قبل السلة**))[٤] .

فقد استعمل الإمام (عليه السلام) فعل الأمر من الرباعي المضعف، فقال (قلقلوا) دون (حرِّكوا) مثلا مع أنهما مترادفتان؛ وذلك لما تضمنته صيغة (قلقل) من تراكمات دلالية على المستويات الثلاث : المعجمية، و

١ . ينظر : الكشاف : للزمخشري : ٢١/٥ ، و التحرير والتنوير : ١٨٤/١٠ .
٢ . الفعل في اللغة العربية : ٨٩ . ٩٠ .
٣ . المصدر نفسه : ١٥٥ .
٤ . نهج السعادة : ٨/ ٣١١ .

الصوتية، و الصرفية، وهذا ما لا تجده في صيغة (حرَّك) لو جيء بها، ويمكن بيان تلك التراكمات الدلالية في الاتي :

١. ففي المستوى المعجمي : تجد أنَّ صيغة (قلقل) أوسع وأكثر دلالة من صيغة (حرَّك)؛ وذلك كونها تتضمن معنى التحرك وزيادة، إذ تدل على حركة مع اضطراب في التحرك، جاء في معجم الصحاح : ((قَلقلَ : أي صوَّتَ وهو حكاية ، وقلقلهُ قلقلَةً وقلقالا فتقلقلَ، أي حَرَّكه فتحرَّك واضطربَ))[١]، وجاء في لسان العرب : ((والقلقلةُ شدَّةُ اضطراب الشيء، وتحركه وهو يتقلقلُ))[٢] .

٢. وفي المستوى الصوتي : تجد أنَّ الفعل (قلقل) لا يخلو من دلالة صوتية، وهي الدلالة على الاصطدام والقرقعة، وهذه الدلالة الصوتية ولَّدها صوت القاف الذي يتصف بـ (القساوة، والصلابة، والشدة)[٣] ، يقول الدكتور محمد المبارك موضحًا ذلك بقوله : ((حرف القاف في الأصول والمجموعات التالية وكلها تتضمن معنى الاصطدام أو الانفصال، وتقترن بحدوث صوت شديد تصوره القاف في شدتها : قدَّ، وقطع، وأخواتها قرع، وقرف، وأخواتها دق، وشق))[٤] .

٣. وأما على المستوى الصرفي فإن صيغة (قلقل) تفيد معنى التكرار أو المعاودة، والاستمرار في عملية تحريك السيوف، وهذا المعنى متأتٍ من كونه فعل رباعي مضعف على زنة (فعلل)، والمتعارف عليه أنَّ الرباعي المضعف ومثلما مرَّ يمثل بنية عطف ثنائية ذات عناصر متعددة / متراكمة حسب رأي الزناد، وعليه يشكل (قلقل) تراكمًا دلاليًا متمثلا بمعاودة حركة السيوف المستمرة .

ويمكن توضيح ذلك بالتحليل الآتي :

قلقل = قلقل ، وقلقل ، وقلقل = تراكم الحدث + تراكم الصوت المصاحب للحدث .

وهذه المعاني المتعددة كلها مرادة ـ والله أعلم ـ فالإمام (عليه السلام) أراد ان تكون الحركة متكررة مستمرة وذات صوت قوي شديد، وذلك لجني فائدتين اثنتين هما :

١. إنَّ القلقلة المتكررة للسيوف داخل أغمادها إنما تُسهِّلُ سلها وقت الحاجة، ولا يمنع الصدأ من سلها : يقول المحمودي : ((وقلقلوا السيوف في الغمد قبل السلة : أي حركوها في أغمادها قبل أن تحتاجوا الى سلها ليسهل عند الحاجة إليها))[٥] .

---

١ . الصحاح في اللغة : (قلل) ٩٣/٢ .

٢ . لسان العرب : (قلل) ٥٦٣/١١ .

٣ . خصائص الحروف العربية ومعانيها : ١٤٤ .

٤ . فقه اللغة وخصائص العربية : ١٠٤ .

٥ . نهج السعادة : ٨/ ٣١١، وينظر : منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : ٢٥١/٢ .

٢. إنَّ القرقعة المستمرة للسيوف تُحدثُ أصواتًا وجلبةً مدوية، وهذا الأمر له فائدتان : الأولى : بثُ روح العزيمة والإرادة في جيش الإمام (عليه السلام) ، والثانية : هي إدخال الخوف والرعب في نفوس الأعداء مما يُساعد في هزيمتهم معنويًا وماديًا، وهذا الفعل هو من الأساليب العسكرية المتبعة في المعارك آنذاك .

ونظير هذا البناء أيضا ما جاء في دعاءٍ له الامام (عليه السلام) قال فيه : ((**اللهم خلقتَ القلوبَ على إرادتك، وفطرتَ العقولَ على معرفتك، فتململت الأفئدةُ من مخافتك، وصرخت القلوبُ بالوله إليك، وتقاصر وسعُ قدرِ العقولِ عن الثناء عليك**))[١] .

ففي النص الشريف وظَّف الإمام (عليه السلام) الفعل الرباعي المضعف (تململ) لدلالة على تكرار التقلب وعدم الاستقرار، جاء في معجم تهذيب اللغة : ((إذا نبا بالرَّجُل مضجعه من غَمٍّ أو وصب، فقد تَململ، وهو تقلُّبُه على فراشه، وتململهُ وهو جالس أن يتوكأ مرة على ذا الشِّقّ ومرة على ذا، ويجثو على ركبتيه))[٢] .

وفضلا على دلالة التقلب فإنَّ الفعل (تململ) فيه لطيفة لغوية وهي الإشارة الى التوجع والتألم والهم والقلق ونحوها، وهي أمور تستدعي كثرة التقلب، وعدم الاستقرار على وضع واحد، جاء في كتاب الزاهر في معاني كلمات الناس : ((تَمَلمَلَ الرجلُ على فراشه معناه قد تملَّلَ من المَلّة أي كأنه على مَلَّة والمَلّة موضع الخبز من الرماد والنار))[٣] ، وورد في المعجم الوسيط : ((تململ : تقلَّبَ على فراشه متألما من مرض أو غم أو نحوهما، ويُقال تململ الجالس أدى قلقه بأن جثا على ركبتيه أو جنح إلى أحد شقيه تارة وإلى الآخر تارة أخرى))[٤] .

ومن هذا العرض يتضح أنَّ الفعل الرباعي (تململ) قد اجتمعت فيه جملة معانٍ توزعت على المستويين المعجمي والصرفي، وفيما يبدو هنالك علاقة رابطة بين معانيه وهي السبب والنتيجة ، ويمكن توضيح إجمال هذا الكلام في المخطط الاتي :

الفعل (تململ) =

- **التوجع ، القلق ، الهم = معانٍ معجمية = سبب**
- **تكرار التقلب = معنى معجمي + معنى صرفي = نتيجة**

١ . نهج السعادة : ٢٤٩/٦ .

٢ . تهذيب اللغة : (ملل) ١٧٨/٥، وينظر : لسان العرب : (ملل) ٦٢٨/١١ .

٣ . الزاهر في معاني كلمات الناس : ٢٠٠/١ .

٤ . المعجم الوسيط : (ملل) ٦٩٥/٢ .

الثاني : الأفعال المزيدة :

أ. المزيد بحرف واحد :

١. بناء (أفْعَلَ) :

وهو بناءٌ ثلاثي مزيد بهمزة القطع في أوله[١]، وهي زيادة من خارج المادة[٢]، ويكون المصدر منه على (إفْعَال) إن كان الفعل صحيح العين نحو : أحسن إحسانًا، وأكرم إكرامًا، فإن كانت عين الفعل ألفًا أصبح وزنه على (إفْعَلة) نحو : أقام إقامة، وأجاد إجادة، وأمال إمالة[٣] .

ولا يخفى أنَّ هذا البناء يُفيد حدوث التراكم الدلالي، وذلك من وجهين :

١. إنَّ دخول الهمزة على الفعل المجرد تجعل منه يُفيد معنى المبالغة والتوكيد، يقول الرضي الاستراباذي (ت٦٨٦هـ) : ((اعلم أنَّ المزيد فيه لغير الإلحاق لابد لزيادته من معنى، لأنها إذا لم تكن لغرض لفظي كما كانت في الإلحاق ولا لمعنى كانت عبثًا، فإذا قيل مثلا : إنَّ أقال بمعنى قال ، فذلك منهم تسامح في العبارة ، ذلك على نحو ما يقال : إنَّ الباء في (كفى بالله) و " من " في (ما من إله) زائدتان لما لم تفيدا فائدة زائدة في الكلام سوى تقرير المعنى الحاصل وتأكيده، فكذا لابد في الهمزة في " أقالني " من التأكيد والمبالغة))[٤].

ولاريب أنَّ هذه الزيادة التراكمية في المعنى قد جعلت من بناء (أفْعَلَ) أن يكون أبلغ دلالة من بناء (فَعَلَ) المجرد وإن كانا يفيدان معنى واحدًا ، يقول الدكتور فخر الدين قباوة : ((وتصح المبالغة إذا كان المجرد والمزيد لمعنى واحد، فقولك : سقيت الضيف، وأسقيته بمعنى واحد، إلا أنَّ أسقيته فيه مبالغة وتوكيد، وكذلك وقفتُ الهاربَ وأوقفته، ومثل ذلك ما ترى بين : وفى وأوفى، وحبَّ وأحبَّ ، ووعد وأوعد ...))[٥] .

٢. لم تعمل زيادة الهمزة في بناء (أفعل) على زيادة (تراكم) المعنى فحسب، بل تعمل أحيانًا على توسعة دائرة الفاعلية (محدث الحدث) في الكلام، جاء في شرح الشافية للرضي : ((اعلم أنَّ المعنى الغالب في أفعل تعدية ما كان ثلاثيًا، وهى أن يجعل ما كان فاعلا للازم مفعولا لمعنى الجعل فاعلا لأصل الحدث على ما

---

١ . ينظر : الكتاب : ٢٣٥/٤ ، وشرح المفصل : ١٤٤/٩، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه : ٢٦٢ .

٢ . ينظر : المنهج الصوتي للبنية العربية : ٧٠ .

٣ . ينظر : أبنية الصرف في كتاب سيبويه : ١٥١ ، والمهذب في علم التصريف : ٢٢١ . ٢٢٢ .

٤ . شرح الرضي على الشافية : ٨٣/١ .

٥ . تصريف الأسماء والأفعال : د. فخر الدين قباوة : ١١٣ ، وينظر : الصرف الوافي : د. هادي نهر : ٢٨٠ ، والمعجم المفصل في علم الصرف : راجي الأسمر : ١٨٩، و ٣٥٥ .

كان، فمعنى " أذهبت زيدًا " جعلتُ زيدًا ذاهبًا، فزيد مفعول لمعنى الجعل الذى أُستفيد من الهمزة فاعل للذهاب كما كان في ذهب زيدٌ))[١] .

إذا وبحسب كلام الرضي نجد أنَّ (زيدًا) في (أذهبتُ زيدًا) لم يتحول إلى المفعولية الكاملة، بل يبقى محتفظًا بشيء من الفاعلية، التي يمكن تسميتها بـ (الفاعلية الناقصة) ؛ لأنه يشارك الفاعل الجديد في وقوع الحدث، إلا أنَّ هذه المشاركة تكون اضطراريةً (إجباريةً)؛ وذلك بفعلِ قوةٍ خارجيةٍ، تقول الدكتورة نجاة الكوفي في هذا الصدد : ((إنَّ الفاعلَ الحقيقي لم يقم بالفعل مختارًا، وإنما فعله مضطرًا بتأثير قوة خارجة عن إرادته وهي الفاعل الجديد مع الفعل المزيد ففي مثل : ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ﴾[القصص :٢٠] نجد أنَّ الفاعل جاء بمحض إرادته، وقوله تعالى : ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾[مريم : ٢٣] يفيد أنها جاءت مرغمة ، ومثله : ثرَّ الرجل عن بلاده : تباعد ، وأثره القضاءُ : أبعده))[٢] . ومما تقدم يتبين أن زيادة المبنى في بناء (أفعل) عملت على ركم المعنى وزيادته أيضا .

ومن شواهد هذا البناء في نهج السعادة ما جاء في إحدى خطبه (عليه السلام)، التي يوصي بها بتقوى الله والتذكير بآلائه : ((**أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال ووقَّت لكم الآجال، وجعل لكم أسماعا تعي ما عناها، وأبصارا لتجلي عن عشاها، وأفئدة تفهم ما دهاها، فإنَّ الله لم يخلقكم عبثا، ولم يضرب عنكم الذكر صفحا، بل أمدَّكم بالنعم السوابغ، ورزقكم بأرفد الروافد، وأرصدَ لكم الجزاء في السراء والضراء**))[٣] .

ورد في النص الشريف الفعلان (أمدَّ)، و (أرصد) مزيدان بالهمزة ، وهما : ويرى بعض العلماء أنهما يتفقان في المعنى مع المجرد ، يقول ابن قتيبة : ((مددتُ الدواة وأمددتها، وأمدته بالرجال لا غير))[٤]، وقال ابن القطاع : ((رصدتهُ بالخير والشر، وأرصدته أعددتُ له، ورصدتُ الشيءَ رصْدًا أو رَصَدًا، ترقبته، ورصدتُ له أعددتُ له))[٥]، إلا أنَّ الإمام (عليه السلام) قد آثر في النص الشريف المزيد على المجرد؛ وذلك وذلك لما يتضمنه المزيد بالهمزة من تراكم دلالي لم يتحقق في الفعل المجرد لو جيء به، ويمكن بيان ذلك في الآتي :

---

١ . شرح الرضي على الشافية : ٨٦/١ .

٢ . أبنية الافعال . دراسة لغوية قرآنية : د. نجاة عبد العظيم الكوفي : ٣٢ .

٣ . نهج السعادة : ١٢٧/٣ .

٤ . أدب الكاتب : ابن قتيبة : ٢٤٩ .

٥ . كتاب الأفعال : ابن القطاع الصقلي : ١٦/٢ .

١. إنَّ الفعلين (أمدَّ)، و (أرصد) هما مزيدان بالهمزة، و(مدَّ) و(رصد) مجردان، و بما أنَّ زيادة المبنى مثلما يرى اللغويون تدل على زيادة المعنى إذا كانت الزيادة لغير الالحاق[١]، لذا فإنَّ (أمدَّ) و(أرصدَّ) يدلان على المبالغة في الإمداد، والإرصاد .

٢. إنَّ صيغة (أمدَّ) المزيدة أبلغ من صيغة (مدَّ) المجردة مثلما مرَّ؛ ذلك أنَّ (مدَّ) تدلُّ على زيادة الشيء من نوعه أو من جنسه، أما (أمدَّ) بالهمزة فتعني زيادة الشيء من غير جنسه، يقول أبو زكريا الفراء (ت٢٠٧هـ) : ((والشيء إذا مَدَّ الشيء فزاد فكان زيادةً فيه فهو يَمُدُّه؛ تقول دجلة تَمُدّ بِئارنا وأنهارنا، والله يُمِدّنا بها، وتقول: قد أمددتك بألفٍ فَمَدُّوك، يقاس على هذا كلّ ما ورد))[٢]، ويقول القرطبي : ((مددتُ فيما كانت زيادته من مثله يقال : مدَّ النهرُ النهرَ، وفي التنزيل :﴿ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ ﴾[لقمان : ٢٧]، وأمددتُ فيما كانت زيادته من غيره كقولك : أمددتُ الجيش بمدد ...، وأمدَّ الجرحُ لأنَّ المدة من غيره أي صارت فيه مدة))[٣] . إذا (مدَّ) تفيد الزيادة والتطابق، في حين أنَّ (أمدَّ) تفيد الزيادة والاختلاف .

وما صدق على صيغة (أمد) يصدق كذلك على صيغة (أرصد) فهي أوسع دلالة من (رصد) المجردة؛ ذلك أنَّ (رصد) مختص بالمراقبة فحسب، أما (أرصد) فهو يدل على الإعداد والمراقبة معا، جاء في أدب الكاتب : ((رصدتُه بالمكافئة وأرصدته أي : ترقبته بها، وأرصدته له أعددتُ له))[٤] . ، وقال ابن الأثير الحلبي : ((يقال رصَدتُه إذا قعدت له على طريقه تترقبه، وأرصَدت له العقُوبة إذا أَعدَدتَها له، وحقيقته جعلتُها على طريقه كالمترقبة له))[٥] .

٣. زد على ذلك أنَّ صيغة (أمدَّ) تفيد الزيادة في الأمر المحبوب، و(مدَّ) تفيد الزيادة في الأمر المكروه، يقول الراغب الأصفهاني : ((وأكثر ما جاء الإمداد في المحبوب، والمد في المكروه نحو :﴿ وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴾[الطور : ٢٢] ، ﴿ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴾[المؤمنون :٥٥] ، ﴿ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ ﴾[نوح :١٢] ، ﴿ يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ ﴾[ال عمران :١٢٥] ،﴿ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ﴾[مريم :٧٩] ، ﴿ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾[البقرة :١٥] ، ﴿ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ﴾[الاعراف :٢٠٢]))[٦]، وبذلك يُلحظ في الفعل (أمدَّ) المزيد معاني الامتنان، والمكافأة، والرضوان .

---

١ . ينظر : الخصائص : ٢٦٨/٣ ، وشرح الرضي على الشافية : ٨٣/١، وحاشية الصبان : ٢٩٦/٢ .

٢ . معاني القرآن : ٣٢٩/٢ .

٣ . ينظر : الجامع لأحكام القران : القرطبي : ٢٠٩/١ ، وارشاد العقل السليم : ٨٠/٢ .

٤ . أدب الكاتب : ٢٥٥ .

٥ . النهاية في غريب الحديث والاثر : مجد الدين بن الأثير : ١٧٢/٢ .

٦ . مفردات ألفاظ القرآن : ٧٦٣ ، وينظر : التحرير والتنوير : ٢٩٥/١ .

وأما صيغة (أرصد) تفيد الزيادة بالخير أو بالشر، جاء في القاموس المحيط : ((رَصَدَهُ رَصْدًا ورَصَدًا : رَقَبَهُ كترصَّدَهُ ... ، وأرصَدتُ له : أعددتُ وكافأتُهُ بالخير أو بالشر))[١]، كذلك فرَّق موسى بن محمد الأحمدي بين الفعلين قائلا : ((رصد لفلان أطاعه وتابع مسيرته، وأرصد له شيئًا أعدَّه له، وأرصد له خيرًا أو شرًا كافأه، وترصَّدَ له قعد له على طريقه يترقبه))[٢] . ومن هذا العرض يتضح أن أرصد يدل على رصدٍ وزيادة، إذ يدل على الترقب والإعداد والمكافئة .

ومما تقدم يتضح أنَّ الإمام (عليه السلام) إنما اختار الصيغ المزيدة ؛ وذلك أنها تدلُّ دلالة ركامًا على : المبالغة في المعنى، والثبوت والتمكن، فضلا على أنَّ ركم هذين الفعلين بهذه الصيغة معا يمثلُ مقابلة بين دلالتي الخصوص والعموم الراميتين إلى الترغيب والترهيب في سياق واحد .

ومن المصاديق كذلك على هذا البناء ما ورد في قوله (عليه السلام) : ((... **ولا إله إلا الله الحليم عمن ألحد في آياته، وانحرف عن بيناته، ودان بالجحود في كل حالاته**))[٣] .

يأتي الفعلان (لحد) و (ألحد) عند بعض اللغويين لمعنى واحد، فيُقال : (لحدَ الرجلُ في الدين) و (ألحدَ في الدين) بمعنى مال عنه وعدل[٤] ، إلا أنَّ هنالك من تلمس فروقًا في الدلالة بينهما، قال ابن القطاع : ((ألحدَ ((ألحدَ : ظلم في الحرم وأيضا جار، وأيضا جادل، وأيضا مارى، وكان الأحمر يفرق بينهما فيقول : ألحدتُ ، ماريتُ وجادلتُ، ولحدتُ، جرتُ وملتُ))[٥] .

ومن هنا يتضح أنَّ الفعل (ألحد) فيه من التراكم الدلالي ما ليس في (لحد)؛ إذ (لحد) يدل على الجور والميل ، في حين أنَّ (ألحد) يدلُّ على الميل عن الحق والظلم والجور والجدال والمماراة، وما الظلم والجور الا ميلٌ عن الحق نحو الباطل .

ومن هذا المنطلق نجد أنَّ الامام (عليه السلام) قد آثر الفعل (ألحد) دون (لحد)؛ وذلك لأنَّه أكثرُ دلالة، وهو ما يتوافق مع صفة الحليم، فالإمام (عليه السلام) يُريد بهذا النص أنَّ حِلمَ الله تعالى وصبرَهُ لا يكون على من مال عن الحق فحسب، بل إنَّه تعالى كذلك حليم صبور مع من مال عن الدين، وعصى، وجادل في الحق، ومارى في باطله وظلمه علَّه يتوب إلى ربِّه، ويهتدي الى طريق الحق والصلاح ، فباب التوبة مفتوحٌ عنده تعالى في كل زمان ولأيٍّ كان، جاء في لسان العرب في بيان معنى الحليم : ((والحَلِيمُ في صفة

---

١ . القاموس المحيط : (رصد) ٣٦١/١ .

٢ . معجم الأفعال المتعدية بحرف : موسى بن محمد الأحمدي : ١٢٧ . ١٢٨ .

٣ . نهج السعادة : ٦/٦ .

٤ . ينظر أدب الكاتب : ٢٥١ ، والصحاح في اللغة : (لحد) ١٣٥/٢ .

٥ . كتاب الأفعال : ١١٢/٣ .

الله عز وجل معناه الصَّبور، وقال معناه أنه الذي لا يستخفُّهُ عصيان العُصاة ولا يستفِزّه الغضب عليهم ولكنه جعل لكل شيءٍ مِقْدارا فهو مُنتَهٍ إليه))[١] .

٢. بناء (فَعَّــلَ) :

وهو بناء ثلاثي مزيد بتضعيف العين[٢]، وتكون الزيادة فيه من داخل المادة، ويكون مصدره على (تفعيل) إن كان الفعل صحيح اللام نحو : كرَّم تكريمًا، وقدَّم تقديمًا، فإن كان معتل الاخر بالألف فيكون مصدره على (تفعلة) نحو : زكَّى تزكيةً، ووصَّى توصيةً[٣] .

وقد شاع استعمال (فعَّل) في الدلالة على التكثير، قال سيبويه : ((تقول : كسَرتها وقطعتها، فإذا أردت كثرة العمل قلت: كسَّرتُه، وقطَّعتُه، ومزَّقتُه...، وجرَّحتُه : أكثرت الجراحات في جسده ... ، وقالوا : ظلَّ يفَّرسها السبع ويؤكِّلها، إذا أكثر ذلك فيها، وقالوا : موَّتت وقوَّمت، إذا أردت جماعة الإبل وغيرها، وقالوا : يُجوِّلُ أي يُكثر الجولات ، ويُطوِّفُ أي يكثر التطويف))[٤] .

وقد عمد ابن جني إلى الربط بين بنية (فَعَّلَ) ودلالته على التكثير وذلك بقوله : ((ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلا على تكرير الفعل فقالوا : كسَّر وقطَّع وفتَّح وغلَّق، وذلك أنهم لمّا جعلوا الألفاظ دليلة المعاني فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل بهِ قوّة الفعل والعين أقوى من الفاء واللام وذلك لأنها واسطة لهما ومكنوفة بهما فصارا كأنهما سِيَاج لها ومبذولان للعوارض دونها))[٥] .

إذا فالتضعيف في بناء (فعَّل) يمثل وحدة اختزالية تعود إلى بنية عطف أولية تقوم على التكرار والاستمرار المنتج للتراكم، يقول الدكتور الزناد : ((... فالتضعيف استمرار للحدث ينتج عنه تراكم، وليس صدفةً أن تدل [ضاعف، وضعَّف] على معنى واحد هو التضعيف، إذ تعودان الى بنية عطف أولية واحدة هي : ضعف، وضعف، و ضعف ...))[٦] ، ويقول في موضع آخر : ((فالصيغتان [فعَّل] و [فاعل] تعودان بحكم ما تدلُّ عليه الواحدة منهما الى بنية عطف أولية تعبر بطريقة إطنابية عما تختزله الواحدة منهما، فصيغة [فعَّل] تدلُّ

---

١ . لسان العرب : (حلم) ١٤٥/١٢.

٢ . ينظر : الكتاب : ٢/ ٢٣٣ ، وشرح الرضي على الشافية : ١/ ٩٢ . ٩٦ .

٣ . ينظر : المهذب في علم التصريف : ٢٢٢ . ٢٢٣ .

٤ . الكتاب : ٦٤/٤ ، وينظر : أدب الكاتب : ٢٦٤ . ٢٦٥ ، وشرح الرضي على الشافية : ١/ ٩٢ . ٩٦ .

٥ . الخصائص : ١٥٥/٢ .

٦ . الفعل في اللغة العربية : ١٥٦ .

من جملة ما تدلُّ عليه على المبالغة والتكثير، وهل المبالغة والتكثير إلا معاودة للأحداث والاعمال وتكرار لهما ؟ .))[١] .

ومما ورد على هذا البناء في نهج السعادة ما جاء في إحدى خطب الإمام (عليه السلام) التي يقول فيها : **((أُوصيكم ونفسي بتقوى الله الذي لا تنفد منه نعمة ولا تفقد له رحمة، الذي رغَّب في التقوى وزهَّد في الدنيا، وحذَّر من المعاصي وتعزز بالبقاء، وذلَّل خلقه بالموت والفناء، فالموت غاية المخلوقين، وسبيل العالمين، ومعقود لنواصي الباقين))**[٢] .

فقد عمد (عليه السلام) في النص الشريف إلى استعمال بناء (فعَّل) المضعف في أربعة مواضع هي : **رغَّب، وزهَّدَ، وحذَّرَ، وذلَّل**، وليس غريبًا أنَّ هذه الصيغ بمجملها تُمثِّلُ وحدات اختزالية ذات دلالات تراكمية، لكونها تدلُّ على المبالغة والتكثير، فالإمام (عليه السلام) أراد ومن خلال هذه الصيغ المضعفة الإشارة إلى أنَّ الله سبحانه وتعالى لم يترك الإنسان عبثًا بل إنَّه قد أعطاه دروسًا لا تحصى في الترغيب والتزهيد والتحذير والاذلال على مرِّ العصور وفي الكتب السماوية جميعها، وعن طريق الرسل والانبياء .

ومن أمثلة هذا البناء كذلك ما جاء في أحد كتبه (عليه السلام) الى معاوية : **((بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان، أما بعد فإنَّ أخا خولان قدم علي بكتاب منك تذكر فيه محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم، وما أنعم الله به عليه من الهدى والوحي، والحمد الله الذي صدَّقهُ الوعدَ، وتمَّم له النصر، ومكَّن له في البلاد، وأظهره على أهل الأعداء))**[٣] .

كذلك راكم (عليه السلام) في هذا النص بناء (فعَّل) المضعف في ثلاثة مواضع هي : **صدَّقَ، وتمَّمَ، ومكَّنَ**، ولاشك من أنها تدلُّ في كل موضع على المبالغة والتكثير ، فضلا على أنه أراد (عليه السلام) ـ والله أعلم ـ من خلال هذا التراكم الاحتجاج على الخصم بأنَّ الله تعالى قد أصدق نبيه (صلى الله عليه وآله) الوعدَ، وتمَّم له النصر، ومكَّن له في بلاد العرب في مواطن كثيرة وأوقات كثيرة .

---

١ ـ الفعل في اللغة العربية : ٨٨ .

٢ ـ نهج السعادة : ٥٥٠/١ .

٣ ـ المصدر نفسه : ١١٨/٤ .

٣. بناء (فَاعَـلَ) :

هو بناء ثلاثي مزيد بالألف بعد الفاء نحو : بارز وصاحب وسابق[١]، والمصدر منه يكون على (مفاعلة، وفِعال) نحو : جاهد مجاهدةً وجِهادًا، وحاور محاورةً وحِوارًا[٢]، إلا أنَّ المصدر الثاني فيه قليل قياسًا بالأول؛ وذلك أنَّه لم يُسمع في (جالس، وقاسم، وياسر) ونحوها غير مجالسة ومقاسمة ومياسرة[٣] .

والمشهور في هذا البناء هو دلالته على المشاركة، قال سيبويه : ((اعلم أنك إذا قلت : فاعلتُهُ، فقد كان من غيرك إليك مثل ما كان منك إليه حين قلت فاعلتُهُ، ومثل ذلك : ضاربتُه، وفارقتُه، وعازَّني وعازتُه، وخاصمني وخاصمتُه))[٤]، وتكون المشاركة بين طرفي الفاعلية والمفعولية غير أنها تكون من طرف الفاعلية صراحةً ومن طرف المفعولية ضمنًا : يقول الرضي : ((قوله " صريحًا " أي : أن أحد الامرين صريح مشارِك والاخر مشارَك، فيكون الأول فاعلًا صريحًا، والثاني مفعولًا صريحًا، " ويجئ العكس ضمنًا " أي : يكون المنصوب مشاركًا – بكسر الراء – والمرفوع مشاركًا ضمنًا؛ لأنَّ من شاركته فقد شاركك، فيكون الثاني فاعلا، والأول مفعولا من حيث الضمن والمعنى))[٥] .

ولم يأتِ بناء (فاعل) للدلالة على المشاركة فحسب بل يدلُّ كذلك على المبالغة والتكثير، قال الرضي : ((قوله " بمعنى فَعَلَ " يكون للتكثير كفَعَّلَ، نحو " ضاعفت الشيء " أي : كثَّرتُ أضعافه كضَعَّفتُه ، و " نَاعَمه الله " كنَعَّمَه، أي كثَّر نعمتُهُ بفتح النون، قوله " بمعنى فعل " كسافرتُ بمعنى سفرت : أي خرجت إلى السفر ولا بد في " سافرت " من المبالغة))[٦] .

وبما أنَّ المشاركة لا تكن إلاَّ بين طرفين يتناوبان (يتبادلان) الحدث نفسه، لذا فهي تمثل بنية عطف أولية تقوم على التكرار المولد للتراكم، إذ يقول الدكتور الزَّنَّاد : ((تمثل المشاركة في [فاعل] وجها من وجوه تحقق بنية العطف الاولية دائما بالتراكم المفيد للاستمرار والتكرار، ولكنه كائن من طرفين مختلفين يتناوبان))[٧] . ويقول في موضع آخر : ((والمشاركة هذه متفرعة من الاستمرار المولَّد للتراكم بالتناوب في بنية عطف أولية))[٨] .

---

١ . ينظر : الكتاب : ٤/ ٦٨ ، والمهذب في علم التصريف : ٦٩ .
٢ . ينظر : الكتاب : ٤/ ٨٠ ، وأبنية الأسماء والافعال والمصادر : لابن القطاع الصقلي : ٣٧٨ .
٣ . ينظر : المهذب في علم التصريف : ٢٢٤ .
٤ . الكتاب : ٤/ ٦٨ ، وينظر : شرح الرضي على الشافية : ١/ ٩٦ . ٩٩ .
٥ . شرح الرضي على الشافية : ١/ ٩٨ .
٦ . المصدر نفسه : ١/ ٩٩ .
٧ . الفعل في اللغة العربية : ١٥٦ .
٨ . المصدر نفسه : ١٥٧ .

ومهما يكن من أمر فإنَّ بناء (فاعل) سواء دلَّ على المشاركة أم على المبالغة والتكثير فإنَّه يفيد التراكم الدلالي؛ ذلك أن كلا من المشاركة والمبالغة تعني المعاودة والاستمرار المولدين لتراكم الحدث وتكراره، إلا أنَّ المشاركة تعني المعاودة المتبادلة بين اثنين، والمبالغة تعني المعاودة المستمرة غير المتبادلة .

ومن مصاديق هذا البناء ما ورد في إحدى وصاياه (عليه السلام) إلى كميل بن زياد الاسدي : ((**يا كميل إذا أكلت الطعام فَوَاكِلْ الطعامَ، ولا تبخل عليه، فإنك لم ترزق الناس شيئا، والله يجزل لك الثواب بذلك**))[١].

يُلاحظ في النص الشريف أنَّ الإمام (عليه السلام) قد وظَّف فعل الأمر (واكِل) دون الفعل (كُلْ) مثلا؛ وذلك لما في صيغة (واكِل) من ركام دلالي، فإنَّها على زنة (فاعِل) الدالة على المشاركة بين طرفين، والمشاركة مثلما لاحظنا تعني المعاودة والاستمرار المولدين للتراكم، أما صيغة فعل الأمر (كُلْ) فإنَّها لا تؤدي إلا معنى واحدًا هو الأكل من قبل شخص واحد، وبذلك فـ (واكِل) تعني المشاركة في الطعام، وإطعام الطعام يقول الشيخ المحمودي : ((واكل : من آكله مؤاكلة : إذا أكل معه : أطعمه، أي تناول مع غيرك أو أطعِم غيرك))[٢] .

زد على ذلك أنه يُلحظ في صيغة (واكل) دلالات أخرى لم يُشر لها الشيخ المحمودي تُستفاد من فحوى الخطاب، ألا وهي : الحث على حسن الضيافة، والإطالة (الاستمرار) في مواكلة الضيف حتى يستوفي من الاكل، و مما يؤكد هذه المعاني هو سياق النص العام، فقد قال (عليه السلام) بعد محل الشاهد : ((**يا كميل أحسن خلقك، وأبسط جليسك ولا تنهرن خادمك، يا كميل إذا أنت أكلت فطول أكلك ليستوفي من معك، ويرزق منه غيرك**))[٣] .

وتجدرُ الإشارة في هذا المقام إلى أنَّ تلك المعاني جميعا هي مرادة مطلوبة، فالإمام (عليه السلام) أراد . والله أعلم . بصيغة (واكل) تناول الطعام، وإطعام غيرك منه، والحث على إكرام الضيف، وإطالة مُدَّة الاكل حتى يستوفي الضيف، وهذه من عادات العرب القديمة في إكرام الضيف، وتلك المعاني المتراكمة في صيغة (واكل) لم تحققه صيغة الأمر (كُل) لو جيء بها، وهذا هو شأن بلاغته الرائعة (عليه السلام) في إشباع المعنى وثراءه .

ومن الأمثلة كذلك على هذا البناء ما جاء في كتابٍ له (عليه السلام) إلى زياد بن عبيد، قال فيه : ((**سلام عليك أمّا بعد فإنّي قد بعثت أعين بن ضبيعة ليفرّق قومه عن ابن الحضرمي فارقب ما يكون منه**

---

١ . نهج السعادة : ٨/٢٠١.

٢ . المصدر نفسه والصفحة .

٣ . المصدر نفسه والصفحة .

، فإنْ فعلَ و بلغَ من ذلك ما يُظنّ به و كان في ذلك تفريق تلك الأوباش فهو ما نُحبّ، وإن ترامت الأمور بالقوم إلى الشّقاق و العصيان فانبذ بمن أطاعك إلى من عصاك فجاهدهم، فإن ظفرت فهو ما ظننت، وإلاّ فطاولهم، وماطلهم، فكأن كتائب المسلمين قد أطلت عليك، فقتل اللّه الظالمين المفسدين، و نصر المؤمنين المحقّين و السّلام))[1] .

فقد تراكمت صيغة (فاعل) في النص العلوي في مواضع ثلاثة هي : **(جاهِدهم ، وطاولِهم ، وماطِلهم)** ، وكلها أفعال أمر تدل على المشاركة المولدة للتراكم، و لا يخفى كذلك ما تراكم فيها من معانٍ ثانوية أُجملها في الاتي :

١. الفعل (جاهدِهم) تضمَّن معنى الجد والمبالغة في محاربة العدو في القول والفعل ، يقول ابن الاثير الحلبي : ((الجِهاد : مُحارَبة الكُفار وهو المُبَالَغة واستفراغ ما في الوُسع والطاقة من قول أو فعل، يقال جَهَد الرجل في الشيء : أي جَدَّ فيه وبالغ وجَاهَد في الحرب مُجاهدة وجهادًا))[2] ، وجاء في كتاب المطلع على أبواب المقنع : ((... جاهد فاعل من جهد إذا بالغ في قتل عدوه وغيره، ويقال جهده المرض وأجهده إذا بلغ به المشقة وجهدتُ الفرسَ وأجهدتهُ إذا استخرجتُ جهده ... ، والجهد بالفتح المشقة والضم الطاقة وقيل يقال بالضم وبالفتح في كل واحد منهما ، فمادة "جهد" حيث وجدت ففيها معنى المبالغة))[3] .

ومما مرَّ يتضح سرُّ استعمال الفعل (جاهد) في هذا السياق بدل (قاتل)؛ وذلك أن (جاهد) هي قتال وزيادة ، فهي تتضمن معنى الجهاد، ومحاربة العدو في القول والفعل، واستفراغ ما في الوسع من طاقة، والحث على الدفاع عن الدين، وكل هذه المعاني المتراكمة وغيرها لا تؤديها صيغة (قاتلهم) لو جيء بها؛ إذ إنها لا تتضمن سوى معنى المحاربة فحسب .

٢. الفعل (طاولهم) تراكم فيه كذلك معنيان هما : إطالة مدة اشغال العدو، ومحاربته أو مدافعته، وهذا ما اشارت له المعجمات اللغوية ، قال ابن منظور : ((وطاوَلته في الأَمر أَي ماطَلته، والمُطاولة في الأمر هو التطويل))[4]، وجاء في تاج العروس : ((طالَ يطولُ طولا بِالضم : أي امتدَّ وكُلُّ ما امتدَّ من زمنٍ أو لزِمَ من همٍّ ونحوه فقد طالَ كقولك : طالَ الهَمُّ والليلُ))[5] .

---

١ . نهج السعادة : ١٤٤/٥ .

٢ . النهاية في غريب الحديث والأثر : ٨٤٨/١ ، ويُنظر : لسان العرب : (جهد) ١٣٣/٣ .

٣ . المطلع على أبواب المقنع : محمد بن أبي الفتح : ٢٠٩/١ .

٤ . لسان العرب : (طال) ٤١٠/١١ .

٥ . تاج العروس : محمد مرتضى الزبيدي : (طال) ٧٢٧٥/١ .

وورد في المعجم الوسيط كذلك : ((طاوَلَ في الشيء طوَّل، وفلانًا في الطول غالبه وباراه، وفلانا في الدَّين ونحوه ماطله وتأخر في أدائه))[١] .

٣. الفعل (ماطلهم) : هذا الفعل مرادف للفعل السابق (طاول) ، ورد في القاموس المحيط : ((وطاوَلَه : ماطَلَه))[٢] ، وهو بذلك يدلّ على ما دلَّ عليه (طاول) من : إطالة المدة، ومحاربة الخصم، جاء في لسان العرب : ((المَطْلُ التسويف والمُدافَعة بالعِدَة والدَّين...))[٣] ، وهذا ما أثبته أيضا الفيومي بقوله : ((مطل : مطلتُ الحديدة مَطلًا من باب قتل مددتهَا وطولتهَا وكلُّ ممدود ممطول ومنهُ مطلهُ بدينهِ مطلًا أَيضًا إذا سوفَهُ بوعد الوفاء مرة بعد أخرى، وماطَلَهُ مِطَالًا من باب قَاتلَ))[٤] .

ب . المزيد بحرفين :

١. بناء (تَفَعَّلَ) :

وهو بناء ثلاثي مزيد بالسابقة (التاء) وتمثِّلُ نموه الخارجي، وبتضعيف العين في حشوه، وتمثِّلُ نموه الداخلي ، وتكون بفتح الفاء وتشديد العين، ومضارعهُ (يَتَفَعَّلُ)[٥] ، والمصدر منه على (تَفَعُّل)، نحو : تكلَّمَ تكلُّمًا ، وتقوَّمَ تقوُّمًا[٦] .

ويأتي هذا البناء لمعانٍ عدة أشهرها : التكلف، والاتخاذ، والتجنب، والتدرج : وهو حصول الفعل مرة بعد أخرى ، والطلب، والصيرورة وغيرها[٧] .

ولا يختلف هذا البناء عن غيره من الأبنية المزيدة في تحقيق التراكم الدلالي، ويتضح هذا التراكم في بعض معانيه، وهي :

١. معنى التكلف : يُقصد بالتكلف ((حمل النفس على أمر فيه مشقة ومعاناة : نحو : تحلَّم : تكلَّف الحلم، وتشجَّع : تكلَّف الشجاعة، وتزَّيد في كلامه : تكلَّف الزيادة، وتصبَّر : تكلَّف الصبر))[٨] . وعليه فالتكلف

---

١. المعجم الوسيط : (طال) ٢/ ٤٥ .
٢ . القاموس المحيط : (مطل) ١٢٧/٣ .
٣ . لسان العرب : (مطل) ٦٢٤/١١ .
٤ . المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : الفيومي : (مطل) ٤٩٧/٨ .
٥ . ينظر : دلالة البنية الصرفية في السور القرآنية القصار : د. جلال الدين يوسف : ٢٥١ .
٦ . ينظر : الكتاب : ٧٩/٤ ، والمقتضب : ١١٦/١ .
٧ . ينظر : شرح الرضي على الشافية : ١٠٤/١ . ١٠٧، وأوزان الفعل ومعانيها : ٩٤ . ١٠١ .
٨ . المهذب في علم التصريف : ٨٢ ، وينظر : لسان العرب : (كلف) ٣٠٧/٩ .

يعني تكرار / تراكم الشي مرة بعد أخرى؛ كون المشقة والمعاناة لا يكونان عند حدوث الشيء مرة واحدة، وإنما يصدق على الشيء بأنه شاق عند كثرته وتكرار مرات حدوثه .

٢. معنى التدرج : التدرج هو تكرار للعمل المتكرر في مهلة، ويأتي هذا المعنى كون (تفعَّل) مطاوع (فعَّل) الدال على التكثير ، يقول الرضي : ((وتفعَّلَ الذى للعمل المتكرر في مهلةٍ مطاوع فعَّلَ الذى للتكثير، نحو جرَّعتُكَ الماءَ فتجرَّعتُه: أي كثرتُ لك جرع الماء، فتقبلت ذلك التكثير، وفوَّقته اللبنَ فتفوَّقه، وحسِّيته المرق فتحسَّاه : أي كثرت له فيقه وهو جنس الفيقة : أي قدر اللبن المجتمع بين الحلبتين، وكثَّرت له حساءه))[١].

ومن خلال كلام الرضي يتبين أن تكرار الحدث في مهلة ينتج عنه تراكم أجزاء ذلك الحدث ، فتجرَّع الدواء مثلا = جرع ، وجرع ، وجرع = كثرة التجرع ، وتفهّم الأمر يعني = فهم ، وفهم ، وفهم = كثرة الفهم ، ونحو ذلك تبصَّر وتسمَّع .

٣. المبالغة : وهو من المعاني التي استدركها الدكتور هاشم طه شلاش مستشهدًا لها ببعض الأمثلة نحو : تفصَّح الرجل إذا ازداد فصاحة، وتنصَّح : أي أكثر النصح[٢] . والمتعارف عليه أنَّ المبالغة تعني الزيادة في في المعنى، ولا شك أنَّ زيادة المعنى مولدة للتراكم المعنوي، فلو أخذنا الفعل (تنصَّح) مثلا نجده يمثل وحدة تراكمية مكونة من = نصح ، ونصح ، ونصح ...الخ = تراكم معنى النصح .

ومما مرَّ يتبين أن بناء (تفعَّل) لا يخلو من التراكم الدلالي، و لا سيما في دلالته على : التكلف ، والتدرج ، والمبالغة .

ومن أمثلة هذا البناء في نهج السعادة ما جاء في إحدى خطبه (عليه السلام) في توحيد الله وتمجيده : **((توحَّدَ بالربوبية، وخص نفسه بالوحدانية، واستخلص المجد والثناء، فتمجَّد بالتمجيد، وتحمَّدَ بالتحميد، وعلا عن اتخاذ الأبناء، وتطهَّرَ، وتقدَّسَ عن ملامسة النساء، وعزَّ وجلَّ عن مجاورة الشركاء))**[٣] .

إذ تراكم في النص الشريف بناء (تَفعَّل) في خمسة مواضع هي : **توحَّد** ، **وتمجَّدَ** ، **وتحمَّدَ** ، **وتطهَّرَ** ، **وتقدَّس**، ولا يخلو هذا التراكم من أمرين :

الاول : يرمي الإمام (عليه السلام) من خلال التراكم اللفظي المتأتي من تعدد بناء (تفعَّل) إلى بيان عظمة الخالق جل جلاله .

---

١ . شرح الرضي على الشافية : ١/ ١٠٥ . ١٠٦ .

٢ . ينظر : أوزان الفعل ومعانيها : ٩٤ .

٣ . نهج السعادة : ٢/٢٧٧ .

والثاني : إنَّ كلَّ صيغةٍ من هذه الصيغ إنما تدلُّ على المبالغة والتكثير، وما المبالغة والتكثير إلا استمرار الحدث المولِّد للتراكم الدلالي .

ومن أمثلة هذه الزنة كذلك ما جاء في خطبة له (عليه السلام) أخبر بها عن تغلب بني أمية وأهل الشام بعده على أهل الكوفة واستذلالهم إياهم ، إذ قال : ((**ما أرى هؤلاء القوم إلا ظاهرين عليكم، أرى أمورهم قد علت، وأرى نيرانكم قد خبت، وأراهم جادين، وأراكم وانين، وأراهم مجتمعين، وأراكم متفرقين، وأراهم لصاحبهم طائعين، وأراكم لي عاصين، وأيم الله لئن ظهروا عليكم لتجدنهم أرباب سوء من بعدي، كأني أنظر إليهم قد شاركوكم في بلادكم، وحملوا إلى بلادهم فيئكم، وكأني أنظر إليكم يكش بعضكم على بعض كشيش الضباب، لا تمنعون حقا ولا تمنعون لله حرمة، وكأني أنظر إليهم يقتلون قراءكم، وكأني بهم يحرمونكم ويحجبونكم، ويدنون أهل الشام دونكم، فإذا رأيتم الحرمان والأثرة ووقع السيف تندَّمْتم، وتحزَّنْتم على تفريطكم في جهادكم، وتذكَّرْتم ما فيه من الحفظ حين لا ينفعكم التذكار**))[1] .

فقد تكررت صيغة (تفعَّل) هنا في ثلاثة مواضع هي : (**تندمتم ، وتحزنتم ، وتذكرتم**)، وقد وظَّف الإمام (عليه السلام) هذه الصيغة دون صيغة (فعل) المجردة، إذ لم يقل (ندمتم ، وحزنتم ، وذكرتم) ؛ وذلك لما في صيغة (تفعَّلَ) من تراكم دلالي غير متحصل في صيغة (فعل)، فالأفعال المزيدة إنما تدل على المبالغة، والتكلف، واستمرار الندم، والحزن لديهم على تفريطهم في الجهاد، فضلا على كثرة تذكرهم استنهاض الإمام (عليه السلام) لهم بعد فوات الأوان، وهذا ما تناسبه صيغة (تفعَّلَ) ، ويمكن توضيح دلالات هذه الافعال في الاتي :

تندمتم = ندمتم ، وندمتم ، وندمتم ... الخ = تراكم الندم .

تحزنتم = حزنتم ، وحزنتم ، وحزنتم ... الخ = تراكم الحزن .

تذكرتم = ذكرتم ، وذكرتم ، وذكرتم ... الخ = تراكم التذكر .

كذلك قد شكَّل تكرار هذه الصيغة تراكمًا دلاليًا على المستويين اللفظي والمعنوي وذلك في ما جاء في مواضع عدة من وصيةٍ له (عليه السلام) لابنه السبط الأكبر الإمام الحسن (سلام الله عليه) ، وهي وصية يطول ذكرها، وإنما أقتصر على المواضع المتضمنة لبناء (تَفَعَّلَ) ، ومن تلك المواضع[2] :

((**تفقَّه وتفهَّم وصيتي**)) .

---

١ . نهج السعادة : ٤٩٧/٢ .

٢ . ينظر : المصدر نفسه : ٢٩٢/٤ .

((مَنْ حَلُمَ سادَ ، ومن تفهَّمَ ازدادَ)) .

((وتسلَّم من الدنيا ، وتجرَّعَ الغيظ)) .

((من كابر الزمانَ عَطِبَ ، ومن تغشَّمَ عليه غَضِبَ)) .

((ومن تعظَّم عليه أهانه ومن ترغَّمَ عليه أرغبه)) .

من خلال هذا العرض يتضح أنَّ الإمام (عليه السلام) قد أكثر من استعمال صيغ بناء (تفعَّل) مما شكل ظاهر تراكمية على المستويين اللفظي والدلالي، ففي المستوى اللفظي تجد أنَّ تكرار صيغ (تفعَّل) شكل لوحة إيقاعية مؤثرة في المتلقي بما يحمله هذا البناء من ثقل ورهبة وهيمنة، وعلى المستوى الدلالي فإن التراكم المعنوي يبدو فيها أكثر جلاءً كونها صيغ تدلُّ دلالة ركاما على معاني : المبالغة، والتكلف، واستمرار الحدث ، وكلها معان تدل على تراكم الحدث وتعدده مرة بعد أخرى .

إذا فجميع هذه الصيغ الواردة في النص الشريف تمثل بنية اختزالية ذات دلالة تراكمية على المستويين الصوتي والدلالي .

٢. بناء (تَفَاعَل) :

وهو بناء ثلاثي مزيد بالسابقة التاء في بدايته، وبالألف بعد الفاء في حشوه[١]، والمصدر منه على (تفاعل) نحو تسابقَ تسابقًا، وتعادل تعادلا، وتمايل الغصنُ تمايلا[٢] .

ويأتي هذا البناء لمعان عدة أشهرها : المشاركة نحو : تقاتل، وتخاصم، والتكلف نحو : تغافل وتجاهل، والتدرج نحو : تزايد الفرات، وتتابع الجريان، والتكرار إذا كان تفاعل من جانبٍ واحد على وجه الكثرة لا الحصر نحو : تعاطى الامر، وتمايل الغصن، وتساقط المطر[٣] .

ولكون بنية (تفاعل) هي قرينة (فاعل) وكلتاهما تفيد المشاركة، لذا فهي كذلك بنية عطف تراكمية متولدة من طريق المشاركة المتبادلة بين الطرفين، يقول الدكتور الزناد : ((فإذا ما دلت [فاعل] و [تفاعل] على المشاركة الكاملة أو المنقوصة فذلك يعني أنَّ الحدث الذي يمثِّلُ مجال المشاركة متكرر متواصل على أساس التناوب بين الطرفين المجتمعين بالتشارك، وهذا التكرر كائن في نسخ عديدة من إحداث الحدث بتغير في

---

١ ـ ينظر : الكتاب : ٢٨٢/٤ ، وأوزان الفعل ومعانيها : ١٠٣ .

٢ ـ ينظر : المهذب في علم التصريف : ٢٢٦ .

٣ ـ ينظر : الكتاب : ٢٣٩/٢، والمهذب في علم التصريف: ٨٣ ـ ٨٤ .

المحدِث والمتحمل، وإذا كان العطف من الوسائل البسيطة في التعبير عنه، تصورناه البنية الأولية التي جرى بها التعبير عن المشاركة القائمة على التناوب ثم جرى اختزالها في [فاعل] وقرينتها [تفاعل]))[١] .

ومن مصاديق هذه الصيغة في نهج السعادة ما جاء في قوله (عليه السلام) مخاطبًا الناس : ((**عباد الله اصدقوا فإنَّ الله مع الصادقين، وجانبوا الكذب فإنه مجانب للإيمان...، وإذا حكمتم فاعدلوا، وإذا ظلمتم فاصبروا، وإذا أسئ اليكم فاعفوا واصفحوا كما تحبون أن يعفى عنكم ، ولا تفاخروا بالآباء ، ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾[الحجرات : ١١] ، ولا تمازحوا ، ولا تغاضبوا ، ولا تباذخوا ... ، ولا تحاسدوا فإنَّ الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب، ولا تباغضوا فإنها الحالقة، وافشوا السلام في العالم، وردوا التحية على أهلها بأحسن منها**))[٢].

إذ يلحظ المتلقي تراكم بناء (تفاعل) في سبعة مواضع كلها في موضع النهي وهي : (**لا تفاخروا ، ولا تنابزوا، ولا تمازحوا، ولا تغاضبوا، ولا تباذخوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا**) .

وتتضح فائدة تراكم هذه الصيغ في النص العلوي على المستويين (الافرادي، والاجمالي)، فأما فائدتها على المستوى الافرادي، فكل منها يدلُّ دلالة تراكمية على معناه الذي ورد من أجله؛ ذلك أنها جاءت على زنة (تفاعل) الدالة على المشاركة القائمة على التناوب والتبادل بين شخصين، ذلك التناوب المولِّد للتراكم والتعدد في وقوع الحدث .

وأما على المستوى الإجمالي فإنَّ الحشد التراكمي لصيغة (تفاعل) في النص العلوي إنما يكشف لنا عن جملة معان مرادة مطلوبة وهي :

١. المبالغة في النصح والإرشاد والتوجيه .

٢. إرادة العموم والشمول لتلك الأفعال الموبقة جميعها .

٣. الدلالة على التراكم الزمني من خلال استمرار مدة النهي وعدم انقطاعها، وهي دلالة نحوية حاصلة من اجتماع (لا) الناهية مع الفعل المضارع، يقول الدكتور فاضل السامرائي : ((وتدخل (لا) على الفعل المضارع فلا تقيده بزمن على الأرجح، وإن كان النحاة يرون أنَّها تُخلصُهُ للاستقبال))[٣] .

ومن شواهد هذا البناء كذلك ما ورد في كتاب له (عليه السلام) كتبه في فتنة ابن الحضرمي بالبصرة إلى زياد بن عبيد خليفة عبد الله ابن عباس علي البصرة، جاء فيه : ((**من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى زياد**

١ . الفعل في اللغة العربية : ١٥٣ . ١٥٤ .

٢ . نهج السعادة : ٣/١٩٦ . ١٩٧ .

٣ . معاني النحو : ٤/ ١٧٦ .

بن عبيد، سلامٌ عليك، أما بعد فإني بعثت أعين بن ضبيعة ليفرق قومه عن ابن الحضرمي، فارقب ما يكون منه، فإن فعل وبلغ من ذلك ما يظن به وكان في ذلك تفريق تلك الأوباش فهو ما نحب، وإن تراميت الأمور بالقوم إلى الشقاق والعصيان فانبذ بمن أطاعك إلى من عصاك))[١] .

ومحل الشاهد هنا هو الفعل (ترامى) المزيد بالتاء والألف، فقد راكم هذا الفعل دلالتين : الأولى : تتابع الأحداث ومعاودتها وهي دلالة صرفية، والثانية : الرمي بالقوم إلى الشقاق والنفاق وهي دلالة معجمية، يقول الشيخ المحمودي : ((و ترامى الشيء : تتابع ، أي إنْ تتابعت بهم المقادير إلى الشقاء، وصار أمرهم إلى الشقاق والعصيان فانبذ بمن أطاعك إلى من عصاك))[٢] .

جـ . المزيد بثلاثة أحرف :

اِسْتَفْعَلَ :

هو بناء ثلاثي مزيد زيدت في أوله الهمزة، والسين، والتاء[٣]، والمصدر منه يكون على زنة (استفعال)، نحو : استخرج استخراجًا، واستفهم استفهامًا[٤] .

وأشهر معاني هذا البناء هو الطلب[٥]، قال ابن سيده : ((قال أبو علي : اعلم أنَّ أصل (استفعلت الشيء) في معنى طلبته، واستدعيته، وهو الاكثر، وما خرج عن هذا يُحفظ وليس من الباب))[٦] ، و يأتي كذلك لمعانٍ أخرى منها : التحوُّل، والتكلُّف، والاتخاذ، ووجود الشيء على صفة ما، والاعتقاد وغيرها[٧] .

وذهب جمعٌ من اللغويين والمفسرين الى موافقة (استفعل) لـ (فعل) في المعنى، إذ يدلان على معنى واحد نحو : (قرَّ، و استقرَّ) و (علا، واستعلى)، و (يئس، واستيأس)[٨] .

---

١ . نهج السعادة : ٥/١٤٤ .

٢ . المصدر نفسه والصفحة .

٣ . ينظر : الكتاب : ٤/ ٢٨٣ ، وأوزان الفعل ومعانيها : ١٠٦ .

٤ . ينظر : الكتاب : ٤/٧٩ ، وشذا العرف : الشيخ أحمد الحملاوي : ٧١ .

٥ . ينظر : أدب الكاتب : ٣٦٠ .

٦ . المخصص : لابن سيده : باب الأفعال والمصادر : ١٤/ ١٨٠ .

٧ . ينظر : أوزان الفعل ومعانيها : ١٠٩ . ١١١ ، والمهذب في علم التصريف : ٨٥ . ٨٦ .

٨ . ينظر : الكتاب : ٤/٧٠ ، وديوان الأدب : الفارابي : ٢/٤٣٦ ، والمنصف : ١/٧٧ ، وتفسير السمرقندي : ٣/١٣١ ، والبحر المحيط : أبو حيان الأندلسي : ٦/١١٦، ودروس التصريف : ٨٣ .

وما قيل بهذا الشأن مخالفٌ للواقع اللغوي، ذلك أن زيادة المبنى لابد أن تدل على زيادة المعنى، وهذا ما أكده جمع من العلماء، حين ذهبوا الى أنَّ الزيادة المتحصلة في بناء (استفعل) تفيد معنى المبالغة، جاء في شرح الرضي على الشافية : ((قوله " استفعل بمعنى فعل " نحو (قرَّ، واستقرَّ) ، ولابد في استقرَّ من مبالغة))[١] ، وقال الالوسي في تفسير قوله تعالى : ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ﴾[الإنسان :٧] : ((﴿مُسْتَطِيرًا﴾ فاشيًا منتشرًا في الأقطار غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو أبلغ من طار؛ لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى))[٢] .

وقال الشوكاني في حديثه عن لفظة (يستسخرون) في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ يَسۡتَسۡخِرُونَ ﴾[الصافات :١٤] : ((﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ أي : يبالغون في السخرية... ؛ لأن زيادة البناء تدلُّ على زيادة المعنى))[٣] .

ومن كل ما تقدم يتبين أنَّ بناء (استفعل) إنما أصبح دالا على المبالغة لما تراكم فيه من زيادة المبنى التي عملت بدورها على ركم المعنى وزيادته، وبذلك أصبح بناء (استفعل) متضمنا معنى (فعل) وزيادة ، فالفعل (استخرج) يدل على ما دلَّ عليه الفعل (أخرج) وزيادة؛ فالفعل (خرج) يدلُّ على خروج الشيء فحسب، أما (استخرج) فيدلُّ على اخراج الشيء بتكلف واجتهاد، ومثله كذلك (علمتُ الأمر)، و(استعلمته)، ففي (استعلمته) معنا زائدا متراكما كالطلب والتكلف والاجتهاد، والتكرار، وهذه معان لم يؤديها الفعل المجرد (علم) ، ونظير هذا كذلك (سخر، واستسخر) ، و (فهم، واستفهم) وغيرها .

ومن شواهد هذا البناء في نهج السعادة ما جاء في كلامٍ له (عليه السلام) في نعت الإسلام وبيان عظمته : ((**أما بعد فإن الله تبارك وتعالى شرع الإسلام، وسهَّل شرائعه لمن ورده، وأعز أركانه لمن حاربه، وجعله عزا لمن تولاه، وسلما لمن دخله، وهدى لمن ائتم به، وزينة لمن تجلله، وعذرا لمن انتحله، وعروة لمن أعتصم به، وحبلا لمن استمسك به**))[٤] .

فقد وظَّف الامام (عليه السلام) في النص الشريف الفعل المزيد (استمسك) في وصف الاسلام دون الفعل (تمسك)؛ وذلك لما في صيغة (استمسك) من ركامٍ معنوي لم نعهده في صيغة (تمسك)؛ إذ ((إنَّ (الاستمساك) أبلغ وأقوى من (الامساك)، وإنَّ (الاستمساك) يعني إمساك الشيء بقوة، والتعلق به، وحفظه، وعدم التفريط به، وهذه القوة والمبالغة تناسب الزيادة في الصيغة))[٥] .

---

١ . شرح الرضي على الشافية : ١١١/١، وينظر : تصريف الأسماء والأفعال : ١١٩ .

٢ . روح المعاني : الألوسي : ١٥٥/٢٩ .

٣ . فتح القدير : للشوكاني : ٣٨٩/٤ ، وينظر : التحرير والتنوير : ٩٦/١٢ .

٤ . نهج السعادة : ١٠/٢ .

٥ . دلالة استفعل على المبالغة في القرآن الكريم : د. زهير محمد علي : ١٩٦ .

وفضلا على معنى المبالغة فبناء (استفعل) يفيد معنى الطلب، فالإمام (عليه السلام) أراد في هذه الصيغة حثَّ النفس الإنسانية إلى مزيد من التمسك بالإسلام، وعدم تركه، ويُلحظ في صيغة (اسستمسك) كذلك معنى ثبوت الاستمساك وديمومته، وهذا ما لا تؤديه صيغة (تمسك)، ففي قولنا مثلًا : تمسك زيدُ بالأمر، واستمسك بالأمر، فرق واضح ؛ إذ تدل صيغة (تمسَّك) على قصر المدة، وعدم دوامها، بينما تدلُّ صيغة (استمسك) على طول المدة ودوامها .

ومن هذا العرض يتضح أنَّ اختيار بناء (استفعل) جاء مناسبًا لأهمية الإسلام، وعظمته، وذلك لما تراكم فيه من دلالاتٍ عدة .

ومن شواهد هذا البناء كذلك ما ورد في كتابٍ له (عليه السلام) أجاب به معاوية ردًا عليه : ((**بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد – يا معاوية – فقد كذبت، أنا علي بن أبي طالب، وأنا أبو الحسن والحسين قاتل جدك وعمك وخالك، وأنا الذي أفنيت قومك في يوم بدر ويوم فتح ويوم أحد، وذلك السيف بيدي تحمله ساعدي بجرأة قلبي كما خلفه النبي صلى الله عليه وآله بكف الوصي، لم استبدل بالله ربًّا وبمحمدٍ صلى الله عليه وآله نبيًا**))[1] .

يُشير النص العلوي الى احتجاجه (عليه السلام) على معاوية مبينًا زيغه وضلاله وكذبه، ولذلك استعمل الفعل الثلاثي المزيد (استبدل) بدل الفعل المضارع (أبدِّل) مثلا، و كان سر هذا الاستعمال هو لزيادة الاحتجاج على معاوية بهذا البناء؛ إذ إنَّ صيغة (أستبدلْ) أبلغ، وأقوى، وأثبت، وأدوم من صيغة (أُبدِّلْ)، وبذلك فقد جاء (عليه السلام) بما هو أكثر دلالة؛ لأنه أمكن وأقوى في إثبات الحجة على الخصم .

ونظير ما تقدم ما ذكره (عليه السلام) في كتابه إلى أهل الكوفة يبين فيه محاججته للخارجين عليه في يوم الجمل ودعوتهم الى الحق والصلاح : ((... **فأعذرتُ بالدعاء، وأقمتُ الحجة، وأقلتُ العثرةَ والزلة من أهل الردة من قريش وغيرهم، واستعتبتهم عن نكثهم بيعتي وعهد الله لي عليهم، فأبوا إلا قتالي وقتال من معي والتمادي في البغي**))[2] .

فقد وظف (عليه السلام) الفعل (استعتبتهم) بدل (عاتبتهم)؛ وذلك لما في (استعتب) من ركام دلالي، فهو يدل في هذا المقام على : المبالغة في الاستعتاب، و المطالبة بالحصول على جواب شافٍ عن نكثهم لبيعته (عليه السلام)، وقوة الاحتجاج على القوم المرتدين، وزيادة الانكار والتوبيخ على من ارتد وابتعد عن الحق، وهذا الركام الدلالي الحاصل من الفعل (استعتب) لم يؤده الفعل (عاتب) لو جيء به ، وذلك بسبب زيادة المبنى في الفعل والتي خدمت زيادة المعنى .

---

١ . نهج السعادة : ٤/ ٥٠ .

٢ . المصدر نفسه : ٤/ ٤٧ .

المبحث الثاني

التراكم الدلالي في ضوء المشتقات

أ . اسم الفاعل :

عرَّفه ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) بأنَّه ((ما اشتق من فعلٍ لمن قام به بمعنى الحدوث))[١]، وهو عند ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) يعني ((ما اشتُقَّ من فعلٍ لمن قام به على معنى الحدوث كضارب ومُكرِم)[٢] ، وقال فيه أيضا أنه ((ما دلَّ على الحدث والحدوث وفاعله))[٣]، وجاء في كتاب همع الهوامع : ((هو ما دلَّ على حدثٍ وصاحبه))[٤] .

ولم يبتعد المحدثون عن القدماء في تعريفهم لاسم الفاعل؛ إذ ذكر الدكتور عبد الحميد السيد أنَّ ((اسم الفاعل هو اسم مصوغ للدلالة على الحدث ومن وقع منه أو تعلق به على جهة الحدوث والطروء))[٥] .

وقالت فيه الدكتورة خديجة الحديثي أنه ((اسم مصوغ من المصدر للدلالة على الحدث والذات ، ويكون معناه التجدد والحدوث))[٦] .

والذي يبدو مما تقدم ـ سواء عند القدماء أم المحدثين ـ أنهم لم يختلفوا في دلالة اسم الفاعل بقدر ما اختلفوا في أصل اشتقاقه هل هو مشتق من المصدر أو من الفعل .

أثر اسم الفاعل في تحقيق التراكم الدلالي :

إنَّ اسم الفاعل وإنْ لم يُشِر أحدٌ من العلماء إلى أثر علاقته بالتراكم الدلالي، إلا أنَّ هذا الأمر لا يمنع من وجود ترابط قوي بينهما، الأمر الذي يجعل اسم الفاعل عنصرًا فاعلًا في تراكم الدلالات، ويمكن تلمس هذه الحقيقة في أقوال العلماء أنفسهم، إذ ذكر النحويون أنَّ اسم الفاعل ((ما دلَّ على الحدث والحدوث وفاعله))[٧]، وقد أوضح الدكتور فاضل السامرائي تلك الدلالات حين قال : ((ويُقصد بالحدث معنى

---

١ . شرح الرضي على الكافية : ٢/ ١٩٨ .
٢ . شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب : لابن هشام الانصاري : ٤٦٢ .
٣ . أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك : لابن هشام الانصاري : ٢٩٤/٣ .
٤ . همع الهوامع : للسيوطي : ٧٩/٥ .
٥ . المغني في علم الصرف : د.عبد الحميد السيد : ٢٠٠ .
٦ . أبنية الصرف في كتاب سيبويه . معجم ودراسة : ١٧٩ .
٧ . أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ٢٩٤/٣، وينظر : شرح التصريح على التوضيح : للشيخ خالد الأزهري : ٦٥/٢.

المصدر، وبالحدوث ما يقابل الثبوت فـ (قائم) مثلا اسم فاعل يدل على القيام وهو الحدث، وعلى الحدوث أي التغيير فالقيام ليس ملازما لصاحبه، ويدلُّ على ذات الفاعل أي صاحب القيام))[١] ، ولو أمعنا النظر جيدًا فيما تقدم لوجدنا أنَّ اسم الفاعل قد تراكمت فيه دلالاتٌ ثلاث هي :

١. دلالته على الحدث، أي معنى معين، وهي دلالة معجمية (وضعية) .

٢. دلالته على الحدوث (التغيير)، وهي دلالة صرفية (زمنية)، تطول أو تقصر بحسب مدة بقاء الحدث .

٣. دلالته على ذات الفاعل ، وهي دلالة تحيل إلى من قام بالحدث فعلا .

ولعلَّ الذي دفع العلماء هنا إلى جعل دلالة الحدث هي الأولى بين هذه الدلالات هو شعورهم بانَّها تمثل الدلالة الأصل سواء في اسم الفاعل أم في غيره من المشتقات؛ وذلك كون دلالة الحدث تشترك فيها المشتقات جميعها، فيما تنظمُّ إليها الدلالات الاخرى بحسب كل مشتق، يقول الدكتور تمام حسان : ((ومعنى الحدث مشترك بين جميع المشتقات، ولكن كل مشتق منها يضمُّ الى الحدث معنى آخر كالزمن في الفعل، وفاعل الحدث في صفة الفاعل، ومفعول الحدث في صفة المفعول وهلم جرا ، وأما المصدر فهو اسم الحدث فقط إذ لا يدل على معنى آخر الى جانب الحدث، ولذلك رآه البصريون أصلا للاشتقاق حين نظروا من هذه الزاوية وأوردوا في تدعيم ذلك مناقشات طويلة))[٢] .

ولا شك من أنَّ دلالة اسم الفاعل على الحدوث والتجدد لا يُقصدُ بها التغيير المطلق بل هي دلالة ذات شقين، فهي تفيد معنى الثبوت إذا ما قيس اسم الفاعل بالفعل، وتفيد معنى التغيير إذا ما قيس بالصفة المشبهة، يقول الدكتور فاضل السامرائي : ((وثمَّة فرقٌ واضحٌ بين قولك : هو يجد وهو مَجِدٌ، وهو يجتهد وهو مُجتهِدٌ، ويحفظ وحافظ، فإنَّ اسم الفاعل ـ كما ترى ـ يدل على ثبوت الوصف بالنسبة للفعل، ولكنه يدل على الحدوث إذا ما قيسَ بالصفة المشبهة))[٣] .

ويمكن توضيح دلالة اسم الفاعل بالمخطط الاتي :

الفعل ⟵ الثبوت ⟶ (اسم الفاعل) ⟵ الحدوث ⟶ الصفة المشبهة

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى إنَّ دلالة اسم الفاعل على التغيير بحسب قول الدكتور فاضل السامرائي لا تأتي في اسماء الفاعلين جميعها، بل تتحقق في بعضها دون بعض؛ ذلك أنَّ هناك جملة من أسماء

١ . معاني الأبنية في العربية : د. فاضل صالح السامرائي : ٤٦ .

٢ . اللغة العربية معناها ومبناها : ١٦٦ .

٣ . معاني الأبنية في العربية : ٤٧ . ٤٨ .

الفاعلين تفيد الثبوت فحسب من غير الدلالة على الحدوث (التغيير) نحو صفات الله تعالى، يقول ياسين الحمصي (ت١٠٦١هـ) : ((وكثيرا ما يُستعمل اسم الفاعل من غير إفادة التجدد والحدوث كما في : الله عالم، وامرأة حائض، وغير ذلك))[١] .

وتأسيسًا على ما تقدم فإنَّ دلالة اسم الفاعل سواء على الحدوث أم على الثبوت إنما تتحدد من خلال السياق التركيبي الذي يردان فيه، يقول أحد الباحثين : ((إن اسم الفاعل قد يأتي دالًا على الحدوث ، وقد يفيد الثبوت، فالحدوث أمر نسبي لا يتأتى من البناء وحده دون السياق))[٢] .

ومما تقدم نستنتج أنَّ اسم الفاعل يمثلُ وحدة اختزالية ذات دلالة تراكمية؛ فهو لفظ واحد يدلُّ على أمورٍ ثلاثة هي : الحدث، والثبوت، وذات الفاعل .

ومن مصاديق اسماء الفاعلين المتضمنة للتراكم الدلالي في نهج السعادة ما جاء في دعاءٍ له (عليه السلام) قد دعا به في يوم الجمعة : ((... **ولا إله إلا الله الحليم عمن ألحد في آياته، وانحرف عن بيناته ، ودان بالجحود في كل حالاته، واللهُ أكبرُ القاهرُ للأضداد، المتعالي عن الأنداد، المتفرِّدُ بالمنة على جميع العباد، والله أكبر المحتجبُ بالملكوت والعزة ، المتوحِّدُ بالجبروت والقدرة، المتردِّي بالكبرياء والعظمة، والله أكبر المتقدِّسُ بدوام السلطان، والغالبُ بالحجة والبرهان، ونفاذ المشية في كُلِّ حين وأوان**))[٣] .

إذ تواردت اسماء الفاعلين في النص العلوي صفات لله تعالى في ثمانية مواضع، وهي : (**القاهر، والمتعالي، والمتفرد، والمحتجب، والمتوحد، والمتردي، والمتقدس، والغالب**)، وقد أفصح هذا التوارد عن تراكمات لفظية تتبعها تراكمات معنوية تظهر فائدتها في أمور عدة، يمكن ايجازها في الاتي :

١. دلت أسماء الفاعلين جميعها دلالة ركامًا على ذات الفاعل، والحدث، وثبوته دون الحدوث / التغيير؛ لأنها صفات خاصة بالله تعالى، وبذلك أصبح يشكل تكرار معنى الثبوت في هذه المواضع تراكما معنويا، كان الغرض منه توكيد المعنى وتقويته وثبوته في نفس المتلقي .

٢. لقد عمد الإمام (عليه السلام) من خلال هذا التراكم اللفظي لأسماء الفاعلين الى شمول أكبر قدر من صفات الله تعالى بيانا لعظمته وقدرته وجلاله وعزته .

٣. فضلا على معنى الثبوت فقد تضمنت اسماء الفاعلين ولاسيما (المتعالي، والمتفرد، والمحتجب، والمتوحد، والمتردي، والمتقدس) معنى آخر، هو المبالغة في تعظيم الله وتمجيده؛ وذلك أنها مشتقة من أفعالٍ مزيدةٍ، والدارج عند العلماء أنَّ زيادة المبنى إذا لم تكن للإلحاق فإنها تدل على زيادة المعنى، فالمتعالي مثلا : اسم

---

١ . حاشية على شرح الفاكهي لقطر الندى : ياسين بن زين الدين الحمصي : ١٤٦/٢ .

٢ . المشتقات الدالة على الفاعلية والمفعولية : د . سيف الدين طه الفقراء : ١١٠ .

٣ . نهج السعادة : ٦/ ١٢ .

فاعل من (تعالى) الذي هو أبلغ من (علا)[١] ، والمتفرد اسم فاعل من (تفرَّد) وهو أبلغ من (أفرد)، والمحتجب اسم فاعل من (احتجب) وهو أبلغ من (حجب) ، وكذلك البقية .

ومن أمثلة اسماء الفاعلين كذلك ما نجده في خطبة له (عليه السلام) لما ورد الكوفة قادما من البصرة جاء فيها : ((**ألا إنَّه قد قعد عن نصرتي رجالٌ منكم فأنا عليهم عاتِبٌ زارٍ، فاهجروهم وأسمعوهم ما يكرهون حتى يعتبوا ليعرف بذلك حزب الله عند الفرقة**))[٢] .

لما كان النص الشريف في موضع الزجر والتوجيه فقد عمد الإمام (عليه السلام) إلى استعمال اسم الفاعل في موضعين دون الفعل، فقال : (**أنا عليهم عاتِبٌ زارٍ**) ولم يقل مثلا : (**أنا عتبتُ عليهم وزريتُ عليهم**) ؛ وذلك أنَّ اسم الفاعل أكثر ركما للدلالة من الفعل، ويمكن بيان ذلك في الآتي :

١. إنَّ الفعل مثلما هو معلوم عند اللغويين يفيد الحدوث والتجدد، في حين أنَّ اسم الفاعل يفيد ثبوت الحدث ورسوخه وتكرار وقوعه، يقول الفخر الرازي : ((إنَّ اسم الفاعل يدل في كثير من المواضع على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه، والفعل الماضي لا يدل عليه كما يُقال : فلانٌ شرِبَ الخمرَ، وفلانٌ شاربٌ الخمرَ، وفلانٌ نفذَ أمرهُ، وفلانٌ نافذُ الأمرِ، فإنَّه لا يُفهم من صيغة الفعل التكرار والرسوخ ، ومن اسم الفاعل يفهم ذلك))[٣] .

٢. يكون الفعل مقيدًا بزمن في حين أنَّ اسم الفاعل يكون غيرَ مقيدٍ بزمن، وبذلك فهو أعمُّ، وأشمل، وأقوى دلالة من الفعل، يقول الدكتور فاضل السامرائي في بيان سرِّ دلالة الاسم على الثبوت، والفعل على التجدد والحدوث : ((وسرُّ ذلك أنَّ الفعل مقيد بالزمن، فالفعل الماضي مقيد بالزمن الماضي، والمضارع مقيد بزمن الحال أو الاستقبال في الغالب في حين أنَّ الاسم غير مقيد بزمن من الأزمنة فهو أشمل، وأعم، وأثبت))[٤]، وقال في موضعٍ آخر : ((ولكون الاسم دالًا على الثبوت كان الوصف بالاسم أقوى من الوصف بالفعل فقولك : (هو مُطَّلِع) أثبت وأقوى من قولك : (هو يطَّلعُ)، و(هو متعلِّم) أثبت وأقوى من قولك : (هو يتعلمُ)، و(هو جوادُ أثبت من قولك : (هو يجودُ)...))[٥] .

وبالعودة إلى النص العلوي والعود أحمد يتبين أنَّ اسمي الفاعلين (**عاتبٌ وزارٍ**) إنما وظفهما الإمام (عليه السلام) لأنهما قد دلَّا على أمور عدة : أولها : ثبوت الوصف ورسوخه، وثانيها : دوام الوصف واستمراره عبر الأزمنة الثلاث، وثالثها : قوة الوصف وتمكنه من صاحبه، ورابعها : شدة غضب الإمام (عليه السلام)

---

١ . ينظر : المحتسب : ١٣٤/٢ ، وتصريف الأسماء والأفعال : ١١٧ .

٢ . نهج السعادة : ٣٥٧/١.

٣ . مفاتيح الغيب : الفخر الرازي : ١٢٣/١٢ .

٤ . معاني الأبنية في العربية : ٩ .

٥ . المصدر نفسه : ١٤ ـ ١٥ .

على من تقاعس عن نصرته ، وخامسها : الزيادة في التوبيخ والزجر لأولئك المتقاعسين المتخاذلين ، وهذا المعنى الأخير قد أشار إليه المحمودي بقوله : ((زار : اسم فاعل حذف منه الياء استثقالا ، وهو مأخوذ من قولهم : زرى عليه عمله – من باب رمى ...، عابهُ عليه أو عاتبه))[١] . فعابه عليه تعني إظهار عيوبهم كالجبن والخذلان ، يقول ابن منظور : ((عِبتُه أَنا وعابه عيبا وعابا وعَيَّبه وتَعَيَّبه نَسَبه إِلى العَيب وجعله ذا عيبٍ))[٢] .

ومن هذا المنطلق أقول : إنَّ هذه المعاني جميعها . والله اعلم . هي مرادة مطلوبة في نصِّ الإمام (عليه السلام) ما لم تأتِ قرينة تحدد المراد منها، فالإمام (عليه السلام) في النص الشريف لم يكن معاتبًا فحسب، بل كان ممتعضًا ساخطًا غاضبًا على تلك الجماعة من رجال الكوفة، منكرًا تخاذلهم عن نصرته في حرب الجمل؛ كونهم حادوا عن نصرة الحق والدين، ويُستدلُّ على ذلك بسياق النص كاملا ، فقد قال (عليه السلام) بعد محل الشاهد : **((فاهجروهم وأسمعوهم ما يكرهون حتى يعتبوا ليعرف بذلك حزب الله عند الفرقة))** ، والأمر بهجرانهم وإسماعهم الكلام المكروه لا يكون الا عن شدة غضبه وسخطه (عليه السلام) على تلك الفرقة المتخاذلة عن نصرته، وامتعاضه من سوء فعلهم .

ومن الأمثلة على اسم الفاعل ايضا ما جاء في أحدى وصاياه لابنه الحسن (عليه السلام) : **((وَصُولٌ مُعدِمٌ خيرٌ من جافٍ مُكثِر))**[٣] .

إذ تراكمت اسماء الفاعلين في النص العلوي في مواضعَ ثلاثة هي : **معدم، وجافٍ، ومكثر**، وقد بين معانيها المحمودي بقوله : ((والمُعدِم : الفقير، وجافٍ : اسم فاعل من قولهم : جفاه يجفوه جفاه، أي أعرض عنه، وقسا قلبه عليه وغلظ طبعه، والمكثر : الكثير المال، ومراده (عليه السلام) أن من يداوم على الوصل والأنس مع فقره، خير من قسي القلب الكثير المال الذي يعرض عن الارحام والأصدقاء))[٤] .

ولا شك في أنَّ هذه الأسماء ومثلما مرَّ في المثال السابق تدلُّ دلالة ركامًا على ثبوت الحدث وقوته، ودوام وقوعه، فضلا على الدلالة على ذات من قام بالحدث وأنجزه .

وبعيدًا عما تراكم من دلالة صرفية في أسماء الفاعلين فإنَّ المنعم النظر فيما أورده الشيخ المحمودي من معان لـ (جاف) يجده لم يُحط بكل معانيها ؛ ذلك أنها تضم من التراكم الدلالي أكثر مما أورده هو ، فقد جاء في تهذيب اللغة : ((والجفاءُ يكون في الخلقة والخلق، يقال : رجل جافِي الخلقة ، وجافي خلق ، إذا كان كزا غليظ العشرة، ويكون الجفاء في سوء العشرة، والخرق في المعاملة، والتحامل عند الغضب، والسورة على

---

١ . نهج السعادة : ١/ ٣٥٧ .

٢ . لسان العرب : (عيب) : ٦٣٣/١، وينظر : معجم مقاييس اللغة : (عيب) : ١٨٩/٤ .

٣ . نهج السعادة ٥٢/١ .

٤ . المصدر نفسه والصفحة .

الجليس))[١] ، وجاء في المعجم الوسيط : ((جفا الشيء جفاء و جفوا نبا و بعد و غلظ و فلان غلظ خلقه أو ساء خلقه و الشيء عليه ثقل و الشيء أبعده و طرحه و فلانا و عليه أعرض عنه و قطعه))[٢] .

إذا فزيادة على ما افاده اسم الفاعل (جاف) من معنى صرفي فإنَّه يدلُّ على أكثر من معنى فهو يفيد الغلظة، وسوء المعاملة، وشدة الغضب، والبعد والإعراض عن الشيء .

ب . اسم المفعول :

يُعرَّف اسم المفعول بأنه : ((هو ما اشتُقَّ من فعل لمن وقع عليه، كمضروب، ومُكْرَم))[٣] . وجاء في حاشية الصبَّان أنَّه : ((ما دلَّ على حدث ومفعوله بلا تفاضل))[٤] .

وقال الدكتور فاضل السامرائي : ((اسم المفعول : ما دلَّ على الحدث والحدوث وذات المفعول كمقتول، ومأسور))[٥] ، وذكرت الدكتورة خديجة الحديثي أنَّ (اسم المفعول : هو ما اشتق من المصدر للدلالة على صفة من وقع عليه الحدث)[٦] .

يثبتُ من هذه التعريفات وغيرها، ولاسيما ما قدمه الدكتور السامرائي من أن اسم المفعول كاسم الفاعل، يُسهم في تحقيق تراكم دلالاتٍ عدة هي : الحدث، والحدوث / التغير، وذات من وقع عليه الحدث، وهو بذلك ((لا يفترق عن اسم الفاعل إلا في الدلالة على الموصوف، فإنه في اسم الفاعل يدل على ذات الفاعل كقائم، وفي اسم المفعول يدل على ذات المفعول كمنصور))[٧] .

أضف الى ذلك أنه ((يُقال فيه ما قيل في اسم الفاعل من حيث دلالته على الحدوث والثبوت، فهو يدل على الثبوت إذا ما قيس بالفعل، وعلى الحدوث إذا ما قيس بالصفة المشبهة، فقد تقول : أترى أنك ستنتصر عليهم ؟ . فيُقال : أنا منصور، أي أنَّ الوصف ثابت لي، وتقول : أتظنه سيُغلب ؟ . فيُقال : (هو مغلوب) أي هذا الوصف كأنه قد تمَّ وثبت له))[٨] .

---

١ . تهذيب اللغة : (جفا) ٥٣/٤ .
٢ . المعجم الوسيط : (جفا) ٢٦٥/١.
٣ . شرح شذور الذهب : ٣٩٦ .
٤ . حاشية الصبان على شرح الاشموني : ٣٠٦/٢ .
٥ . معاني الأبنية في العربية : ٥٩ .
٦ . أبنية الصرف في كتاب سيبويه : ١٩٣ .
٧ . معاني الأبنية في العربية : ٥٩ .
٨ . المصدر نفسه والصفحة .

وقد أشار الدكتور جلال الدين يوسف إلى أهمية اسم المفعول في حصول التراكم الدلالي عند تحليله للفظة (ممنون) في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴾[التين: ٦] ، إذ قال : ((فلفظة ممنون على وزن مفعول فهي اسم مفعول، والفعل الثلاثي فيها (منَّ) ولهذه الصيغة عدة دلالات : فمنها دلالتها على الحدث وهو المنة، والمن : القطع، ويُقال : النقص، ومعنى ذلك أنه غير ممنون بمعنى غير مقطوع وغير منقوص، فهو بذلك دائم كثير مبالغ فيه دال على الثبوت ...، وبيَّنت اللفظة دلالة على من وقع عليه الحدث (عدم المنة) من قطع أو نقص، وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات ...، وصيغة اسم المفعول (ممنون) فيها معنى الحدوث، فهي تُشير الى الدلالة الزمنية المستقبلية لأفادتها معنى الأجر الأخروي))[١] .

وقد ورد استعمال اسم المفعول كثيرا في كلام الإمام (عليه السلام)، ومن ذلك ما ورد في خطبة له (عليه السلام) المسماة بخطبة التوحيد والتي جاء فيها : ((**وأشهدُ أنَّ محمدا عبده ورسوله المُقرّ في خير مستقر، المُتناسخ من أكارم الأصلاب، ومطهرات الأرحام، المُخرج من أكرم المعادن محتدا، وأفضل المنابت منبتا ، من أمنع ذروة وأعز أرومة، من الشجرة التي صاغ الله منها أنبياءه، وانتخب منها أمناءه، الطيبة العود المُعتَدلة العمود، الباسقة الفروع الناضرة الغصون، اليانعة الثمار الكريمة الحشاء**))[٢] .

إذ يبدو التراكم جليا في هذا النص وذلك من خلال توارد جملة من اسماء المفاعيل التي تكررت في خمسة مواضع هي : (**المُقَر، والمُتناسخ، ومُطهرَات، والمُخرَج، والمُعتدَلة**) .

ولا شك أن هذا التراكم / التعدد لأسماء المفاعيل يكشف عن جملة أمور دلالية تتلخص في الاتي :

١. دلت كل صيغة من هذه الصيغ على الحدث، والثبوت، وذات المفعول .

٢. الملاحظ في أغلب هذه الصيغ أنها تدل على معنى المبالغة في الوصف؛ وذلك كونها صيغ مشتقه من أفعال مزيدة، وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، فالمُقَر مأخوذ من الفعل المزيد بالهمزة (أقرَّ) ، والمتناسخ مشتق من المزيد بحرفين (تناسخ)، والمُخرج مشتق من الفعل (أخرج) المزيد بالهمزة ، والمعتدلة مشتقة من الفعل المزيد (اعتدل) .

٣. إنَّ تراكم هذه الصيغ وتواردها معا قد ولَّد معاني أخرى، هي الشمولية، والتوكيد، والاقرار، والثبوت، فالإمام (عليه السلام) أراد بهذا التراكم اللفظي لصيغ المفعول بيان شمولية وتوكيد وإقرار ما تشرَّف به الرسول (صلى اله عليه واله) من كرامات إلهية في نفس المتلقي .

---

١. دلالة البنية الصرفية في السور القرآنية القصار : ٧٣ . ٧٤ .

٢ . نهج السعادة : ١/ ٥٨٤ .

ومن هذه الأمثلة أيضا ما ورد في أحدى كتبه (عليه السلام) الى معاوية ، ردًا على ادعاءاته الباطلة، حيث جاء فيه : ((**من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان، أما بعد فقد أتتني منك موعظةٌ مُوصَّلةٌ، ورسالةٌ مُحبَّرةٌ، نمقتها بضلالك وأمضيتها بسوء رأيك، وكتاب امرئ ليس له بصر يهديه، ولا قائد يرشده، دعاه الهوى فأجابه، وقاده الضلال فاتبعه، فهجر لاغطا، وضلَّ خابطا**))[1] .

فقد وظف الامام (عليه السلام) صيغتي اسم المفعول : موصَّلة، ومحبَّرة في وصف موعظة معاوية ورسالته، وذلك لما فيهما من ركام دلالي يتضح في الاتي :

١. يدلُّ اسما المفعول (موصَّلة، ومحبَّرة) على المبالغة في الحدث، كونهما مشتقان من الفعلين المزيدين بالتضعيف (وصَّل)، و(حبَّر)، ومن المعلوم انَّ صيغة (فعَّل) أشهرُ ما تدل عليه هو المبالغة والتكثير، جاء في لسان العرب : ((وَصَّله تَوصيلا إذا أَكثرَ من الوصل وواصله مُواصَلةً ووِصالا ومنه المُواصَلةُ بالصوم وغيره وواصلتُ الصِّيام وِصالا إذا لم تُفطِر أَيامًا تِباعا))[2]، ولذلك ورد في التنزيل العزيز : ﴿ **وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** ﴾[القصص :٥١] ، بمعنى ((أكثرنا لهم القول موصولًا بعضه ببعض))[3] .

وقال الشهاب الفيوميّ بشأن صيغة (حبَّر) : ((حَبَرتُ الشيء حَبرًا من باب قَتَل زيّنتُهُ، والحِبرُ بالكسر اسمٌ منه فهو محبور، وحبَّرتُهُ بالتثقيل مبالغةٌ))[4] .

٢. يُلمح في اسم المفعول كذلك معنى التكلف والتصنع في تزيين الرسالة .

٣. لقد راكم الامام (عليه السلام) عبارة (رسالة محبرة) بعد قوله : (موعظة موصلة) مع أنهما مترادفتان مما زاد في تراكم الالفاظ، ولم يكن هذا التراكم إلا لغرض التأكيد على أنَّ هذه الموعظة الباطلة هي من ألاعيب معاوية دون غيره ، فلو اكتفى (عليه السلام) بعبارة (موعظة موصَّلة) لكان من المحتمل أنَّ هذه الموعظة قد وصلت الى الامام (عليه السلام) شفاها وليس تدوينا، ومن المعلوم أن المنقول شفاها لا تصل مصداقيته الى مستوى المدون، وهذا يُثير احتمال أنَّ ما نُقل إلى الامام (عليه السلام) هو مفترى على معاوية، ولذلك فقد أضاف (عليه السلام) عبارة : (رسالة محبرة) ليؤكد أنَّ هذا الكلام هو لمعاوية دون غيره؛ لأنَّ الرسالة تحمل ختم المُرسِل فيصعب تحريفها .

٤. يستلزم اسمي المفعول (موصَّلة) و (محبَّرة) دلالتي التوبيخ والتحقير؛ ذلك أنَّ ما ورد في الرسالة كلامٌ غير مرتجل، بل ملفق من أقاويل وتخرصات سابقة تنم عن ضعف عقلية وسوء منطق، يقول المحمودي :

---

١ . نهج السعادة : ١٨٥/٤

٢ . لسان العرب : (وصل) ٧٢٦/١١ .

٣ . مفردات ألفاظ القرآن : ٨٧٣ .

٤ . المصباح المنير في شرح الغريب الكبير : ٢٥٩/٢ .

((موصَّلة : ملفقة من كلام مختلف أخذت كل قطعة منه من غيرك فألفتها تأليف الثوب المرقع بقطع متباينة الالوا))[١] .

جـ . أبنية المبالغة :

المبالغة لغة : تعود الى الجذر بلغ وهو جذر عام يفيد معانٍ عدة منها : الوصول والانتهاء، والاجتهاد في الأمر والتوكيد ، جاء في لسان العرب : ((بَلَغَ الشيءُ يبلغُ بلوغا وبلاغا وصل وانتهى ...، وبالغ يبالغُ مبالغة وبلاغا إذا اجتهد في الأمر ...، وقيل يمين بالغة أي مؤكَّدة، والمبالغة أن تبلغَ في الأمر جهدكَ))[٢].

أما في الاصطلاح فهي عند قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) تعني ((أن يذكر الشاعر حالًا من الأحوال في شعر لو وقف عليها لأجزأه ذلك الغرض الذي قصده فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون أبلغ فيما قصد له وذلك مثل قول عمير بن الأهتم التغلبي :

وَنكرمُ جَارَنا مَا دَامَ فِيْنا وَنتْبعُهُ الكرَامَة حَيث مَالا

فإكرامهم للجار، ما دام فيهم من الأخلاق الجميلة الموصوفة وإتباعهم إياه الكرامة حيث كان من المبالغة في الجميل ، ومن ذلك قول الحكم الخُضري :

وأَقْبَحَ مِنْ قِرْدٍ وَأَبْخلَ بالقِرَى مِن الكلب وهْو غَرْثانُ أعْجَف

فقد كان يجزئ في الذم أن يكون هذا المهجو أبخل من الكلب ومن المبالغة في هجائه قوله : وهو غرثانُ أعجف (الجائع النحيف))[٣] .

وتأسيسًا على كلام قدامة فإن المبالغة تعني عدم الاكتفاء بالمعنى الذي يتطلبه مقام الحديث، وإنما هي تجاوز هذا المقام إلى مقام أرفع وأكبر لإضافة المزيد من البيان، والاكثار في الوصف واشباعه .

أما الرماني فالمبالغة عنده هي ((الدلالة على كبر المعنى على جهة التغيير من أصل اللغة لتلك الإبانة، والتغيير عن أصل اللغة للإبانة إما أن يكون بالصيغ القياسية الصرفية كـ"فعال ، ومفعال ، و فعول ، وغيرها "وإما بتغيير الصياغة))[٤] .

---

١ . نهج السعادة : ١٨٥/٤ .

٢ . لسان العرب : مادة (بلغ) : ٤١٩/٨ .

٣ . نقد الشعر : قدامة بن جعفر : ١٤١ ، وينظر : كتاب الصناعتين : ٣٦٥ .

٤ . النكت في إعجاز القران : علي بن عيسى الرماني : ٩٦ .

ويُلخِّص صاحب الطراز مفهوم المبالغة عند القدماء بقوله : ((هي مصدر من قولك بالغت في الشيء مبالغة إذا بلغت أقصى الغرض منه، وفي مصطلح علماء البيان : هي أن تثبت للشيء وصفًا من الأوصاف تقصد فيه الزيادة على غيره، إما على وجه الإمكان أو التعذر، أو الاستحالة، فقوله : أن تثبت للشيء وصفا من الأوصاف عام يندرج فيه ما فيه مبالغة وما ليس فيه مبالغة، وقوله تقصد فيه الزيادة على غيره، يخرج عنه ما ليس كذلك، فإن حقيقة المبالغة الزيادة لا محالة، وقوله : وصفا من الأوصاف : عام في المدح والذم، والحمد والشكر، وسائر الأوصاف التي يمكن فيها الزيادة، وقوله : إما على جهة الإمكان أو التعذر أو الاستحالة : يشمل أنواع المبالغة))[١] . وأنواع المبالغة يقصد بها درجاتها من إغراق وغلو وتعدد...إلخ .

أثر المبالغة في التراكم الدلالي :

مرَّ علينا سابقًا أنَّ صيغة اسم الفاعل هي صيغة معدولة أو منقولة عن الفعل لتأتي بدلالات إضافية كالدلالة على الحدث، وعلى من قام بالحدث، وعلى دوام الحدث، فالفعل لا يدل سوى على الحدوث والتغيير فحسب، أمَّا العدول عنه إلى صيغ (اسم الفاعل) فإنَّه من دون أدنى شك يُضيف على المادة التي اشتُقَّ منها دلالات أخرى، وبذلك يتحقق التراكم الدلالي، وما يسري على اسم الفاعل يسري على صيغ المبالغة كذلك؛ فهي صيغ محولة عن اسم الفاعل لغرض التكثير والمبالغة، وبذلك يقول سيبويه ((وأجروا اسم الفاعل، إذا أرادوا أن يبالغوا في الأمر مجراه إذا كان على بناء فاعل، لأنه يريد به ما أراد بفاعل من إيقاع الفعل، إلا أنَّه يريد أن يُحدِّث عن المبالغة، فما هو الأصل الذي عليه أكثر هذا المعنى : فعول، وفعال، ومفعال، وفعل))[٢].

ويُستنتج من قول سيبويه أنَّ العدول عن اسم الفاعل إلى أبنية المبالغة هو لغرض الزيادة في المعنى الذي دلَّ عليه اسم الفاعل مسبقًا، وقد تبعه في ذلك جمع من العلماء كالمبرد (ت٢٨٦هـ)، وابن السراج (ت٣١٦هـ)، وابن يعيش (ت٦٤٦هـ)، وابن عقيل (ت٧٦٩هـ)[٣] .

وقد تابع المحدثون من سبقهم في هذا الأمر، فصيغ المبالغة عندهم ((هي اسماء تُشتق من الأفعال للدلالة على معنى اسم الفاعل مع تأكيد المعنى وتقويته والمبالغة فيه))[٤] .

---

١ . الطراز المضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : ١١٦/٣ .

٢ . الكتاب : ١١٠/١ .

٣ . ينظر : المقتضب : ١١٢/٢ ، والأصول في النحو : ابن السراج : ١٢٣/١ ، وشرح المفصل : ١٠٢/٦. ١٠٥ ، وشرح ابن عقيل : :١١١/٣ .

٤ . التطبيق الصرفي : د. عبده الراجحي : ٧٧، وينظر : معجم الأوزان الصرفية : د. أميل بديع يعقوب : ١٢٨، وينظر : المشتقات الدالة على الفاعلية والمفعولية : ٢٧، و١١٥ .

إذًا فصيغ المبالغة هي صيغ معدولة للدلالة على الكثرة والمبالغة في حدث اسم الفاعل مع تأكيده، فقولك مثلا : زيدٌ ضاربٌ عمرًا ، يدل على وقوع الحدث من زيد مرة واحدة، أما : زيد ضروب عمرًا ، فإنَّه يدل على تكرار الفعل ، فـ (فعول) أبلغ من فاعل في الدلالة على الكثرة وهذا نوع من الاختصار الرامي إلى قله اللفظ وتكثير المعنى ، يقول الزركشي : ((تجيء اللفظة الدالة على التكثير والمبالغة بصيغ من صيغ المبالغة كفعال وفعيل وفعلان فإنَّه أبلغ من فاعل ويجوز أن يُعد هذا من أنواع الاختصار فإنَّ أصله وضع لذلك، فإنَّ ضروبًا ناب عن قولك ضارب، وضارب، وضارب))[١] ، وكذلك صيغة (راحم) تدل على حدوث الفعل مرة واحدة، وإذا أردنا الدلالة على كثرته قلنا : (رحمن أو رحيم) ومثله : (غافر، غفور، وغّفار) و (عالم، وعليم ، وعلام) و (وخاذل، وخذول) و (يائس، ويؤوس) .

وأقول : إنَّ الدلالة المكتسبة عن طريق صيغ المبالغة إنما هي دلالة ثانوية تُضاف إلى دلالة الحدث في اسم الفاعل، وهي بذلك تعمل على زيادة معنى الحدث فحسب، مع بقاء دلالتي (القائم بالحدث، والحدوث) على حالهما دون تغيير، وبذلك فصيغ المبالغة تشمل اسم الفاعل إضافة إلى تكثير الحدث وتقويته، ويمكن بيان ذلك في المخطط الآتي :

صيغ المبالغة = اسم الفاعل + تقوية الحدث وتوكيده في اسم الفاعل .

الأول : بناء (فَعَّال) :

وهو من أبنية المبالغة الكثيرة الورود في العربية، فقد أشار إليه سيبويه[٢] ، وغيره من العلماء كالمبرد وابن يعيش والرضي، وهذا البناء مع كثرة استعماله إلا أنَّ سيبويه لا يقيس عليه، إذ قال : ((وتقول لمن كان شيء من هذه الأشياء صنعته : لبَّان، وتمّار، ونبَّال ، وليس في كلِّ شيء من هذا قيل هذا، ألا ترى أنَّك لا تقول لصاحب البرّ : برار ، ولا لصاحب الفاكهة : فكَّاه ، ولا لصاحب الشَّعير : شعَّار ، ولا لصاحب الدَّقيق : دقَّاق))[٣] .

و للعلماء في أصل هذا البناء رأيان :

الاول : يرى أن فَعَّالا هو أصل في المبالغة، وقد عُدِلَ به إلى الصناعة والحرفة[٤] .

---

١ . البرهان في علوم القران : ٥٠٢/٢ .

٢ . ينظر : الكتاب : ١/ ١١٠ .

٣ . الكتاب : ٣٨٢/٣ .

٤ . ينظر : المقتضب : ١٦٨/٣

والآخر : يرى أنَّ فعَّالا هو أصلٌ في الصنعة وقد عُدِل عنه إلى المبالغة، وهذا ما أيده الدكتور فاضل السامرائي بقوله : ((ونحن نذهب مذهب ابن طلحة فنرى أنَّ فعَّالا في المبالغة منقول عن فعَّال في الصنعة؛ لأنا نرى أنَّ الأصل في المبالغة هو النقل من شيء إلى آخر فتحصل عند ذاك المبالغة))[١] .

ومهما يكن من أمر فإنَّ بنية (فعَّال) تفيد معنى التكثير والاستمرار، جاء في كتاب المخصص : ((والباب فيما كان صنعة ومعالجة أن يجيء على فَعَّال لأنَّ فَعَّالا لتكثير الفعل وصاحب الصنعة مداوم لصنعته فجعل له البناء الدال على التكثير كالبزار والعطار وغير ذلك مما لا يُحصى كثرة))[٢]، وقال الرازي عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾[القيامة :٢] : ((اعلم أنَّ قوله لوَّامة ينبئ عن التكرار والإعادة وكذا القول في لوَّام وغدَّار وضرَّار))[٣] .

وفضلا على دلالة (فَعَّالً) على المبالغة والتكثير فهي تدلُّ كذلك على معنيي : المعاناة، والملازمة، يقول دكتور فاضل السامرائي : ((وعلى هذا فصيغة (فعَّال) تدل على الحرفة والصناعة، وتقتضي الاستمرار والتكرار، والإعادة والتجدد، والمعاناة والملازمة، قال تعالى : ﴿ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ﴾[المعارج : ١٥ـ١٦] جاء بها على فعَّال ولم يقل (نزوعًا) لأنها . والله أعلم . تفيد الاستمرار والتجدد والتكرار وهو موافق لقوله تعالى :﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ ﴾[النساء:٥٦]))[٤] .

ومن هنا فإنَّ بنية (فعَّال) تمثلُ بنية صرفية ذات دلالة تراكمية؛ فهي تدلُّ دلالة ركامًا على الحرفة في الصناعة، ومعاودة تكرار الحدث واستمراره، والمعاناة في حدوثه مع ملازمته له وعدم انفكاكه عنه، وما معاودة تكرار الحدث إلا مبعثًا على تراكم أجزائه، يقول الدكتور الأزهر الزَّنَّاد : ((والتراكم يعود إلى المعاودة والاستمرار))[٥] .

ومن مصاديق هذا البناء في نهج السعادة، ما جاء في كتاب الامام (عليه السلام) ردًا على كتاب لمعاوية : ((وَإِنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي اَلتِّيهِ رَوَّاغٌ عَنِ اَلْقَصْدِ))[٦] .

إذ وردت في النص صيغتان بزنة (فعَّال) هما : **(ذهَّاب، وروَّاغ)** المشتقتان من الفعلين (ذهب، وراغ)، وتدلُّ هاتان الصيغتان على الكثرة، والمعاودة والاستمرار في الحدث ، يقول المحمودي : ((الذهاب – بتشديد

---

١ . معاني الابنية في العربية : ١٠٨ .
٢ . المخصص : ١٥ / ٦٩ ، وينظر : شرح المفصل : ١٠٣/٦ .
٣ . مفاتيح الغيب : ٢١٦/٣٠ .
٤ . معاني الابنية في العربية : ١١٠ .
٥ . الفعل في اللغة العربية : ١٥٥ .
٦ . نهج السعادة : ١٩٢/٤ .

الهاء كشداد : كثير الذهاب، والتيه : الضلال . والرواغ : الميال))[١] ، وورد في منهاج البراعة أنَّ ((الروَّاغ : كثير الميل ، يقال : راغ الرجل و الثعلب روغًا، و روغانا إذا مال و حاد عن الشي ء ، و يقال : فلان يروغ روغان الثعلب و من الأمثال فلان أروغ من الثعلب))[٢] .

وقد وصف الإمام (عليه السلام) معاوية بأنَّه (ذهَّاب في التيه، روَّاغ عن القصد)؛ وذلك لملاءمة هذين الوصفين لحال معاوية المتمثلة بكثرة ذهابه، وشدة توغله في الضلال، واستمرارية عدوله عن الحق إلى الباطل[٣] .

ولا يخفى أنه ثمة نكتة لغوية تقف وراء تراكم صيغتي (ذهَّاب ، وروَّاغ) ، فقد أراد الامام (عليه السلام) من وراء هذا التراكم الصيغي أمورًا عدة : أولها : الكشف عن حقيقة معاوية المزيفة، وثانيها : التأكيد على اتصافه بتلك الصفات السيئة، وثالثها : زيادةً في الإنكار على معاوية وتوبيخه، ولاريب أنَّ هذه المعاني جميعها لم تحصل لو جيء بصيغة واحدة كـ(ذهَّاب) وحدها أو (روَّاغ) وحدها مثلا ، ولكن من كشف عن تلك المعاني الثانوية هو تراكم اللفظين معا .

ومن ذلك أيضا ما ورد في خطبةٍ له (عليه السلام) في سياق الناس إلى حرب معاوية : ((**يا أبناء المهاجرين انفروا إلى أئمة الكفر وبقية الأحزاب، وأولياء الشيطان، انفروا إلى من يقاتل على دمِّ حمَّال الخطايا، فو الله الذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنَّه ليحمل خطاياهم إلى يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيئا**))[٤] .

فقد وصف (عليه السلام) عثمان بن عفان بـ **(حمَّال الخطايا)**؛ وذلك لما تدلُّ عليه صيغة المبالغة (حمَّال) ركامٍ دلالي فهي تدل على :

١. كثرة تراكم الخطايا التي يتحملها عثمان، فإنَّه يتحمل خطايا أفعاله وخطايا غيره إلى يوم الدين، وهذا ما أكد (عليه السلام) في ختام النص الشريف : ((**فو الله الذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنَّه ليحمل خطاياهم إلى يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيئًا**)) .

٢. ثبوت تلك الخطايا وملازمتها له من دون انفكاك .

٣. شدة المعاناة وقسوتها بسبب تحمل جميع تلك الأوزار .

---

١ .. نهج السعادة : ١٩٢/٤ .

٢ . منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : ١١٢/١٩ .

٣ . ينظر : أبنية المبالغة وأنماطها في نهج البلاغة : د. حيدر هادي الشيباني ، و شرح نهج البلاغة : ميثم البحراني : ٤٣٨/٤.

٤ . نهج السعادة : ٣٧٣/٢ .

٤. الإشارة الى قوله تعالى : ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾[العنكبوت :١٣] .

ومن الأمثلة كذلك على هذا البناء مجيء صيغة (درَّاك) في كلام له (عليه السلام) في بيان عظمة الله وكبريائه واتصافه بالمجد والجلال جاء فيه : ((**إنَّ ربي لطيف اللطافة لا يوصف باللطف...، درَّاك لا بخديعة، في الأشياء كلها غير متمازج بها، ولا بائن منها...**))[١] .

إذ وردت صيغة (درَّاك) المشتقة من الفعل المزيد (أدرك) دالَّة على المبالغة والمعاودة في الحدث، مع بيان قوة الادراك وعظمته، جاء في لسان العرب : ((الدَّرَكُ اللحَاق وقد أَدركه، ورجل دَرَّاك مُدْرِك كثير الإدراك ...، ولم يجئ فَعَّال من أَفْعَلَ إلا دَرَّاك من أَدرَك، وجبّار من أَجبره على الحكم أَكرهه وسآر من قوله أَسأَر في الكأْس إِذا أَبقى فيها سؤْراً من الشراب وهي البقية))[٢] .

ومن تراكم صيغ هذا البناء ما جاء في إحدى خطبه (عليه السلام) في تزهيد الناس عن الدنيا : ((**ترصدوا مواعيد الآجال وباشروها بمحاسن الأعمال، ولا تركنوا الى ذخائر الأموال فتحليكم خدائع الآمال، إنَّ الدنيا خدَّاعةٌ، صرَّاعةٌ، مكَّارةٌ، غرَّارةٌ، سحَّارةٌ، أنهارها لامعة وثمراتها يانعة، ظاهرها سرور وباطنها غرور، تأكلكم بأضراس المنايا، وتبيركم بأتلاف الرزايا ...**))[٣] .

فقد ورد بناء (فَعَّال) وصفا للدنيا في خمسة مواضع هي : (**خدَّاعة، وصرَّاعة، ومكَّارة، وغرَّارة، وسحَّارة**)، ولو تأملنا تراكم هذه الصيغ في النص العلوي لتبين أنه يكشف عن نكات لغوية دلالية لطيفة نوجزها في الاتي :

١. فضلًا على دلالة هذه الصيغ على معنى الكثرة والمبالغة في وقوع الحدث يهدف الامام (عليه السلام) . والله أعلم . من وراء هذا التراكم الصيغي الى زيادة تحذير الناس من الانخداع أو الاغترار بالدنيا؛ ذلك ((لأنها كثيرة المكر والخديعة، أي أنها تخدع أهلها فتُظهر لهم خلاف ما تُبطن، تُظهر لهم لينها وحلاوتها وشهواتها فيغترون بها ، وتُبطن له قساوتها ومرارتها))[٤] .

٢. إن هذا التعدد / التراكم في صيغ (فَعَّال) إنما يرسم صور تعدد وجوه الدنيا، فهي ذات وجوه متعددة متلونة، ومتغيرة ولكنها ذات غاية واحدة، فهي مرة تخدع الإنسان، ومرة تصرعه، ومرة تمكر به، وأخرى تسحره بجمالها حتى ترمي به في المهالك .

---

١ . نهج السعادة : ٥١٦/١ .

٢ . لسان العرب : (درك) ٤١٩/١٠ .

٣ . نهج السعادة : ٦٣٢/١ .

٤ . توضيح نهج البلاغة : السيد محمد الشيرازي :٤٠٢/٣ .

الثاني : بناء (فَعُـوْل) :

وهو أحد أبنية المبالغة التي أوردها اللغويون في مدوناتهم، وقد تعدد الآراء في دلالة هذا البناء، وهي كالآتي :

١. ذهب أبو إبراهيم الفارابي (ت٣٥٠هـ) الى أنَّه يُفيدُ ديمومة الفعل (الحدث)، إذ قال : ((إذا كان على فعول فهو لمن دام منه الفعل))[١] .

٢. يرى آخرون أنه يدل على الكثرة والمبالغة، إذ ذكر السيوطي (ت٩١١هـ) : ((أنَّ بناء (فَعول) يكون لمن كَثُرَ منه الفعل))[٢]، وقال ابن عاشور في معنى (الشكور) : ((والشكور : فَعول بمعنى فاعل مبالغة، أي كثير الشكر))[٣] .

٣. فيما ذهب أبو هلال العسكري إلى أنَّ فعول يدل على القوة، إذ قال : ((وإذا كان قويًا على الفعل قيل : فعول مثل صبور، وشكور))[٤] .

٤. إنَّ هذا البناء يستوي فيه المذكر والمؤنث، فتقول : رجلٌ عجوز وامرأة عجوز ، وطالبٌ خلوق، وطالبةٌ خلوق، وكذلك صبور، وشكور وغيرها .

ومع تعدد أراء العلماء في دلالة هذا البناء إلا أنَّ التوافق يبدو واضحا بين تلك الدلالات؛ وذلك أنَّ كثرة وقوع الشيء تؤدي إلى دوامه واستمراريته، ويستلزم الكثرة والدوام القوة والثبات؛ إذ إنَّ الشيء إذا استمر حدوثه كثُرَ وإذا كثُر أصبح أقوى وأثبت .

ومن هنا يمكن القول : إنَّ تلك الدلالات جميعها هي مرادة مطلوبة في بناء (فعول)؛ فالكثرة والاستمرار هي أساس دوام الشيء وقوته وثباته .

ومن أمثلة هذا البناء في نهج السعادة ما ورد في وصيةٍ له (عليه السلام) إلى السبط الشهيد أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) جاء فيها : ((**وَصُولٌ معدمٌ خيرٌ من جافٍ مُكثرٍ**))[٥] .

فقد جاءت صيغة المبالغة (وصول) هنا صفة لموصوف محذوف، وتقدير الكلام . والله أعلم : شخص وصولٌ مُعدمٌ خيرٌ من جافٍ مكثر ، ولكن حُذِفَ الموصوف وأقيمت الصفة مقامه .

---

١ . ديوان الأدب : ٨٥/١ .
٢ . همع الهوامع : ٨٨/٥ ، و ينظر : الكليات : ١٥٩٢ .
٣ . التحرير والتنوير : ١٧ / ١٣٥ .
٤ . الفروق اللغوية : ٢٤ .
٥ . نهج السعادة ٥٢/١ .

وهذه الصيغة تفيد معنى المبالغة والتكثير والدوام في وصل القرابة، يقول المحمودي : ((الوصول كصبور الذي يصل القرابة والمودة اللاحقة بالسابقة ولا يقطعها، ويداوم على المعروف ولا يهجرها))[١] ، كما أنها تصدق على المذكر والمؤنث، إذ تقول : رجلٌ وَصُولٌ، وامرأةٌ وَصُولٌ ، لأنهم يكثران المواصلة مع غيرهم من الناس .

ومن مصاديق هذا البناء كذلك مجيء صيغتي **(عزوفا، وكدوحا)** في كلامٍ له (عليه السلام) في التزهيد عن الدنيا، والتحذير من الاغترار بها : ((... **فرَحِمَ الله امرءًا راقب ربه، وخاف ذنبه، وكابر هواه، وكذَّب مناه، ورحم الله امرءًا أزمَّ نفسه من التقوى بزمام، وألجمها من خشية ربها بلجام، فقادها إلى الطاعة بزمامها، وردعها عن المعصية بلجامها، رافعًا إلى المعاد طرفه، متوقعًا في كُلِّ أوان حتفه، دائم الفكر، طويل السهر، عزوفًا عن الدنيا، كدوحًا لأمر آخرته**))[٢] .

فقد وردت صيغتا المبالغة (عزوفًا، وكدوحًا) مشتقتان من الفعلين (عزف عن الشيء ، وكدح)، والعزوف عن الشيء مثلما ورد في المعجمات يعني : الزهد فيه، والانصراف عنه، والملل منه، وتركه بعد الإعجاب به[٣] ، وأما الكَدْحُ فيعني ((العملُ، والسعيُ، والخدشُ، والكسبُ ...، وقيل الكَدْحُ أكثر من الخدش))[٤]، وقيل : ((الكدح في اللغة : السعي الدؤوب في العمل في باب الدنيا، وفي باب الآخرة))[٥]، وقيل كذلك : ((هو اكتساب بمشقة))[٦] .

ومن هذا العرض المعجمي لمادتي (عزف، وكدح) يتضح مدى ركمهما للمعاني .

ولو عدنا إلى النص العلوي الشريف نجد أنَّ الإمام (عليه السلام) قد وظَّف صيغتي المبالغة (عزوفًا، وكدوحًا)، وذلك . والله أعلم . لإفادة أمورٍ عدة هي :

١. إنما جاءت هاتان الصيغتان للدلالة على المبالغة والكثرة، إذ تدلُّ صيغة (عزوف) على المبالغة والتكثير والمداومة في الزهد، والانصراف عن الدنيا، والملل منها، فيما دلت صيغة (كدوح) كذلك على المبالغة والمداومة في الأعمال الصالحة .

٢. اشتمال المذكر والمؤنث بوصف واحد؛ لأنَّ (فَعُول) تصدق عليهما معا .

---

١ . نهج السعادة ٥٢/١ .
٢ . المصدر نفسه : ٣/ ١٣٧ . ١٣٨ .
٣ . ينظر : القاموس المحيط : (عزف) ٤١٠/٢ ، ولسان العرب : (عزف) ٢٤٤/٩ .
٤ ينظر : الصحاح في اللغة : (كدح) ١٠٩/٢ .
٥ . تهذيب اللغة : (كدح) ٤٧٠/١ .
٦ . المحكم والمحيط الاعظم : (كدح) ٤٢٣/١.

٣. الدلالة على ثبوت الوصف وقوته .

٤. أفاد التراكم اللفظي الحاصل من اجتماع هاتين الصيغتين المقابلة بين صورتين متضادتين الأولى تمثلت بالعزوف عن طلب الدنيا، والأخرى تمثلت بالكدح لطلب الاخرة ، وهما حالتان متلازمتان في حياة الإنسان المؤمن .

ومن أمثلة هذا البناء كذلك ما ورد في كتابٍ له (عليه السلام) إلى السبط الأكبر الإمام الحسن (عليه السلام) : ((**يا بني كُن في الرخاء شكورًا، وعند البلاء صبورًا، ولربِّكَ ذكورًا، وليكُن ما بينك وبينه معمورًا**))[١] .

ففي النص الشريف تراكم بناء (فَعُوُل) في مواضع ثلاثة هي : (**شكور، وصبور، وذكور**)؛ وتعود نكته استعمال هذا البناء بدل بناء (فاعل) لما في بناء (فعول) من ركام دلالي؛ إذ يدلُّ على كثرة وقوع الحدث، والمداومة عليه بالقلب واللسان بخلاف بناء (فاعل) الذي يفيد الحدوث والتغيير، كذلك أنَّ الإمام (عليه السلام) أراد ومن خلال هذا البناء أن يمثل حالة الإنسان المؤمن المتقي العارف لحق الله خير تمثيل .

ومن هذا المنطلق تجد أنَّ أبا هلال العسكري قد فرق بين (الشاكر والشكور) لما في الشكور من معنى متراكم، إذ قال : ((الشاكر من وقع منه الشكر، والشكور : المتوفر على أداء الشكر بقلبه، ولسانه، وجوارحه أكثر أوقاته))[٢]، وجاء في كتاب معاني الابنية في العربية : ((فعندما تقول : (هو صبور) كان المعنى أنَّه كأنه مادة تستنفد في الصبر وتغني فيه كالوقود الذي يستهلك في الاتقاد ويفنى فيه وكالوضوء الذي يستنفد في الوضوء، وكذا حين تقول : (هو شكور) كأنه مادة معدة للشكر تستهلك فيه ....، وحين تقول : (هو جزوع) كان المعنى أنه ذات تستهلك في الجذع ، وكذا الغفور أي كله مغفرة وهكذا))[٣] .

الثالث : بناء (فَعِيْل) :

هي كذلك من أبنية المبالغة القياسية التي أوردها سيبويه وغيره من علماء اللغة[٤]، وهي كغيرها من أبنية المبالغة لها أثرٌ واضح في تراكم المعاني، وتعددها، وهذا ما أشار إليه جملة من اللغويين (قدماء ومحدثين في مقولات عدة، نذكر بعضها على سبيل الإيضاح :

١. ذهب الراغب الاصفهاني (ت٤٢٥هـ) إلى أنَّ بناء (فعيل) قد يحتمل دلالتي اسم الفاعل واسم المفعول معا، إذ قال عند تفسيره لقوله تعالى :﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾ [ق : ٤] : ((أي

---

١ . نهج السعادة : ٣١٧/٤ .

٢ . الفروق اللغوية : ٣٠٢ .

٣ . معاني الابنية في العربية : ١١٥ .

٤ . ينظر : الكتاب : ١/ ١١٠ .

حافظٌ لأعمالهم فيكون {حفيظ} بمعنى حافظ ، نحو قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ ﴾ [الشورى : ٦]، أو معناه : محفوظ لا يضيع ، كقوله تعالى : ﴿ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ طه/٥٢))[١] .

وتابع الدكتور طه محمد الجندي ما ذهب إليه الراغب الاصفهاني قائلا : ((وتبعا لهذا فإنني أفهم أنَّ إيثار الآية قالب (فعيل) مع إمكانية التعبير بأخويه لا يكون إلا لغرض دلالي خاص بهذا القالب ليس في أخويه، ألا وهو التركيز على إثبات المعنى المراد منه بقالب يفيد دوام الوصف، وثبوته لموصوفه مع المبالغة فيه متناسيًا تمامًا الجانب العلاجي للحدث الذي يفيده القالبان : (حافظ) أو (محفوظ) ، ... لكنه تعبير متشح بالمعنى المتفرد بالصيغة، والمختص بها، فكانت دلالتها في سياقها دلالة مزدوجة، وهو ما لا نجده في صيغة الفاعل الصريحة، أو صيغة المفعول))[٢] .

٢. يرى الدكتور فاضل السامرائي أن (فعيل) ((في المبالغة يدل على معاناة الأمر وتكراره حتى أصبح كأنه خِلقةٌ في صاحبه وطبيعةٌ فيه كعليم أي هو لكثرة نظره في العلم وتبحره فيه أصبح العلمُ سجية ثابتة في صاحبه كالطبيعة فيه))[٣] .

ويذهب بنا كلام الدكتور السامرائي إلى أنَّ بناء (فعيل) قد تراكمت فيه دلالتان : الأولى : ثبوت الوصف، والثانية : هي المبالغة في الثبوت من خلال تكرار الحدث، وهذا ما أكده الدكتور . طه محمد الجندي . بقوله : ((فالمعنيان الدلاليان المرتبطان بهذا القالب هما : الدلالة على الأوصاف الثابتة، والخصال الملازمة لأصحابها، وأيضا الدلالة على المبالغة في الحدث، وتكراره من صاحبه، حتى صار طبيعة فيه))[٤] .

٣. فضلا على ما تقدم فإن ((صيغة فعيل تعني الشدة والقوة في الوصف بالإضافة الى المبالغة ، فلذلك نجد أنَّ معنى الحدث فيه أكثر إيقاعًا وأشد قوة))[٥] .

وقد ورد استعمال بناء (فعيل) في نهج السعادة في مواضع عدة، ومن تلك المواضع ما ورد في كتاب لأمير المؤمنين (عليه السلام) إلى ابنه الإمام الحسن (عليه السلام) عند قدومه من صفين ، وهذا نصه : ((**بسم الله الرحمن الرحيم من الوالد الفاني، المقر للزمان، المدبر العمر، المستسلم للدهر، الذام للدنيا الساكن مساكن الموتى، الظاعن عنها إليهم، إلى الولد المؤمل ما لا يدرك السالك سبيل من قد هلك، غرض**

---

١ . مفردات ألفاظ القرآن : ٢٤٥ .

٢ . التناوب الدلالي بين صيغ الوصف العامل : د. طه محمد الجندي : ٧٧ .

٣ . معاني الأبنية في العربية : ١١٧ .

٤ . التناوب الدلالي بين صيغ الوصف العامل : ٧٦ .

٥ . صيغة فعيل في القرآن الكريم . دراسة نحوية صرفية دلالية : مرزوق عطيوي مرزوق، اطروحة دكتوراه ، جامعة أم القرى، ١٩٨٧ : ١٥٩ .

الاسقام، ورهينة الأيام، ورمية المصائب، وعبد الدنيا، وتاجر الغرور، وغرير المنايا، وحليف الهموم، وقرين الاحزان، ورصيد الآفات، وصريع الشهوات، وخليفة الأموات...))[1] .

يكشف النص العلوي عن لوحة تراكمية رائعة شكلها تكرار بناء (فعيل) في مواضعَ خمسة هي : **(غرير المنايا، حليف الهموم، قرين الاحزان، رصيد الآفات، صريع الشهوات، خليفة الاموات)** .

وفيما يبدو أن لهذا الحشد التراكمي لبناء (فعيل) نكت لغوية لطيفة على المستويين الصوتي والمعنوي، فعلى المستوى الصوتي شكَّل تراكم بناء (فعيل) انسجامًا صوتيًا بين فقرات النص مما أكسبه ايقاعًا موسيقيًا متناغمًا له أثره البالغ في نفس المتلقي .

وعلى المستوى المعنوي تجد أنَّ هذه الصيغ قد راكمت معاني عدة منها :

١. الدلالة على ثبوت الوصف في صاحبه، ومعاناة الأمر وتكراره مرة بعد أخرى حتى أصبح كالطبيعة في صاحبه .

٢. جمعت هذه الصيغ الدلالة على معنيي الفاعلية والمفعولية في آن واحد، فصيغة (غرير) تدلُّ على أنه مغرور وغار غيره، وكذلك البقية .

٣. زد على ذلك أن حصول التراكم لصيغ (فعيل) في هذا المقام هو لأجل المبالغة في التحذير من الوقوع في مطامع الدنيا، ولذائذها .

ومن الأمثلة كذلك على هذا البناء ما جاء في خطبته (عليه السلام) كلم بها أهل الكوفة بعد غزو معاوية لأهل الأنبار : **((... يا أهل الكوفة قد أتاني الصريخ يخبرني أن ابن غامد قد نزل بالأنبار على أهلها ليلا في أربعة آلاف فأغار عليهم كما يغار على الروم والخزر، فقتل بها عاملي ابن حسان، وقتل معه رجالا صالحين ذوي فضل وعبادة ونجدة، بوَّءَ الله لهم جنات النعيم...))**[2] .

فالصريخ صيغة مبالغة مشتقة من الفعل (صرخ) . وهي تدل على جملة معان ؛ ف ((الصَريخُ : صوت المستصرِخِ، والصَريخُ أيضا الصارِخُ، وهو المُغيثُ، والمُسْتَغيثُ أيضا، وهو من الأضداد))[3] .

ومجيء (الصريخ) في كلام الامام (عليه السلام) جاء منسجما مع سياق النص، فالإمام (عليه السلام) تحدث في خطبته هذه عن قضية مهمة أصابت المسلمين، ألا وهي غزوة الانبار المعروفة، وما جرى فيها على الناس من مصائب وويلات، لذا جيء بلفظ الصريخ دون الصارخ، وذلك لما يحمله (الصريخ) من

---

١ ـ نهج السعادة : ٤/٢٧٥ .

٢ ـ المصدر نفسه : ٢/ ٤٧٨ .

٣ ـ الصحاح في اللغة : (صرخ) ١/٣٨٤ .

تراكمات دلالية تعكس صورة ما جرى في تلك الغزوة، فهو يدلُّ على شدة الموقف، وكثرة صراخ الناس آنذاك ، فضلا على شدة استغاثتهم بأمير المؤمنين (عليه السلام) لنصرتهم ودفع الخطر عنهم .

الرابع : بناء (مِفْعَال) :

هو من أبنية المبالغة الدالة على كثرة وقوع الحدث والمداومة على فعله، بحيث يصبح عادة في صاحبه[١]، قال ابن قتيبة : ((ومِفْعَالٌ يكونُ لمن دامَ منه الشيء أو جرى على عادةٍ فيه تقول : (رجلٌ مِضْحَاك) (ومِهْذَار) (ومْطْلاَق) إذا كان مُدِيما للضِّحِك والهَذْرِ وَالطلاقِ))[٢]، وجاء في كتاب الصاحبي في فقه اللغة : ((البناء الدال على الكثرة : "فَعُول، وفَعَّال" ، نحو ضَرُوب وضرَّاب ، وكذلك "مِفْعال" إذا كان عادة نحو : معطار ، وامرأة مذكار إذا كانت تلد الذكور، وكذلك مِئناث في الإناث))[٣]. وقال ابو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ) : ((وأكثر العادات في الاستكثار على مفعال، نحو: مطعان، ومطعام، ومضراب، ومضياف، ومكثار، ومهذار، وامرأة معطار، ومذكار، ومئناث))[٤] .

ومما تقدم يُمكن القول : إنَّ بناء (مفعال) بدلالته على الإكثار يمثل وحدة تراكمية متولدة عن بنية عطف أولية تقوم على التكرار والمعاودة والاستمرار، فصيغة (معطاء) مثلا تمثل وحدة تراكمية تعود الى بنية عطف أولية هي : أعطى ، وأعطى ، وأعطى ... الخ ، ويمكن توضيح ذلك في المخطط الاتي :

مِفْعَال = بنية تراكمية قوامها = فعل + فعل + فعل = كثرة الفعل .

و من مصاديق هذا البناء ما جاء في دعاء له (عليه السلام) دعا به لاستسقاء المطر : ((**اللّهم فأرسل علينا ديمة مدرارًا ، و اسقنا الغيث واكفا مغزارًا، غيثا واسعا، و بركةً من الوابل نافعة تدافع الودق بالودق و يتلو القطر منه القطر**))[٥] .

فقد ورد في النص صيغتا مبالغة على (مفعال) وهما : (مدرار، ومغزار)، وكلاهما يدلُّ على الكثرة والمبالغة في الحدث ، يقول الشيخ المحمودي : ((مدرارا : كثير السيلان أو النفع، وواكفا : متقاطرا منهلا شديدا انصبابه، و مغزارا : كثيرا ، أي نموا وزيادة من المطر الشديد))[٦] .

---

١ . ينظر : الكتاب : ١١٠/١ ، والمقتضب : ١١٣/٢ ، وديوان الأدب : ٨٣/١ ، و٣٠٨/١ .
٢ . أدب الكاتب : ١٩٣.
٣ . الصاحبي في فقه اللغة : ٣٧٣ .
٤ . فقه اللغة وأسرار العربية : ٥٥٥ .
٥ . نهج السعادة : ١٦٦/٣ :
٦ . المصدر نفسه والصفحة .

ووردت صيغة (مدرار) في القرآن الكريم دالة على المبالغة والكثرة يقول ابن عاشور عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴾ [نوح :١١] : ((والمدرار : الكثيرة الدُّر والدُّرور، وهو السيلان ، يُقال : درت السماء بالمطر ، وسماء مدرار، ومعنى ذلك : أن يَتبع بعض الأمطار بعضا، ومِدرار زنة مبالغة ، وهذا الوزن لا تلحقه علامة التأنيث إلاّ نادرا))[١] .

وعلى الرغم من أنَّ الشيخ المحمودي . يرى أنَّ صيغة (مدرار) تدلُّ على الكثرة في أحد معنيين هما : كثرة السيلان أي المطر، أو كثرة النفع أي الخير، إلا أنَّ كلا المعنيين مراد مطلوب؛ ذلك أنَّ كثرة النفع كالزرع وغيره مما تنبت الأرض إنما تتعلق بكثرة المطر، وعليه فالإمام (عليه السلام) إنما أراد بـ (مدرار) . والله أعلم . السبب، والنتيجة معا، أي أراد السبب وهو المطر الكثير، وما ينتج عنه من نفع وفير .

وما يؤيد هذا الأمر كلامه (عليه السلام) في ختام دعائه : ((**سقيا منك محيية مروية محفلة مفضلة، زاكيا نبتها، ناميا زرعها، ناضرا عودها ممرعة آثارها، جارية بالخصب والخير على أهلها، تنعش بها الضعيف من عبادك، وتحيي بها الميت من بلادك، وتنعم بها المبسوط من رزقك، وتخرج بها المخزون من رحمتك، وتعم بها من نآى من خلقك...**))[٢] .

الخامس : بناء (فَعِلْ) :

هذا البناء في الأساس هو أحد أبنية الصفة المشبهة، ويدلُّ على الأعراض أي عدم الثبوت، وعلى الهيج والخفة والعيوب الباطنة كأَشِر وبَطِر وفَرِح[٣] ، يقول الرضي الاستراباذي : ((اعلم أن قياس نعت ما ماضيه على فعل ـ بالكسر ـ من الأدواء الباطنة كالوجع واللوى، وما يناسب الأدواء من العيوب الباطنة كالنكد، والعسر واللحز، ونحو ذلك من الهيجانات والخفة غير حراره الباطن والامتلاء كالأرج والبطر والاشر والجذل والفرح والقلق والسلس أن يكون على فَعِل))[٤] ، ويقول في موضع أخر : ((فَعِلٌ من هذا الباب فيما يدلُّ على على الهيجانات والعيوب الباطنة))[٥] .

---

١ ـ التحرير والتنوير : ٣٣٤/١٥ .
٢ ـ نهج السعادة : ١٦٧/٣ .
٣ ـ معاني الأبنية في العربية : ٧٨ .
٤ ـ شرح الرضي على الشافية : ١/ ١٤٣ .
٥ ـ المصدر نفسه والصفحة .

إلا أنه قد نُقِلَ الى أبنية المبالغة لإرادة الكثرة والمبالغة في الحدث، يقول الدكتور فاضل السامرائي : ((وهو مستعار إلى المبالغة منه فحين تقول : (هو حَذِرٌ) كان المعنى أنه كَثُرَ منه الفعل كثرةً لا ترقى إلى درجة الثبوت غير أنه مصحوبٌ بهيجان، وخفة، واندفاع))[١] .

ويُستفاد من كلام الدكتور السامرائي أنَّ هذا البناء يتسم بالتراكم الدلالي؛ وذاك كونه قد جمع بين دلالتي الصفة المشبهة، والمبالغة، فصيغة (حَذِر) مثلا قد جمعت بين دلالتين : أحدهما : أصلية وهي الدلالة على المبالغة في وقوع الحذر، والاخرى : إيحائية (مكتسبة)، وهي دلالتها على الهيجان والخفة والاندفاع؛ ذلك أنَّ الحذر الشديد يُولِّدُ في نفس الشخص هيجانًا، واندفاعًا سريعين نحو مواجهة الخطر، والتصدي له .

ومن أمثلة هذا البناء في نهج السعادة ما جاء في إحدى حكمه (عليه السلام) : ((**إنَّ أخا الحربِ اليقظانُ الأرِقُ، إنْ نام لم تنَمْ عينُهُ**))[٢] .

فـ (الأرِق) صيغة مبالغة على زنة (فَعِل) مشتقة من الفعل (أرَقَ) الدال على السهر، إذ يُقال : ((أَرِقتُ بالكسر، أي سهرتُ، وكذلك ائترقتُ فأنا أرِقٌ ، وأَرَّقَني كذا تأريقا أي أسهرني))[٣] . وقيل : ((أرِقَ الرجلُ يأرَق أرَقًا، إذا امتنع من النوم خوفًا أو عشقًا))[٤] ، وقد دلت هذه الصيغة في النص الشريف على الكثرة والمبالغة والمعاودة في السهر، وما يؤيد ذلك هو سياق النص؛ فالإمام (عليه السلام) قد تحدث في النص ذاته عن مقومات القائد العسكري الفذ ، والذي عبَّر عنه (عليه السلام) بـ (أخا الحرب) أي صاحب الحرب الملازم لها، ويرى أنَّ القائد الناجح الذي يروم الانتصار جدير به أن يكون شديد اليقظة حذرًا، هاجرًا للنوم، دائم التفقد للجند خوفا من الغفلة عن العدو، وفضلًا على ما أفادته صيغة (الأرِق) من معنى المبالغة في السهر فإنَّه قد تراكمت فيها معانٍ أُخر كالهيجان والخفة والاندفاع والغضب، وهي معاني إيحائية مكتسبة ؛ لأنَّها من لوازم السهر وآثاره .

ومن الأمثلة كذلك ما ورد في كلامٍ له (عليه السلام) أجاب به ابن دودان عندما سأله قائلا : كيف دفع قومكم الخلافة عنكم وأنتم أحق بها وأحرى ؟ ! ! ، فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام) : ((**يا ابن دودان إنَّك لقلق الوضين ضيِّق المخرَم تُرسل غير ذي مسد، ولك بعد ذمامة الصهر وحق المسألة وقد ...**))[٥] .

.

---

١ . معاني الأبنية في العربية : ١١٧ .
٢ . نهج السعادة : ٥/ ٢١١ .
٣ . الصحاح في اللغة : (أرق) ١٠/١ .
٤ . جمهرة اللغة : (أرق) ٢/ ١٠٠ .
٥ . نهج السعادة : ١٥١/٢ .

(قَلِق الوضين) هو مثل يُضرب للشخص المضطرب الرأي، يقول المحمودي : ((القلق : المتذبذب المضطرب، والوضين: بطان يشد به الرحل على البعير كالحزام للسرج فإذا كان لينا غير متين يضطرب الرحل على الدابة وتتململ يمينا وشمالا تضرب بنفسها الشجر والحجر))[١] .

فـ (القلِق) صيغة مبالغة على زنة (فَعِل) قد تراكمت فيها معان عدة، منها : التذبذب والاضطراب مثلما ذكر المحمودي، ومنها الدلالة على سرعة الحركة وقلة الثبات، جاء في لسان العرب : ((وفي حديث علي (عليه السلام) (إِنَّكَ لَقَلِقُ الوَضِينِ) ...، أَراد أَنَّه سريع الحركة يصفه بالخفة وقلة الثبات كالحزام إِذا كان رخوًا))[٢] ، ويُستفاد منها كذلك الدلالة على ضعف الرأي واليقين، يقول فخر الدين الطريحي (ت١٠٨٥هـ) : ((و قوله (عليه السلام) لبعض أصحابه : إنك لقلق الوضين، كنَّى به عن ضعف رأيه و ضعف يقينه))[٣] .

ومن مصاديق ذلك ما جاء في كتابٍ له (عليه السلام) إلى محمد بن أبي بكر (رضوان الله عليه) لما بعث إليه (عليه السلام) بكتابي معاوية، وعمر بن العاص، فأجابه أمير المؤمنين (عليه السلام) وكتب إليه : ((**أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر أنَّ ابن العاص قد نزل بأداني أرض مصر في لَجِبٍ من جيشه جرار**))[٤] .

فصيغة (لَجِب) تفيد المبالغة في الجلبة وكثرة الأصوات ومعاودتها، يقول المحمودي : ((اللجب – بفتح اللام وكسر الجيم ككتف، الشديد اللجب بفتح اللام والجيم، يُقال : (جيشٌ لَجِب) أي ذو جلبة وكثرة، واللجب على زنة الفرس : صهيل الخيل ، كثرة أصوات الأبطال ، يقال : بحرٌ ذو لَجِب ، إذا سُمِعَ اضطرابُ أمواجه))[٥] .

---

١ . نهج السعادة : ١٥١/٢ .

٢ . لسان العرب : (وضن) : ٤٥٠/١٣ .

٣ . مجمع البحرين : فخر الدين الطريحي : (وضن) : ٥٢١/٦ .

٤ . نهج السعادة : ١٠٤/٦ .

٥ . المصدر نفسه والصفحة .

المبحث الثالث

التراكم الدلالي في ضوء المشترك الصرفي وأبنية الجموع

الأول : المشترك الصرفي (الصيغي) :

تُعدُّ هذه الظاهرة من الظواهر المهمة في الكشف عن طبيعة الدلالة في الصيغ الصرفية ، إذ تشترك المعاني في الصيغة الواحدة ، وتكون دالة على معانٍ متعددة ، قبل أن يتحدد المعنى المُراد بوساطة القرائن[١] .

وقد أطلق الدكتور عبد الحميد هنداوي على هذه الظاهرة مصطلح (المشترك الصيغي)، أو (تعدد المعنى الواحد للصيغة الواحدة) ، ويرى أنّها من أوضح البراهين الدّالة على الأعجاز البياني لكتاب اللّه المُعجز[٢] .

وهذه الظاهرة متجذرة في التراث اللغوي، فقد أشار إليها جمع من القدماء كسيبويه[٣]، والمبرد[٤]، وابن قتيبة[٥]، والرضي[٦]، إلا أن خير من تكلم عنها هو اللغوي ابن جني في باب في اللفظ يردُ محتملًا لأمرين، لأمرين، أحدهما أقوى من صاحبه، أيُجازان جميعًا فيه، أم يقتصرُ على الأقوى منهما دون صاحبه؟[٧] .

وهذه الظاهرة لها كبير الأثر في اتساع المعاني وركمها في الكلام، يقول الدكتور فاضل : ((قد تشترك معانٍ متعددة في صيغةٍ واحدة ، وذلك كاشتراك اسم المفعول والصفة المشبهة في (فعيل) نحو(حكيم) فقد تكون اسم مفعول بمعنى (مُحْكَم) ، وقد تكون صفة مشبهة من الحكمة بمعنى صاحب حكمة ، وكاشتراك صيغة اسم المفعول ، والمصدر الميمي ، واسمي المكان والزمان فيما جاء على صيغة اسم المفعول من غير الثلاثي كالمنُطلق، والمجُتمع، فيُقال : (هنا مُجتمعهم) بمعنى اجتماعهم ، أو مكان اجتماعهم، (وهنا مُسْتمعهم) بمعنى هنا استماعُهم ، أو مكان استماعهم ، أو ما يستمعونه ... فإذا أُريد أكثر من معنى في تعبيرٍ واحد كان من باب الاتساع في المعنى، كما مُثِّل ...))[٨]، وذكر الدكتور تمام حسّان في باب (تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد) : ((... إنَّ المبنى الواحد مُتعددُ المعنى ، ومُحتملٌ كُلَّ معنى مما يُنسبُ إليه ، وهو

---

١ . يُنظر : الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم : د. عبد الحميد أحمد هنداوي : ٥٧ .
٢ . يُنظر : المصدر نفسه : ١٣٥ .
٣ . ينظر : الكتاب : ٤/٩٥ .
٤ . ينظر المقتضب : ٢/ ١٨٨ .
٥ . يُنظر : أدب الكاتب : ٢٦- ٢٦٢ .
٦ . ينظر : شرح الرضي على الشافية : ١/١٧٤ .
٧ . ينظر : الخصائص : ٢/٤٨٨ .
٨ . الجملة العربية والمعنى : ١٤٨ .

خارجُ السياقِ ، أمَّا إذا تحقق المبنى بعلامةٍ في سياقٍ ما، فإنّ العلامة لا تُفيد إلاّ معنى واحداً تُحدده القرائن اللفظية والمعنوية والحاليّة))[١] .

ومن هنا أقول : إنَّ هذه الظاهرة تقوم على مبدأ الاقتصاد اللغوي الرامي إلى الاقتصاد في اللفظ والتعدد في المعنى؛ إذ تجد أن الصيغة واحدة ولكنها تضمُّ معاني متراكمة (متعددة)، ولربما تكون هذه المعاني جميعها مرادة مطلوبة في آن واحد .

ومن مصاديق هذه الظاهرة في نهج السعادة ما جاء في خطبةٍ له (عليه السلام) في بيان دلالة الممكنات على علم بارئها وحكمته وغناه وقدرته وقدمه ودوامه : ((**مستشهد بكلية الأجناس على ربوبيته، وبعجزها على قدرته، وبفطورها على قدمته، وبزوالها على بقائه، فلا محيص عن ادراكه إياها، ولا خروج عن أحاطته بها، ولا احتجاب عن إحصائه لها، ولا أمتناع من قدرته عليها ، كفى بإتقان الصنع لها آية، وبمُركَّبِ الطبع عليها دلالة، وبحدوث الفطر عليها قدمه، وبأحكام الصنعة لها عبرة**))[٢] .

فقد وردت صيغة (مُركَّب) تتردد بين معنيين هما : المصدرية واسم المفعول ، يقول الشيخ المحمودي : ((والمُركَّب مصدر ميمي بمعنى الركوب أي كفى ركوب الطبائع وغلبتها على الأشياء للدلالة على من جعل الطبائع فيها وسخرها لها، ويحتمل أن يكون (مُركَّب) اسم مفعول من التركيب كما يقال: ركبت الفص في الخاتم أو عليه أي كفى الطبع الذي ركب على الأشياء دلالة على مركبها. وعلى التقديرين رد على الطبيعيين المنكرين للصانع بإسناد الأشياء الى الطبائع))[٣] .

والذي يبدو هنا أنَّ مرجع هذا التعدد في معاني صيغة (مركب) يعود الى مجيء هذه الصيغة على زنة (مُفعَل) بضم الاول وفتح ما قبل الآخر، والمعروف في هذه الزنة أنها تشترك في أكثر من باب صرفي واحد؛ إذ يشترك فيها كل من المصدر، واسم المفعول، واسمي الزمان والمكان، قال سيبويه : ((فالمكان والمصدر يبنى من جميع هذا بناء المفعول، وكان بناء المفعول أولى به لأن المصدر مفعولٌ والمكان مفعولٌ فيه، فيضمون أوله كما يضمون المفعول، لأنه قد خرج من بنات الثلاثة فيفعل بأوله ما يفعل بأول مفعوله، كما أنَّ أول ما ذكرت لك من بنات الثلاثة كأول مفعوله مفتوحٌ... ، يقولون للمكان : هذا مُخرجنا ومُدخلنا، ومصبحنا وممسانا، وكذلك إذا أردت المصدر))[٤] .

وقريب من هذا الكلام قول المبرد : ((فإن كان المصدر لفعل على أكثر من ثلاثة كان على مثال المفعول؛ لأن المصدر مفعول، وكذلك إن بنيت من الفعل اسما لمكان أو زمان، كان كل واحد منهما على مثال

---

١ . اللغة العربية معناها ومبناها : ١٦٥ .

٢ . نهج السعادة : ١/٥٨٤ .

٣ . المصدر نفسه : ١/٥٨٥ .

٤ . الكتاب : ٤/٩٥ .

المفعول؛ لأن الزمان والمكان مفعول فيهما، وذلك قولك في المصادر: أدخلته مدخلا، كما قال عز وجل: ﴿أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ [المؤمنون : ٢٩] ، و ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [هود :٤١]، و كذلك: سرحته مسرحا، وهذا مسرحنا؛ أي في موضع تسريحنا، وهذا مقامنا؛ لأنك تريد به المصدر والمكان من أقمت))[١] .

وكان زكريا الانصاري (ت٩٢٦هـ) أكثر وضوحًا منهما في بيان هذا الاشتراك، إذ قال : ((ويجيء المصدر من غيره أي من غير الثلاثي المجرد بأنه يكون ثلاثيا مزيدا فيه أو رباعيا مجردا أو مزيدا فيه على زنة اسم المفعول ...، وهو يصلح للمفعول والمصدر، واسم الزمان والمكان))[٢] .

ومن هذا العرض يمكن القول : إن اشتراك زنة (مُفعَل) في أكثر من باب صرفي واحد ينتج عنه تراكم الدلالات؛ ذلك أنَّ ما يرد من صيغ على هذه الزنة يعطي أكثر من معنى وهو خارج السياق، أما السياق فهو من يحدد المعنى المراد، وأحيانا تكون جميع هذه المعاني (المتراكمة) هي مرادة مطلوبة في موضع واحد ولا يأباه السياق اللغوي، يقول الدكتور عبد الحميد هنداوي في تفسير قوله تعالى : ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون :٢٩] : ((وهي هنا في الآية تحتمل أن تكون مصدرا أي : أنزلني إنزالا مباركا ، وتحتمل أن تكون اسم مكان أي أنزلني مكانا مباركا، ويصعب في مثل هذا الموضع أن نجزم بأحد المعنيين، والذي نُرجحهُ والله أعلم بمراده أنَّ كلا المعنيين مُرادٌ فالسياقُ لا يأبى أحدهما، فالحمل على المصدر يجعل المراد طلب البركة من الله في الحدث نفسه فيكون هبوطه ونزوله مباركا من الله تعالى ، والحمل على المكان يجعل المراد طلب البركة من الله تعالى في المكان الجديد الذي رست عليه سفينة نوح (عليه السلام)، ولا شك أن كلا الامرين كانا مطلوبين لنوح (عليه السلام) أن يبارك الله له في إنزاله وفي مكان نزول ... ويكون ذلك من بلاغة القرآن وإعجازه وحسن ايجازه))[٣] .

ومن هذا المنطلق وعودًا على النص العلوي الشريف نجد أنَّ تعدد المعاني المحتملة في صيغة (مُركَّب) قد ترتب عنها تراكم في الدلالات، وليس ببعيد أن تكون هذه المعاني مرادة مطلوبة في هذا الموضع ، فمراد الإمام (عليه السلام) . والله أعلم . هو أن الطبع المُركَّب في هذه الأجناس، وكذلك حدث الركوب المتولد عن ذلك التركيب إنما هو دلالة على قدرة مبدعها وخالقها جلَّ شأنه، وهذا هو من بدائع كلام الامام (عليه السلام) المتصف بإيجاز اللفظ وسعة المعنى .

ومن مصاديق هذا الاشتراك الصرفي أيضا ما جاء في وصية له (عليه السلام) لما ضربه ابن ملجم المرادي (لعنه الله) : ((**الحمد لله حق قدره متبعين أمره ، وأحمده كما أحب ، ولا إله إلا الله الواحد الاحد**

---

١ . **المقتضب** : ١٨٨/٢ .

٢ . **المناهج الكافية في شرح الشافية : زكريا الأنصاري** : ٤٥/٢ .

٣ . **الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم** : ١٣٦ .

الصمد كما انتسب، أيها الناس كل امرئ لاقٍ في فراره ما منه يفر، والأجلُ مساقُ النفسِ إليه، والهرب منه موافاته))[١] .

إذ يرى الشيخ المحمودي أنَّ صيغة (مَسَاق) محتملة لمعاني (**المصدرية، واسم المكان، واسم الزمان**) ، حيث قال : ((والمساق مصدر ميمي، ... والمساق ما يساق إليه، ويحتمل أن يكون المراد به المدة، فالمساق زمان السوق))[٢] .

وفيما يبدو أنَّ مدعاة هذا التعدد الدلالي في صيغة (مساق) هو أنها على زنة (مَفْعَل)، وهذه الزنة مثلما تشير الدراسات اللغوية إنها من المشتركات الصرفية كذلك، فهي تأتي في بابين صرفيين هما : المصدر الميمي، واسما المكان والزمان، يقول سيبويه : ((وأما ما كان يفعل منه مفتوحا فإن اسم المكان يكون مفتوحا، كما كان الفعل مفتوحا، وذلك قولك : شرب يشرب، وتقول للمكان مَشربٌ ، ولبس يلبس، والمكان المَلْبَس، وإذا أردت المصدر فتحته أيضا كما فتحته في يفعل ...))[٣] .

فسيبويه يرى أنه ما كان على (فَعَلَ يَفْعَل) فاسم المكان، والمصدر منه على زنة (مَفْعَل) بفتح العين .

وجاءت عبارة ابن مالك أكثر وضوحًا من عبارة سيبويه؛ فهي تشيرُ صراحة إلى هذا الاشتراك الصرفي، إذ قال فيها : ((يشترك المصدر والزمان والمكان في (مَفْعَل) بفتح العين إذا كان من (فَعُلَ) نحو : المَكْثَر، ومن (فَعِلَ يَفعَل) كالمَشْرَب، ومن (فَعَلَ يَفْعَل) كالمَذْهب، ومن معتل مطلقا كالمسعى، والمرمى، والملهى، والمرعى))[٤] .

ومن هنا فإنَّ الاشتراك الصرفي في زنة (مَفْعَل) قد وسع الدائرة الدلالية لصيغة (مساق)، ومن ثمَّ تراكمت فيها معاني (الحدث، والمكان، والزمان) ، وليس غريبًا لو قلتُ : إنَّ جميع هذه المعاني هي مرادة مطلوبة في النص العلوي . والله أعلم . فالإمام (عليه السلام) أراد بتوظيف صيغة (مساق) حدث السوق، ومكان السوق، وزمن السوق كذلك؛ لأنَّ الأجل يسوق النفس إليه في مكان وزمان محددين .

ومن الأمثلة كذلك على هذا المشترك ما ورد في خطبة له (عليه السلام) في الحث على التقوى والردع عن التنافس في الدنيا : ((**أُوصيكم عباد الله – ونفسي – بتقوى الله ولزوم طاعته، وتقديم العمل وترك الامل، فإنَّه من فرَّطَ في عمله لم ينفع بشيء من أمله، أين التعِبُ بالليل والنهار ؟ المقتحم للُججِ البحار، ومفاوز القفار، يسير من وراء الجبال وعالج الرمال، يصل الغدو بالرواح، والمساء بالصباح، في طلب محقرات**

---

١ . نهج السعادة : ٨٤/٧ .

٢ . المصدر نفسه : ٧ / ٨٤ .

٣ . الكتاب : ٤ /٨٩ .

٤ . شرح الكافية الشافية : ٤ / ٢٤٤ .

الارباح، هجمت عليه منيته فعظمت بنفسه رزيته، فصار ما جمع بورا وما اكتسب غرورا، ووافى القيامة محسورًا))[١] .

ذهب الشيخ المحمودي الى أن صيغة (محسورًا) تحتمل معنيي : الانقطاع، أو الندم أي التحسر، إذ قال : ((و (محسورًا) أي منقطعًا عما جمعه واكتسبه، أو ذا حسرة على ذهاب ماله عن يده ، ومنه قوله تعالى في الآية (٢٩) من سورة الاسراء ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾))[٢] .

ومن ذلك الاشتراك الصرفي أيضا ما جاء في إحدى خطبه (عليه السلام) في تزهيد الناس : ((**ألا وان الاخرة قد أقبلت وآذنت باطلاع، ألا وإنَّ المضمار اليوم ، والسباق غدا**))[٣] .

ذهب الشيخ المحمودي الى أن صيغة (مضمار) تصدق على (الزمان، والمكان) ، إذ قال : ((والمضمار يقال للمحل الذي تضمر فيه الخيل، وللزمان الذي تضمر فيه أيضا))[٤] .

و لم يكن المحمودي من أشار إلى تراكم دلالتي الزمان والمكان في صيغة (مضمار) بل تنبَّه على ذلك قبله المعجميون؛ إذ جاء في معجم الصحاح في اللغة ما نصه : ((وتضمير الفرس : أن تَعلِفه حتَّى يسمن ثم تَرُدَّه إلى القون، وذلك في أربعين يوما، وهذه المدَّة تسمَّى المضمار، والموضع الذي تُضَمَّرُ فيه الخيل أيضا : مِضمارٌ))[٥]، وقال الأزهري : ((... والمضمار: موضع تُضمَّر فيه الخيل، وتضميرها أن تُعلف قوتاً بعد سمنها ... ، وقد يكون المضمار وقتا للأيام التي تُضمَّر فيها الخيل للسباق أو للرَّكض إلى العدو))[٦] .

ولعلَّ ما دفع المحمودي وغيره إلى هذا التعدد / التراكم الدلالي في صيغة (مِضْمَار) هو مجيئها على بناء (مفعال)، ولا شك في أنَّ هذا البناء يشترك فيه أكثر من باب صرفي؛ إذ يأتي للمبالغة، واسم الآلة، واسمي الزمان والمكان، واسم الفاعل، قال المبرد : ((ومن هذه الأبنية مفعال نحو: رجل مضراب، ورجل مقتال، ومن كلام العرب : إنَّه لمنحارٌ بوائكها))[٧] .

---

١ . نهج السعادة : ٣ / ١٢٥ . ١٢٦ .
٢ . المصدر نفسه : ١٢٦/٣ .
٣ . المصدر نفسه : ١٥٤/٣ .
٤ . المصدر نفسه والصفحة .
٥ . الصحاح في اللغة : (ضمر) ١/ ٤١٣ .
٦ . تهذيب اللغة : (ضمر) ٤/ ١٥٨ ، وينظر : لسان العرب : (ضمر) ٤٩١/٤ .
٧ . المقتضب : ١١٣/٢ .

وجعل أبو منصور الثعالبي (ت٤٣٠هـ) بناء (مِفعال) من أكثر أبنية المبالغة استعمالا، إذ قال : ((وأكثر العادات في الاستكثار على مِفعال، نحو: مِطعان، ومِطعام، ومِضراب، ومِضياف، ومِكثار، ومهذار، وامرأة مِعطار، ومِذكار، ومِئناث، ومِتئام))[١] .

ومجيء بناء (مفعال) في الآلة وارد في العربية، فقد ذكر سيبويه ثلاثة أبنية قياسية لاسم الآلة هي : مِفْعَل، ومِفْعَله، ومِفْعَال وضرب له أمثلة نحو : مِقراض، ومفتاح، ومصباح[٢]، وقال ابن الحاجب : ((الآلة على مِفْعَل ومِفْعَال ...))[٣]، وقد يرد (مفعال) كذلك للزمان والمكان، يقول ابن منظور : ((والمِيقاتُ الوَقتُ المضروبُ للفعل والموضع يقال هذا مِيقاتُ أَهلِ الشأم للموضع الذي يُحرِمُون منه))[٤] ، وأورد كذلك بعض الامثلة التي تكون للمكان فحسب، إذ قال : ((المِيناء هو الموضع الذي تُرْفَأُ فيه السفنُ أَي تُجْمع وتُرْبَطُ قيل هو مِفْعال من الوَنْيِ الفُتُورِ لأَن الريحَ يَقِلُّ فيه هُبوبها))[٥] ، وكذلك ((المِطلاء لما انخَفَض من الأَرض واتَّسَع))[٦] .

أما اسم الفاعل فإنَّه يأتي من الفعل المزيد (أفعل) فيكون على (مفعال) يقول ابن مالك : ((وقد يُبنى اسم الفاعل أيضا من (أفْعَلَ) (مِفْعَال) كـ (مِعْطَاء)، و(مِهْدَاء)، و(مِعْوان) ...))[٧] .

وبالعودة إلى النص الشريف والعود أحمد تتبين لنا نكتة لطيفة تكمن وراء استعارة لفظة (مضمار) دون لفظة الدنيا، فالإمام (عليه السلام) إنما عمد الى لفظة (مضمار) لما يتراكم فيها من دلالات عدة لم تحققها لفظة (الدنيا) لو جيء بها، فبالإضافة إلى خروج صيغة (مضمار) للدلالة على معنيي (الزمان والمكان) تجد أنها تدلُّ على معانٍ ثانوية (إيحائية) أخرى منها : الاستعداد، والتهيؤ، والمنافسة، والرحيل، والانقطاع، والتحذير ... الخ، ومن كل ما تقدم أقول : إنما جاء اختيار الإمام (عليه السلام) لصيغة (مضمار) دون غيرها لأتساع ساحتها الدلالية؛ إذ أفادت جملة معانٍ متراكمة بأوجز طريق وأيسره .

---

١ . فقه اللغة وأسرار العربية : ٤١٢ .
٢ . ينظر الكتاب : ٩٤/٤ .
٣ . شرح الرضي على الشافية : ١٨٦/١ .
٤ . لسان العرب : (وقت) : ١٠٧/٢ .
٥ . المصدر نفسه : (مين) : ١٣/ ٤٢٥ .
٦ . المصدر نفسه : (طلى) : ١٠/١٥ .
٧ . شرح الكافية الشافية : ١٠٣٥/٢ .

الثاني : أبنية الجموع :

الجمع : هو ما زاد على ثلاثة فما فوق ، وينقسم على نوعين : الاول : جمع سالم بشقيه جمع المذكر السالم، وهو ما زيد على مفرده واو ونون أو ياء ونون ، والمؤنث السالم، وهو ما زيد في آخره ألف وتاء، والثاني : جمع التكسير ، وهو ما اختلف لفظ مفرده ، أو كل جمع تغيَّر فيه لفظ المفرد، وسُمي جمع تكسير ؛ لأن لفظ الواحد تكسَّر فيه[١] .

ولاشك أن للجمع أثرًا واضحًا في ركم المعاني، ويتضح ذلك من خلال الابنية الاتية :

١. صيغ منتهى الجموع :

يُراد بمنتهى الجموع هو جمع الجمع ، وهو أن تجمع بعض الجموع لغرض التكثير والمبالغة في الجمع ، كصيغة (أقوال) جمع (قول) تُجمع على (أقاويل) ، قال سيبويه : ((وإنَّما قلت: أقاويل فبنيت هذا البناء حين أردت أن تكثِّر وتبالغ في ذلك، كما تقول: قطّعه وكسّره حين تكثِّر عمله))[٢] .

وجاء في كتاب تصريف الاسماء والافعال : ((قد يُجمع الجمع للتكثير والمبالغة، وهو سماعي لا يُقاس عليه ، قالوا : بيوتات، رجالات، جراحات...، سادات، قادات...، أقاويل، أقاويم ...))[٣] .

وبهذا الصدد يمكن القول : إن جمع الجمع يمثل بنية اختزالية ذات دلالة تراكمية، تقوم على المعاودة والتكرار ، فصيغة (أقاويل) مثلا تمثل بنية تراكمية تشير الى كثرة الاقوال ، ويمكن بيانها في المخطط الاتي :

أقاويل = قال + قال + قال = كثرة الاقوال .

ومن مصاديق جمع الجمع ما جاء في خطبةٍ له (عليه السلام) خطبها بعدما بايعه الناس : ((... **واعلموا أن على كل شارع بدعة وزره ووزر كل مقتدٍ به من بعده إلى يوم القيامة، من غير أن ينقص من أوزار العاملين شيئا، وسينتقم الله من الظلمة مأكلا بمأكل، ومشربا بمشرب من لقم العلقم، ومشارب الصبر الأدهم، فليشربوا الصلب من الراح السم المُداف، وليلبسوا دثار الخوف دهرا طويلا، ولهم بكل ما أتوا وعملوا من أفاريق الصبر الادهم فوق ما أتوا وعملوا...**))[٤] .

في النص بناء بزنة (أفاعيل) وهو (أفاريق) جمع (أفراق) الذي هو جمع (أفارقة) جمع (فرقة) ، قال الشيخ المحمودي مستدلا على ذلك بكلام الفيروز آبادي : ((أفاريق كأنه جمع أفراق، وهو جمع أفارقة، وهو جمع

---

١ . ينظر : التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة : ٩٢ .

٢ . الكتاب : ٦٢٣/٣ ،

٣ . تصريف الأسماء والأفعال : ٢٢٣ .

٤ . نهج السعادة : ١٨٩/١ .

الفرقة – بالكسر فالسكون، قال في شرح القاموس: الفرقة ـ بالكسرـ السقاء الممتلئ الذي لا يستطيع أن يمخض حتى يفرق الطائفة من الناس، والجمع فرق ـ كعنب ـ وجمع في الشعر على أفارق، وجمع الجمع أفراق، ثم جمع جمع الجمع أفاريق))[١] .

إلاَّ أنَّ هناك من يرى أنَّ (أفاريق) هو جمع الجمع وليس جمعا لجمع الجمع، وهذا هو الرأي الغالب، جاء في معجم الصحاح : ((الفِرْقَةُ : طائفة من الناس، والفَريقُ أكثر منهم، وفي الحديث: " أفاريقُ العرب " ، وهو جمع أفراقٍ، وأفراقٌ جمع فِرْقَةٍ))[٢] ، ويقول ابن قتيبة : ((أفاريق العرب، جمع : أفراق، وأفراق جمع فرق، وفرقة، وفريق بمنزلة واحدة))[٣] .

وبالعودة الى النص العلوي الشريف نجد أن في استعمال (أفاريق) نكتة لغوية ، فلما كان مدار هذه الخطبة على بيان شدة حال الظلمة وما يتحملوه من أوزارهم وأوزار الناس التي تُضاف اليهم جراء كل بدعة ابتدعوها، وتابعهم الناس في العمل بها، اقتضى التعبير بما يتفق وتلك المعاني من حيث الشدة، فاستعمل الامام (عليه السلام) (أفاريق) الدالة على الكثرة، والمبالغة في إشارة الى كثرة وتعدد الناس التي أصابها ظلم من حكموا قبله، فكل ما أصاب هذه الافاريق المتعددة من البشر من ظلم وحيف سيلحق بمن ظلمهم .

ومن هذه الامثلة كذلك ما ورد في دعاءٍ له (عليه السلام) علم فيه الناس الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو ما انفرد الشيخ بنقله : ((**اللهم داحي المدحوات، وبارئ المسموكات، وجبَّار القلوب على فِطَراتِها شقيها وسعيدها، إجعل شرائفَ صلواتك، ونوامي بركاتك ورأفة تحياتك على محمد عبدك ورسولك، الفاتح لما أُغلق، والخاتم لما سبق، والمعلن الحق بالحق ...**))[٤] .

ورد في النص بناء بزنة (فعلات) وهو (فِطَرات) بكسر الفاء وفتح الطاء جمع (فطر) بكسر الفاء التي هي جمع (فِطرة) ، يقول الشيخ المحمودي : ((والفطرة – بكسر فسكون – كالعبرة : الصفة الطبيعية التي يكون عليها كل موجود في بدء وجوده وبحسب طبعه، وهي للإنسان حالته خاليا من الآراء والاهواء والعقائد، وهو بها يكون كاسبا محضا، فحسن اختياره يهديه ويسوقه إلى السعادة، وسوء تصرفه يضلله في طرق الشقاوة، وجمع الفطرة الفِطَر كعبرة وعبر، وكسرة وكسر، والفطرات – بفتح الطاء – جمع فِطَر التي هي جمع الفِطرة ككِسرات جمع كِسر التي هي جمع كِسرة))[٥] .

---

١ . نهج السعادة : ١٩٠/١ .

٢ . معجم الصحاح في اللغة : (فرق) ٤٢/٢ ، وينظر : لسان العرب : (فرق) ٢٩٩/١٠ .

٣ . غريب الحديث : لابن قتيبة : ٣٤٠ ، وينظر : النهاية في غريب الحديث والاثر : ٨٣٧/٣ .

٤ . نهج السعادة : ١٩٢/٦ ...

٥ . المصدر نفسه : ١٩٦/١ .

فالإمام (عليه السلام) يريد أن الله تعالى ((أقام القلوب وأثبتها على ما فطرها عليه من معرفته والاقرار به، شقيها وسعيدها))[١] .

فاستعمال جمع الجمع (فطرات) الدال الكثرة والمبالغة والتعدد، فضلا على التباين والاختلاف في هيئات الخلق وطبائعهم جاء لبيان عظمة الباري ، وقدرته في الاحاطة بمخلوقاته جميعها مهما تعددت وكثُرت واختلفت هيأتها .

٢. أبنية أخرى للجمع :

أ. بناء ((فُعَّال)) :

هذا البناء يطرد في جمع (فاعل) نحو : راكب وركَّاب ، وزارع وزرَّاع ، وطالب وطُلَّاب، وغيرها[٢] .

ويأتي هذا البناء للدلالة على التكثير والمبالغة في الوصف، جاء في معاني الابنية : ((وأشهر دلالة لهذا البناء هي التكثير والمبالغة في القيام بالفعل، فإن لم يُكثروا من القيام بالفعل فلا يُطلق عليهم هذا الجمع ، فليس كل من يزرع شجرة . مثلا . هو من الزراع حتى يكثُرُ من ذلك...))[٣] . وجاء فيه ايضا : ((فهذا الجمع لتكثير القيام بالفعل لا لتكثير العدد، فلا تُسمي من حفظوا بيتا واحدًا أو قصيدة واحدة حُفَّاظًا، ولا من يقرؤون سورة واحدة قُرَّاء ولو زادوا على الألف...))[٤] .

ومن هنا يتبين أن بناء (فُعَّال) يدلُّ على تكثير الحدث المُولد للتراكم الكمي دون التراكم العددي .

ومن مصاديق هذا البناء في نهج السعادة ما جاء في وصيته الى كميل بن زياد (رضوان الله عليه) : ((**يا كميل مات خُزَّان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة...**))[٥] .

فقد عبَّر (عليه السلام) عن الاغنياء بصيغة الجمع (خُزَّان) على زنة (فُعَّال) دون خازني الاموال أو خزنة الاموال وذلك للدلالة على أمورٍ عدَّة :

١. الدلالة على الكثرة والمبالغة في خزنهم الأموال، وهذا ما لا تجده في جمع (خازنين) أو (خزنة) .

---

١ . غريب الحديث : ٣٧٤/١ .

٢ . ينظر : الكتاب : ٦٣١/٣ ، وارتشاف الضرب من لسان العرب : لابي حيان الاندلسي : ٤٤٠/١ .

٣ . معاني الأبنية في العربية : ١٤٨ . ١٤٩ .

٤ . المصدر نفسه : ١٤٩ .

٥ . نهج السعادة : ١٠/٨ . ١١ .

٢. يدل بناء (فُعَّال) على ثبوت الوصف، والثبوت متأتٍ من كثرة حدوث الفعل والمداومة عليه، والاستمرار به مرة بعد أخرى .

٣. يُلمح فيه معنى التوبيخ، الدال على شدة البخل والطمع وترك طريق العلم والعلماء، ولذلك عبر عنهم الامام (عليه السلام) بالأموات؛ فكما الميت لا تُرجى منه فائدة، فهم كذلك لا تأتي منهم فائدة مرجوة، كونهم لا يتركون أثرًا صالحًا في نفوس الناس بعكس العلماء فهم وإن ذهبت أعيانهم الا أنهم أحياءٌ في القلوب بأثارهم، يقول المحمودي : ((إنَّ الأغنياء وذوي الثروة العارين عن العلم إنما هم في حال حياتهم بحكم الأموات، وذلك لعدم ترتب عوائد الحياة ونتائج الوجود على عيشتهم وبقائهم...، وأما العلماء فانهم باقون بأنوارهم وآثارهم، ومتنعمون بفواكه أعمالهم، وثمار علومهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [ال عمران : ١٦٩ ـ ١٧٠]))[١] .

ومن الامثلة كذلك ما ورد في كلام له (عليه السلام) مخاطبًا جيشه لما مرَّ على راية غسان من أهل الشام : ((**إنَّ هؤلاء القوم لن يزولوا عن موقفهم دون طعن دِراكٍ يخرج منه النسيم، وضرب يفلق الهام ويطيح العظام وتسقط منه المعاصم والأكف، وحتى تصدع جباههم، وتنثر حواجبهم على الصدور والأذقان، أين أهل الصبر وطُلَّاب الخير ؟ أين من يشري وجه الله عزَّ وجلَّ**))[٢] .

ورد في النص الشريف صيغة (طُلَّاب) على زنة (فُعَّال) للدلالة على المبالغة والكثرة في طلب الخير، تلك المبالغة الدالة على التراكم الكمي لا العددي، فالإمام (عليه السلام) أراد ـ والله أعلم ـ بطُلَّاب الخير النوع من الرجال دون العدد، أي الرجال الذين يطلبون الخير كثيرًا وإن قلَّ عددهم، ودليل ذلك أنه (عليه السلام) قال في النص أعلاه : أين أهل الصبر، أين من يشري وجه الله عزَّ وجلَّ، ولا ريب أن أهل الصبر، ومن يشري وجه الله وابتغاء رحمته هم القلة دون الكثرة من الناس .

ب . بناء ((فُعَّل)) :

يطرد هذا البناء جمعًا لوصف على (فاعل)، و (فاعلة) صحيح اللام، نحو : ضُرَّب في ضارب، وضاربة[٣] ، وهذا البناء كبناء (فُعَّال) لا يخلو من التراكم الدلالي إلا أنَّ نسبة تحقق التراكم في بناء (فُعَّل)

---

١ . نهج السعادة : ٨/ ١١ .

٢ . المصدر نفسه : ٢/١٤٤ .

٣ . ينظر : الكتاب : ٣/٦٣١ ، وشرح ابن عقيل : ٢/٤١ ، وهمع الهوامع :٢/١٧٧ .

تبدو أكثر من تحققها في بناء (فُعَّال)؛ وعلة ذلك أن هذا البناء تجتمع / تتراكم فيه دلالتان : الاولى : دلالته على الحركة، والثانية : دلالته على تكثير القيام بالحدث، يقول الدكتور : فاضل السامرائي موضحًا ذلك : ((ويدلُّ هذا الجمع على الحركة الظاهرة، كما أنَّ فيه الدلالة على تكثير القيام بالفعل، غير أن أبرز دلالة فيه هي دلالته على الحركة الظاهرة، ويختلف عن (فُعَّال) في أن الحركة في هذا البناء أوضح وأكثر؛ وذلك لقصره عن (فُعَّال) ، فإنما قصرت المدة فيه للحركة فإن الحركة تحتاج الى السرعة التي تنافي المد))[١] .

ولم يرد في نهج السعادة من الجموع على هذا البناء الا مثالا واحدا وهو ما ورد خطبة له عليه السلام خطبها بعد استخلافه بستة أيام قال فيها بعد أن حمد الله واثنا عليه : ((**والله أيها الناس لقد أدركت أقوامًا كانوا يبيتون لله سُجدًا، و قياما كأن صرير النار في آذانهم، وإذا ذكروا الله مادوا كما تميد الشجرة يوم الريح العاصف**))[٢] .

فـ (سُجَّدا) جمع (ساجد) وهو على زنة (فُعَّل) ،أراد به الامام (عليه السلام) الدلالة على كثرة سجود هؤلاء القوم ، فضلا على دلالة هذا البناء على الحركة المصاحبة للسجود .

١ . معاني الأبنية في العربية : ١٥٢ .

٢ . نهج السعادة : ١٩٣/١ .

مُدخل :

للمعنى أثرٌ ملموس في الدراسات النحوية التي ظهرت منذُ بدء التأليف النحوي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ويظهرُ هذا الأثر واضحًا في مناهج البحث النحوي، وصياغة النحاة أصول النحو وفروعه، وتعليلهم ظواهر وأحكام، ودراستهم دلالة مفردات اللغة وتراكيبها، وفهمهم أساليب الكلام وطرائق التعبير، وجدلهم في الاختلاف في أوجه الإعراب، وتأويلها وتخريجها، وغير ذلك مما زخرت به تصانيفهم من مسائلَ نحوية، وحجج وموازنات ومناظرات ومؤاخذات، كُلّ ذلك كان في متناول دراساتهم لغرض المعنى وفهم الكلام[١] .

ويمكن تعريف الدلالة النحوية بأنّها : تلك الدلالة التي تحصل من خلال العلاقات النحوية بين الكلمات التي تتخذ كُلٌّ منها موقعًا معيَّنًا في الجملة بحسب قوانين اللغة، ولابُدَّ من أن تكون لها وظيفةٌ نحوية من خلال موقعها[٢] .

وقد بين القدماء علاقة النحو بالمعنى في دراساتهم التحليلية للقضايا النحوية ، يقول المبرد : ((كل ما صلح به المعنى فهو جيد، وكل ما فسد به المعنى فهو مردود))[٣] .

وقد بلغ ابن جني مرتبةً عالية في القدرة على توخي ملامح المعاني النحوية، إذ يقول : ((فإنَّ العرب فيما أخذناه عنها وعرفناه من تصرُّف مذاهبها، عنايتُها بمعانيها أقوى من عنايتها بألفاظها...، أنّ سبب إصلاحِها ألفاظَها وطَردِها إيّاها على المُثُلِ والأحذِية التي قنَّنتها لها وقصرتها عليها إنما هو لتحصين المعنى وتشريفه والإبانةِ عنه وتصويره ألا ترى أنَّ استمرار رفع الفاعل ونصبِ المفعول إنما هو للفرق بين الفاعل والمفعول وهذا الفرق أمر معنويّ أصلِح اللفظ له وقِيد مَقَاده الأوفق من أَجْله، فقد علم بهذا أن زينة الألفاظ وحِلْيتها لم يُقصد بها إلاّ تحصين المعاني وحياطتها فالمعنى إذا هو المُكَرَّم المخدوم واللفظ هو المبتذَل الخادم))[٤] .

كذلك أكد عبد القاهر الجرجاني أهمية النحو في الدلالة على المعنى بقوله : ((ومما ينبغي أن يعلمهُ الإنسان ويجعلهُ على ذكرٍ، أنّه لا يتصَوَّر أن يتعلق الفكرُ بمعاني الكلم أفراداً ومجرّدة من معاني النحو))[٥] ، وهو يرى ((أنَّ الالفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة، لم تُوضع لتُعرفَ معانيها في أنفسها، فنظم الحروف

---

١ . ينظر : نظرية المعنى في الدراسات النحوية : د. كريم حسين ناصح : ١١ .

٢ . ينظر : الدلالة اللغوية عند العرب : ١٩٤، وينظر : التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم : د. عودة أبو خليل عودة : ٢٧٤ .

٣ . المقتضب : ٣١١/٤ .

٤ . الخصائص : ١٥٠/١ .

٥ . دلائل الاعجاز : ٤١٠ .

هو تواليها في النطق فقط، وليس نظمها بمقتضى عن معنى، ولكن لأن يُضم بعضها الى بعضٍ، فيُعرفُ فيما بينها فوائد ...))[1] .

وبذلك فقد كان النحو عند علمائنا الأوائل نظامًا متكاملًا من الرموز والعلامات التي تدلُّ دلالاتٍ لفظية ومعنوية على المعنى الذي ينوي العربي التعبير عنه، فالأسماء والأفعال والحروف والحركات، والتقديم والتأخير، والتركيب، والإسناد، والتنكير والتعريف، والتذكير والتأنيث وغيرها هي رموز لمعانٍ مختلفة ودلالاتٍ عليها، يتم التعبير عن هذه المعاني بتغيير هذه الرموز في اللفظ المفرد أو التركيب[2] .

ومما تقدم رأيت من الأهمية بمكان أن أدرسَ التراكم الدلالي في ضوء معاني النحو كما درستها في الفصلين السابقين كي تكون الدراسة شاملة لموضوعها، معتمدًا في ذلك على دراسات العديد من العلماء كالدكتور فاضل صالح السامرائي، والدكتور محمد نور الدين المنجد، فضلا على ما جدَّ لي مما لم يذكراه من أنماط التراكم الدلالي النحوي التي نصت عليها الدراسات القديمة منها والحديثة .

وقد جاءت الأنماط النحوية المُنتجة للتراكم الدلالي على النحو الآتي :

١ . دلائل الاعجاز : ٥٣٩ .

٢ . ينظر : نظرية المعنى في الدراسات النحوية : ٢٢ .

المبحث الأول

التضميـــن

ينقسم التضمين في اللغة العربية على أربعة مقاصد هي : التضمين البياني، والتضمين البديعي، والتضمين العروضي، والتضمين النحوي[١] .

والذي يهمنا في هذا المقام هو التضمين النحوي فحسب ؛ وذلك لعلاقته الماسَّة بالبحث النحوي أولًا، ولسعة المقام لو ذَكرتُ الانواع الاخرى ثانيًا .

وفي البدءِ لابدَّ من بيان مفهوم التضمين في اللغة والاصطلاح ، ففي اللغة ورد مصطلح التضمين في المعجمات اللغوية دالٌّ على معان عدة منها الكفالة، والايداع، جاء في لسان العرب : ((ضَمِنَ الشيءَ وبه ضَمْنا وضَمَانا كَفَل به وضَمَّنَه إياه كَفَّلَه، ... وضَمَّنَ الشيءُ الشيءَ أَوْدَعه إيّاه كما تُودِعُ الوعاءَ المتاعَ والميتَ القبرَ))[٢] .

وفي الاصطلاح يُعرَّف التضمين بأنه إشراب لفظ معنى لفظ آخر فيُعطى حكمه، وفائدته : أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين[٣] ، وحديثًا عرَّفه مجمع اللغة العربية بالقاهرة بالآتي : ((التضمين : أن يؤدي فعل أو ما في معناه في التعبير مؤدى فعل آخر أو ما في معناه فيُعطى حكمهُ في التعدية واللزوم))[٤] .

والتضمين ليس من سبيل إلى إنكاره مثلما ادعى بعض العلماء ؛ وذلك أنَّه قد كثُر كُثرة بالغة مما جعلته مقبولًا ثابتًا عند أئمة اللغة، يقول ابن جني : ((ووجدت في اللغة من هذا الفن شيئًا كثيرًا لا يكاد يُحاط به ولعله لو جُمع أكثره (لا جميعه) لجاء كتابًا ضخمًا وقد عرفت طريقه، فإذا مرَّ بك شيء منه فتقبَّله، وأنس به فإنَّه فصلٌ من العربية لطيف حسن يدعو إلى الأنس بها والفقاهة فيها))[٥] .

ولو تتبعنا أقوال القدماء والمحدثين عن فائدة التضمين لوجدناها تُشير إشارة واضحة الى أنه أحد روافد التراكم الدلالي في اللغة، إذ جاء في كتاب البرهان ((... فأما في الأسماء فهو أن تضمن اسمًا معنى اسم لإفادة معنى الاسمين جميعًا كقوله تعالى : ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [الاعراف : ١٠٥]ضُمِّن حقيق معنى حريص ليفيد أنَّه محقوق بقول الحق، وحريص عليه، وأمَّا الأفعال فإنَّ تضمن فعلًا معنى فعل

---

١ . ينظر : التضمين في العربية . بحث في البلاغة والنحو : د. أحمد حسن حامد : ٥ ، ١٨ ، ٣٤ ، ٣٧ .

٢ . لسان العرب : مادة (ضمن) : ٢٥٧/١٣ .

٣ . مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ابن هشام الانصاري : ٣٤١ .

٤ . مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً : ٦ .

٥ . الخصائص : ٣١٠/٢ .

آخر ويكون فيه معنى الفعلين جميعا...))[١]، ونُقِل عن ابن كمال باشا قوله : ((التضمينُ أن يقصد بلفظٍ معناه الحقيقي، ويُلاحظ معه معنى لفظ آخر يناسبهُ، ويدلُّ عليه بذكر شيء من متعلقات الآخر كقولك : أحمدُ إليك فلانًا، فقد لاحظتَ فيه مع الحمد معنى الإنهاء، ودللتَ عليه بذكر صلته، أعني كلمة إلى ...))[٢]، وذكر الدكتور فاضل السامرائي : ((أنَّ فائدة التضمين هو التوسع في المعنى من أخصر طريق وأوجزه، وذلك أن يُؤتى بفعل ثم يُؤتى معه بحرف لا يتعدى معه ذلك الفعل، وإنما يتعدى مع فعل آخر فيكسب معنى الفعل المذكور والمقدر...))[٣]، وقال أحد الباحثين بهذا الصدد كذلك : ((وأما التضمين فإنَّ اللفظ يحتفظ بمعناه الأصلي مع إمكانية التوسع بتحمله معنى لفظ آخر فتدل كلمة واحدة على معنى كلمتين))[٤] .

وانطلاقًا مما تقدم يمكن إثبات فاعلية التضمين في تراكم المعاني؛ ذلك أنَّ ما ذكره العلماء من مفاهيم مثل (الاشراب، وإفادة الاسم معنى الاسمين، والتوسع في المعنى، والاكتساب) إنما هي مفاهيم تدخل ضمن إطار مفهوم (التراكم الدلالي)، إذ يُراد بها إكثار المعنى، وتعدده، وتوسعه، وشموله، وهذا ما يرمي إليه التراكم الدلالي كذلك .

ومن مصاديق التضمين في مستدرك النهج مجيء الفعل " **عتا** " في كلام له (عليه السلام) في بيان دعائم النفاق والكفر وشعبها : ((... **ومن عتا عن أمر الله شك، ومن شك تعالى الله عليه فأذله بسلطانه وصغره بجلاله، كما أغتر بربه الكريم، وفرط في أمره**))[٥] .

إذ يدلُّ الفعل " **عتا** " في المعجمات اللغوية على معنى "**الاستكبار**" ، وهو من الأفعال اللازمة التي لا تتعدى الى المفعول به، قال الخليل : ((عتا عُتوا وعِتِيّا إذا استكبر فهو عاتٍ، والملك الجبار عاتٍ، وجبابرة عتاة، وتَعَتَّى فلان، وتَعَتَّتْ فُلانة إذا لم تُطِعْ))[٦]، وجاء في لسان العرب : ((عتا يعتو عتوًا، وعتيًا استكبر، استكبر، وجاوز الحد))[٧] ، ويقول الدكتور محمد نديم فاضل : ((عتا يعتو عتوا، وعتيا : استكبر، وتمرد، وتجبر، فالفعل لازم لا يتعدى، وتعديته بعن حملته على التضمين...))[٨] .

---

١ . البرهان في علوم القرآن : ٣٣٨/٣ .
٢ . رسالة في التضمين : مخطوطة لابن كمال باشا ، نقلا عن التضمين في العربية . بحث في البلاغة والنحو : ٧ .
٣ . الجملة العربية والمعنى : ١٦١ .
٤ . الدلالة والتقعيد النحوي دراسة في فكر سيبويه : د. محمد سالم صالح : ٢٩٥ .
٥ . نهج السعادة : ٣١٦/١ .
٦ . كتاب العين : (عتا) ١٣٣/١ .
٧ . لسان العرب : (عتا) ١٥/ ٢٧ .
٨ . التضمين النحوي في القرآن : ٤٦٨ .

وبالرجوع الى النص الشريف نجد أن هذا الفعل قد جيء به متعديًا بحرف الجر " عن " ، ولم يكن هذا الأمر إلا لتضمينه معنى " **الابعاد** " ، فضلا على الاحتفاظ بمعناه الأصلي وهو "**الاستكبار**" ، وهذا ما يُستشف من قول الشيخ المحمودي : ((عتا يعتو، وعتى يعتي عتوا وعتيا وعتيا : استكبر... ، ولا شك أن العتو والتكبر عن قبول أمر الله يوجب بعد الإنسان المتكبر عن الله ودستوراته، وهو يستلزم الشك))[١] .

و انطلاقا من كلام المحمودي يتبين أنَّ الفعل "**عتا** " قد تراكم فيه معنيان :

الاول : معنى الاستكبار، وهو معنى معجمي غير مكتسب .

والآخر : معنى الإبعاد ، وهو معنى مُكتسب؛ إذ اكتسبه الفعل بسبب تعديته بحرف الجر "عن" .

وخير مما يُستدل به على تراكم المعاني في الفعل "**عتا** " عند تعديته بـ "**عن** " هو ما ذكره جملة من المفسرين عند تناولهم قوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا ﴾ [الطلاق / ٨] .

إذ قال الزمخشري : (("عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا" أعرضت عنه على وجه العتوّ والعناد))[٢] ، أي أعرضت وابتعدت وهي مستكبرة معاندة، وذكر أبو حيان : ((عتت : أعرضت عن أمر ربها على سبيل العناد والتكبر))[٣] .

وجاء في نظم الدرر للبقاعي (ت٨٨٥هـ) : (("عتت" أي استكبرت وجاوزت الحد في عصيانها وطغيانها فأعرضت عنادًا))[٤] ، وقال الالوسي (١٢٧٠هـ) في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الاعراف/ ٧٧] : ((وأوجب بعضهم على الأول أن يضمن { عَتَوْا} معنى التولي أي تولوا عن امتثال أمره عاتين))[٥] أي تولوا وهم في حال تكبر .

ومن أمثلة التضمين كذلك الداعمة للتراكم الدلالي ما جاء في كلام الامام (عليه السلام) في صفة المتقين من شيعته : ((... **فأما النهار فحلماء علماء، بررة أتقياء براهم خوف باريهم فهم أمثال القداح، يحسبهم الناظر إليهم مرضى – وما بالقوم من مرض – أو قد خولطوا وقد خالط القوم من عظمة ربهم وشدة**

---

١ . نهج السعادة : ٣١٦/١ .

٢ . الكشاف : ١١٢/٤ .

٣ . البحر المحيط : ٢٨٦/٨ .

٤ . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ٦٤/٩ .

٥ . روح المعاني : ٢٤١/٦ .

سلطانه أمر عظيم، طاشت له قلوبهم، وذهلت منه عقولهم، فإذا استقاموا من ذلك بادروا إلى الله تعالى بالأعمال الزاكية...))[1] .

فالفعل "**استقام**" هو فعلٌ لازم لا يتعدى بنفسه، ويأتي لمعنى " **الاعتدال**" **و** "**الاستواء**" ، يقول ابن منظور : ((قامَ الشيءُ واسْتقامَ اعْتدَل واستوى... ، والاستِقامة اعتدال الشيء واستِواؤه ...، واستقامَ الشِّعر اتَّزَنَ))[2].

إلا أنَّ هذا الفعل قد يتعدى أحيانا بحروف الجر، فيكتسب عند ذلك معاني أخرى تختلف باختلاف الحرف المُتعدى به، فـ ((استقام على طريقته : دام، وثبتَ، واستقام لوجهه : انقادَ واستمرت طريقته، واستقام له : ثبتَ على طاعته، واستقام بفلان : مدحه وأثنى عليه...))[3] .

وبالعود إلى النص العلوي الشريف تجد أنَّ الفعل " **استقام** " قد تعدى بحرف الجر "**من**" وهذا الأمر جعله يتضمن معنى " **الإفاقة** " مع بقاء دلالته على معنى الاعتدال والاستقامة، يقول الشيخ المحمودي موضحًا ذلك : ((أي إذا حصلت لهم الافاقة، والاستقامة من ذهاب قلوبهم وذهول عقولهم يتبادرون إلى التقرب إلى الله بالأعمال الزاكية))[4] .

وبذلك يكون مراد الإمام (عليه السلام) هنا بقوله : " **فإذا استقاموا من ذلك** " ـ والله أعلم ـ أي إذا أفاقوا من غشيتهم أفاقوا وهم على استقامة تامة من الإيمان والورع والتقوى .

إذا فالفعل "**استقام**" قد دلَّ دلالة ركامًا على معنيي (الاستقامة، والافاقة) بعد تعديته بحرف الجر (من)؛ إذ أصبح هذا الفعل ومن خلال تعديته بحرف الجر من دالا على معنيين بعد أن كان يدلُّ على معنى واحد لا غير، وهذا هو سر التضمين القائم على ايجاز اللفظ وتراكم المعنى .

ومما تراكم كذلك من معانٍ بفعل التضمين النحوي ما تحقق في الفعل (تزيل) الوارد في خطبةٍ له (عليه السلام) في بيان أقسام الشبهة : **((والشبهة على أربع شعب : على الإعجاب بالزينة، وتسويل النفس، وتأول العوج، وتلبس الحق بالباطل، وذلك بأنَّ الزينة تزيل على البينة، وإنَّ تسويل النفس يقحم على الشهوة...))**[5] .

إذ ذكرت المعجمات اللغوية أنَّ الفعل (زال) يدلُّ على "**التنحي ، والذهاب ، والاضمحلال**" قال ابن فارس : ((الزاء والواو واللام أصلٌ واحدٌ يدلُّ على تنحّي الشيءِ عن مكانه، يقولون: زال الشيءُ زَوالا، وزالت

---

١ ـ نهج السعادة : ١/٣٩٠ .
٢ ـ لسان العرب : (قام) ١٢/٤٩٦ .
٣ ـ معجم الأفعال المتعدية بحرف : ٣٠٦ .
٤ ـ نهج السعادة : ١/٣٩٠ .
٥ ـ المصدر نفسه : ٢/ ١٧ .

الشمس عن كبد السماء تزُول))[١]، وجاء في لسان العرب : ((الزَّوَال الذَّهاب والاسْتِحالة والاضمِحلال))[٢] .

و قد جاء الفعل في النص الشريف متعديا بحرف الجر **(على)**؛ وذلك لتضمنه معنى المجاوزة، يقول المحمودي : ((كلمة (على) بمعنى (عن) وهي المجاوزة، أي إنَّ الزينة تُزيلُ من استعجب بها، وتصرفه عن البينة والبراهين الجلية، وتجرُّهُ إلى مهاوي الشهوات))[٣] .

وبذلك يكون الفعل **(زال)** في النص العلوي وبعد تعديته بحرف الجر "على" قد راكم معنيي "المجاوزة ، والإزالة" بعد أن كان يفيد معنى " الازالة " لا غير .

ونظير ما تقدم كذلك ما ورد في كتابٍ له (عليه السلام) عاتب به أهل الكوفة، لما أغار سفيان بن عوف بأمر معاوية على الأنبار وقتل حسان بن حسان البكري مع جماعة من المؤمنين رحمهم الله، جاء فيه : **((... أما بعد فإني عاتبتكم في رشدكم حتى سئمت، وراجعتموني بالهزء من القول حتى برمت، هزءًا من القول لا يُعادُ به، وخطلٍ لا يُعزُّ أهلُهُ، ولو وجدت بدا من خطابكم والعتاب إليكم ما فعلت...))**[٤] .

فالفعل (عاد) من الأفعال التي تتعدى بحرف، تقول : عاد إليه وله وعليه يعود عودة وعودا : رجع، وارتد، وعاده عن كذا صرفه، وعاود بالمسألة كرر السؤال[٥] .

والملاحظ في النص الشريف أنَّ الفعل المضارع (يُعاد) قد أكسبته التعدية بحرف الجر الباء معنى جديدا، إذ جعلته متضمَّنًا معنى التلفظ مرة بعد أخرى، مع الاحتفاظ بدلالته على معنى الرجوع، يقول الشيخ المحمودي : ((و (لا يعاد به) أي لا يطاق به، أو أنَّ الباء في (به) بمعنى اللام أي لا يعاد إليه ثانيًا، ولا يتلفظ به مرة أخرى لقبحه))[٦] .

ومن هنا يكون الفعل (عاد) وبفضل التعدية قد دلَّ دلالة ركامًا على معنيي **(الإعادة ، والتلفظ)** بأوجز طريق وأيسره .

المبحث الثاني

١ . معجم مقاييس اللغة : (زال) ٢٨/٣ .
٢ . لسان العرب : (زال) ١١/ ٣١٣ .
٣ . نهج السعادة : ١٨/٢ .
٤ . المصدر نفسه : ٢٦٢/٦ .
٥ . ينظر: معجم الأفعال المتعدية بحرف : ٢٥١ .
٦ . نهج السعادة : ٥/ ٢٦٢ .

التعريف والتنكير

التعريف والتنكير ((ظاهرة شائعة في لغات العالم ترتبط بالتقابل المركوز في أذهان أهل اللغة بين المعروف والمجهول، أو المعين والشائع في جنسه))[١] .

ويرى النحاة أن النكرة هي أصل المعرفة، وهي أشدُّ تمكنا منها، جاء في الكتاب : ((واعلم أن النكرة أخف عليهم من المعرفة، وهي أشد تمكنا؛ لأنَّ النكرة أول، ثم يدخل عليها ما تعرَّف به، فمن ثم أكثر الكلام ينصرف في النكرة))[٢] .

ولاشك أنَّ التعريف والتنكير من القضايا النحوية التي تُسهم أحيانا في ركم المعاني وزيادتها، يقول الدكتور سعد محمد علي : ((من المعروف أن للتعريف والتنكير وظائف دلالية عديدة منها الانفتاح الدلالي الذي يُسهم في تكثيف الدلالة والتأثير في المتلقي))[٣] .

وتقول الدكتورة لمى عبد القادر كذلك : ((لما كان التنكير يحمل معنى الإبهام إذ يكون اللفظ المنكر غير معين، فقد يفضي هذا الإبهام إلى الاتساع في المعنى فيضمن دلالة العموم للنكرة))[٤]، ويقول الدكتور مجيد طارش بشأن تنكير لفظة (حياة) في قوله تعالى : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾[البقرة : ٩٦] : ((فالنكرة هنا دلت على معنى واسع غير محدد، وهذا هو التراكم الدلالي الذي تؤديه النكرة في مثل هذا الموضع، ونظائرها كثيرةٌ لما تقدَّم من نكرة ودلالتها المتراكمة، ومن هذه النظائر قوله تعالى : ﴿ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [النحل/٦٩] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة /١٠]...))[٥] .

ومن شواهد التعريف في نهج السعادة الداعمة لركم المعنى ما يُلاحظ في خطبةٍ له (عليه السلام) لما أصرَّ الناكثون يوم الجمل على الشقاق وآذنوه بالحرب : ((**أيها الناس إني قد راقبت هؤلاء القوم كي يرعووا، أو يرجعوا، ووبختهم بنكثهم وعرفتهم بغيهم، فلم يستحيوا، وقد بعثوا إلي أن ابرز للطعان، وأصبر للجلاد وإنما تمنيك نفسك أماني الباطل، وتعدك الغرور، ألا هبلتهم الهبول لقد كنت وما أهدد بالحرب، ولا أرهب بالضرب، ولقد أنصف القارة من راماها، فليرعدوا وليبرقوا، فقد رأوني قديمًا وعرفوا نكايتي، فكيف رأوني ؟.**

---

١ . التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل : د. محمود أحمد نحلة : ١١ .

٢ . الكتاب : ١/ ٢٢ .

٣ . الانفتاح الدلالي في سورة الشعراء . دراسة بلاغية تحليلية : د. سعد محمد علي ، بحث منشور في مجلة كلية الآداب، جامعة المستنصرية ، العدد ٤٩ ، ٢٠٠٩م : ٨ .

٤ . الدلالة النحوية في المعلقات العشر : د. لمى عبد القادر خنياب ، جامعة القادسية، كلية الآداب ، ٢٠٠٦م : ٦٨ .

٥ . التراكم الدلالي في النص القرآني : ٤٧ .

أنا أبو الحسن الذي فللت حد المشركين، وفرّقت جماعتهم وبذلك القلب ألقى عدوي اليوم، وإني لعلى ما وعدني ربي من النصر والتأييد))[1] .

ألقى الإمام (عليه السلام) هذه الخطبة في واقعة الجمل بعد أن دعاه الناكثون إلى البراز والقتال والطعان، وكان منه (عليه السلام) ردا على هذه الدعوة والتهديد أن ذكرهم (عليه السلام) بنفسه من خلال ركم جملة من المعارف في مواضع عده من هذا النص وهي : الضمير (**أنا**) ، والكنية (**ابو الحسن**) وهو كنيته (عليه السلام) ، والاسم الموصول (**الذي**) ، واسم الاشارة للبعيد (**ذلك القلب**) ، والضمير المضاف إلى كلمة رب في (**ربي**) ، وال التعريف في كلمتي (**النصر، والتأييد**) .

ولو تأملنا تراكم هذه المعارف لتبين لنا أهميتها في الافصاح عن شجاعته (عليه السلام) وفراسته في الحروب احتجاجًا على هؤلاء الناكثين المارقين الجاهلين لشخصه (عليه السلام) .

ومن شواهد التعريف كذلك الداعمة لركم المعنى ما جاء في دعاءٍ له (عليه السلام)، وهو ما يُعرف بدعاء يوم الخميس : ((...**ولا إله إلا الله السابغ النعمةِ، البالغ الحكمةِ، الدامغ الحجةِ، الواسع الرحمةِ، المانح العصمةِ**))[2] .

حيث راكم (عليه السلام) ال التعريف، والإضافة في النص الشريف في مواضع خمسة؛ ولم يكن هذا التراكم من المعارف إلا لبيان عظمة الله وجلاله؛ ذلك أن (ال التعريف) في كل موضع إنما تفيد معنى الكمال لله تعالى، وهذا الغرض الدلالي هو أحد أغراض ال التعريف، قال سيبويه : ((إذا قلت : (هذا الرجل) فقد يكون أن تعني كماله))[3] ، وجاء في معاني النحو أن من أغراض ال التعريف ((الدلالة على الكمال كقولك (هذا الرجل)، و(هذا البطل) أي الكامل في هذا الوصف، ومن ذلك قولنا : (هذا الفتى كل الفتى)، وهذا الفتى حق الفتى)...، وأنت تحس الفرق بين قولنا : (هذا الرجلُ) و(هذا رجلُ) ، و(هذا البطلُ)، و(هذا بطلٌ) ففي التعريف من الدلالة ما ليس في التنكير))[4] .

إذا فـ(ال) راكمت المعنى بعد دلالتها على الكمال والعظمة، وبدونها ينتفي هذا الغرض الدلالي الذي أراده الامام (عليه السلام) في هذا المقام .

وأما بخصوص التعريف بالإضافة فإنها كذلك تعمل على تكثير المعنى من خلال ركم معنيي الدوام والثبوت في وقت واحد، حيث إن إضافة المشتق الى عامله في النص العلوي أفادت التراكم الزمني أي

---

١ . نهج السعادة : ٣/٣٣٨ .
٢ . المصدر نفسه : ٦/ ١٨ .
٣ . الكتاب : ١/٢٦٣ .
٤ . معاني النحو : ١/١٠١ .

استغراق الأزمنة جميعا، الماضي، والحال، والاستقبال دون انقطاع بينها، كما أفادت الدلالة على ثبوت الحدث مثلما الاسم يفيد الثبوت، لانَّ الإضافة من خصائص الأسماء، يقول الدكتور فاضل السامرائي موضحا أثر إضافة المشتق لعامله في تكثير المعنى : ((والتحقيق أنَّ لكل تعبير غرضًا لا يؤديه الآخر، فالإعمال نصٌ في الدلالة على الحال أو الاستقبال، والإضافة ليست نصًا في ذلك، فإنك إذا قلت : (أنا ضاربٌ محمدًا) كان ذلك دالًا على الحدث في الحال أو الاستقبال، قال تعالى : ﴿ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾[ص :٧١ـ٧٢] فهو للاستقبال، أما الإضافة فليست نصًا في هذا المعنى، بل تحتمل المضي، والاستمرار، والحال، والاستقبال، فإنك إذا قلتَ : (أنا مكرُ محمدٍ) احتمل ذلك المضي والحال والاستقبال والاستمرار، قال تعالى : ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[ابراهيم : ١٠] وهو ماض ، وقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾[الانعام : ٩٥ . ٩٦] وهو استمرار ، فالإضافة تعبير احتمالي، يحتمل أكثر من معنى، بخلاف الاعمال فإنه تعبير قطعي، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أنه في الاعمال يكون الوصف ملحوظاً فيه جانب الحدث وقربه من الفعلية، في حين أنه في الاضافة يكون ملحوظاً فيه جانب الاسمية وذلك أن الاضافة من خصائص الاسماء))[١] .

وبلحاظ ما تقدم تجد أن تراكم التعريف بـ (ال، والإضافة) في النص الشريف جاء مناسبا لسياق النص الرامي الى بيان قدرة الله وعزته .

وأما بشأن النكرة فإنها ومثلما تبين تعمل على اتساع دائرة المعنى من خلال ركم الدلالات واجتماعها، لذا فقد سجل حضورها ظاهرة لافتةً في كلام الامام (عليه السلام)، فلا يكاد يخلو نص من الألفاظ المنكرة، ومن أمثلة ذلك ما جاء في أحد أدعيته (عليه السلام) ، وهو يناجي ربه جلَّ وعلا : ((**إلهي كيف أثني – وبدء الثناء منك – عليك وأنت الذي لا يُعبِّرُ عن ذاتهِ نطقٌ، ولا يعيه سمعٌ، ولا يحويه قلبٌ، ولا يدركه وهمٌ، ولا يصحبه عزمٌ، ولا يخطر على بالٍ...**))[٢] .

إذ يكشف لنا النص الشريف عن ركم جملة من النكرات، وذلك في ستة مواضع، هي : " **نطقٌ، سمعٌ، قلبٌ، وهمٌ، عزمٌ، بالٌ** "، ويمكن بيان ما دلت عليه هذه النكرات من تراكم دلالي على المستويين الإفرادي، و الإجمالي، وذلك في الاتي :

---

١ . معاني النحو : ٣/١١٤ .

٢ . نهج السعادة : ٦/٢٣٠ .

١. فعلى المستوى الافرادي أفاد التنكير في كل منها معنى العموم والاطلاق، فهي تدلُّ دلالة ركامًا على كلِّ نطقٍ، وكلِّ سمعٍ، وكلِّ قلبٍ، وكلِّ وهمٍ، وكلِّ عزمٍ، وكلِّ بالٍ، مهما تعددت مصادرها واختلفت سواء أكانت من البشر أم الجن أم الملائكة أم غيرها، وقد تعاضدت دلالة التنكير هنا على العموم والاطلاق المفيدين لركم المعنى وتعدده مع دلالة استمرار النفي إلى المستقبل المدلول عليها بـ (لا) النافية الداخلة على الفعل المضارع والدالة على ركم المعنى كذلك؛ ذلك أنَّ (لا) عندما تدخل على الفعل المضارع قد تكون دالة على استمرارية النفي ودوامه في الماضي والحاضر والمستقبل، فهي لا تقيده بزمن معين كقوله تعالى : ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾[البقرة : ٢٥٥] ، يقول دكتور فاضل السامرائي : ((وتدخل (لا) على الفعل المضارع فلا تقيده بزمن على الأرجح، وإن كان النحاة يرون أنها تخلصه للاستقبال))[١].

إذا فدلالة التنكير على الاطلاق والعموم الداعمان لركم المعنى جاءت منسجمةً مع سياق النص الشريف الدال على عظمة الله تعالى وقدرته، فالله تعالى لا تُعبِّرُ عن ذاته المنطوقات جميعها، ولا تعيه المسموعات كلها، ولا تحويه القلوب كلها كذلك .

٢. أما على المستوى الإجمالي فقد أفاد التراكم اللفظي الناتج عن تعدد تلك النكرات الدلالة على معنى عام وهو توكيد وإثبات وإقرار عظمة الله تعالى وقدرته عند المتلقي، ذلك أن تعدد الشيء وتكراره في غير موضعٍ هو مدعاة لتوكيد الخبر وتمكينه عند المخاطب، ويمكن بيان تلك التراكمات الدلالية المتحققة في المستويين الاجمالي والافرادي في المخطط الاتي :

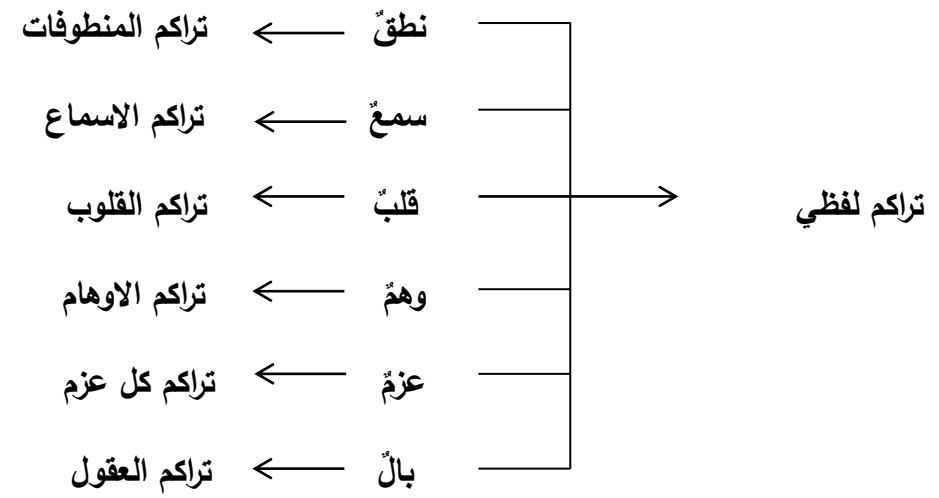

١ . معاني النحو : ٤/ ١٧٦ .

ونظير ما تقدم في إفادة التراكم المعنوي هو تنكير لفظة (عبد) في قوله (عليه السلام) : ((**رحم الله عبدًا تفكَّرَ فاعتبر، وأبصر فازدجر، وعاين إدبار ما أدبر، وحضور ما حضر**))[1] .

فقد جاءت كلمة (**عبد**) في هذا المقام نكرةً كي تدلُّ دلالة ركامًا على عموم وشمول كل عبدٍ متفكر معتبر مزدجر بما أبصر، سواء كان هذا العبد رجلا أم أمرة، كبيرًا أم صغيرًا، حرًا أم ملوكًا .

ومن التراكم كذلك الحاصل من التنكير ما تجده في تنكير لفظة (حدث) في كتابه (عليه السلام) إلى الاشعث بن قيس : ((**أما بعد فلولا هناة كن فيك كنت المقدم في هذا الأمر قبل الناس، ولعل أمرك يحمل بعضه بعضًا إن اتقيت الله، ثم إنَّه كان من بيعة الناس إياي ما قد بلغك، وكان طلحة والزبير ممن بايعاني ثم نقضا بيعتي على غير حدثٍ أحدثته**))[2] .

إذ احتج (عليه السلام) بتنكير كلمة (حدث) لأنها تدل دلالة ركام على كل حدث، فهي تفيد العموم والشمول، فالإمام (عليه السلام) أراد ومن خلال هذا التنكير الدال على العموم التراكمي أن يثبت بطلان ادعاء طلحة والزبير في نقضهما لبيعته؛ كونه (عليه السلام) لم يصدر منه أي شيء يوجب نقض تلك البيعة، وهذا هو أحد الاساليب الحجاجية في كلامه (عليه السلام) .

١ . نهج السعادة : ٣/ ١٩٦ .

٢ . المصدر نفسه : ٤/ ٩٦ .

المبحث الثالث

التقديم والتأخير

يُعرِّفُ منير سلطان التقديم والتأخير بأنه ((تبادل في مواقع الكلمات بحيث تترك كلمة مكانها في المقدمة؛ لتحل كلمة اخرى محلها؛ وذلك لتؤدي غرضًا بلاغيًا ما كانت لتؤديه لو أنها بقيت في مكانها الذي اقتضته قاعدة الضبط اللغوي))[١] .

والتقديم والتأخير سمة أسلوبية لها كبير الأثر في روعة الكلام وبلاغته، وبذلك فقد أشاد به قديمًا شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني عندما قال في وصفه : ((هو بابٌ كثيرُ الفوائد جَمُّ المحاسن واسعُ التصرُّف بعيدُ الغاية، لا يزالُ يفتر لك عن بديعةٍ ويُفضي بكَ إلى لطيفةٍ، ولا تزالُ ترى شِعرًا يروقُك مسمَعُه ويلطُف لديك موقعُه ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أن راقك ولُطف عندك أن قُدِّم فيه شيءٌ وحُوِّل اللفظُ عن مكانٍ إلى مكان))[٢] .

و قد بلغ هذا الأسلوب اللغوي هذه المنزلة لكونه ((من أهم الظواهر اللغوية التي أكسبت اللغة مرونتها، وطواعيتها، فهو يسمح للمتكلم أن يتحرك بحرية، فيختار من التراكيب المحتملة للغة ما يمنح موقفه الفكري والوجداني خصوصيةً وتفردًا))[٣] .

و يرى النحويون والبلاغيون أن التقديم والتأخير إنما يأتي لأغراضٍ دلالية وبلاغية عدة، منها : الاهتمام بالمقدم، التخصيص، تقوية المعنى وتوكيده، الافتخار، تعجيل المسرة، أو المساءة، التشويق الى سماع الخبر بعد ابهامه، التشريف، التقديم للعلة والسبب[٤] .

ولما كان أساس عمل التقديم والتأخير هو تغيير مواقع المفردات؛ لذا فإنَّ هذا التغيير لم يحدث جُزافًا أو اعتباطًا بل هو من أجل ركم المعاني، وزيادتها في اللفظ المقدم، يقول عبد القاهر عند تناوله قوله تعالى : ﴿وجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ [الانعام : ١٠٠] : ((... أنَّ للتقديم فائدة شريفة، ومعنى جليلا لا سبيل إليه مع التأخير، بيانه أنا وإن كنا نرى جملة المعنى ومحصوله أنهم جعلوا الجن شركاء، وعبدوهم مع الله تعالى، وكان هذا المعنى يحصل مع التأخير حصوله مع التقديم، فإن تقديم الشركاء يفيد هذا المعنى، ويفيد معه

---

١ . بلاغة الكلمة والجملة والجمل : منير سلطان : ١٣٨ .

٢ . دلائل الاعجاز : ١٠٦ .

٣ . الآليات البلاغية في التأويل عند الزمخشري : د. علي أحمد شعبان، اطروحة دكتوراه ، جامعة اليرموك ، كلية الآداب ، ٢٠٠٩م : ٩٢ .

٤ . ينظر : مفتاح العلوم : ٩٣، ١٠٥، والايضاح في علوم البلاغة : ٥٤ . ٥٥، ومعاني النحو : ١/١٣٧ . ١٣٩، و١٤٤. ١٤٦.

معنى آخر وهو أنه ما كان ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجن ولا غير الجن))[١] ، وقال في موضع آخر : ((فانظر الآن إلى شرف ما حصل من المعنى بأن قدم الشركاء، واعتبره فإنه ينبهك لكثير من الأمور، ويدلك على عظم شأن النظم، وتعلم به كيف يكون الإيجاز به؟ وما صورته؟ كيف يُزاد في المعنى من غير أن يُزاد في اللفظ؟ إذ قد ترى أن ليس إلا تقديم وتأخير، وأنه قد حصل لك بذلك من زيادة المعنى ما إن حاولت مع تركه لم يحصل لك))[٢] .

والتقديم والتأخير لا يُراد من ورائه المعاني السطحية القريبة، بل هو ((وسيلةٌ يُقرَّبُ بها المعنى العميق والدلالة البعيدة))[٣] .

إذا فهو أسلوب بديع ((يبعث على انفتاح المعنى))[٤] في النص الادبي؛ كونه يعمل على استجلاب ((المعاني الإضافية، والدلالات الثانوية))[٥] .

وللتقديم والتأخير مصاديق كثيرة في نهج السعادة، ولكن اقتصر على بعضها لبيان أثرها في ركم المعاني ، ومن ذلك ما ورد في خطبةٍ له (عليه لسلام) في توحيد الله وتعظيمه : ((**فليس اللهَ عرفَ من عرَّفَ ذاته، ولا لهُ وحَّدَ مَنْ نهَّاه، ولا به صدَّقَ من مثَّله، ولا حقيقتهُ أصابَ من شبَّههُ، ولا إيَّاه أرادَ من توهَّمُهُ، ولا له وحَّد من اكتنهه، ولا به آمن من جعل له نهاية، ولا صمده من أشار إليه، ولا إيِّاه عنى من حدَّهُ، ولا له تذلَّلَ من بعَّضَهُ**))[٦] .

ففي النص العلوي يتضح تقديم المفعول به على فعله في أربعة مواضع، وهذا التقديم هو من روائع كلامه (عليه السلام) التي تكشف عن تراكمات دلالية عدة، والتي يمكن بيانها في الآتي :

١. الدلالة على تمكين المعنى وتقويته في نفس المتلقي .

٢. الدلالة على أهمية المقدم وعظمته .

٣. التشويق والتلذذ بالخبر بعد الإبهام؛ ذلك أنَّ الإمام (عليه السلام) إنما قدَّم المفعول به في هذه المواضع لغرض إبهام الأمر أولًا على المتلقي كي يشتاق إلى سماع الخبر بعد إبهامه، فالأمر المبهم بعد معرفته يكون أوقع في النفس وأمكن في الذهن من الأمر المعروف ابتداءً، يقول الدكتور عبدالله الجيوسي : ((لاشك أنَّ

---

١ . دلائل الاعجاز : ٢٨٦ .

٢ . دلائل الاعجاز : ٢٨٧ . ٢٨٨ .

٣ . في نحو اللغة وتراكيبها : د. خليل أحمد عمايرة : ٩٢ .

٤ . انفتاح الدلالة في النص القرآني : عدنان حسن ابراهيم : ٧١ .

٥ . التراكيب النحوية من الوجه البلاغية عند عبد القاهر : د. عبد الفتاح لاشين : ١٥٦ .

٦ . نهج السعادة : ٣/ ٤٢ .

مجيء الخبر بعد الاشتياق إليه ألذُّ وأوقعُ في النفس، وأمكن في ذهن السامع))[١]، وبذلك فلو أخر الامام (عليه السلام) تلك المفاعيل، وقال : **(فلا عرف اللهَ من عرَّفَ ذاته، ولا وحدَّه من نهَّاهُ، ولا صدَّقَهُ من مثَّله ...الخ)**، لانتفى هذا الغرض النفسي الجليل الذي جاء تقديم المفاعيل لأجله .

ومن الشواهد كذلك ما تجده في كتابٍ له (عليه السلام) الى زياد بن عبيد عامله على البصرة موبخًا إياه : **((أما بعد فإنك شتمت رسولي وزجرته، وبلغني أنك تبخر وتكثر من الأدهان وألوان الطعام، وتتكلم على المنبر بكلام الصديقين، وتفعل إذا نزلت أفعال المحلين، فإن كان ذلك كذلك، فنفسَك ضررتَ، وأدبى تعرضتَ))**[٢] .

إذ حصل بتقديم المفعولين **(نفسك، وأدبي)** على فعليهما **(ضررت، وتعرضت)** تراكم دلالات عدة لم تتحقق لو جيء بهما متأخرين، وتلك الدلالات أجملها بالاتي :

١. لإفادة تقوية المعنى وتوكيده في نفس زياد بن عبيد .

٢. إفادة معنى التخصيص، أي أنك يا زياد لم تضر بهذا العمل غير نفسك، ولم تتعرض لأي شيء سوى ما أمرتك به من عمل الخير .

٣. يدل التقديم كذلك على المبالغة في التوبيخ والتبكيت والزجر لزياد، المدلول عليها بسياق النص .

ونظير ما تقدم من مصاديق التقديم ما ورد في خطبةٍ له (عليه السلام) في الحث على التقوى والردع عن التنافس في الدنيا : **((أيها اللاهي بنفسه كأني بك وقد أتاك رسول ربك لا يقرع لك بابًا ولا يهاب بك حجابًا، ولا يقبل منك بديلا، ولا يأخذ منك كفيلا، ولا يرحم لك صغيرًا ولا يوقر فيك كبيرًا، حتى يؤديك إلى قعرِ ملحودةٍ مظلمةٌ أرجاوءها، موحشةٌ أطلالها، كفعله بالأمم الخالية، والقرون الماضية))**[٣] .

إن الأصل في الاستعمال اللغوي هو أن يتقدم المبتدأ على الخبر[٤]، نحو (زيدٌ قائم) و (أخوك منطلقٌ) ، ولكن ما يُلاحظ في النص العلوي هو خلاف هذا الأصل النحوي، إذ تقدم الخبران **(مظلمةٌ، وموحشةٌ)** على المبتدأين **(أرجاؤها ، واطلالها)**، وهنا ثمة تساؤل مفاده : لمَ قدمَ (عليه السلام) هذين الخبرين، ولم يأتِ بالكلام على أصله، ويقول: **(أرجاؤها مظلمةٌ) و(أطلالها موحشة)** ؟ .

إن الجواب عن هذا التساؤل يكمن في أنَّ تأخير الخبر يجعل الكلام دالًا على الإخبار فحسب، في حين أنَّ التقديم يُكسب النص ثراءً دلاليًا وذلك من خلال ركم المعاني الاتية :

---

١ . التعبير القرآني والدلالة النفسية : د. عبد الله محمد الجيوسي : ٣٠٥ .
٢ . نهج السعادة : ٥/ ١٥٠ .
٣ . المصدر نفسه : ١٢٦/٣ .
٤ . ينظر : شرح الرضي على الكافية : ٩٣/١ .

١. الدلالة على التخصيص أي تخصيص صفة الظلمة والوحشة من بين صفات القبر الاخرى، لأنهما من الصفات المحسوسة التي تمر على الإنسان ويشعر بها .

٢. لإثبات المعنى وتوكيده في نفس المتلقي، فالإمام (عليه السلام) بهذا التقديم أراد أن يكشف حقيقة مفادها أنَّ الإنسان مع علمه بظلمة القبر ووحشته إلا أنه غالبا يتناسى ويتغافل تلك الحقيقة الثابتة، وهو بهذا النسيان والتغافل المستمرين وارتكابه المعاصي إنما حاله كحال المُنكِر المُكذِّب لتلك الحقيقة، فجاء التقديم إثباتًا وتوكيدًا وتعزيزًا لحقيقة القبر في نفس المتلقي .

٣. لزيادة معنى الترهيب والتخويف من أهوال القبر وشدائده، وهذا أسلوب تربوي يستعمله الإمام (عليه السلام) للمبالغة في أخذ العبرة من أجل إصلاح النفس الانسانية، وتقويمها، وتهذيبها .

المبحث الرابع

الحـــذف

الحذف هو من الظواهر اللغوية التي لا تقتصر على لغةٍ بعينها؛ إذ تشترك فيها اللغات الإنسانية جميعها، غير أنها تبدو في بعض اللغات أكثر وضوحًا من بعضها الآخر، ففي اللغة العربية مثلا تتجسد هذه الظاهرة بشكل يفوق غيرها من اللغات؛ وذلك لما جبلت عليه العربية في خصائصها الأصيلة من ميل إلى الإيجاز والاختصار في القول[١] .

وقد اهتم علماء العربية ولاسيما البلاغيين منهم اهتمامًا كبيرًا بدراسة ظاهرة الحذف، وبيان مواضعه، وأغراضه، وعلله، وشروطه، ولذلك فليس من شأن هذه الدراسة البحث في تلك الجوانب، لأنها قد أُشبعت بحثًا وتفصيلا، ولكن ما يهم في هذا المقام هو علاقة الحذف بالتراكم الدلالي، وهو أمرٌ لم تجهله أقلام القدماء بل تناولته وبحثته في مواضع عدة من مدوناتهم، فهذا عبد القاهر الجرجاني مثلا يتحدث عن الحذف مؤكدًا أثره في ركم المعاني، إذ قال : ((هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تُبِن))[٢] .

وتابعه في هذا الأمر جمع من العلماء كابن الزملكاني (ت٦٥١هـ)، إذ قال : ((عساك تقول : الحذف مخلٌّ بفائدة المحذوف، وتغفل عما للإبهام، والإيهام من التفخيم، والإعظام، وربَّ صمتٍ أفصحُ من الكلام، ورمزٍ آلمُ من لذع الحسام))[٣] .

ولم يقل شأن المحدثين عمن سبقهم في هذا الأمر، بل أكدوا فاعلية الحذف في توليد المعاني وركمها، يقول الدكتور فاضل السامرائي : ((الحذف قسمان : قسم لا يؤدي الى إطلاق المعنى ولا إلى التوسع فيه ... ، والقسم الآخر : وهو الذي يؤدي إلى التوسع في المعنى، وذلك إذا لم يتعين فيه المحذوف بل يحتمل عدة تقديرات، فما صحَّ تقديره، وأمكنَ أن يكون مرادًا في سياقه كان ذلك من باب التوسع في المعنى))[٤].

---

١ . ينظر : ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي : د. طاهر سليمان حمودة : ٩ .

٢ . دلائل الاعجاز : ١٦٢ .

٣ . البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن : ابن الزملكاني : ٢٣٧ .

٤ . الجملة العربية والمعنى : ١٥٧ .

إذا فالحذف يُسهم كثيرا في تراكم المعاني وتكثيرها؛ لأنه يرمي في كثير من الأحيان إلى ((قصد التعميم أو العموم للدلالة على أنَّ المراد ليس تقديرًا أو صيغة أو نوعًا أو كميةً أو عددًا معينًا، وإنما المراد جميع التقديرات والصيغ والأنواع التي تصلح أن تكون مرادًا لهذا المحذوف))[١] .

أنواع الحذف :

سأقتصر في هذا المقام على نوعين من أنواع الحذف هما حذف الفاعل، وحذف المفعول؛ وذلك لأثرهما الواضح في تراكم المعاني وزيادتها في النص .

الأول : حذف الفاعل :

يرى النحاة أنَّ الفاعل قد يُحذف أحيانا ويُؤتى بما ينوب عنه وذلك لأغراض متعددة، منها لفظي : كالسجع ، وإقامة الوزن ، ومنها معنوي : كحذف الفاعل للجهل به، أو للعلم به عند المخاطب، أو للخوف عليه، أو لتعظيمه وتنزيهه، أو لتعميم وتعدد محدث الحدث[٢] .

وتجدر الاشارة الى أنَّ ما يدل على ركم المعنى من تلك الاغراض هو غرض التعميم / التعدد، ذلك أنَّ حذف الفاعل أحياناً وبناء الفعل معه للمجهول إنَّما يكون لغرض الاختزال والتوسع في المعنى، يقول الشيخ خالد الازهري (ت٩٠٥هـ) : ((أو لغرض معنوي أي يحذف الفاعل كأن لا يتعلق بذكره غرضٌ أي قصد نحو :﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ ﴾ [البقرة : ١٩٦]، ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم ﴾[النساء :٨٦]، ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا ﴾ [المجادلة :١١] إذ ليس الغرض من هذه الافعال اسنادها إلى فاعل مخصوص، بل إلى أي فاعل كان))[٣] ، وتقول الدكتورة دليلة مزوز بهذا الصدد : ((يقوم نظام التركيب في المبني للمجهول على حذف الفاعل أو اختزاله مما يؤدي إلى الاتساع))[٤] الدلالي .

ومن مصاديق حذف الفاعل الداعمة لركم المعنى في كلام الامام (عليه السلام) ما جاء في دعاءٍ له في يوم الجمعة : ((... **وسبحان الله الذي لا يُردُّ ما قضى، ولا يُصرفُ ما أمضى، ولا يُمنعُ ما أعطى، ولا يهفو ، ولا ينسى، ولا يعجل بل يمهل ويعفو، ويغفر ويرحم ويصبر، ولا يُسألُ عما يفعل وهم يُسألون**))[٥]

---

١ . أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والاعجاز : د. مصطفى شاهر خلوف : ١٦٩ .

٢ . ينظر : شرح المفصل : ٦٩/٧. ٧٠، وارتشاف الضرب : ١٨٤/٢، وهمع الهوامع : ١٦١/١ ـ ١٦٣ .

٣ . شرح التصريح على التصريح : ٢٨٦/١ .

٤ . المبني للمجهول بين اختزال البنية واسترسال المعنى : د. دليلة مزوز : بحث منشور في مجلة كلية الآداب، جامعة محمد خيضر ، الجزائر ، العدد : ٥ ، سنة ٢٠٠٩ م : ٥٧ .

٥ . نهج السعادة : ١٢/٦ .

يلحظ المتلقي في النص الشريف تراكم الافعال المبنية للمجهول في مواضع خمسة هي : " **لا يُردُ، لا يُصرف، لا يُمنع، لا يُسأل، يُسألون**" ، وهي أفعالٌ قد حُذِفَ فاعلوها، ولم تُسند الى فاعل معين، وذلك لإفادة معنى العموم، والشمول، والكثرة، ولو أُسندت هذه الأفعال إلى فاعل معين لانتفت هذه الفائدة المتوخاة وهي شمول جميع البشر والملائكة والجن وغيرهم .

وفضلا على ما أفاده الحذف في كل موضع من ركم المعنى وتعدده، فإنه ثمة نكتة لغوية لطيفة تقف وراء تعدد / تراكم تلك الافعال المبنية للمجهول، فالإمام (عليه السلام) إنما عمد إلى ركم هذا العدد من الأفعال المبنية للمجهول في موضع واحد لأمر جلل ألا وهو إثبات عظمة الله تعالى، وقدرته، وتفرده بالربوبية، وبيان عجز ما دونه من مخلوقات، فالمخلوقات جميعا مهما تعددت وكثرت تبقى عاجزة ضعيفة أمام عظمة الله وقدرته، فهي لا تردُ قضاء الله، ولا تصرفُ ما أمضاه، ولا تمنعُ ما قرره من عطاء، ولا تسأله عما يفعل ، وهو يسال جل جلاله وعزت قدرته .

ونظير ما تقدم ما ورد في دعاءٍ له (عليه السلام) في أيام رجب : ((... **يامن لا يُنعتُ بتمثيلٍ، ولا يُمثَّلُ بنظيرٍ، ولا يُغلبُ بظهيرٍ**))[1] .

في النص العلوي كذلك يظهر اهتمام الامام (عليه السلام) ببيان عظمة الله تعالى وقدرته، ولذلك عمد إلى ركم جملة من الافعال المبنية للمجهول ، وهي " **لا يُنعت ، لا يُمثَّل، لا يُغلب**" ، إذ هي أفعالٌ تدلُّ دلالة ركامًا على عموم الفاعلين وشمولهم بمختلف أصنافهم البشرية والملائكية وغيرها؛ كونها أفعال محذوفة الفاعل، ولم تُسند إلى فاعل معين، ولو أُسندت إلى فاعل معين لانتفى غرض التراكم الدلالي .

وبعد هذا أقول : لم يقتصر الحذف هنا على دلالة العموم فحسب، بل ثمة دلالة أُخرى قد ركمها هذا الحذف، وهي التركيز على الحدث مع تجاهل محدث الحدث، فالإمام (عليه السلام) أراد بهذا الحذف . والله أعلم . التركيز على نفي صفة (النعت والتمثيل والتغليب) عن الذات الالهية أكثر من التركيز على ذكر الفاعلين .

ومن أمثلة حذف الفاعل الدالة على العموم وركم المعنى ما جاء في إحدى مواعظه (عليه السلام) : ((**... يا عباد الله إن اتقيتم الله وحفظتم نبيكم في أهل بيته فقد عبدتموه بأفضل ما عُبِدَ، وذكرتموه بأفضل ما ذُكِرَ، وشكرتموه بأفضل ما شُكِرَ**))[2] .

ففائدة الشمول والعموم والتكثير المترتبة على بناء الافعال "**عُبِدَ، وذُكِرَ، وشُكِرَ**" للمجهول واضحة بينة، فهي أفعال تدلُّ على العموم دلالة ركامًا، إذ دلت على جميع العابدين، والذاكرين، والشاكرين لله تعالى من

---

١ ـ نهج السعادة : ١٣٤/٦ .

٢ ـ المصدر نفسه : ١١٩/٤ .

المخلوقات جميعا بمختلف أصنافها، وبذلك فلو صرح الامام (عليه السلام) بذكر فاعلٍ معين كأن قال : "بأفضل ما عبدك الناس" مثلا ، أو " بأفضل ما ذكرك الملائكة " مثلا لما حصل معنى العموم الرامي لركم الفاعلين جميعا . والله أعلم .

ونظير ما تقدم من مواضع حذف الفاعلين الهادف كذلك إلى ركم الفاعلين وتعددهم قوله (عليه السلام) : **((والله ما ضللت ولا ضُلَّ بي))**[١] ، وقوله (عليه السلام) : **((الحمد لله ولي الحمد ومنتهى الكرم، لا تُدركه الصفات ولا يُحَدُّ باللغات، ولا يُعرفُ بالغايات))**[٢] ، وقوله (عليه السلام) : **((سبحانك أللهم ما أعظم ما يُرى من خلقك، وما أصغر عظمه في قدرتك))**[٣] .

الثاني : حذف المفعول به :

كذلك شأن المفعول به شأن الفاعل فقد يُحذف أحيانا من الكلام لدواعٍ وأغراض دلالية عدة منها : إفادة العموم والشمول مع الاختصار، والبيان بعد الابهام، ورعاية الفاصلة، ولأجل تحقيره واستهجانه، وغير ذلك[٤].

ولاشك أنَّ غرض العموم والشمول يمثل دلالة ركامًا، ذلك أنَّ حذف المفعول به أحيانا يجعل ذهن السامع ينصرف الى كل مفعول يتخيله ويدور في خلده، يقول الدكتور بكري شيخ أمين : ((المفعول لا يُحذف إلا إذا أُريد أن يكون في ذهن السامع مطلقًا عامًا ينصرف إلى كل مفعول يتخيله الذهن، أو أن يكون معلومًا، وحذفه أولى من ذكره))[٥] .

ومما جاء لهذا الغرض في نهج السعادة ما ورد في كتابٍ له (عليه السلام) إلى معاوية بعدما أغار الحارث بن نمر التنوخي على بلدة (دارا) وأسر جماعة ممن كان في طاعة أمير المؤمنين (عليه السلام) : **((... واعلم بأنك لم تُخلق للدنيا والخلود فيها، بل أنت راجعٌ الى ربكَ فملاقيه، فاتقِ الله يامعاوية، وأنصف من نفسك، ولا تُطغينَّك الأماني الباطلة والغرور ...))**[٦] .

---

١ . نهج السعادة : ٥٢٦/٢ .
٢ . المصدر نفسه : ١٧٩/١ .
٣ . المصدر نفسه : ٢/ ٤٥١ .
٤ . ينظر : دلائل الاعجاز : ١٥٣ .١٥٥ ، وأساليب بلاغية : د. أحمد مطلوب : ١٦٦. ١٧٧ ، ومن البلاغة العربية ،علم المعاني : عبد العزيز الصيغ : ١٣٠ . ١٣١ .
٥ . التعبير الفني في القرآن : د. بكري شيخ أمين : ٢٦٥ .
٦ . نهج السعادة : ٢٦٦/٥ .

فمفعول الفعل " **أنصف**" محذوف، والتقدير . والله أعلم . : أنصف اللهَ، والرسولَ، وأنا، والرعيةَ، والاسرىَ من نفسك، وإنما حُذِفَ المفعول للدلالة على ركم المعنى الحاصل عن طريق العموم والشمول مع الاختصار، ولو ذكر الامام (عليه السلام) مفعولًا بعينه لفات غرض العموم المناسب لمقتضى الحال، وفضلا على ذلك فإن الحذف هنا يُشم فيه الدلالة على التوبيخ، والتحقير، وهي دلالة ثانوية مستفادة من سياق الكلام، فالإمام (عليه السلام) أراد . والله أعلم . أن يدلَّ بهذا الحذف على انقطاع معاوية وابتعاده عن القرآن والسنة المحمدية؛ وذلك بعده رفضه بيعة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأباحته القتل والنهب، وبذلك يكون حذف المفعول في النص الشريف قد راكم معنيي : العموم، والشمول من جهة، والانقطاع والابتعاد عن القران والسنة من جهة أخرى .

ومن مواضع ركم المعنى بسبب حذف المفعول ما جاء في دعاءٍ له (عليه السلام) في أيام رجب : ((**يامن خلق فرزق، وألهم فأنطق، وابتدع فشرَّع، وعلا فارتفع، وقدَّر فأحسن، وصوَّر فأتقن، واحتج فأبلغ، وأنعم فأسبغ، وأعطى فأجزل، ومنح فأفضل** ...))[1] .

ما يلفت النظر في النص العلوي الشريف هو تراكم حذف المفاعيل، إذ جاء حذفها في ثمانية عشر موضعًا، ولا يخفى أنَّ هذا التعدد / تراكم المحذوفات إنما يكشف عن جملة أمور دلالية، أبينها في الاتي :

١. يفيد حذف المفاعيل في المواضع جميعًا معنى العموم والشمول والتعدد، فالحذف مثلا في الفعل " **خلق**" يدلُّ كل أنواع الخلق من بشر، وملائكة، وجن، وحيوان، ونبات، وغيرها مما يعلمه الخالق جل وعلا ، ومثله الحذف في الفعل " **رزق** " ، إذ يشملُ أنواع الرزق كلها من مأكلٍ، ومشربٍ، ومسكنٍ، وعافيةٍ، وقوةٍ، وملكٍ، وجاهٍ، وغيرها، وهذا ما يُلاحظ كذلك في الافعال البقية جميعا، فحذف المفاعيل منها إنما يُراد به تراكم المعاني، وشمولها، وتعددها . والله أعلم .

٢. إنَّ حذف المفاعيل أحيانا لا يُراد به الدلالة على العموم والاطلاق فحسب بل له مغزى دلالي آخر، وهو إثبات معنى الأحداث المدلول عليها بالأفعال لفاعلها دون غيره، يقول : ابن الزملكاني : ((كانت أغراض الناس مختلفة في ذكر الأفعال المتعدية فتراهم تارة يقصدون إثبات المعاني التي دلت عليها المصادر للفاعلين مع قطع النظر عن المفعولات، فيصير الفعل المتعدي كاللازم...، ومنه قوله تعالى : ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾ [الزمر :٩] ، المعنى هل يستوي من له علم، ومن لا علم له، وقوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾ [المؤمنون :٨٠]،وقوله تعالى : ﴿ **وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى** ﴾ [النجم :٤٨] ، و ﴿ **وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى** ﴾ [النجم :٤٣]، المعنى : هو الذي منه الإحياء والاماتة والاغناء والاقناء

١ . نهج السعادة : ١٣٤/٦ .

والاضحاك والإبكاء، وكذا موضع كان الغرض إثبات المعنى الذي دلَّ عليه الفعل لفاعل غير متعلق بغيره))[1] .

وانطلاقا مما جاء ثبت أن ترك المفاعيل في النص العلوي أعلاه قد راكم معنيين : الاول: العموم والاطلاق، والثاني : التركيز في اثبات وقوع الحدث للفاعل دون غيره .

ومن مصاديق حذف المفعول كذلك ما تجده في وصيته (عليه السلام) لكميل بن زياد النخعي (رضوان الله عليه) التي جاء فيها : ((**يا كميل في كُلِّ قوم صنفٌ أرفعُ من قومٍ، فإياك ومناظرة الخسيس منهم، وإذا اسمعوك فاحتمل وكن من الذين وصفهم الله تعالى فقال : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان :٦٣]**))[2] .

إذ أضمر (عليه السلام) المفعول الثاني في الفعل "**أسمعوك**"؛ لإفادة معنى العموم والشمول مع الاختصار؛ ذلك أن المسموع من الخسيس لربما يكون متعددا مختلفا كأن يكون سبا لكميل، أو ذما له، أو تجريحا في دينه، وما إلى ذلك، وهذا هو التراكم الدلالي الحاصل من تقدير المحذوفات وتأويلها ، وفضلا على دلالة العموم والاطلاق فقد اراد الامام (عليه السلام) بهذا الحذف . والله أعلم . إعطاء درس اخلاقي للمتلقي وهو التغاضي والترفع عن الاساءة ونسيانها، وجعلها في مقام المحذوف المتروك قربة لله تعالى .

١ . التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن : ١١٤ .

٢ . نهج السعادة : ٢٠٣/٨ .

المبحث الخامس

التــوكيـــد

التوكيد والتأكيد لغتان، والتوكيد أفصح وبها جاء القران الكريم، إذ قال تعالى : ﴿ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ [النحل : ٩١]، يقول ابن منظور : ((وَكَّدَ العَقدَ والعهدَ أَوثَقَه والهمز فيه لغة يقال أَوْكَدتُه وأَكَّدتُه، وآكَدتُه إيكادًا، وبالواو أَفصح أَي شَدَدْتُه ...))[١]، والتوكيد في اللغة يعني : الإحكام[٢] .

وفي الاصطلاح هو ((تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك، وإماطة الشبهات عما أنت بصدده))[٣] ، وقيل كذلك : ((التأكيد : تابع يقرر أمر المتبوع في النسبة أو الشمول، وقيل : عبارة عن إعادة المعنى الحاصل قبله))[٤] .

والمتتبع لأسلوب التوكيد يجده أكثر الأساليب النحوية فاعليةً في تحقيق التراكم الدلالي؛ ولعل سرَّ ذلك عائد لأمرين اثنين :

أولا : يُحدث التوكيد تراكما على المستويين الصريح والضمني، فعلى المستوى الصريح (اللفظي) تجد أنَّ المؤكدات جميعا تكون طارئة على الكلام أي زائدة، ولاشك أن زيادتها تمثل تكثيرا / تراكما لفظيا، وأما على المستوى الضمني (المعنوي) فإنَّ تلكم المؤكدات لا تخلو من فائدة دلالية تُضاف الى المعنى الأساس، فتشكل معه تراكمًا معنويًا، وتزول هذه الفائدة المعنوية بزوال المؤكد نفسه، مع عدم الاخلال بالمعنى الاساس، وهذا ما أشار له الزركشي بقوله : ((ومعنى كونه زائدًا أنَّ أصل المعنى حاصل بدونه، دون التأكيد ، فبوجوده حصلت فائدة التأكيد، والواضع الحكيم لا يضع الشيء إلا لفائدة، وسُئِلَ بعض العلماء عن التوكيد بالحرف وما معناه إذ إسقاط كل الحرف لا يخل بالمعنى، فقال : هذا يعرفه أهل الطباع إذ يجدون أنفسهم بوجود الحرف على معنى زائد لا يجدونه بإسقاط الحرف))[٥] .

والثاني : إنَّ سعة أبواب التوكيد وتعددها قد جعلته من أوسع الأبواب النحوية المشتملة على التراكم الدلالي بشقيه الصريح والضمني ، وهذا ما يتبين من خلال العرض والتحليل .

---

١ . لسان العرب : (وكد) ٤٦٦/٣ .

٢ . ينظر : معجم مقاييس اللغة : (وكد) ٦/ ١٣٨ .

٣ . الطراز : ١٧٦/٢ ، وينظر شرح المفصل : ٤٠/٣ ، والكليات : ٤٠٧/١ .

٤ . كتاب التعريفات : ٤٠ .

٥ . البرهان في علوم القران : ٤٧/٣ . ٤٨ .

الأول : التوكيد بالأداة :

١. إنَّ :

وأشهر معانيها التوكيد وهو الأصل فيها، قال ابن يعيش : ((فأما فائدتهما . يعني إنَّ وأنَّ فالتأكيد لمضمون الجملة، فإن قول القائل : إنَّ زيدًا قائم ناب مناب تكرير الجملة مرتين، إلا أنَّ قولك : إنَّ زيدًا قائم أوجز من قولك : زيدٌ قائم زيدٌ قائم مع حصول الغرض من التأكيد، فإن أدخلتَ اللام وقلتَ : إنَّ زيدًا لقائمٌ ازداد معنى التأكيد، وكأنه بمنزلة تكرار اللفظ ثلاث مرات))[١] .

وجاء في شرح التصريح على التوضيح : ((وهما لتوكيد النسبة بين الجزأين، ونفي الشك عنهما، ونفي الانكار لها بحسب العلم بالنسبة، والتردد فيها، والانكار لها...))[٢] .

ومن هنا تجد أنَّ الدلالة الاساسية للجملة موجودة مسبقًا قبل دخول (إنَّ)، فتأتي (إنَّ) لتقوي تلك الدلالة فيحصل عندئذ تراكم للمعاني، فجملة **(محمدٌ حاضرٌ)** مثلا تدلُّ على حضور محمد، فإذا ما دخلتَ عليها الاداة (إنَّ) أصبحت **(إنَّ محمدًا حاضرٌ)** ، وعندئذٍ تصبح هذه الجملة قد تراكمت الدلالة فيها بسبب دخول (إنَّ) عليها، وبذلك تكون الجملة الثانية شاملة لما دلت عليه الجملة السابقة وزيادة .

ومن أمثلة التوكيد بهذه الأداة ما جاء في كلامه (عليه السلام) لعثمان بن عفان ناصحًا عندما احتج الناس عليه قبل قتله : ((**يا عثمان إنَّ الحقَّ ثقيلٌ مرئٌ، و إنَّ الباطل خفيفٌ وبيءٌ ، و إنَّك متى تصدق تسخط ومتى تكذب ترضَ**))[٣] .

يكشف لنا النص العلوي عن تراكم الأداة **(إنَّ)** في مواضع ثلاثةس، وقد عمل مجيئها على ركم دلالة النص على المستويين الافرادي والاجمالي، ويمكن توضيح ذلك الركام الدلالي في الآتي :

١. أما على المستوى الافرادي فإنَّ دخول الاداة **(إنَّ)** قد عمل على ركم الدلالة وزيادتها في كل موضع جاءت به؛ وذلك بما أفادته هذه الاداة من توكيد المعنى وتقويته في نفس المتلقي، ودليل ذلك هو أن كل جملة من هذه الجمل المؤكدة بـ (إنَّ) إنما تقوم مقام جملتين متشابهتين، وبذلك فإنَّ محصولها الدلالي يعادل محصول جملتين معا، يقول ابن يعيش : ((... فإنَّ قول القائل : إنَّ زيدًا قائم ناب مناب تكرير الجملة مرتين، إلا أنَّ قولك : إنَّ زيدًا قائم أوجز من قولك : زيدٌ قائمٌ، زيدٌ قائمٌ مع حصول الغرض من التأكيد))[٤].

---

١ . شرح المفصل : ٨/ ١٠٣ .

٢ . شرح التصريح على التوضيح : ٢١١/١ .

٣ . نهج السعادة : ١/ ١٤٣ .

٤ . شرح المفصل : ١٠٣/٨ .

ومن هنا يمكن توضيح ما تراكم من معنى في جمل النص في التحليل الاتي :

يا عثمان إنَّ الحق ثقيلٌ مريء = معنى متراكم = يا عثمان الحق ثقيل مريء (معنى أول) + يا عثمان الحق ثقيلٌ مريء (معنى ثان) .

إن الباطلَ ثقيلٌ وبيء = معنى متراكم = الباطل ثقيلٌ وبيء (معنى أول) + الباطلَ ثقيلٌ وبيء (معنى ثان) .

إنَّك متى تصدق تسخط ومتى تكذب ترض = معنى متراكم = متى تصدق تسخط ومتى تكذب ترض (معنى أول) + متى تصدق تسخط ومتى تكذب ترض (معنى ثان) .

٢. أما على المستوى الاجمالي فإنَّ تراكم / تكرار الاداة (إنَّ) في مواضعَ ثلاثٍ يكشف لنا عن قضايا عقائدية وتربوية أخلاقية يتضح صداها في مدى قصدية الامام (عليه السلام) في النصح والارشاد لعثمان، ومدى اهتمامه بمعالجة مشكلته، ومدى حساسية الموضوع أنا ذاك .

ومثل هذا أيضا ما جاء في كتابٍ له (عليه السلام) إلى عبد الله بن عباس حين ولاه البصرة جاء فيه : ((**... وقد بلغني تنمرك لبني تميم، وغلظتك عليهم، وإنَّ بني تميم لم يغب لهم نجم إلا طلع لهم آخر، وإنَّهم لم يسبقوا بوغمٍ في جاهلية ولا إسلام، وإنَّ لهم بنا رحما ماسة ، وقرابة خاصة**))[1] .

كذلك يلحظ المتلقي في هذا النص الشريف أنَّ تراكم الاداة (إنَّ) في غير موضع له مغازيَ دلالية عدة، تتضح في الاتي :

١. أدى دخول الأداة (إنَّ) الى ركم الدلالة وتكثيرها في كل موضع وردت به، وذلك من خلال تقوية المعنى وتوكيده، وبذلك فلو قال (عليه السلام) : (**... وبني تميم لم يغب لهم نجم...، وهم لم يُسبقوا بوغم ، ولهم بنا رحمٌ ماسة**) لأصبح كلاما عابرًا خاليًا من التوكيد، فلما أراد (عليه السلام) تأكيد هذا الكلام وتقويته في نفس المتلقي . ابن عباس وغيره . ركم الاداة (إنَّ) رغبة منه في زيادة المعنى .

٢. إن تراكم الاداة (إنَّ) في أكثر من موضع أراد به (عليه السلام) . والله أعلم . بيان أمرين أثنين : **الاول** الاحتجاج على ابن عباس و إثبات تقصيره في إدارة حكم الرعية، ودليل ذلك ما جاء في سياق النص من ألفاظ تنبأ بهذا الامر نحو (**تنمرك ، وغلظتك**) ، **والأمر الآخر** : إنَّه بمثابة رد اعتبارٍ معنوي لبني تميم؛ وذلك من خلال التأكيد على بيان شأنهم بين القبائل العربية .

ونظير ما تقدم من مصاديق التوكيد بـ (إنَّ) ما جاء في خطبةٍ له (عليه السلام) تناول فيها فضيلة الايمان بالله تعالى، وما جاءت به رسله والحث على المكارم العميلة والمصالح الاجتماعية ما تقر به عيون المؤمنين : ((**عباد الله إنَّ من الحزم أن تتقوا الله، وإنَّ من العصمة أن لا تغتروا بالله، عباد الله إنَّ أنصح الناس**

---

١ . نهج السعادة : ١٣٧/٥ .

لنفسه أطوعهم لربه، و إنَّ أغشَّهم لنفسه أعصاهم له...، عباد الله إنَّ من يطع الله يأمن ويستبشر، ومن يعصه يخب ويندم، ولا يسلم))[1] .

حيث يلحظ المتلقي في النص المتقدم تراكم الاداة (إنَّ) في خمسة مواضع، وهي في كل مرة تعمل على ركم الدلالة من خلال تقوية المعنى، وتوكيده، وتثبيته، حيث إنَّ زيادة المبنى تؤدي الى زيادة المعنى .

٢. اللام :

قد تدخل على المبتدأ والخبر، والفعل المضارع لام تسمى لام الابتداء نحو : لمحمدٌ قائمٌ ، ونحو قوله تعالى : ﴿ وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [النحل :٣٠] ، وقد اتفق النحاة على أن هذه اللام هي للتوكيد، قال ابن يعيش : ((اعلم أن هذه اللام أكثر اللامات تصرفا، ومعناها التوكيد، وهو تحقيق معنى الجملة وإزالة الشك))[2] ، وقال الرضي : ((اعلم أن هذه اللام : لام الابتداء المذكورة في جواب القسم، وكان حقها أن تدخل في أول الكلام، ولكن لما كان معناها هو معنى (إنَّ) سواء أعني التأكيد والتحقيق، وكلاهما حرف ابتداء كرهوا اجتماعهما، فأخروا اللام وصدروا(إنَّ) لكونها عاملة، والعامل حريٌّ بالتقديم على معموله))[3] .

وهذه اللام لما كانت للتوكيد كما هو الحال في (إنَّ)، إذن فهي تعمل كذلك على ركم المعنى وزيادته في الكلام من خلال توكيد المعنى وتقويته .

ومن شواهد التأكيد بانَّ واللام ما جاء في خطبةٍ له (عليه السلام) حين نهض إلى البصرة كي يرد الناكثين عن بغيهم ويحافظ على جماعة المسلمين : ((**وإني منيت بأربعة، أدهى الناس وأسخاهم طلحة، وأشجع الناس الزبير، وأطوع الناس في الناس عائشة، وأسرع الناس إلى فتنة يعلى بن منية والله ما أنكروا علي شيئا منكرا، ولا استأثرت بمال ولا ملت بهوى، وإنهم ليطلبون حقا تركوه، ودما سفكوه، ... ، وإنَّهم لهم الفئةُ الباغية، بايعوني ونكثوا بيعتي، وما استأنوا فيَّ حتى يعرفوا جوري من عدلي، وإني لراضٍ بحجة الله عليهم وعلمه فيهم، وإني مع هذا لداعيهم ومعذر إليهم، فإن قبلوا فالتوبة مقبولة، والحق أولى ما أنصرف إليه، وإن أبوا أعطيتهم حدَّ السيف وكفى به شافيا من باطل وناصرا لحق**))[4] .

---

١ . نهج السعادة : ٣ / ١٤٨ .

٢ . شرح المفصل : ٢٥ ،

٣ . شرح الرضي على الكافية : ١١٧/٦ .

٤ . نهج السعادة : ٢٠٩/١ .

فالواضح في النص العلوي تراكم (إنَّ) و (اللام) في أربعة مواضع هي : إنهم ليطلبون حقا تركوه، وإنهم لهم الفئة الباغية، وإني لراضٍ بحجة الله عليهم، وإني مع هذا لداعيهم، ومعذر إليهم، ولو أمعنا النظر في هذا التراكم التوكيدي لاتضح أنه قد راكم تحته دلالات عدة :

١. الزيادة في تأكيد الخبر وتثبيته، فكما اتضح ((أن كلا من (إن) واللام يفيد التوكيد، فاجتماعهما يؤدي ولا شك إلى الزيادة في التوكيد، وهو أقوى من التوكيد بإنَّ وحدها، أو باللام وحدها))[١] .

٢. الزيادة في الاحتجاج على أهل الباطل وبيان بطلانهم وزيغهم وظلالهم، وبعدهم عن الحق .

٣. يُبين هذا التراكم التوكيدي شدة الحالة الانفعالية للإمام (عليه السلام) بسبب سوء تصرف هؤلاء الناكثين والمارقين والقاسطين .

ومن تلك الشواهد الرامية لركم المعنى كذلك ما جاء في كلامٍ له (عليه السلام) قاله وهو على قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ساعة دفنه : ((**إن الصبر لجميل إلا عنك، وإن الجزع لقبيح إلا عليك، وإن المصاب بك لجليل، وإنه قبلك وبعدك لجلل**))[٢] .

إذ تراكمت الاداتان في أربعة مواضع، وهي كذلك في مجملها لم يُرد بها (عليه السلام) توكيد المعنى وتقويته فحسب بل راكم مع هذا المعنى معاني نفسية أخرى تُفهم من فحوى خطاب النص، منها : بيان مكانة الرسول (صلى الله عليه وأله) في نفوس المؤمنين عامة، وفي نفس أهل بيته خاصة، و بيان شدة حزن الامام وأهل بيته الأطهار على فقد الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وأله)، والتنبيه على ما ستؤول له الأمور من مصائب وويلات تحل بالمسلمين عامة وبأهل بيته (عليهم السلام) خاصة وغيرها من المعاني النفسية الاخرى .

ونظير ما تقدم كذلك من الشواهد الباعثة على ركم المعنى ما نجده في قوله (عليه السلام) لأهل الكوفة : ((**وأنا والله قد دعوتكم عودا وبدءًا، وسرًا وجهرًا، وفي الليل والنهار والغدو والآصال، فما يزيدكم دعائي إلا فرارا وإدبارا أما تنفعكم العظة والدعاء إلى الهدى والحكمة ؟ وإني لعالمٌ بما يصلحكم ويقيم أودكم، ولكني والله لا أصلحكم بفساد نفسي**))[٣] . وفي قوله (عليه السلام) كذلك : ((**أنا أبو الحسن الذي فللت حد المشركين، وفرقت جماعتهم وبذلك القلب ألقى عدوي اليوم، وإني لعلى ما وعدني ربي من النصر والتأييد**))[٤] .

---

١ . معاني النحو : ٢٩٥/١ .

٢ . نهج السعادة : ٣٧/١ .

٣ . المصدر نفسه : ٤١٧/٢ .

٤ . المصدر نفسه : ٢٥٥/١ .

٣. لكن :

المشهور في الاداة (لكن) أنَّها تأتي للاستدراك، وقيل تأتي للتوكيد قليلا نحو : **(لو جاءني زيدٌ لأكرمته لكنه لم يجيء)** فأكدت (لكن) ما أفادته لو من الامتناع، وقيل : إنَّها تأتي للتوكيد دائما مثل (إنَّ) ويصحب التوكيد معنى الاستدراك[١]، إلا أنَّ الدكتور فاضل السامرائي له رأي جدير بهذا الشأن، إذ يقول : ((والصواب إنَّ الأصل فيها أن تكون للاستدراك وقد تكون للتحقيق، فهي للاستدراك في نحو : قولك : (سعيدٌ حاضرٌ لكن أخاه غائبٌ)، و(الشمسُ مشرقةٌ لكنَّ الجو باردٌ)، وهي كذلك في كل ما خالف ما بعدها حكم ما قبلها، أما إذا لم يخالف ما بعدها حكم ما قبلها فتكون للتوكيد نحو : (ما زيدٌ نائم لكنه مستيقظ)، وكذلك نحو: (لو جاءني عليٌ لأكرمته لكنه لم يجيء))[٢] .

و يُستشف مما قاله الدكتور فاضل أنَّ "**لكن**" التي للتوكيد تعمل على ركم الدلالة؛ وذلك أنها تعمل على إعادة المعنى نفسه مرتين مع اختلاف اللفظ ، فالمثال أعلاه مثلا : **(ما زيدٌ نائم لكنه مستيقظ)** قد تضمن معنى واحدا، وهو "عدم النوم" ، إلا أنَّ هذا المعنى قد تكرر مرتين بعبارتين مختلفتين، مرة قبل لكن، وذلك في قوله : **(ما زيدٌ نائم)**، ومرة بعدها في قوله : **(لكنه مستيقظ)** .

ومبعث هذا الأمر يوصلنا الى نتيجة مفادها أنَّ الاداة "**لكن**" تُحدثُ تراكمًا دلاليًا عندما تكون للتوكيد فحسب، أما إذا كانت للاستدراك فلا تحدث تراكما في الكلام؛ لأنها سوف تأتي بمعنى جديد مختلف عن المعنى الكائن قبلها .

ومن مصاديق التوكيد بـ (لكن) في نهج السعادة ما ورد في كتابٍ له (عليه السلام) بعثه إلى معاوية : **((أما بعد فقد أتتني منك موعظةٌ موصلةٌ نمقتها بضلالك وأمضيتها بسوء رأيك، وكتاب ليس ببعيد الشبه منك، حملك على الوثوب على ما ليس لك فيه حقٌ، ولولا علمي بك، وما سبق من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيك مما لا مرد له دون إنفاذه، إذا لوعظتك، ولكن عظتي لا تنفع من حقت عليه كلمة العذاب، و لم يخَف العقاب، ولا يرجو لله وقارا، ولم يخف له حذارا))**[٣] .

فبعد أن أشار الإمام (عليه السلام) إلى أنَّ موعظته لا تنفع معاوية؛ وذلك لعلمه الثابت عن طريق رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهذا الأمر، جاء بما يؤكد هذا المعنى مرة أخرى، وذلك من خلال توظيف الاداة (لكن) في قوله : **(و لكن عظتي لا تنفع من حقت عليه كلمة العذاب ...)** .

---

١ . ينظر : مغني اللبيب : ١/ ٣٠٤. ٣٠٥ ، والبرهان في علوم القرآن : ٤٠٨/٢ .

٢ . معاني النحو : ١/ ٢٨٢ .

٣ . نهج السعادة : ١٨٥/٤ .

وبذلك تكون هذه الاداة قد عملت على ركم المعنى في النص العلوي؛ لأنَّ ما بعدها من كلام يُمثل تكرارًا دلاليًا لما قبلها من معنى ولكن بصيغة لفظية مختلفة، وبذلك تجد أنَّ تكرار المعنى مرتين قد عمل على ركم الدلالة وزيادتها في النص الشريف، ويمكن توضيح هذا الأمر عن طريق المخطط الآتي :

ولولا علمي بك، وما سبق من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيك مما لا مرد له دون إنفاذه، إذا لوعظتك .

عدم فائدة الوعظ (معنى أول) + عدم فائدة الوعظ (معنى ثان) = تراكم معنوي

و لكن عظتي لا تنفع من حقت عليه كلمة العذاب، و لم يخَف العقاب، ولا يرجو لله وقارا، ولم يخف له حذارا .

ومن شواهد التوكيد بـ (لكن) كذلك ما جاء في كلامٍ له (عليه السلام) لما ورد صفين، ونظر الى رايات معاوية : **((والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أسلموا، ولكن استسلموا، وأسروا الكفر، فلما وجدوا عليه أعوانًا رجعوا الى عداوتهم لنا، إلا إنَّهم لم يتركوا الصلاة))**[1] .

إنَّ الامام (عليه السلام) بعد أن أكَّد جملة " **ما أسلموا** " بجملة القسم في قوله : " **والذي فلق الحبة وبرأ النسمة** "، عاد ليؤكدها مرة أخرى بالأداة " **لكن**" في قوله : "**ولكن استسلموا وأسرُّوا الكفرَ**"، والملاحظ أنَّ التوكيد بـ " لكن" قد عمل على ركم الدلالة وتكثيرها، كونه يمثلُ إعادة لما تدلُّ عليه جملة "**ما أسلموا** " ولكن بكلام آخر ، وأوضح ذلك الركام الدلالي بالمخطط الاتي :

جملة (ما أسلـــمـــوا) + جملة (لكن استسلموا واسروا الكفر) = تراكم لفظي .

عدم الاسلام (معنى اول) + عدم الاسلام (معنى ثانٍ) = تراكم معنوي .

١ . نهج السعادة : ٢/ ١١٣ .

ونظير ما تقدم كذلك ما جاء في إحدى مواعظه (عليه السلام) لأهل البصرة : ((... **واعلموا أنَّ جهادَ النفسِ هو الجهادُ الاكبر، والله ما هو شيءٌ قلتهُ من تلقاءِ نفسي، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من عبد جاهد نفسه فردها عن معصية الله إلا باهى الله به كرامَ الملائكة**))[١] .

فقد جاء قوله (عليه السلام) : " **ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول** ... " لغرض توكيد وتثبيت قوله : " **والله ما هو شيءٌ قلتهُ من تلقاءِ نفسي**" ، فالقولان يدلان على معنى واحد، ولكن بصيغتين مختلفتين، وبذلك يكون تكرار المعنى مرتين قد عمل على ركم الدلالة في النص الشريف .

ومن شواهد لكن المراكمة للدلالة كذلك ما ورد في خطبةٍ له (عليه السلام) قد استنهض بها الناس الى حرب معاوية، وأهل الشام في المرة الثانية، جاء فيها : ((... **فسبحان الذي لا يؤده خلق ما ابتدأ، ولا تدبير ما برأ، ولا من عجزٍ ولا من فترةٍ بما خلق اكتفى، عَلِمَ ما خلق، وخلق ما علم، لا بالتفكر، ولا بعلمٍ حادثٍ أصاب ما خلق، ولا شبهةٍ دخلت عليه فيما لم يخلق، لكن قضاءٌ مبرمٌ، وعِلمٌ مُحكمٌ وأمرٌ متقَنٌ**))[٢] .

فقد جاء قوله (عليه السلام) : (لكن قضاءٌ مبرمٌ، وعلمٌ محكمٌ وأمرٌ متقَنٌ) توكيدًا وتثبيتًا لما دلَّ عليه قوله : (عَلِمَ ما خلق، وخلق ما علم، لا بالتفكر، ولا بعلمٍ حادثٍ أصاب ما خلق، ولا شبهةٍ دخلت عليه فيما لم يخلق) ، فالقولان يدلان على معنى واحد ولكن بصيغتين مختلفتين .

٤. كأنَّ :

وهي حرفٌ مركب على رأي النحويين من كاف التشبيه وإنَّ ، قال سيبويه : ((وسألت الخليل عن كأنَّ، فزعم أنهَّا (إنَّ)، لحقتها الكاف للتشبيه، ولكنهَّا صارت مع (إنَّ) بمنزلة كلمة واحدة، وهي نحو كأيٍّ رجلاً، ونحو له كذا وكذا درهماً))[٣] ، وقال ابن يعيش : ((وأما كأنَّ فحرفٌ معناه التشبيه، وهو مركب من كاف التشبيه وإنَّ...))[٤] .

وتدُّلُ (كأنَّ) في بعض ما تدلُّ عليه على التشبيه المؤكد، قال ابن مالك : ((وكأنَّ للتشبيه المؤكد نحو : كأنَّ زيدًا أسدٌ، فإنَّ أصلهُ : إنَّ زيدًا كالأسد، فقُدِمت الكاف، وفُتحت الهمزة، وصار الحرفان حرفا واحدا مدلولا به على التشبيه والتوكيد...))[٥]، وجاء في شرح التصريح : ((وهو للتشبيه المؤكد بفتح الكاف...، نحو :

---

١ . نهج السعادة : ١/ ٢٩٣ .
٢ . المصدر نفسه : ٢/٢٤٦ .
٣ . الكتاب : ١/ ٤٧٤ .
٤ . شرح المفصل : لابن يعيش :
٥ . شرح التسهيل : لابن مالك : ١/٣٨٨

كأنَّ زيدًا أسدٌ أو حمارًا مما الخبر فيه أرفع من الاسم أو أخفض منه، ففيه تشبيه مؤكد بكأنَّ، لأنه مركب من الكاف المفيدة للتشبيه، وأنَّ المفيدة للتوكيد ...))[1] .

ومن هنا يمكن التنويه على أنَّ الأداة (كأنَّ) تدلُّ دلالة ركامًا على معنيي (التشبيه والتوكيد) معا، وفي الحقيقة أن التراكم المعنوي فيها إنما حصل بفعل اجتماع (كاف) التشبيه، و(إنَّ) التوكيدية . كما قال النحاة . وبذلك قد أصبحا حرفًا واحدًا يدلُّ على المعنيين معا دلالة ركامًا .

ويمكن توضيح ذلك بالمخطط الآتي :

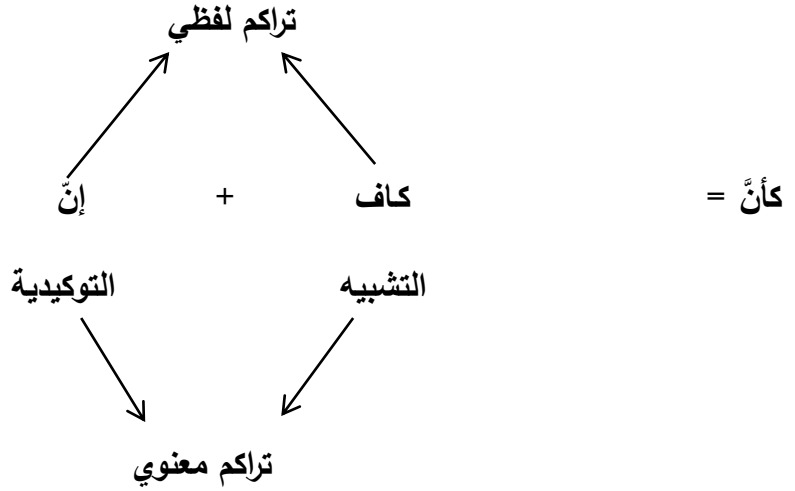

ومن مصاديق التوكيد بكأن ما ورد في خطبةٍ له (عليه السلام) خطبها بعد ما يئس من إجابة أصحابه إياه في المسير إلى الشام بعدما حَمِد الله وأثنى عليه : **((يا عباد الله ما بالكم إذا أمر تكم أن تنفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض ؟ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة بدلا ؟ وبالذل والهوان من العز والكرامة خلفا ؟ ! ! أكلما دعوتكم إلى الجهاد دارت أعينكم في رؤوسكم ؟ ! كأنكم من الموت في سكرةٍ، وكأنَّ قلوبكم قاسية))**[2] .

فقد راكمت الاداة (كأن) الدلالة وضاعفتها، وذلك لما في هذه الأداة من قوة التشبيه والتوكيد .

ومن أمثلة التوكيد بكأنَّ ما جاء في قوله (عليه السلام) لما بُعِثَ أبو موسى الاشعري الى التحكيم يوم صفين : **((كأنِّي به وقد خُدِعَ))**[3] .

١ ـ شرح التصريح على التوضيح : ١/ ٢١٢ ، وينظر : الاتقان في علوم القرآن : ٥٤٩ .
٢ ـ نهج السعادة : ٢/ ٣٧٠ .
٣ ـ المصدر نفسه : ٢/ ٢٧٠ .

فقد دلت (كأن) دلالة ركامًا على أمرين : الأول : التأكيد على تشبيه حضور الإمام (عليه السلام)، أي أنه (عليه السلام) كالحاضر معهم يوم خُدِعَ أبو موسى الأشعري، وذلك لتأكيد خبر الانخداع قبل وقوع أمر التحكيم، لعلمه المسبق (عليه السلام) بهذا الأمر .

والاخر : هو الدلالة على التقريب، أي قرب انخداع أبي موسى الأشعري من قبل عمرو ابن العاص، ودلالة (كأن) على التقريب ذكرها ابن هشام الانصاري بقوله : ((وذكروا لكأن أربعة معانٍ ... والرابع : التقريب ، قاله الكوفيون ، وحملوا عليه "كأنك بالشتاء مقبل" و " كأنك بالفرح آتٍ ...))[١] .

ونظير ما تقدم كذلك ما جاء في كتابٍ له (عليه السلام) إلى معاوية : ((... **ولعمري ليُتمنَّ النورُ على كُرهك، ولينُفذنَّ العلم بصغارك، ولتجازينَّ بعملك، فعث في دنياك المنقطعة عنك ما طاب لك ، فكأنك بباطلك وقد انقضى، وبعملك وقد هوى ثم تصير إلى لظى**))[٢] .

فقد راكمت الاداة (كأن) الدلالة في النص الشريف بأوجز تعبير وأيسره من خلال دلالتها على معنيي : توكيد زوال ملك معاوية، وقرب حدوث الزوال .

٥. إنَّما :

إنما هي حرف مركب من (إنَّ) الناسخة و (ما) الزائدة، وقد نزلت مع (ما) منزلة الكلمة الواحدة، و(ما) هذه هي التي يسميها النحاة بالكافة، أي التي تكف (إنَّ) عن العمل بما بعدها[٣] .

وقد نتج من هذه الملازمة بين هذين الحرفين تراكمٌ في المعنى؛ ذلك أنَّ (ما) هي زائدة، والدارج في اللغة أنَّ زيادة المبنى تدلُّ في الغالب على زيادة المعنى، وبذلك فإنَّ مجيء (ما) بعد الاداة (إنَّ) المؤكدة قد عمل على ركم التوكيد ومضاعفته، يقول السكاكي : ((وترى أئمة النحو يقولون (إنما) تأتي إثباتًا لما يُذكر بعدها ونفيا لما سواه، ويذكرون لذلك وجها لطيفا يُسند إلى علي بن عيسى الربعي وأنَّه كان من أكابر أئمة النحو ببغداد، وهو أنَّ كلمة (أنَّ) لما كانت لتأكيد إثبات المسند للمسند إليه ثم اتصلت بها ما المؤكد لا النافية على ما يظنه من لا وقوف له بعلم النحو ضاعف تأكيدها فناسب أن يضمن معنى القصر؛ لأن قصر الصفة على الموصوف وبالعكس ليس إلا تأكيدًا للحكم على تأكيد))[٤] .

---

١ . مغني اللبيب : ١/ ٢١١ .

٢ . نهج السعادة : ٤/ ٢٠٧ .

٣ . ينظر : الاصول في النحوشرح المفصل لابن يعيشرح الرضي على الكافية.

٤ . مفتاح العلوم : ٢٩١ .

ويقول الدكتور مهدي المخزومي بهذا الصدد: ((وقد تغيرت دلالتها على التوكيد من كونه توكيدًا عاديًا إلى كونه توكيدًا قاصرًا أو حاصرًا، أو بعبارة أوضح : من كونه توكيدًا مخففًا إلى كونه توكيدًا مشددًا كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ ﴾ [البقرة : ١٧٣]، وقولهم : إنما زيدٌ شاعرٌ))[١] ، وذكر أحد الباحثين ((أنَّ (إنَّما) في أدائها الحصر تدلُّ على تأكيد إثبات الحكم للمذكور بلفظ (إنَّ) و(ما) الزائدة؛ لأن الزيادة في المبنى زيادة في المعنى، وهذه الزيادة في المعنى هي تأكيد التأكيد))[٢] .

وبذلك فالأداة (إنما) تكون أقوى في التأكيد من الأداة (إنَّ) ؛ وذلك لما أضافته (ما) من معنى زائد على معنى (إنَّ) .

ومن هذا المنطلق فإنَّ ما جاء من مفاهيم كـ "**مضاعفة التوكيد، والتوكيد المشدد، وتأكيد التأكيد** " ليست إلا مفاهيم توحي بتراكم المعنى، وهذا التراكم التوكيدي الحاصل من (إن وما) غرضه تخصيص المعنى وقصره على الشيء المراد توكيده، واثباته .

و من مصاديق (إنما) الدالة على التوكيد ما جاء في بيان حقه (عليه السلام) على هذه الامة : ((... **وأيم الله لو استطاعوا أن يدفعوا قرابتي كما قطعوا سببي فعلوا، ولكنهم لن يجدوا إلى ذلك سبيلا، و إنما حقي على هذه الأمة كرجلٍ له حقٌّ على قومٍ إلى أجلٍ معلوم، فإن أحسنوا وعجلَّوا له حقه قبله حامدا، وإن أخروه إلى أجله أخذه غير حامد**))[٣] .

ومنه كذلك ما ورد في كلامٍ له (عليه السلام) في التزهيد عن الدنيا، والتحذير من الاغترار بها : ((**إنما الدنيا كالسم يأكله من لا يعرفه**))[٤] ، ونظير ما تقدم كذلك ما جاء في كلام له (عليه السلام) مع الخوارج حين رجع الى الكوفة وهو بظاهرها قبل دخوله إياها : ((**إنما رفع القوم لكم هذه المصاحف خديعةً، ووهنا، ومكيدةً ...**))[٥] .

وكذلك ما ورد في كتاب له (عليه السلام) إلى رفاعة بن شداد البجلي قاضيه (عليه السلام) على الاهواز : ((... **ولا تجالس في مجلس القضاء غير فقيه، ولا تشاور في الفتيا، فإنما المشورة في الحرب، ومصالح العاجل، والدين ليس هو بالرأي، إنما هو الاتباع...**))[٦] .

---

١ . في النحو العربي نقد وتوجيه : د. مهدي المخزومي : ٢٣٨ . ٢٣٩ .

٢ . (إنما) في السياق . التركيب والدلالة : د. مها صالح عبد الرحمن ، بحث منشور في مجلة الدراسات اللغوية ، جامعة الملك سعود، العدد : ٤ ، ٢٠٠٤م : ١٣٠ .

٣ . نهج السعادة : ١٧٦/٥ .

٤ . المصدر نفسه : ٩/ ٥٤٨ .

٥ . المصدر نفسه : ٢٠٥/٢ .

٦ . المصدر نفسه : ٢٥/٥ .

وأيضا ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى سهل بن حنيف الانصاري رحمه الله عامله على المدينة : **((أما بعد فإنه بلغني أن رجالا من أهل المدينة يخرجون إلى معاوية، فلا تأسف عليهم، فكفى لهم غيا ولك منهم شافيا فرارهم من الهدى والحق، وإيضاعهم إلى العمى والجهل، فإنما هم أهل دنيا مقبلون عليها قد علموا أنَّ الناس مقبلون في الحق أسوة، فهربوا إلى الاثرة، فسحقا لهم وبعدا))**[١] .

فالواضح أن الاداة (إنما) في الأمثلة المتقدمة جميعها قد عملت على ركم المعنى وزيادته ، وذلك من خلال توكيد كل كلام جاءت فيه وتقويته وتثبيته .

٦. نون التوكيد :

نون التوكيد هي لاحقة صرفية تدخل على الفعل بغية تقوية معناه، وتوكيده، ودعم دلالته[٢]، يقول ابن يعيش : ((مظنة هذه النون الفعل المستقبل المطلوب تحصيله، لأنَّ الفعلَ المستقبل غير موجود، فإذا أُريدَ حصوله أُكِّدَ بالنون إيذانا بقوة العناية بوجوده))[٣] .

ونون التوكيد هي نونان، الأولى : نون التوكيد الثقيلة ، وهي نون مشددة، أي مكونة من نونين ساكنة، ومفتوحة نحو ليقومنَّ، أُكتبنَّ، والاخرى : نون التوكيد الخفيفة، وهي نون ساكنة نحو : اعلمَنْ، تعلمَنْ[٤] .

ونون التوكيد الثقيلة تكون أبلغُ توكيدا من الخفيفة، يقول سيبويه : ((وزعم الخليل أنَّهما توكيد كما التي تكون فصلا، فإذا جئت بالخفيفة فأنت مؤكّد، وإذا جئت بالثقيلة فأنت أشدُّ توكيدًا))[٥]، وقال ابن يعيش : ((والمشددة أبلغ في التأكيد من المخففة؛ لأنَّ تكرير النون هو بمنزلة تكرير التأكيد، فقولك : اضربُنْ خفيفة النون بمنزلة قولك : اضربوا كلكم، وقولك : اضربُنَّ مشددة النون بمنزلة اضربوا كلكم أجمعون))[٦] .

ولو أمعنا النظر فيما تقدم لتبين أنَّ نون التوكيد تعمل على ركم المعنى في الفعل الواردة فيه من خلال الدلالة على أمرين : **الاول** : بما أنها تدخل على فعل يفيد المستقبل، لذا فإنها تُشير الى المبالغة في تأكيد طلب وقوع الحدث وتحققه، وهذا ما يفهم من مقولة ابن يعيش الآنفة الذكر : ((أُكِّد بالنون إيذانا بقوة العناية بوجوده))[٧]، وهذه المبالغة في التأكيد هي لغرض تقريب الزمن المستقبلي إلى الزمن الحضوري وجعل الحدث

---

١ . نهج السعادة : ٣٠٨/٥ .
٢ . ينظر : التطبيق الصرفي : د. عبده الراجحي : ٥٨ .
٣ . شرح المفصل : ٧٢/٩ .
٤ . المعجم المفصل في علم الصرف : ٤١٦ .
٥ . الكتاب : ٣/ ٥٦٨ .
٦ . شرح المفصل : ٩/ ٦٨ .
٧ . المصدر نفسه : ٧٢/٩ .

الحدث كالمتحقق في الزمن الماضي أو الحاضر، ففعل الأمر في نحو : **(اضربَنَّ زيدًا)** يفيد المبالغة في طلب الضرب؛ لأجل تأكيد وتقريب تحقق وقوعه، ويمكن توضيحه في الاتي :

الفعل (اضربَنَّ) يعادل = اضرب + اضرب + اضرب = تراكم طلب الضرب لأجل تحقق فعل الضرب .

والامر الاخر : هو إفادة معنى العموم والشمول في حال مجيئها في فعل الجماعة، فالفعل في **(اضربُنَّ زيدًا)** يدلُّ على الشمول؛ لأنه بمعنى : اضربوا كلكم أجمعون، وفضلا على إفادة معنى الشمول في فعل الجماعة فهي ـ أي نون التوكيد ـ تفيد كذلك المبالغة في طلب تحقق الفعل .

ومن شواهد التوكيد بالنون ما جاء في خطبةٍ له (عليه السلام) في تثريب أهل الكوفة على تقاعدهم عن نصرته، وتثاقلهم في حماية بلادهم : **((ولقد علمت أن الذي يصلحكم هو السيف، وما كنت متحريًا صلاحكم بفساد نفسي، ولكن سيُسلَّطُ عليكم سلطانٌ صعبٌ، لا يوقر كبيركم، ولا يرحم صغيركم، ولا يكرم عالمكم، ولا يقسم الفيء بالسوية بينكم، وليضربنَّكم، وليذلنَّكم، وليجرينَّكم في المغازي، وليقطعنَّ سبيلكم، وليحجبنَّكم على بابه حتى يأكل قويكم ضعيفكم))**[1] .

يلحظ المتلقي في النص الشريف تراكم نون التوكيد في خمسة مواضع هي : **(ليضربنَّكم، وليذلنَّكم، ليجرينَّكم، وليقطعنَّ سبيلكم، وليحجبنَّكم)** ، ولا شكَّ من أنَّ فائدته هذا التراكم تأتي على المستويين الافرادي، والإجمالي، فعلى المستوى الافرادي تدلُ نون التوكيد في كل موضع دلالة ركامًا على أمرين : تدل على المبالغة في تأكيد تحقق وقوع الحدث، و تدل كذلك على قرب وقوع الحدث، فهي تجعله كالمتحقق فعلا، وأما على المستوى الاجمالي فقد راكم (عليه السلام) نون التوكيد في مواضعَ خمس من أجل الزيادة في التحذير من هول حكم بني أمية من بعده ، ويمكن بيان ذلك بالتحليل الاتي للأفعال :

ليضربنَّكم = يضربكم + يضربكم + يضربكم = تراكم الضرب = تحقق وقوع الضرب مستقبلا .

ليذلنَّكم = يذلكم + يذلكم + يذلكم = تراكم الاذلال = تحقق وقوع الاذلال مستقبلا .

ليجرينَّكم = يجريكم + يجريكم + يجريكم = تراكم الاجراء = تحقق وقوع الاجراء مستقبلا .

ليقطعنَّ سبيلكم = يقطع سبيلكم + يقطع سبيلكم + يقطع سبيلكم = تراكم القطع = تحقق وقوع قطع السبيل مستقبلا .

ليحجبنَّكم = يحجبكم + يحجبكم + يحجبكم = تراكم الحجب على بابه = تحقق وقوع الحجب .

---

١ . نهج السعادة : ٢/ ٤٨٦ .

ومن التوكيد بالنون ما جاء في كتابٍ له (عليه السلام) كتبه إلى الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري (رضوان الله عليه) بعد نفيه الى الربذة : ((... **لا يؤنسنَّك إلا الحق ، ولا يوحشنَّك إلا الباطل**))[١] .

فقد تكررت نون التوكيد في موضعين وفي كل منهما قد راكمت الدلالة وزادتها من خلال المبالغة في توكيد معنى الفعلين وتقويتهما .

الثاني : التوكيد بغير الأداة :

١. التوكيد بالقسم :

أشار اللغويون الى أنَّ (القسم) هو أحد أهم أساليب التوكيد في الكلام، قال سيبويه : ((اعلم أنّ القسم توكيد لكلامك، فإذا حلفت على فعلٍ غير منفي لم يقع لزمته اللام، ولزمت اللام النونُ الخفيفة أو الثقيلة في آخر الكلمة وذلك قولك : و الله لأفعلن))[٢]، وقال ابن سيده : ((اعلم أن القَسَم هو يمين يُقسِم بها الحالف ليؤكد بها شيئا يُخبر عنه من إيجاب أو جحد، وهو جملة يؤكد بها جملة أخرى فالجملة المؤكَّدة هي المُقْسَم عليه والجملة المؤكِّدة هي القسَم))[٣] .

ولم يفد القسم معنى التوكيد فحسب بل يأتي كذلك لتحريك النفس وإثارة الشعور، يقول الدكتور هادي نهر : ((القسم جملة يؤتى بها لتوكيد جملة أخرى، وإزالة الشك عن معناها، أو يؤتى بها لتحريك النفس، وإثارة الشعور))[٤] .

ولا شك أنَّ ((القسم واحدٌ من أساليب التراكم الدلالي الصريح، فالجملة الخبرية تفيد دلالة على المعنى، فإذا ما دخل عليها القسم صارت دلالتها قيًّا[٥]))[٦]، ومعنى هذا أنَّ القسم يضاعف دلالة الجملة الخبرية من خلال توكيد الكلام وترسيخه في النفس .

ولما كان للقسم أثر بالغ في توكيد الكلام لذا عمد الامام (عليه السلام) الى توظيفه في مواضعَ عدة، ومن جملة تلك المواضع ما جاء في كلام له (عليه السلام) لما بلغه أن طلحة والزبير لم يلقيا في مسيرهما إلى مكة أحدًا إلا وقالا له: ليس لعلي في أعناقنا بيعة وإنما بايعناه مكرهين : ((**أما والله لقد علمت أنهما**

---

١ . نهج السعادة : ٤ / ١٥ .
٢ . الكتاب : ١٠٤/٣ .
٣ . المخصص : ١٨٧/٣ .
٤ . التراكيب اللغوية : د. هادي نهر : ٢٠٩ .
٥ . معنى قيًّا : أي دلالة ركامًا .
٦ . التراكم الدلالي في النص القرآني : ٣١ .

سيقتلان أنفسهما أخبث مقتل، ويأتيان من وردا عليه بأشأم يوم، والله ما العمرة يريدان، ولقد أتياني بوجهي فاجرين، ورجعا بوجهي غادرين ناكثين، والله لا يلقياننني بعد اليوم إلا في كتيبة خشناء يقتلان فيها أنفسهما، فبعدا لهما وسحقا))[1] .

حيث تراكم القسم في النص الشريف في ثلاثة مواضع، هي :

١. أما والله لقد علمت أنهما سيقتلان أنفسهما أخبث مقتل .

٢. والله ما العمرة يريدان .

٣. والله لا يلقياني بعد اليوم إلا في كتيبة خشناء .

و لو أنعما النظر في تراكم جمل القسم لاتضح أن كل منها قد عمل على ركم الدلالة؛ وذلك بما قام به القسم من توكيد الكلام، وتقويته، وتثبيته.

ومن ذلك أيضا ورود القسم المؤكد في كلامٍ له (عليه السلام) أجاب به الصديقة الكبرى سيدة نساء العالمين فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليهم لما رجعت إلى بيتها كئيبة البال، مكسورة القلب، باكية العين : **((... فو الله ما ونيت في ديني، ولا أخطأت مقدوري، فإن كنت تريدين البلغة، فرزقك مضمون، وكفيلك مأمون، وما أعد لك خير مما قطع عنك))**[2] .

فجملتا **(ما ونيت في ديني، ولا أخطأتُ مقدوري)** جاء بهما الكلام العلوي مؤكدتين بالقسم رغبة منه (عليه السلام)، في توكيد الكلام وترسيخه، وذلك لما يقوم به القسم من ركم الدلالة على المعنى الاساس .

ومن كلامٍ له (عليه السلام) بيَّن فيه تفانيه في سبيل رسول الله، ووراثته وولايته عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنَّه أحقُّ به من غيره في الأمور كلها : **((إنَّ الله عز وجل يقول :﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِـلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾[آل عمران : ١٤٤]، والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله، والله لئن مات أو قتل لأُقاتلنَّ على ما قاتل عليه حتى أموت، والله إنِّي لأخوه، ووليُّهُ، وابنُ عمِّه، ووارثه، فمن أحقُّ به مني))**[3] .

فقد تراكم القسم في النص الشريف في مواضع ثلاثة، وهذا التراكم في الاقسام فضلا على معنى التوكيد الصريح فإنه يهدف . والله أعلم . الى معان أخرى ، منها : توكيد مضمون الآية بأن هنالك من ينقلب على

---

١ . نهج السعادة : ١٩٨/١ .

٢ . المصدر نفسه : ٥٨/١ .

٣ . المصدر نفسه : ٢٧/١ .

عقبه بعد موت الرسول (صلى الله عليه وآله) ، ويلمح منها كذلك الاحتجاج على أن هنالك من يغصب حق الخلافة منه (عليه السلام)، فضلا على عدم تلبية وصية الرسول (صلى الله عليه وآله) في حفظ حرمة أهل بيته (عليهم السلام)، وغيرها من المعاني النفسية الاخرى .

٢. التوكيد بالتكرار :

حدَّ ابن الاثير التكرار بأنه : ((دلالة اللفظ على المعنى مرددًا))[١] . وهو عند الشريف الجرجاني ((عبارة عن الاتيان بشيء مرة بعد أخرى))[٢] .

والتكرار هو أحد أساليب التعبير الشائعة الاستعمال في اللغة، وقد تناوله البلاغيون والمفسرون بالشرح والتحليل، وهو عندهم أحد مصاديق التوكيد، يقول ابن جني : ((اعلم أن العرب إذا أرادت المعنى مكَّنته واحتاطت له، فمِن ذلك التوكيد وهو على ضربين : أحدهما تكرير الأوّل بلفظه، وهو نحو قولك : "قام زيد قام زيد"، و "ضربت زيدًا، ضربت زيدًا"، وقد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، والله أكبر، الله أكبر... ، والثاني تكرير الأوّل بمعناه، وهو على ضربين : أحدهما للإحاطة والعموم والآخر للتثبيت والتمكين، الأول كقولنا : قام القوم كلّهم ورأيتهم أجمعين ...، والثاني نحو قولك : قام زيد نفسُه ورأيته نفسَه))[٣] .

وجاء في كتاب الصناعتين : ((حتى استعملوا التكرار ليؤكّد القولَ للسامع، وقد جاء في القرآن وفصيح الشعر منه شيءٌ كثير، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [التكاثر : ٣ ـ ٤] ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح : ٥ـ٦] ، فيكون للتوكيد كما يقول القائل: ارم ارم، واعجل اعجل))[٤] ، وقال الزركشي : ((وفائدته العظمى التقرير، وقد قيل : الكلام إذا تكرر تقرر))[٥] .

ومما جاء يمكن تلمس ارتباط التكرار بالتراكم الدلالي؛ ذلك أنَّ التكرار يمثل سمة أسلوبية تراكمية تهدف الى زيادة / تكثيف الناتج الدلالي في الكلام ، تقول الدكتورة دلخوش جار الله : ((إن عملية التكرار تتكئ

١ . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ٢/ ١٤٦ .
٢ . كتاب التعريفات : ٥٢ .
٣ . الخصائص : ٦٩٩ . ٧٠١ .
٤ . كتاب الصناعتين : ١٩٩ .
٥ . البرهان في علوم القرآن : ١٠/٣ .

على أساس رياضي مبني على تعداد الوحدات اللغوية وإحصائها داخل السياق الكلامي لربط كثافة الناتج الدلالي...، إذ يتكاثف الناتج الدلالي بمعدلات تكرارية مختلفة تتوزع على التكرار الشكلي والدلالي))[١].

ومن مصاديق التكرار المراكم للدلالة ما تحقق في دعاءٍ له (عليه السلام) : ((**لا إله إلا الله الشاكر للمطيع له، المملي للمشرك به، القريب ممن دعاه على حال بعده ...، ولا إله إلا الله المجيب لمن ناداه بأخفض صوته، السميع لمن ناجاه لأغمض سره...، ولا إله إلا الله الحليم عمن ألحد في آياته، وانحرف عن بيناته، ودان بالجحود في كل حالاته**))[٢] .

فقد كرر الذكر العلوي قوله (**لا إله إلا الله**) في مواضع ثلاث توكيدا لمعنى التوحيد وترسيخا له، وبذلك يكون هذا التكرار قد عمل على ركم الدلالة في النص الشريف؛ لأنه توكيد بعد توكيد .

ومن التكرار اللفظي المراكم لدلالة النص الوارد فيه ما جاء في كلامٍ له (عليه السلام) قرَّظ به الصحابي الجليل عمار بن ياسر (رضوان الله عليه) لما استشهد في واقعة صفين : ((... **رحم الله عمارًا يوم أسلم، ورحم الله عمارًا يوم قتل، ورحم الله عمارًا يوم يبعث حيا، لقد رأيت عمارا ما يذكر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعة إلا كان الرابع، ولا خمسة إلا كان الخامس**))[٣]

لقد أفاد تكرار الترحم على عمار (رضوان الله عليه) أمرين مهمين :

١. تقرير معنى الدعاء لعمار وتوكيده في نفس المتلقي .

٢. يُصوِّرُ لنا هذا التكرار التراكمي تكاثف المشاعر النفسية للإمام (عليه السلام) من حيث شدة حزنه على مقتل عمار(رضوان الله عليه)، وعِظم غضبه وسخطه على قاتليه، وهذه المشاعر النفسية المتراكمة إنما يكشف عنها الانسان أحيانا من خلال تكراره الكلام، وترديده مرارا وتكرارا ، يقول دكتور عبدالله محمد الجيوسي : ((يؤدي التكرار وظيفة نفسية بارزة، وذلك حين تتداخل المشاعر، وتزدحم العواطف المثارة، ويحتد المقام، لا يكون سوى التكرار دليلا على ذلك، فيكون معينا على توزيع الانفعالات، ويكون دليلا على هذا الازدحام، وهو ما لا يفهم لو حُذف المكرر، ولكان التعبير مبتورا، كصيحةٍ لم تتم، أو جملةٍ لم تكتمل))[٤] .

---

١ . البحث الدلالي في كتاب سيبويه : د. دلخوش جار الله : ٣٥٣ .

٢ . نهج السعادة : ٦/ ٥ .

٣ . المصدر نفسه : ٢/ ١٦٤ .

٤ . التعبير القرآني والدلالة النفسية : ٣٦٥ . ٣٦٦ .

ومن التكرارات المراكمة للدلالة كذلك ما جاء في خطبةٍ له (عليه السلام) في حث أصحابه على المسير الى مقاتلة أهل الشام بعد أن حمد الله وأثنى عليه : ((... **سيروا إلى أعداء الله، سيروا إلى أعداء السنن والقرآن، سيروا إلى بقية الأحزاب، وقتلة المهاجرين والأنصار**))[١] .

إن تراكم الأمر بالسير في النص العلوي يُستفاد منه أمور عدة، أوجزها في الاتي :

١. تأكيد وتثبيت وجوب اتباعه (عليه السلام) في السير إلى مقاتلة العدو، وعدم التخلف عن نصرته .

٢. بث روح العزيمة والاندفاع في نفوس مقاتليه .

٣. التأكيد على أن من يقاتلونهم هم من اتباع الشرك والزيغ والضلال، ودليل ذلك وصفه (عليه السلام) لهم بأنهم أعداء الله، وأعداء السنن، وبقية الأحزاب، وقتلة المهاجرين والانصار .

ومثل هذا التكرار نجده في كلامٍ له (عليه السلام) في حث الناس على أخذ العلم منه : ((**أيها الناس إني ابن عم نبيكم وأولاكم بالله ورسوله، فاسألوني ثم اسألوني، وكأنكم بالعلم قد نفد، وإنه لا يهلك عالمٌ الا يهلك بعضُ علمه**))[٢] .

كذلك تظهر فائدة تكرار الفعل (اسألوني) مرتين في ركم الدلالة من خلال التأكيد على ما يلي :

١. التأكيد على أنه (عليه السلام) هو منبع العلم ومصدره بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

٢. التأكيد على حث الناس عامة للإفادة من فيض علمه قبل فوات الاوان .

٣. التأكيد على بيان مدى أهمية العلم لما له من أثرٍ في بناء الانسان .

٣. التوكيد بالمفعول المطلق :

يُعرف المفعول المطلق بأنه ((المصدر المنتصب توكيدًا لعامله، أو بيانًا، لنوعه، أو عدده، نحو : ضربتُ ضربًا، وسرتُ سيرَ زيدٍ، وضربتُ ضربتين))[٣]، وقال فيه ابن هشام الانصاري ((المصدر الفضلة المؤكد لعامله، أو المبين لنوعه، أو عدده))[٤] .

---

١ . نهج السعادة : ٢/ ٣٧ .

٢ . المصدر نفسه : ٣/٣٢ .

٣ . شرح ابن عقيل : ١/٥٠٥ .

٤ . شرح شذور الذهب : ٢٤٥ ، وينظر : شرح كتاب الحدود في النحو : جمال الدين الفاكهي : ٢١٤ .

إذا فأنواع المفعول المطلق عند النحاة ثلاثة : المؤكِّد لعامله، والمبين لنوعه، والمبين لعدده .

وما يهم في هذا المقام هو المفعول المطلق المؤكد لعامله نحو " **انطلقتُ انطلاقًا**"، وبما أنَّ المفعول المطلق هو اسم، وإنَّ دلالة الاسم تكون أكثر استقرارًا وثباتًا من الفعل، لذا فإنَّ ذكره بعد الفعل يراكم دلالة الحدث التي يؤديها ذلك الفعل، فدلالة القيام في قولنا : ((**قمتُ بالأمر قيامًا**)) تكون متراكمة ؛ لأنه قد دُلَّ عليها في هذا المثال مرتين : مرة بالفعل (**قمتُ**)، ومرة بالمصدر (**قيام**) الدال على التوكيد .

ومن مصاديق التوكيد بالمصدر ما جاء في خطبةٍ له (عليه السلام) في تحميد الله تعالى وتمجيده : ((**الحمد لله، أحمده تسبيحا، ونمجِّدُهُ تمجيدًا، نكبرُ عظمته لعزِّ جلالهِ، ونهلِّلُهُ تهليلًا**))[1] .

فقد راكم الذكر العلوي دلالة (التمجيد، والتهليل) في النص الشريف وذلك بإيرادها مرتين : الاولى بمجيء الفعلين (نمجد، ونهلل)، والأخرى : عن طريق التوكيد بالمصدرين (تمجيدا، وتهليلا)، ومما يعضِّد ركم دلالة التمجيد والتهليل كذلك هو مجيء الفعلين (نُمجِّدُه، ونهلله) بصيغة الجمع الدالة على المبالغة في المعنى، إذ المبالغة تعني تراكم المعنى القائم على المعاودة والتكرار .

ومن أمثلة التوكيد بالمصدر كذلك ما ورد في قوله (عليه السلام) : ((**من يطع الله ورسوله فقد اهتدى وفاز فوزا عظيما، ومن يعصهما فقد ضل ضلالا بعيدا**))[2] .

فإنَّ دلالتي (**الفوز والضلال**) المدلول عليهما بالفعلين (**فاز ، وضلَّ**) ، جاءتا كذلك مدلولا عليهما أيضا بالمصدرين (**فوزا ، وضلالا**) الدالين على التوكيد، وبذلك أصبحت دلالتهما متراكمة عن طريق هذا التكرار الدلالي .

ونجد هذا التراكم الدلالي كذلك في كلامٍ له (عليه السلام) قاله لمولاه نوف البكالي، بيَّن له فيه صفة الزهاد كي يقتدي بهم : ((**يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا والراغبين في الآخرة، أولئك الذين اتخذوا أرض الله بساطا وترابها فراشا وماءها طيبا، واتخذوا القرآن شعارا، والدعاء دثارا، ثم قرضوا الدنيا قرضا على منهاج المسيح ابن مريم ...**))[3] .

فإنَّ مجيء المصدر (**قرضا**) بعد الفعل (**قرض**) قد راكم الدلالة، وذلك أنَّ دلالة القرض هنا أصبحت مستفادة مرتين : مرة بالفعل ، وأخرى بالمفعول المطلق الدال على التوكيد والتثبيت والتقوية .

---

١ . نهج السعادة : ٣/ ٢٤٦ .

٢ . المصدر نفسه : ٤٣٥/١ .

٣ . المصدر نفسه : ٣/ ١٨٦ .

ونظير ما تقدم ما ورد في دعاءٍ له (عليه السلام) إذا فرغ من أكل الطعام : ((**الحمد لله الذي كفانا وأكرمنا وحملنا في البر والبحر، ورزقنا من الطيبات، وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا**))[1] .

فالإمام (عليه السلام) لما أراد المبالغة في بيان فضل الله ونعمته عليه وعلى أهل بيته (عليهم السلام) جاء بالمفعول المطلق (**تفضيلا**) ترسيخًا وتوكيدًا لهذا المعنى، وبذلك تكون دلالة (**التفضيل**) قد تراكمت في النص الشريف عن طريق اجتماع الفعل ومصدره معًا .

٤. التوكيد بالضمير :

الضمير ((هو عبارة عما دلَّ على متكلم نحو أَنا ونحن أَو مُخَاطَبٍ نحو أَنْتَ وَأَنْتُمَا أَو غائب نحو هُوَ وَهُما))[2]، ويرى النحاة أنَّ الضمير إنما سُمي بذلك لكثرة استتاره، أو لعدم صراحته كالأسماء المظهرة[3].

والضمير هو من الأساليب اللغوية الفاعلة في توكيد الكلام وتقويته، يقول الزمخشري عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[البقرة : ٥] ((و "هم" فصل، وفائدته الدلالة على أنَّ الوارد بعده خبر لا صفة، والتوكيد، وإيجاب أنَّ فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره))[4] .

وقال ابن هشام عن فائدة الضمير : ((في فائدته ثلاثة أمور : **أحدها لفظي ...، والثاني معنوي**، وهو التوكيد ذكره جماعة ...، وعلى ذلك سماه بعض الكوفيين دعامة؛ لأنه يُدعَمُ به الكلام أي يُقوى ويُؤكَّد))[5]،

وليس غريبًا أنَّ يُسهم التوكيد بالضمير في ركم الدلالة وزيادتها؛ وذلك لأنَّ الضمير بصورة عامة يُعبِّرُ عن دلالة الاسم الظاهر ولكن بلفظٍ مغاير له، ففي قولنا مثلا : (**محمدٌ هو طالب مجدٌّ**)، نكون قد دللنا على لفظ (محمد) مرتين : مرة بلفظه الصريح، ومرة بلفظ الضمير المُؤكِّد (هو)، و بتظافر هاتين الدلالتين تولَّد تراكمًا دلاليًا في هذا المثال، والحالة هذه كذلك تتحقق لو أكدنا الضمير بضمير آخر مناظر له، ففي نحو : (**قمتَ أنت بالأمر**) تجد أنَّ الدلالة هنا قد تراكمت كذلك؛ وذلك لأنَّه قد دُلَّ على من قام بالأمر مرتين : مرة بالضمير المتصل (التاء)، وأخرى بالضمير المنفصل (أنت)، ويمكن بيان هذا التراكم بالمخطط الاتي :

---

١ . نهج السعادة : ٦/ ١٦٠ .

٢ . شرح شذور الذهب : ١٧٤ .

٣ . ينظر : شرح التصريح على التوضيح : ٩٥/١ ، وحاشية الخضري : ٥٣/١ ، وحاشية الصبان : ١٠٩/١ ، ومعاني النحو : ٣٩/١ .

٤ . الكشاف : ٢٧/١ .

٥ . مغني اللبيب : ١٥٥/٢ .

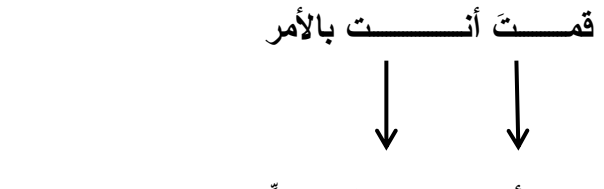

و في كلام الإمام (عليه السلام) تنوعت مصاديق التوكيد بالضمير، ويمكن بيانها في الآتي :

١. توكيد الاسم الصريح بالضمير : ومثاله ما جاء في قوله (عليه السلام) في نعت شيعته وسمة أحبته المعترفين بولايته : ((**شيعتنا المتباذلون في ولايتنا المتحابون في مودتنا المتوازرون في أمرنا، الذين إن غضبوا لم يظلموا، وإن رضوا لم يسرفوا، بركةٌ على من جاوروه، سلم لمن خالطوه، أولئك هم السائحون الناحلون الذابلون، ذابلة شفاههم، خمصة بطونهم، متغيرة ألوانهم، مصفرة وجوههم كثيرٌ بكاؤهم جاريةٌ دموعهم**))[١] .

فقد أكد (عليه السلام) لفظ "**أولئك**" وقوى معناه بالضمير المنفصل "**هم**"، مما جعل الدلالة تتراكم على الاسم الصريح، وفيما يبدو أن ركم المعنى هنا هو ما يتطلبه سياق النص الدال على بيان صفات شيعته (عليه السلام) الحقيقيين، ومدى علو منزلتهم .

ومن الامثلة كذلك ما جاء في كلامٍ (عليه السلام) لذلك الشاب الذي قال في اعتذاره : "يا أمير المؤمنين إني كنت شككتُ فيك آنفا ، وإني تائب إلى الله وإليك، فاغفر لي " فقال : عليه السلام : ((**إن الله هو الذي يغفر الذنوب فاستغفره**))[٢] .

فلما سمع (عليه السلام) طلب الشاب منه بأن يغفر له، وهو من أمور الشرك بالله، عمد (عليه السلام) الى تصحيح هذه النظرة الخاطئة من خلال ركم مؤكدين في الكلام، الأول : أداة التوكيد (إنَّ) ، والاخر : الضمير المنفصل "**هو**" بعد لفظ الجلالة (الله) وهو محل الشاهد، ولم يكن ذلك إلا لأجل توكيد وإثبات وترسيخ حقيقة عقائدية مفادها أنَّ الله عزَّ وجلَّ هو من يغفر الذنوب دون سواه .

٢. توكيد الضمير المتصل بنظيره المنفصل : ومثال ذلك ما ورد في كلامٍ له (عليه السلام) أجاب به عمر بن الخطاب لما استشاره في حرب الفرس سنة (٢٤هـ) : ((**إنك إن أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم إلى ذراريهم، وإن سيرت أهل اليمن من يمنهم خلفت الحبشة على أرضهم، وإن شخصتَ أنت من هذا الحرم انتقضت عليك الأرض من أقطارها**))[٣] .

---

١ . نهج السعادة : ٢٨٨/١ .

٢ . المصدر نفسه : ٢/ ٢٧٥ .

٣ . المصدر نفسه : ٩٤/١ .

يعطينا الإمام (عليه السلام) في هذا النص درسًا تربويًا مهمًا في الحرب، مفاده أنَّ تحقق النصر لا يعتمد على كثرة الجند دون حضور القائد، بل يرتكز بالدرجة الأساس على وجود القائد في ميدان الحرب، ولذلك عمد (عليه السلام) في استشارة (عمر) له إلى بيان هذا الأمر من خلال توكيده الضمير المتصل **(التاء)** في **(شخصتَ)** بالضمير المنفصل **(أنت)**، مما أدى الى تراكم الدلالة نتيجة اجتماع دلالة الضميرين (المؤكَّد والمؤكِّد) على معنى واحد .

ومن أمثلة التوكيد بالضمير المراكم للدلالة ما جاء في كتابٍ له (عليه السلام) بعثه إلى معاوية جاء فيه : **((أما بعد فطالما دعوت أنت وأولياؤك أولياء الشيطان الحق أساطير، ونبذتموه وراء ظهوركم، وحاولتم إطفاءه بأفواهكم، ويأبي الله إلا ان يتم نوره ولو كره الكافرون))**[١] .

فقد راكم (عليه السلام) المعنى في النص الشريف من خلال توكيد الضمير المتصل "**التاء**" في **(دعوتَ)** بالضمير المنفصل **(أنت)** ، وذلك تقوية وترسيخا لمعنى الكلام الدال على إصرار معاوية على القدح بالدين وحرفه عن مساره القويم .

ومن ذلك التراكم أيضا ما ورد في كلامٍ له (عليه السلام) لما رفع أهل الشام المصاحف على الرماح ودعوا إليها مكرا وحيلةً : **((اللهم إنك تعلم إنهم ما الكتاب يريدون، فاحكم بيننا وبينهم إنك أنت الحكم الحق المبين))**[٢] .

فتوكيد الضمير المتصل **(الكاف)** بالضمير المنفصل **(انت)** قد راكم الدلالة عليه، مما جعل المعنى أكثر تثبيتاوتمكننا في نفس المتلقي .

ونظير ما تقدم كذلك ما جاء في دعاء له عليه السلام إذا لقي العدو : **((اللهم إنك أنت عصمتي وناصري ومانعي، اللهم بك أصول، وبك أقاتل))**[٣] ، وما جاء في قوله (عليه السلام) كذلك لأبنه محمد ابن الحنفية : **((افعل الخير الى كل من طلبه منك، فان كان أهله فقد أصبت موضعه، وإن لم يكن بأهل كنت انت اهله))**[٤] .

---

١ . نهج السعادة : ١٤٩/٤ .

٢ . المصدر نفسه : ١٧٧/٢ .

٣ . المصدر نفسه : ٢٠٢/٢ .

٤ . المصدر نفسه : ٢٦٧/٨ .

٢. توكيد الضمير المستتر بالضمير المنفصل : ومن مصاديق هذا النوع ما جاء في دعاءٍ له (عليه السلام) في أيام رجب : ((...**وأحيني ما أحييتني موفورا، وأمتني مسرورا ومغفورا، وتولَّ أنت نجاتي من مسألة البرزخ ...**))[١] .

وكذلك ما ورد في كتابٍ له (عليه السلام) إلى زياد بن خصفة : ((...**فأقبل إلينا أنت وأصحابك مأجورين فقد أطعتم وسمعتم وأحسنتم البلاء والسلام**))[٢] .

ومنها أيضا قوله (عليه السلام) في كتابه إلى قرظة بن كعب الانصاري : ((**أما بعد فإنَّ رجالًا من أهل الذمة من عمالك ذكروا أنَّ نهرا في أرضهم قد عفا وأُدفن، وفيه لهم عمارة على المسلمين، فانظر أنت وهم، ثم اعمر وأصلح النهر، فلعمري لئن يعمروا أحب إلينا من أن يخرجوا، وأن يعجزوا ، أو أن يقصروا في واجب من صلاح البلاد، والسلام**))[٣] .

ففي هذه النصوص الثلاثة تلحظ توكيد الضمير المستتر في كل من **(تولَّ)** و **(أقبل)** و **(انظر)** بالضمير المنفصل **(انت)** مما قد راكم الدلالة عليه في المواضع الثلاثة، وذلك تقوية للمعنى وترسيخا له .

٥. التوكيد بالاعتراض (الجملة المعترضة) :

يُعرف الاعتراض أو (الجملة المعترضة) بأنه : ((أن يُؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة))[٤] .

وقيل فيه أنه ((كل كلام أُدخِلَ في لفظٍ أو مركبٍ لو أُسقِطَ لبقي الأول على حاله))[٥] ، وقال ابن الزملكاني : ((هو أن يأتوا في حشو الكلام ما يتم الغرض دونه))[٦] .

ويتبين من هذه التعريفات أنَّ الاعتراض هو كلام طارئ على الكلام الأصلي، إذ يتم معنى الكلام دونه، ولذلك فهو يعمل على ركم معنى الكلام وزيادته، يقول صفي الدين الحلي (ت٧٥٠هـ) عند تفريقه بين

---

١ . نهج السعادة : ٦/ ٦٧ .
٢ . المصدر نفسه : ٥/ ١٤٦ .
٣ . المصدر نفسه : ٢١/٥ .
٤ . الإيضاح في علوم البلاغة : ٢١٤/٣ ، وينظر : كتاب التعريفات : ٢٤ ، والبرهان في علوم القرآن : ٣/ ٥٦ .
٥ . المثل السائر في أدب الكاتب والشعر : ١٨٣/٢ .
٦ . التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن : لابن الزملكاني: ١٧٤ .

(الحشو) و(الاعتراض) : ((وسماه قومٌ (حشوا) وليس بصحيح للفرق الواضح بينهما، وهو أنَّ (الاعتراض) يفيد زيادة معنى في غرض الشاعر، و(الحشو) لإقامة الوزن فقط))[١] .

ويأتي الاعتراض لأغراض عدة منها التوكيد، والتنزيه، والتعظيم والدعاء وغيرها[٢]، ولكن أشهرها وأكثرها ورودًا هو التوكيد، وهذا ما ذهب إليه جملة من العلماء، يقول ابن جني في (باب في الاعتراض) : ((اعلم أنَّ هذا القبيل من هذا العلم كثيرٌ قد جاء في القرآن، وفصيح الشِعر، ومنثور الكلام، وهو جارٍ عند العرب مجرى التأكيد فلذلك لا يَشنُع عليهم ولا يُستنكَر عندهم أن يُعتَرض بهِ بين الفعل وفاعله والمبتدأ وخبره وغير ذلك ممَّا لا يجوز الفصل فيهِ بغيره))[٣] ، وجاء في مغني اللبيب : ((الجملة الثانية المعترضة بين شيئين لإفادة الكلام تقويةً وتسديدا أو تحسينا))[٤] . وقال الزركشي : ((... وله تعلق بالأول بضرب من التأكيد))[٥] .

وبما أنَّ الاعتراض وحسب ما تقدم هو كلام طارئ يعمل على زيادة معنى، لذا فإنه يحقق في الكلام الذي يرد فيه تراكما دلاليا على المستويين (الصريح، والضمني)؛ ذلك أنَّ حقيقة التراكم الدلالي مثلما مر قائمة على الزيادة سواء أكانت لفظية أم معنوية .

ومثلما وظف الامام (عليه السلام) الكثير من المؤكدات في كلامه كذلك وظَّف الجمل الاعتراضية توكيدًا لكلامه في كثير من المواضع، ومن تلك المواضع ما ورد في خطبته (عليه السلام) التي ألقاها لما بلغه نبأ استشهاد محمد بن ابي بكر (رضوان الله عليه) : ((... **ألا وإن محمد ابن أبي بكر قد استشهد – رحمة الله عليه – وعند الله نحتسبه، أما والله لقد كان – ما علمت – ينتظر القضاء، ويعمل للجزاء، ويبغض شكل الفاجر، ويحب سمت المؤمن**))[٦] .

فقوله (عليه السلام) "**ما علمت**" اعتراضٌ بين كان وخبرها لتقوية، وتأكيد الدلالة على المعنى الذي سيق له الكلام، وهو بيان منزلة محمد بن أبي بكر وقوة إيمانه، وهذه الزيادة في المعنى قد عملت على ركم الدلالة وتكثيرها في النص .

---

١ . شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع : صفي الدين الحلي : ٣٢٠ .
٢ . ينظر : الايضاح في علوم البلاغة : ٣/ ٢١٥ ـ ٢١٦، والبرهان في علوم القرآن : ٣/٥٧ ـ٥٩ .
٣ . الخصائص : ١/٣٣٥ .
٤ . مغني البيب عن كتب الأعاريب : ٢/ ٤٩ .
٥ . البرهان في علوم القرآن : ٣/٥٦ .
٦ . نهج السعادة : ٢/٣٩٠ .

ومن أمثلة الاعتراض أيضا المراكم للدلالة ما جاء في خطبةٍ له (عليه السلام) في التحذير من الدنيا والتنبيه على تقلبها بأهلها : ((... **بئست الدار لمن لم يتهمها، ولم يكن فيها على وجل، اعلموا – وأنتم تعلمون – أنكم لابد تاركوها ، وإنها لعبٌ ولهو**))[1] .

فإن المعنى المُساق إليه النص الشريف وهو الاخبار بترك الدنيا قد تراكمت الدلالة عليه من خلال التوكيد بجملة الاعتراض **(وانتم تعلمون)** بين الفعل **(اعلموا)** وبين الجملة الأسمية **(انكم لابد تاركوها)** .

ومن مصاديق الاعتراض الداعمة للتراكم الدلالي كذلك ما ورد في خطبةٍ له (عليه السلام) في توبيخ أصحابه بسبب تثاقلهم وتقاعدهم عن الجهاد : ((**والله إن جاءني الموتُ – وليأتني فليُفرقنَّ بيني وبينكم – لتجدنَني لصحبتكم قاليًا**))[2] .

إذ عمد (عليه السلام) في النص الشريف إلى توظيف الاعتراض بجملة **(وليأتني فليفرقنَّ بيني وبينكم)** بين فعل الشرط **(جاء)**، وبين جواب الشرط **(لتجدنني)**، رغبة في زيادة معنى الكلام، وذلك من خلال ركم المعنى الأساس بما تولد عن الاعتراض من معنى التوكيد والتثبيت والتقوية .

٦. التوكيد بالضد :

يُستعمل الضد المعنوي أحيانا في إثبات الكلام وتوكيده، وذلك بأن يُؤتى بكلامٍ ما ثم يُؤتى بما ينفي ضده توكيدا وتثبيتا له، نحو قوله تعالى : ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ﴾[النحل : ٢١] ، فقد أكَّد تعالى لفظة الأموات بنفي ضدها وهو أنهم غير أحياء، قال أبو حيان : ((وأخبر أنَّهم أموات، وأكَّد ذلك بقوله : غير أحياء))[3]، وقال ابن عاشور : ((وجملة {غير أحياء} تأكيد لمضمون جملة {أموات} للدلالة على عراقة وصف الموت فيهم بأنه ليس فيه شائبة حياة لأنهم حجارة))[4] ، ونحو ذلك قوله تعالى : ﴿ مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ﴾ [النساء : ٢٤] ، يقول الفخر الرازي : ((﴿مُّحْصِنِينَ﴾ أي متعففين عن الزنا ، وقوله : ﴿غَيْرَ مسافحين﴾ أي غير زانين ، وهو تكرير للتأكيد))[5] .

---

١ . نهج السعادة : ٣/ ٢٦١ .

٢ . المصدر نفسه : ٢/ ٣٨٨ .

٣ . البحر المحيط : ٢٢٦/٧ .

٤ . التحرير والتنوير : ١٢٦/١٤، وينظر : روح المعاني : ١٣٠/١٠ .

٥ . مفاتيح الغيب : ١٥١/٥ .

ومثل هذا كثير في اللغة كقولنا مثلا : زيدٌ كريمٌ غير بخيل، ونحو : هو شجاعٌ غير جبان، ونحو : هو جميل ليس بقبيح ، ونحو ذلك .

والملاحظ في هذا الاستعمال اللغوي أنه لا يخرج عن دائرة التراكم الدلالي، ذلك أنَّ الكلام المثبت ونظيره المنفي كلاهما يحمل المعنى نفسه، ولكن بصيغتين مختلفتين، ففي المثال المتقدم : **زيدٌ كريم غير بخيل،** تجد أنَّ لفظي (كريم) و (غير بخيل) يعطيان معنى واحدا، ولكن جيء بالثاني لإثبات معنى الأول، ونفي ما سواه، فضلا على اعطاء معان ثانوية أخرى تُستفاد من سياق الكلام كالثناء والمدح لشخص زيد، والإعجاب والتفاخر به إلى غير ذلك .

ومن أمثلة التراكم الدلالي الحاصل بطريق نفي الضد في نهج السعادة ما جاء في خطبةٍ له (عليه السلام) في المحاجة مع المارقين في واقعة صفين : ((**أما أن أشهد على نفسي بالضلالة، فمعاذ الله أن أكون أرتبت منذ أسلمت، أو ضللت منذ اهتديت، بل بنا هداكم الله من الضلالة، واستنقذكم من الكفر، وعصمكم من الجهالة، وإنما حكَّمْتُ الحكيمن بكتاب الله، والسنَّة الجامعة، غير المفرقة**))[1] .

فقد راكم الإمام (عليه السلام) قوله (**غير المفرقة**) ليكون توكيدًا وتثبيتًا لمضمون جملة (**السنَّة الجامعة**)، فكلاهما يحمل المعنى نفسه، وفضلا على معنى التوكيد فإنه يُستفاد كذلك من هذا التراكم الضدي معانٍ ثانوية يسعفنا بها السياق، منها : الثناء والفخر بالسنة المحمدية بأنها سنة جامعة بين بني البشر دون أي تفريق، ومنها : أنها سنة خالدة دائمة إلى يوم الدين، ومنها الانكار والتوبيخ للطرف الخصم، وهم معاوية وأتباعه كونهم خالفوا ما نصت عليه هذه السنة الجامعة، وفرقوا بين المسلمين .

ومن التوكيد بالنفي كذلك ما ورد في كلامٍ له (عليه السلام) قاله عند نكث طلحة والزبير بيعته في مسيرهما إلى مكة للاجتماع مع عائشة في التأليب عليه : ((**فبسطت يدي فبايعتموني مختارين، وبايعني في أولكم طلحة والزبير طائعين غير مكرهين، ثم لم يلبثا أن استأذناني في العمرة، والله يعلم أنهما أرادا الغدرة**))[2] .

كذلك يلحظ المتلقي أن قوله (**طائعين**) قد أُكِّد بالضد وهو (**غير مكرهين**)، وهذا من باب اثبات الشيء ونفي ضده، أي نفي الاحتمالات الضدية الاخرى، وبذلك فلو قال الإمام (عليه السلام) : (**وبايعني في أولكم طلحة والزبير طائعين**) فحسب من غير ذكر الضد (**غير مكرهين**)، لسُجِّلت احتمالاتُ أخرى كأن يكونا قد بايعا طائعين ولكن عن طريق الإكراه والإجبار، أو عن طريق التغرير بهما، أو نحو ذلك من الأمور الاخرى، فلما جيء بعبارة (**غير مكرهين**) عملت هذه العبارة على توكيد واثبات معنى (**طائعين**) من تلقاء نفسيهما، وغلقت باب الاحتمالات الاخرى المخالفة له .

---

١ . نهج السعادة : ٢/٢٦٥ .

٢ . المصدر نفسه : ١/ ١٩٩ .

كذلك يُشم من خلال تراكم هذين الضدين معنى آخر ساعد السياق في كشفه، ألا وهو الزيادة في معنى التوبيخ والإنكار على طلحة والزبير، فهما على الرغم من مبايعتهما الامام (عليه السلام) طوع انفسهما إلا أنها لم يلتزما بذلك العهد، بل نقضاه وانكراه، ونقض العهد هو صفة ذميمة عند العرب .

ونظير ما تقدم من التوكيد بالضد المراكم للدلالة ما نجده في دعاءه (عليه السلام) : ((**وقد جرت مقاديرك علي يا سيدي فيما يكون مني إلى آخر عمري من سريرتي وعلانيتي، وبيدك لا بيد غيرك زيادتي ونقصي ونفعي وضري**))[1] .

ففي النص الشريف فضلا على معنى التوكيد بالضد (**لا بيد غيرك**) يتضح تراكم معنى آخر ثانوي هو الثناء والتعظيم والتمجيد للذات المقدسة .

١ . نهج السعادة : ٦/ ١١٥ .

المبحث السادس

اختلاف أوجه الإعراب

يُعرِّف الاعراب بأنه ((الإبانة عن المعاني بالألفاظ ألا ترى أنك إذا سمعت : أكرم سعيد أباه ، و شكر سعيدا أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجًا واحدًا لاستبهم أحدهما من صاحبه...))[١] . فالإعراب إذن هو ((عبارة عن المجعول آخر الكلمة مبينًا للمعنى الحادث فيها بالتركيب من حركة، أو سكون، أو ما يقوم مقامها))[٢] .

وقد أكد ابن فارس على أهمية الاعراب في التفريق بين المعاني ، إذ قال : ((فإن الإعراب هو الفارق بين المعاني، ألا ترى أنَّ القائل إذَا قال: " مَا أحسن زيد " لَمْ يُفرَّق بين التعجب، والاستفهام، والذمّ إلاَّ بالأعراب، وكذلك إذَا قال: " ضرب أخوك أخانا "، و " وَجهُك وجهُ حُرٍّ " ، و " وجهُك وجهٌ حرٌّ " وَمَا أشْبَه ذَلِكَ من الكلام المشْتَبه))[٣] .

وقد أورد النحاة أمثلة كثيرة تبين اختلاف المعاني وتراكمها بسبب اختلاف الاعراب، ومنها ((المثال المشهور " لا تأكل السمك وتشرب اللبن" ، فإنه يجوز في "تشرب" الرفع، والنصب، والجزم ، ولكن المعنى يختلف في كل حالة، فالجزم عطف على (تأكل) ، ويكون النهي عنهما جميعًا فكأنه قال : لا تأكل السمك ولا تشرب اللبن، والنصب معناه النهي عن الجمع بينهما وإباحة كل واحد على حدة...، ومعنى الرفع أنه منهي عن أكل السمك على أية حالةٍ، ومباح له شرب اللبن على أية حالٍ، فكأنه قال : ولك شُرب اللبن))[٤].

ومن هنا يتبين أنَّ اختلاف الإعراب و تعدده في الكلمة الواحدة هو أحد أسباب تراكم الدلالات وتنوعها، ذلك أنَّ كُلَّ وجه من الوجوه الإعرابية يؤدي معنى مختلفًا عن الوجه الآخر، فإذا ما تعددت الوجوه الإعرابية وكثرت حول الكلمة أو العبارة تعددت كذلك المعاني وتراكمت تبعا لذلك التعدد .

ومن أمثلة تعدد المعنى بتعدد الاعراب ما ورد في خطبةٍ له (عليه السلام) خطبها لما استنهض الناس الى حرب معاوية وأهل الشام في المرة الثانية : ((**الحمد لله الواحد الأحد الصمد، المتفرد الذي لا من شيء كان،**

---

١ . الخصائص : ١/٣٥ .

٢ . التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة : ١٥١ .

٣ . الصاحبي في فقه اللغة : ٥٥ .

٤ . معاني النحو : ١/ ٣٣ .

ولا من شيء خلق ما كان، قدرة بان بها من الأشياء، وبانت الأشياء منه، فليست له صفة تنال، ولا حد يضرب له فيه الأمثال ...))[1] .

إذ ذهب الشيخ المحمودي إلى أنَّ كلمة " **قدرة** " تحتمل ثلاثة أعاريب متباينة يؤدي كل منها معنى مختلفًا عن الاخر، إذ قال : ((قدرة : مبتدأ حُذِف خبرهُ، أي قوله قدرة بان بها من الأشياء، أو خبر حذف مبتدؤه أي هو قدرة بان بها أي بنفسها من الأشياء، إذ صفات الثبوتية من العلم والقدرة عين الذات لله تعالى، وقيل : (قدرة) منصوب على التمييز، أو بنزع الخافض وحذفه أي ولكن خلق الأشياء قدرة أو بقدرة))[2] .

إذن فاختلاف إعراب كلمة " **قدرة** " أدى إلى تراكم ثلاثة معان في النص الشريف وهي :

١. بمعنى أنَّ " **قوله تعالى قدرة** " ، على تقدير جعل " **قدرة** " مبتدأ لخبر محذوف، والقول هنا . والله أعلم . لفظ عام يدلُ على عموم المعنى، إذ يشمل أوامره ونواهيه جميعها لخلقه جميعهم .

٢. بمعنى أنَّ " **ذاته المقدسة هي قدرة** " ، على تقدير جعل " **قدرة** " خبر لمبتدأ محذوف .

٣. بمعنى أنه تعالى قد "**خلق الاشياء قدرةً منه** " على تقدير جعل " **قدرة** " منصوبة على التمييز أو بنزع الخافض .

وفيما يبدو أنَّ هذه المعاني جميعها . والله أعلم . هي مرادة مطلوبة ما دام لا يوجد اعتراض فيما بينها؛ وذلك أنه " هو تعالى قدرةٌ، وقوله كذلك جلت قدرته قدرةٌ، وقد خلق الاشياء بقدرة ربانية " ، وبهذا الفهم تظهر فائدة اختلاف الإعراب في ركم المعاني وتعددها بأيسر سبيل وأوجزه .

ومما تراكم معناه باختلاف إعرابه كذلك ما جاء في دعاءٍ له (عليه السلام) : ((... **اللهم إني أسألك سؤال الخائف من وقفة الموقف، الوجل من العرض، المشفق من الخشية لبوائق القيامة، المأخوذ على الغرة، النادم على الخطيئة، المسئول المحاسب المثاب المعاقب...، قد أحاطت به الهموم، وضاقت عليه وحائب النجوم، موقنٌ بالموت، مبادرٌ بالتوبة قبل الفوت إن مننت بها عليه وعفوت ...))**[3] .

---

١ . نهج السعادة : ٢/٢٧٣ .

٢ . المصدر نفسه والصفحة .

٣ . المصدر نفسه : ٦/٧١ .

جاءت كلمتا (**موقن** ، **ومبادر**) تحتملان وجهين إعرابيين هما الرفع على الخبرية، والجر على العطف، يقول الشيخ المحمودي : ((كأنهما خبران لمبتدأ محذوف، والجملة منصوبة المحل على الحالية، ويمكن أن يكونا مجرورين عطفًا على قوله " الخائف من وقفة الموقف"))[١] .

والمتأمل في هذا التعدد الإعرابي يجد أنه قد انتج ركاما دلاليا؛ وذلك أنَّ كل توجيه إعرابي مما ذكره المحمودي يفضي الى معنى خاص، فعلى تقدير الإعراب الأول وهو أنهما خبران لمبتدأ محذوف يكون المعنى على جهة وصف حال السائل أي " أن هذا السائل قد أحاطت به الهموم، وضاقت عليه وحائب النجوم، وهو موقنٌ، ومبادرٌ بالتوبة قبل الفوت، وتكون هذه الجملة الإسمية واصفة لحال من أحاطت به الهموم، وضاقت عليه وحائب النجوم ، وأما على تقدير الإعراب الثاني وهو أن يكونا معطوفين على كلمة " الخائف" سيكون المعنى على جهة التشبيه أي أنَّ الإمام (عليه السلام) يُشبِّهُ نفسه في حال الدعاء والتوسل لله تعالى بالشخص الخائف من وقفة الموقف، الوجل من العرض، المشفق من الخشية لبوائق القيامة...، الموقنِ بالموت، المبادرِ بالتوبة قبل الفوت .

وفيما ذُكر تتبين لنا أهمية اختلاف التوجيه الاعرابي في تراكم المعاني، وتعددها مع إيجاز الألفاظ واختصارها بأيسر طريق وأجزه .

ومما تعددت فيه الأوجه الإعرابية كذلك ما تجده في خطبةٍ له (عليه السلام) بيَّن فيها توحيد الله وعظمته، والتي جاء فيها : ((... **وأشهد أن لا أله الا الله إيمانا بربوبيته، وخلافا على من أنكره**))[٢] .

إذ تحتمل لفظتا " **إيمانًا، وخلافًا** " بحسب رأي المحمودي وجهين إعرابيين، إذ يقول : (("إيمانًا " حال أو مفعول لأجله، وكذا قوله : خلافًا))[٣] .

وما ذهب إليه الشيخ من توجيه إعرابي صائبٌ إلا أنه غيرُ كافٍ؛ ذلك أنَّ لفظتي "**إيمانًا، وخلافًا**" تحتملان وجهًا ثالثًا، وهو "**المفعولية المطلقة**" ، لأنهما مصدران، والمصدر في بعض السياقات اللغوية يحتمل هذه الأوجه الثلاثة جميعها، جاء في مغني اللبيب : ((ما يحتمل المصدرية والحالية والمفعول لأجله – من ذلك ﴿يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾ [الرعد : ١٢] ، أي فتخافون خوفًا، وتطمعون طمعًا ...، أو خائفينِ وطامعين، أو لأجل الخوف والطمع... ، وتقول جاء زيدٌ رغبةً أي يرغبُ رغبة، أو مجيء رغبةٍ، أو راغبًا، أو للرغبة))[٤] .

---

١ . نهج السعادة : ٧١/٦ .

٢ . المصدر نفسه : ٥٨٤/١ .

٣ . المصدر نفسه والصفحة .

٤ . مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ٢١٨/٢ .

وأكد الدكتور فاضل السامرائي ما ذهب إليه ابن هشام قائلا : ((... وقد يحتمل الحالية والمفعول لأجله والمفعولية المطلقة، فتكسب ثلاثة أغراض في تعبير واحد، ومنه قوله تعالى :﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًا﴾ [الاعراف : ٥٦] فإنه لو قال : (ادعوه خائفين وطامعين) لكان المعنى واحدًا هو الحالية، ولكن بعدوله إلى المصدر اتسع المعنى وأصبح يؤدي ثلاثة معانٍ في آن واحد، وهي الحالية أي خائفين، والمفعول لأجله أي للخوف والطمع، والمفعولية المطلقة أي تخافون خوفًا، وتطمعون طمعًا، أو دعاءَ خوفٍ وطمعٍ، وهذه المعاني كلها مرادة، فإننا ينبغي أن ندعو ربنا في حالة خوف وطمعٍ، وندعوه للخوف والطمع، وندعوه ونحن نخاف خوفا، ونطمعُ طمعا، فجمعها ربنا في تعبير واحد بعدوله من الوصف الى المصدر))[1] .

وتأسيسا على ما جاء وبالعودة الى النص العلوي نجد أنَّ الإمام (عليه السلام) . والله أعلم . إنَّما عدل هنا عن الوصف إلى المصدر كي تدل لفظتا " **إيمانًا وخوفًا** " دلالة ركاما على المعاني الثلاث : على الحالية أي " أشهد أن لا إله الا الله في حال الإيمان بربوبيته، وفي حال الخلاف لمن أنكره، والمفعول لأجله أي لأجل الإيمان، ولأجل الخلاف، والمفعولية المطلقة أي أُؤمنُ إيمانا، وأُخالفُ خلافا، أو شهادة إيمانٍ وخلاف، ولعل هذه المعاني ـ والله أعلم ـ كلها مرادة مطلوبة، فالإمام (عليه السلام) بدل أن يقول : " أشهدُ أن لا إله الا الله وأنا مؤمنٌ بربوبيته، وأنا مخالفٌ لمن أنكره، وأشهدُ لأجل الايمان ولأجل الخلاف، وأشهدُ شهادة إيمانٍ وخلافٍ، أو أُؤمن إيمانا، وأُخالفُ خلافا " فقد جمعها كلها في تعبير واحد يدل دلالة ركاما على هذه المعاني جميعا من أخصر طريق وأوجزه .

وما يحتمل الحالية والمفعولية المطلقة كذلك ما جاء في خطبةٍ له (عليه السلام) في تحميد الله تعالى وتمجيده قال فيها : ((**... أحمده على جود كرمه ، و سبوغ نعمه، و أستعينه على بلوغ رضاه، و الرّضا بما قضاه ، و أؤمن به إيمانا، و أتوكّل عليه إيقانا**))[2] .

مع أن الشيخ المحمودي لم يكشف لنا عن الأوجه الاعرابية التي يحتملها المصدر " **إيقانًا** " في النص الشريف إلا أنها محتملة، وواردة، فالإمام (عليه السلام) إنما عدل عن الوصف الى المصدر فقال : "**أتوكل عليه إيقانًا** " لغرض ركم المعاني في تعبير واحد كما اتضح في المثال السابق، فمجيء المصدر " **إيقانًا** " في هذا السياق اللغوي يؤدي معنيين معا في وقت واحد، وهي الحالية أي : أتوكل عليه وأنا موقنٌ به، والمفعولية المطلقة أي أتوكل عليه وأُوقنُ به إيقانا، أو توكلُ إيقانٍ، وهذان المعنيان . والله أعلم . مرادان مطلوبان، فبدل أن يطول الكلام ، ويكثُر بذكرهما عمد (عليه السلام) الى جمعهما معا في تعبير واحد فقال : (أتوكل عليه إيقانًا) لغرض إيجاز اللفظ وتراكم المعنى .

---

١ . معاني النحو : ٢/٢٥٠ . ٢٥١ ، وينظر : الجملة العربية والمعنى : ١٥٥ .

٢ . نهج السعادة : ٣: ١٥٨ .

المبحث السابع

اختلاف عود الضمير

من المعلوم في العربية أنَّ لكل ضمير مرجع يعود إليه، وهذا المرجع إما أن يكون محدداً، أو غير محدد[١]، وعود الضمير له أثره في تحديد المعاني، أو تعددها وتراكمها، فمعنى الضمير يتحدد بتحديد مرجعه ، ويتعدد ذلك المعنى ويتراكم باختلاف مرجعه .

وبذلك يمكن القول : إنَّ اختلاف عود الضمير هو أحد الاساليب التي تعمل على ركم المعاني وتعددها، وهذا ما تكلم عنه جملة من المفسرين وغيرهم ممن كتب في الدراسات القرآنية، يقول ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾[البقرة :٤٥] : ((وقوله :﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾اختلف المفسرون في معاد ضمير { إنها } فقيل عائد إلى الصلاة والمعنى إن الصلاة تصعب على النفوس لأنها سجن للنفس وقيل الضمير للاستعانة بالصبر والصلاة المأخوذة من { استعينوا } على حد ﴿ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[المائدة : ٨] ، وقيل راجع إلى المأمورات المتقدمة من قوله تعالى : ﴿ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ﴾[البقرة : ٤٠] إلى قوله ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾[البقرة : ٤٥] وهذا الأخير مما جوزه صاحب «الكشاف» ولعله من مبتكراته وهذا أوضح الأقوال وأجمعها والمحامل مُرادة))[٢] .

وقال الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة : ((أسلوب القرآن معجز لا يستطيع أحدٌ أن يحيط بكل مراميه ومقاصده، فاحتمل كثيراً من المعاني، وكثيراً من الوجوه، ومن ذلك صلاحية ضمير الغائب لأن يعود على أشياء متنوعه سبقته))[٣] . وذكر باحث آخر أن ((من الأساليب التي جاء عليها كتاب الله تعالى وأسهمت في توسيع دلالاته احتمالية تعدد عائد الضمير في كثير من آياته الكريمة؛ فإنَّ مما يُغني الخطاب بكثرة المعاني مع قلة الألفاظ إمكانية أن يعود الضمير على أسمين أو ثلاثة في عبارة واحدة، ولعلها تكون مرادة في الوقت ذاته من أقرب سبيل ...))[٤] .

---

١ . مرجع الضمير في القران الكريم : د. محمد حسنين صبرة : ١٥ ، و ٢٥ .

٢ . التحرير والتنوير : ١/ ٤٧٩ .

٣ . دراسات لأسلوب القران : الاستاذ محمد عبد الخالق عضيمة : ١/ ٨٠ .

٤ . اتساع الدلالة في الخطاب القرآني : د. محمد نور الدين المنجد : ١٢٢، وينظر : أثر تعدد المعنى في تفسير النص القرآني : هدى عبد الحسين مير ، أطروحة دكتوراه ، كلية الفقه ، جامعة الكوفة ، ٢٠١١م : ٢٤ .

ولعلَّ هذا الاختلاف في عود الضمير إنما مردُّهُ إلى افتقاد القرينة اللغوية التي بدورها تحدد مرجع الضمير، يقول الباحث منذر محمود : ((قد تعدد أوجه الضمير في التعبير القرآني، وهذا العود يدخل في إطار التوسع في المعنى مالم تكن هناك قرينة تُحدد معنى من المعاني))[١] .

ومن مصاديق تعدد مرجع الضمير في مستدرك النهج ما جاء في خطبةٍ له (عليه السلام) لما قضى بقضية كرهها المقضي عليه فشكى إليه (عليه السلام) من قضائه عليه جاء فيها : ((... **إنَّ من أبغض خلق الله إلى الله، لعبدٌ وكله الله إلى نفسه، جائراً عن قصد السبيل، مشغوفاً بكلام بدعة، قد قمس في أشباهه من الناس عشواء غارا بأغباش الفتنة، قد لهج فيها بالصوم والصلاة ...**))[٢] .

فالضمير في قوله (**فيها**) صالح لأن يعود على مرجعين :

الأول : يعود على كلمة " **بدعة** " ، ويكون المعنى : أنه قد لهج بما ابتدع في صومه، وصلاته .

والثاني : يعود على كلمة " **فتنة** " ويكون المعنى : أنه قد لهج بالفتنة في صومه، وصلاته .

يقول الشيخ المحمودي : ((يُقال : " لَهِجَ بالشيء – من باب فَرِحَ – لهجًا " : أُولِع به، والضمير إما راجع إلى البدعة، أو إلى الفتنة، والأول أوجه معنا))[٣] .

إذن فإمكانية عود الضمير في النص الشريف إلى مرجعين في وقت واحد قد راكم الدلالة، لأنه وسع دائرة المعنى وجعل النص يدل على معنيين صحيحين، ولعلهما مرادان في الوقت نفسه، فبدل أن يذكر الإمام (عليه السلام) . والله أعلم . جملتين تُعبِّرُ أحدهما عن المعنى الأول، والثانية عن المعنى الثاني، جمعهما (عليه السلام) في عبارة واحدة تصلح للمعنيين معًا، فحصل بذلك تراكم للمعاني من أقرب سبيل وأيسره .

ومن مصاديق اختلاف عود الضمير أيضا ما ورد في كلامٍ له (عليه السلام) أجاب به من سأله عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود(رضوان الله عليه)، إذ قال (عليه السلام) : ((...**علم السنة، وقرأ القرآن وكفى به علمًا**))[٤] .

إذ جاء الضمير في قوله **(كفى به علمًا)** محتملًا وجهين :

الأول : عودته على عبدالله بن مسعود، وبذلك يكون هو المقصود بالمدح .

---

١ . التوسع في المعنى في التعبير القرآني عند القاضي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) : منذر محمود جاسم ، رسالة ماجستير ، جامعة ديالى ، كلية التربية ، ٢٠١١م : ٥٢ .

٢ . نهج السعادة : ١/٤٤٣ .

٣ . المصدر نفسه والصفحة .

٤ . المصدر نفسه : ٢/ ٥٤٣ .

والثاني : إنَّه يعود على القرآن ، ويكون القرآن هو مقصد الممدوح .

يقول الشيخ المحمودي : ((فلم يدروا ما يريد بقوله : (كفى به علمًا)، كفى بعبد الله، أم كفى بالقرآن))[١] .

وبهذا ترى أنَّ اختلاف عود الضمير قد زاد في طاقة النص التعبيرية، وجعله يحتمل معنيين صحيحين، ولعلهما مرادان في الوقت نفسه، فبدل أن يذكر (عليه السلام) جملتين مختلفتين عبر عنهما بضمير واحد يختزن الاثنين معًا إيجازًا في اللفظ ، واتساعًا في المعنى .

ونظير ما تقدم كذلك ما ورد في خطبةٍ له (عليه السلام) يعض بها الناس : ((... **أما بعد فإن نور البصيرة روح الحياة الذي لا ينفع إيمان إلا به مع اتباع كلمة الله ...**))[٢] .

ففي قوله **(الا به)** احتمالان في عائدية الضمير :

الاول : أن يراد به الروح ، وبذلك يكون المعنى أن روح الحياة هو من ينفع الشخص .

والثاني : أن يراد به النور .

يقول المحمودي : ((والضمير راجع إلى الروح أو النور))[٣] .

وهذا التعدد الدلالي في عائدية الضمير جعل المعنيين يتراكمان في النص، إذ جمعهما ضمير واحد بأخصر طريق وأوجزه .

١ . نهج السعادة : ٢/ ٥٤٣.
٢ . المصدر نفسه : ٥ / ١١٠ .
٣ . المصدر نفسه والصفحة .

المبحث الثامن

التمييـــز

يُعرَّفُ التمييزُ بأنه : ((هو كل اسم نكرة متضمن معنى (من) لبيان ما قبله من إجمال نحو : طاب زيدٌ نفسًا ، وعندي شبرٌ أرضًا))[١] .

وبذلك نجد ابن مالك أجمل تعريف التمييز بقوله[٢] :

اسمٌ بمعنى (من) مبينٌ، نكرةٌ يُنصَبُ تمييزًا بما قد فسَّرَه

ويُسمى التمييزُ مُفسِّرًا، وتفسيرًا، ومُبيِّنًا، وتبيينًا، ومُميزًا[٣] .

والتمييز كغيره من مواضيع النحو التي تعمل على ركم المعاني، وتوسعها؛ ذلك أنه أي . التمييز . يمثلُ عدولاً / تغيراً عن أصلٍ مفترض، وهذا العدول في التعبير لم يكن إلا لأجل الاتساع في المعنى والمبالغة والشمول، وهذا ما ذكره غير واحد من العلماء، إذ قال ابن يعيش : ((وإذا قلت : عندي عسلٌ رطلٌ، وخلٌ راقودٌ فقد أتيتَ به على الأصل، وإذا قدمتَ وقلتَ : عندي رطلٌ عسلا، وراقودٌ خلاً فقد غيرتهما عن أصلهما لما ذكرناه من إرادة المبالغة والتأكيد في الإخبار عن مقدار ذلك النوع))[٤] .

وجاء في تفسير روح المعاني : ((﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾[القمر : ١٢] جعلنا الأرض كلها كأنها عيون متفجرة وأصله (فجرنا عيونَ الأرضِ) فغُيِّر إلى التمييز للمبالغة بجعل الأرض كلها متفجرة مع الإبهام والتفسير، فالتمييز محول عن المفعول))[٥] ، وقال الأشموني (ت٩٢٩هـ) في التمييز المحول عن فاعل : ((وقد حُوِّلَ الإسناد عنه إلى غيره لقصد المبالغة))[٦] .

وجاء في معاني النحو : ((وقد تقول : ما الغرض من تحويل الفاعل أو المفعول إلى تمييز ؟. وهل هناك اختلاف في المعنى بين قولنا (حسُنَ محمدٌ خلقًا)، و (حسُنَ خُلقُ محمدٍ) مثلا ؟ . والجواب أنه لا يُعدل من تعبير الى تعبير إلا يصحبه عدول من معنى إلى معنى ...، وأنه يعدلُ من الفاعل أو المفعول إلى التمييز لقصد الاتساع والشمول والمبالغة، وذلك نحو قولك : (فاحت الحديقة عطرًا) ...، والأصلُ (فاح عطرُ

---

١ ـ شرح ابن عقيل : ٢/ ٢٨٦، وينظر : شرح ابن الناظم : ٢٥٠ ، وشرح التصريح على التوضيح : ١/ ٦١٦ .
٢ ـ ينظر : ألفية ابن مالك : ١١٤ .
٣ ـ ينظر : شرح ابن عقيل : ٢/ ٦١٦ .
٤ ـ شرح المفصل : ١٨٣/٢ .
٥ ـ روح المعاني : ٢٠ / ٦٣ .
٦ ـ شرح الأشموني على الفية ابن مالك : ٢/ ٢٠٠ .

الحديقةِ)، غير أنَّ بينهما فرقًا في المعنى، فقولك : (فاح عطرُ الحديقةِ) معناه أنَّ عطرًا في الحديقة فاح، وأما قولك : (فاحت الحديقةُ عطرًا) فمعناه أنَّ الحديقةَ امتلأت عطرًا))[١] .

ومما تقدم تتضح فاعلية التمييز في تحقيق التراكم الدلالي؛ ذلك أنَّه يؤدي معنيي المبالغة والتوكيد، وما المبالغة إلا ركام معنوي ناتج عن تعدد الحدث وتكرار وقوعه مرة بعد أخرى، وما التوكيد الا أحد مباعث ذلك التراكم الدلالي أيضا؛ كونه يسهم في زيادة المعنى عن طريق تمكين الحدث وتثبيت وقوعه .

ومن مصاديق ركم المعنى من خلال التمييز ما ورد في خطبةٍ له (عليه السلام) في بيان عظمة الله وقدرته : ((**الحمد لله سابغ النعم، ومفرج الهم، وبارئ النسم، الذي جعل السماوات لكرسيه عمادًا، والجبال للأرض أوتادًا، والأرض للعباد مهادًا، وملائكته على أرجائها، وحملة عرشه على أمطائها، وأقام بعزته أركان العرش، وأشرق بضوئه شعاع الشمس، وأطفأ بشعاعه ظلمة الغطش، وفجر الأرض عيونًا، والقمر نورًا، والنجوم بهورًا، ثمَّ علا فتمكن، وخلق فأتقن، وأقام فتهيمن ...**))[٢] .

فقد ورد التمييز في النص العلوي في مواضع ثلاثة هي : " **عيونًا** ، **ونورًا** ، **وبهورًا** " وهو فيها جميعا معدول عن مفعول به، إذ الاصل هو " **فجرَ عيونَ الأرضِ، ونورَ القمرِ، وبهورَ النجومِ** " ، ولكن تغير الاسناد في هذه التراكيب اللغوية من المفعولية إلى التمييز لركم المعنى وزيادته، فقد أفادت التراكيب الجديدة الدلالة على المبالغة والتوسع في المعنى، وتوكيد المعنى واثباته في نفس المتلقي، وهذان المعنيان يناسبان سياق النص الدال على عظمة الله وجلال قدرته .

ومن مصاديق التمييز أيضا ما جاء في كتاب له (عليه السلام) أرسله إلى حذيفة بن اليمان (رضوان الله عليه) ليقرأه على أهل المدائن، جاء فيه : ((**... أما بعد فإن الله تعالى اختارَ الإسلامَ دينًا لنفسه وملائكته ورسله، إحكامًا لصنعه وحسن تدبيره، ونظرًا منه لعباده، وخص به من أحبه من خلقه**))[٣] .

فإن كلمة " **دينًا** " في النص الشريف هي تمييز محول عن مفعول به؛ لأن أصل الكلام هو (**اختار دينَ الاسلامِ**)، ولكن عدل (عليه السلام) بالمفعول به إلى التمييز لإفادة جملة من المعاني التي راكمها التركيب الجديد، ويمكن توضيحها في الاتي :

١. الدلالة على المبالغة في معنى الاختيار .

٢إفادة معنى التوكيد والتخصيص، أي تخصيص الإسلام بالاختيار دون غيره من الأديان، وبذلك فلو جاء (عليه السلام) بالكلام على الأصل وقال : (**اختار دينَ الإسلام**)، لم يتحقق معنى التخصيص والتوكيد، بل

---

١ . معاني النحو : ٢ / ٢٧٤ . ٢٧٥ .

٢ . نهج السعادة : ٣/ ٢١٨ .

٣ . المصدر نفسه : ١٣/٤ .

على العكس من ذلك فإنه سوف يدل على العموم والشمول؛ لأنه يحتمل أكثر من معنى، إذ يدلُّ في هذه الحال على اختيار دين الإسلام و ربما اختيار غيره من الاديان الاخرى كذلك، ولكن لما عُدِل بالمفعول إلى التمييز أفاد معنى التخصيص والتوكيد، وغلق باب الاحتمال لمعنى آخر .

٣. لإفادة الإخبار مرتين (اجمالا وتفصيلا)، إذ تجد في عبارة **(اختار الإسلامَ دينًا)** أنه قد جيء بالكلام مجملًا / مبهمًا أول الأمر، وذلك في قوله **(اختار الاسلامَ)**، ثم جيء بعده بالتمييز **(دينًا)** المُفسِّرُ لهذا الاجمال ثانيًا، فكأن الإمام (عليه السلام) في هذا التعبير قد أخبر مرتين : مرة بالإجمال، ومرة بالتفصيل، وهذا الأسلوب أوقع في النفس؛ لأن النفس تتشوق لمعرفة ما أُغلق عنها وأُبهم عليها، جاء في شرح الرضي على الكافية : ((... وكذا كان الأصل في " **طاب زيدٌ نفسًا** " : لزيدٍ نفسٌ طابت، وإنما خولف بها لغرض الابهام أولًا ليكون أوقع في النفس؛ لأنه تشوق النفس إلى معرفة ما أُبهم عليها، وأيضًا إذا فسَّرتهُ بعد الإبهام فقد ذكرته إجمالًا وتفصيلًا، وتقديمه مما يخلُّ بهذا المعنى، فلما كان تقديمه يتضمن إبطال الغرض من جعله تمييزًا لم يستقم))[١] .

وجاء في حاشية الصبان على شرح الاشموني : ((وإنما عدل عن هذا الأصل ليكون فيه إجمالٌ ثم تفصيل فيكون أوقع في النفس؛ لأنَّ الآتي بعد الطلب أعزُّ من المنساق بلا طلب))[٢]، وليس غريبًا أنَّ هذا التكرار في الإخبار مرتين إجمالًا وتفصيلًا إنما هو التراكم الدلالي بعينه .

ومن مصاديق التمييز كذلك الداعم لركم المعنى ما جاء في خطبةٍ له (عليه السلام) في بيان عظمة الله وقدرته : ((... **وكُلُّ عالمٍ فمن بعد جهلٍ تعلم، والله لم يجهل ولم يتعلم، أحاطَ بالأشياءِ علمًا قبل كونها فلم يزدد بتكوينه إياها خبرًا، علمهُ بها قبل أن يكونها كعلمهِ بها بعد تكوينها**))[٣] .

فكلمة " **علمًا** " كذلك جاءت في النص العلوي تمييزًا محمولًا عن مفعول به ؛ فالأصل قبل العدول هو " **أحاط بعلمِ الاشياءِ**" ولكن تغير الإسناد لركم دلالات عدة في تعبير واحد ، وهي :

١. إفادة معنى المبالغة والتكثير، فعلمه تعالى بالأشياء مستمر ودائم غير منقطع .

٢. لغرض توكيد المعنى، وتثبيته، وتمكينه عند المخاطب .

٣. للدلالة على معنى الإحاطة مرتين، إذ يدل التمييز هنا على أنه تعالى قد أحاط بالأشياء، وأحاط بعلمها كذلك، بينما لو جيء بالكلام على أصله وهو "**أحاط بعلمِ الاشياءِ**" لم يفد سوى معنى واحدًا وهو الاحاطة

---

١ . شرح الرضي على الكافية : ٢ / ١١٧ .

٢ . حاشية الصبان على شرح الاشموني : ١٩٥/٢ ، وينظر : حاشية الخضري : ٢٢٣/١ .

٣ . نهج السعادة : ٢٥٠/٣ .

بعلم الأشياء لا غير، ومن هنا يتبين غرض العدول من الفاعلية أو المفعولية إلى التمييز لزيادة المعاني وركمها في أوجز تعبير .

ومن مصاديق التمييز أيضًا الرامية لركم المعنى ما جاء في خطبةٍ له (عليه السلام) بيَّن فيها فضل النبي المصطفى (صلى الله عليه واله) على الخلق أجمعين، جاء فيها : ((...**أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدهُ ورسولهُ، أرسلهُ بالهدى ودين الحق، ارتضاه لذلك وكان أهله، واصطفاه على جميع العباد لتبليغ رسالته، وجعله رحمةً منه على خلقه، فكان كعلمه فيه رؤوفًا رحيمًا، أكرمَ خلقِ الله حسبًا، وأجملهُ منظرًا، وأسخاهُ نفسًا، وأبره بوالدٍ وأوصله لرحمٍ، وأفضلهُ علمًا، وأثقلهُ حِلمًا** ...))[1] .

إذ تراكم التمييز في النص الشريف في خمسةِ مواضعَ، وهي : " **حسبًا، ومنظرًا، ونفسًا، وعلمًا، وحلمًا** " ، وهي في مجملها معدولة عن فاعل، إذ أصل الكلام هو **(كرُمَ حسَبُهُ، وجَمُلَ منظرُهُ، وسختْ نفسُهُ، وفَضُلَ عِلمُهُ، وثَقُلَ عِلمُهُ)** ، وإنما عدل بها الإمام (عليه السلام) من الفاعلية إلى التمييز لما يتراكم في التراكيب الجديدة من أمور دلالية لم تكن موجودة لو جيء بها على الاصل، أوضحها في الاتي :

١. إفادة معنى المبالغة في (الحسب، والمنظر، والنفس، والعلم، والحلم)، والمبالغة تعني تعدد المعنى وتكراره، ويمكن توضيح ما أفاده التمييز من مبالغة في المعنى في الجدول الاتي :

التمييز في الجمل المعدول إليها	المبالغة في المعنى	التراكم الدلالي
أكرم خلق الله حسبًا	= كرُمَ حسبه + كرُمُ حسبه + كرُم حسبه ... الخ	= تراكم معنى كرامة الحسب
أجمله منظرًا	= جمُلَ منظره + جمُلَ منظره + جمَل منظره ...الخ	= تراكم معنى جمال المنظر .
أسخاه نفسًا	= سخت نفسه + سخت نفسه + سخت فسه ... الخ	= تراكم معنى سخاء النفس .
أفضله علمًا	= فضُلَ علمه + فضُلَ علمه + فضُلَ علمه ... الخ	= تراكم في معنى فضل العلم .
أثقله حلمًا	= ثقُلَ حلمهُ + ثقُلَ حلمهُ + ثقُلَ حلمهُ ... الخ	= تراكم معنى ثقل الحلم

١ . نهج السعادة : ٢/ ١٥٦ .

٢. إفادةُ معنيي التوكيد والتخصيص، فلو جاء الكلام على الأصل لم تُفد معنى التوكيد والتخصيص، بل إنها تدلُ على العموم وعدم التحديد مثلما مرَّ في المثال السابق، فمثلا لو قال الامام (عليه السلام) : **(كرُمَ حسبه)** على الأصل لم يفد معنى التخصيص، بل يكون كلامًا عامًا شاملًا لشخص الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وغيره من الناس، وكذلك الجمل البقية .

٣. إفادة معنى المدح مرتين (اجمالا وتفصيلا) ، ففي قوله (عليه السلام) : **(أكرمُ خلقِ اللهِ، واجملهُ، وأسخاهُ، وافضلهُ، وأثقلهُ)** جاء المدح فيها على جهة الإجمال، وأما قوله : **(حسبًا ، منظرًا ، علمًا، حلمًا)** فقد جاء المدح فيها على جهة التفصيل، وقد انتج تكرار المدح هنا مرتين ركمًا دلاليًا لم يتحقق لو جيء بالكلام على أصله .

المبحث التاسع

الوصف بالمصــدر

الوصف بالمصدر من الأساليب التي تعمل على ركم المعنى وتعدده، نحو : هذا رجلٌ عدلٌ، ورجلٌ صومٌ، أي عادلٌ، وصائمٌ، ودليل ذلك أمران :

١. إنَّ الغرض من الوصف بالمصدر فيما يرى أغلب العلماء هو لأجل المبالغة في المعنى وزيادته ، قال ابن جني : ((وما كان مثله من قبل أنَّ مَنْ وَصَف بالمصدر فقال : هذا رجل زَوْرٌ، وصَومٌ، ونحو ذلك فإنما ساغ ذلك له لأنه أراد المبالغة وأن يجعله هو نفس الحَدَث لكثرة ذلك منه))[١] ، و قال في موضع آخر : ((إذا وُصف بالمصدر صار الموصوف كأنه في الحقيقة مخلوق من ذلك الفعل، وذلك لكثرة تعاطيه له واعتياده إياه، ويدلّ على أنَّ هذا معنى لهم ومتصوَّر في نفوسهم قوله :

أَلا أَصْبَحَتْ أَسماءُ جاذِمةَ الحَبْلِ وضَنَّتْ علينا والضَّنِينُ من البُخْلِ[٢]

أي كأنه مخلوق من البخل لكثرة ما يأتي به منه...))[٣] .

وذكر ابن يعيش أنه ((قد يوصف بالمصادر كما يوصف بالمشتقات، فيُقال : رجلٌ فضلٌ، ورجلٌ عدلٌ، كما يُقالُ : رجلٌ فاضلٌ، وعادلٌ... ، فهذه المصادر كلها مما وُصِفَ بها للمبالغة، كأنهم جعلوا الموصوف ذلك المعنى لكثرة حصوله منه))[٤] ، وجاء في معاني النحو : ((والذي يدلُّ على ذلك أنَّ العرب لا تقول ذلك إلا فيمن يكثُر دون من لم يكثُر، فلا تقول لمن صام يومًا واحدًا (هو صوم)، ولا لمن زار مرة واحدة (هو زور)، ولو كان على تقدير هو صائم أو ذو صوم لصحَّ ذلك فيمن فعل ولو مرة واحدة))[٥] .

وما المبالغة الحاصلة من النعت بالمصدر الا انعكاس لتراكم الحدث الحاصل من تعدد / تكرار وقوع الشيء مرة بعد أخرى ، فهما وجهان لعملة واحدة .

٢. إنَّما استُعمل المصدر للوصف به دون غيره؛ لأنَّ المصدر هو أصل المشتقات على الرأي الأرجح، والمشتقات فرع عنه، ومجيء الأصل دون الفرع في الكلام يمثل مدعاة للتراكم الكمي لأنه يشتمل بالقوة على

---

١ . الخصائص : ١٨٩/٣.

٢ . الشاهد للبعيث (خداش بن بشر) في لسان العرب : (جذم) : ٨٦/١٢، و (ضنن)، و بلا نسبة في الخصائص : ١٨٩/٣، و المحتسب : ٢/ ٤٦، و مغني اللبيب : ١/ ٣١١.

٣ . الخصائص : ٢٥٩/٣ .

٤ . شرح المفصل : ٩١/٣ .

٥ . معاني النحو : ١٦٤/٣ .

كل تفرعاته، يقول الدكتور عبد الستار الجواري : ((فالمصدر وهو أصل المشتقات (على الأصح) يشتملُ معناه بالقوة على معنى كل ما يُشتق منه من الأفعال والصفات : أسماء الفاعلين، والمفعولين، والصفات المشبهة، وأمثلة المبالغة، ونحو ذلك ، فهو حين يُؤتى به وصفًا نعتًا، أو حالًا، أو خبرًا إنما يُفهم منه ما يُراد بكل تلك الاوصاف التي يمكن أن تُشتق منه، ويحتمل أن يتقبلها أو يحتملها سياق الكلام، فإذا قيل : ((زيدٌ عدلٌ)) فإنَّ ذلك يحتملُ وصفه بأنَّهُ عادلٌ، ومُعدَّلٌ، وذو عدلٍ أي محكومٌ له بالعدالة، وغيرُ ذلك مما يصحُّ أن يُوصفَ به، وإذا قيل : زيدٌ رضًا، فإنَّ المقصود بذلك أنَّهُ راضٍ، مرضيٌ عنه، رضيٌّ، ذو رضا، ونحو ذلك))[1] .

ومن مصاديق الوصف بالمصدر ما ورد في كتابٍ له (عليه السلام) إلى أهل المدينة بعد فتح البصرة : **بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب إلى أهل المدينة : سلام عليكم، فإني أحمدُ الله إليكم الذي لا إله إلا هو، فإنَّ الله بمنِّه وفضله وحسن بلائه عندي وعندكم حكمٌ عَدْلٌ ...**))[2] .

فقد وصف (عليه السلام) الخالق جلَّ جلاله بالمصدر (عدل) دون المشتقات الاخرى؛ وذلك لما في المصدر من ركام دلالي، إذ أفاد الوصف بالمصدر (عدل) أمرين اثنين :

١. الدلالة على معنى المبالغة في العدل؛ إذ المبالغة تعني الاكثار والدوام والمعاودة في الحدث ، وهذا ما يناسب لفظ الجلالة الله؛ إذ عدله دائم ثابت لا ينتهي .

٢. راكم المصدر (عدل) أكثر من معنى، فقد أفاد أنه تعالى عادلٌ، وذو عدلٍ، ومقرور له بالعدالة، وعدله ثابت لا ينقطع؛ ذلك أنَّ المصدر ومثلما مرَّ هو أصل المشتقات وهو يشتمل عليها جميعا بالقوة ، وبذلك فقد ركم (عليه السلام) جميع تلك المعاني بتعبير واحد .

ومن المصاديق كذلك ما ورد في خطبةٍ له (عليه السلام) يوم صفين، حين أقرَّ الناس بالصلح جاء فيها : **((إنَّ هؤلاء القوم لم يكونوا لينيبوا إلى الحق، ولا ليجيبوا إلى كلمةٍ سواء حتى يرموا بالمناسر تتبعها العساكر، وحتى يرجموا بالكتائب تقفوها الجلائب، وحتى تجر ببلادهم الخميس يتلوه الخميس، وحتى تدعق الخيول في نواحي أرضهم، وبأحناء مساربهم ومسارحهم، وحتى تشنوا عليهم الغارات، وحتى تتلقاهم قوم**

---

١ . نظرة أخرى في قضايا النحو . الوصف بالمصدر : د. أحمد عبد الستار الجواري ، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد : ٣٥، جزء : ١، عام ١٩٨٤ : ١٤ .

٢ . نهج السعادة : ٤٥/٤ .

صدقٌ صبرٌ، لا يزيدهم هلاك من هلك من قتالهم وموتاهم في سبيل الله إلا جدا في طاعة الله وحرصا على لقاء الله))[١] .

إذ ورد لفظ **(القوم)** في قوله (عليه السلام) : **(حتى تتلقاهم قومٌ صدقٌ صبرٌ)** موصوفًا بالمصدر، وإنما جاء الوصف بالمصدر هنا دون الوصف بالمشتق للدلالة على قوة المعنى، ومبالغته، يقول الشيخ المحمودي : ((وقوله عليه السلام : **(قومٌ صدقٌ صبرٌ)** أي صادقوا النية في الجهاد في سبيل الله، صابرون لما يلاقون من الأذى في جنب الله، وحمل المصدر على الذات لأجل المبالغة))[٢].

وما المبالغة إلا زيادة المعنى وتراكمه مرة بعد أخرى، فالإمام (عليه السلام) أراد ـ والله اعلم ـ بهذا التعبير حتى تتلقاهم قومٌ قد كثُر صدقهم، وصبرهم وتعددا، ولو كانوا غير ذلك لما صح وصفهم بالمصدرين (صدق، وصبر) ،ويمكن بيان ذلك التراكم في التحليل الاتي :

المصدر (صدق) = صدقَ + صدقَ + صدقَ = تراكم الصدق .

المصدر (صبر) = صبرَ + صبرَ + صبرَ = تراكم الصبر .

ونظير ما تقدم كذلك ما جاء في كتابٍ له (عليه السلام) إلى عمرو بن العاص يعظه ويرشده به : **((بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص، أما بعد فإنَّ الدنيا مشْغَلَةٌ عن غيرها، وصاحبها مقهورٌ فيها، لم يصب منها شيئا قط إلا فتحت له حرصًا، وأدخلت عليه مؤنة تزيده رغبة فيها، ولن يستغني صاحبها بما نال عما لم يبلغه، ومن وراء ذلك فراقُ ما جمع، والسعيد من وعظ بغيره، فلا تحبط أجرك أبا عبد الله، ولا تجارين معاوية في باطله، فإنَّ معاوية غمص الناس، وسفه الحق، والسلام))**[٣] .

ففي النص الشريف قد وصف (عليه السلام) الدنيا بالمصدر الميمي (مَشْغَلَة)، ولربما سائلٌ يسأل لمَ وظف (عليه السلام) في وصف الدنيا المصدر الميمي (مشغلة) دون المصدر الأصلي (شغل) ؟ ، فلم لم يقل مثلا : إنما الدنيا شُغْلٌ ؟ .

إنَّ الإجابة عن هذا التساؤل تكمن في أنَّ المصدر الميمي بصورة عامة يكون أكثر ركمًا للدلالة من المصدر الأصلي؛ ويمكن بيان ذلك في الآتي :

١. إنَّ المصدر الميمي فضلا على دلالته على الحدث فإنه يدلُّ على الذات وعلى نهاية الحدث، يقول الدكتور فاضل السامرائي : ((إنَّ المصدر الميمي في الغالب يحمل معه عنصر الذات بخلاف المصدر غير

---

١ ـ نهج السعادة : ١٨٦/٢ .
٢ ـ المصدر نفسه والصفحة .
٣ ـ المصدر نفسه : ٢/ ٦٥ .

الميمي فإنَّه حدث مجرد من كل شيء فقوله تعالى : ﴿ وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾[الحج : ٤٨] لا يُطابق (إليَّ الصيرورة) فإنَّ المصير يحملُ معه عنصرًا ماديًا، وإنَّ كلمة (مُنقَلب) في قوله تعالى :﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[الشعراء :٢٢٧]، لا تُطابق (انقلاب) في المعنى فالانقلابُ حدثٌ مجردٌ والمنُقلب يحمل معه ذاتًا ...، فالمصدر غير الميمي حدثٌ غير ملتبس بشيء آخر أما المصدر الميمي فإنه مصدرٌ ملتبسٌ بذات في الغالب، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية إنَّ المصدر الميمي في كثير من التعبيرات يحمل معنى لا يحمله المصدر غير الميمي، فإنَّ (المصير) مثلا يعني نهاية الأمر بخلاف الصيرورة قال تعالى :﴿ وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾[الحج :٤٨]، وقال : ﴿ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾[إبراهيم :٣٠] ، أي منتهى أمركم، وتقول : (مصير الخشب رماد)، أي نهاية أمره، ولا تقول : (صيرورة الخشب رماد) للمعنى نفسه))[١] .

٢. يكون المصدر الميمي أكثر قوة وتأكيدًا للدلالة من المصدر الأصلي، يقول الدكتور عباس حسن : ((المصدر الميمي يُصاغ من المصدر الأصلي للفعل الثلاثي وغير الثلاثي صيغة قياسية تُلازم الافراد والتذكير وتؤدي ما يؤديه هذا المصدر الأصلي من الدلالة على المعنى المجرد ... لكنها تفوقه في قوة الدلالة وتأكيدها))[٢] .

وانطلاقا مما تقدم وبالعودة إلى النص الشريف نجد أنَّ المصدر الميمي (مشغلة) هو الأنسب في وصف الدنيا؛ إذ دلَّ دلالة ركامًا على الآتي :

١. لزيادة المبالغة في المعنى؛ إذ إنَّ (مشغلة) أبلغ من (شغل)، وذلك لزيادة المبنى في المصدر الميمي، إذ تقول مثلا : هذا فسادٌ ومفسدة، فمفسدة أبلغ من فساد، وهذا نفعٌ ومنفعة، فمنفعة أبلغ من نفع، وكذلك هلاكٌ ومهلكة .

٢. لإفادة وصف الدنيا بأنها كالذات الملتبس بحدث الشغل .

٣. للدلالة على أنَّ منتهى غاية أغلب الناس هو الانشغال بلذائذها .

٤. للدلالة على قوة الانشغال وتأكيد حدوثه .

٥. زد على ذلك أن المصدر هنا يدلُّ دلالة ركاما على معاني المشتقات جميعا، فهو يفيد أنَّ الدنيا إنما هي شاغلة، ومشغول بها، وهي ذات شغل، وهذا ما يُستدلُّ عليه من سياق النص نفسه؛ فقد أشار (عليه السلام) في غير موضع من النص الشريف إلى هذا أمر ويمكن بيان ذلك في المخطط الآتي :

---

١ . معاني الأبنية في العربية : ٣٤ . ٣٥ .

٢ . معاني النحو : ٣/ ٢٣١ .

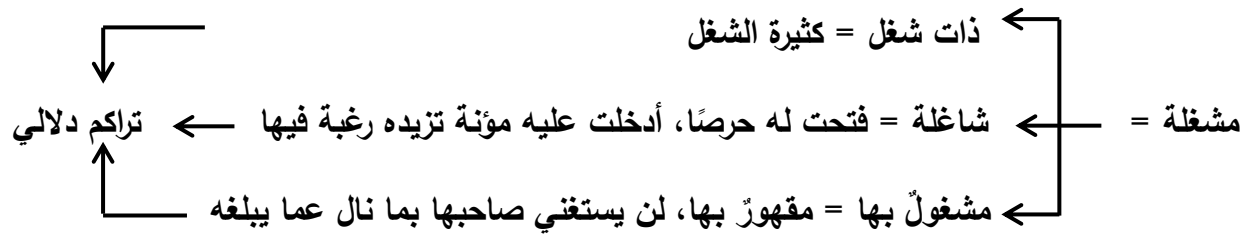

من خلال هذا المخطط التوضيحي يتبين أنَّ الوصف بالمصدر الميمي (مشغلة) قد تراكم فيه ثلاثة معاني هي : كثرة الشغل، وأنها شاغلةٌ، ومشغولٌ بها أيضا .

المبحث العاشر

تعدد الخبر والحال والنعت وأثره في التراكم الدلالي

إنَّ موضوع تعدد (الخبر والحال والنعت) من المواضيع النحوية التي التفت إليها، وبحثها، وأجازها جمهور النحويين في غير موضعٍ من مدوناتهم، جاء في كتاب المحتسب لابن جني ما نصه : ((وإن شئت أن تأتي بعشر أحوالٍ إلى أضعاف ذلك لجاز وحسُن، كما لك أن تأتي للمبتدأ من الأخبار بما شِئتَ كقولك : زيدٌ عالمٌ، جميلٌ، جوادٌ، فارسٌ، بصريٌ، بزازٌ ونحو ذلك))[١] .

وجاء في شرح المفصل : ((يجوز أن يكون للمبتدأ الواحد خبران وأكثر من ذلك كما يكون له أوصاف متعددة))[٢] ، وقال ابن مالك : ((قد تقدم أنَّ للحال شبهًا بالخبر، وشبهًا بالنعت، فكما جاز أن يكون للمبتدأ الواحد والنعت الواحد خبران فصاعدًا، ونعتان فصاعدًا، فكذلك يجوز أن يكون للاسم الواحد حالان فصاعدًا، فيُقال : جاء زيدٌ راكبًا مفارقًا عامرًا مصاحبًا عمرًا، كما يُقال : في الأخبار : زيدٌ راكبٌ مفارقٌ عامرًا مصاحبٌ عمرًا، وفي النعت : مررتُ برجلٍ راكبٍ مفارقٍ زيدًا مصاحبٍ عمرًا...))[٣] .

وقال ابن هشام الانصاري : ((وقد يتعدد الخبر نحو : وهو الغفور الودود، يجوز أن يُخبر عن المبتدأ بخبر واحد وهو الأصل نحو زيدٌ قائمٌ، أو بأكثر كقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج : ١٤ ـ ١٦]))[٤] .

ويجدر القول : إنَّ مفهوم (التعدد) المتداول لدى النحويين إنما يراد به تراكم الألفاظ / إكثارها، والذي يعمل بدوره على تكثيف المعاني وتراكمها، يقول ابن جني بهذا الصدد عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [البقرة : ٦٥] : ((ينبغي أن يكون (خاسئين) خبرًا آخر لـ (كونوا)، والأول (قِرَدة) فهو كقولك : هذا حُلوٌ حامِض، وإن جعلته وصفًا لـ (قِرَدة) صَغُرَ معناه، ألا ترى أنَّ القِرد لذلّهِ وصغَاره خاسئٌ أبدًا فيكون إذا صفة غير مفيدة، وإذا جعلت (خاسئين) خبرًا ثانيًا حَسُن وأفاد...))[٥] .

فعبارة (حسُن وأفاد) هي إشارة واضحة لما يحدثه الخبر الثاني (خاسئين) من زيادة في المعنى، وهذه الزيادة لم تحصل لو جُعلت لفظة (خاسئين) صفة لقردة على حد تعبير ابن جني .

---

١ ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها : ٣٠٧/٢ .
٢ ـ شرح المفصل : ٢٣٠/١ .
٣ ـ شرح التسهيل : ٢٦٤/٢ ، وينظر : شرح الكافية الشافية : ابن مالك : ٢/ ٧٥٤ ـ ٧٥٥ .
٤ ـ شرح قطر الندى وبل الصدى : لابن هشام الانصاري : / ٣٨ .
٥ ـ الخصائص : ١٥٨/٢ ـ ١٥٩ .

ويقول ابن يعيش مبينًا فائدة تعدد النعوت لمنعوت واحد : ((وقد يجيء النعت لمجرد الثناء والمدح، لا يُراد به إزالة اشتراك، ولا تخصيص نكرة، بل لمجرد الثناء والمدح أو ضدهما من ذم أو تحقير، وتعريف المخاطَب من أمر الموصوف ما لم يكن يعرفه، وذلك نحو قولك : "جاءني زيدٌ العاقلُ الكريمُ الفاضلُ" تريد بذلك تنويه الموصوف، والثناء عليه بما فيه من الخصال الحميدة، ومن ذلك صفات الباري سبحانه نحو : "الحي العالم القادر" لا تريد بذلك فصله من شريكٍ تعالى الله عن ذلك، وإنما المرادُ الثناءُ عليه بما فيه سبحانه على جهةِ الإخبارِ عن نفسه بما فيه لمعرفة ذلك والندبِ إليه، وتقولُ في الذمِّ : رأيتُ زيدًا الجاهلَ الخبيثَ، ذممتهُ بذلك لأنكَ أردتَ أن تفصلهُ من شريكٍ له في اسمه ليس متصفًا بهذه الأوصاف))[1] .

ومما تقدم يكمن استنتاج أن تعدد / تراكم الخبر، والحال، والنعت في التعبير الواحد إنما يأتي لإفادة (معنى عام) كأن يكون المدح، أو الذم، أو الفخر، أو بيان المنزلة، أو غير ذلك، وهذا ما توصلت له الباحثة (مها عبد الرحمن السبيعي) التي رأت أن تعدد الوظائف النحوية المتمثلة بـ (الخبر والحال والنعت) إنما ترمي الى أغراضٍ دلالية عدة هي[2] :

١. تفصيل الاجمال .

٢. إظهار المعرفة الدقيقة بالمخبر عنه .

٣. إظهار الكثافة الانفعالية .

٤. الاستمالة وشد الانتباه .

٥. بيان مكانة الشخص .

وبعد هذا العرض يمكن بيان تلك الدلالات التي خرج لها تراكم / تعدد الاخبار أو الاحوال أو النعوت، وهي كالاتي :

١. التعريف بالشيء لبيان أهميته والترغيب فيه :

من ذلك ما جاء في كلام له (عليه السلام) في تعريف العلم : ((**إنَّ العلم حياةُ القلوبِ من الجهل، وضياءُ الابصارِ من الظلمة، وقوةُ الابدانِ من الضعف، يبلغُ بالعبد منازل الأخيار، ومجالس الابرار، والدرجات العلى في الاخرة والاولى**))[3] .

---

١ . شرح المفصل : ٨٧/٣ .

٢ . ينظر : ظاهرة تعدد الوظيفة النحوية (الخبر . الحال . النعت) في التركيب اللغوي : مها عبد الرحمن السبيعي، رسالة ماجستير ، جامعة الملك سعود ، ١٤٢٩هـ : ٦٢ .

٣ . نهج السعادة : ٣٨/٧ .

فالملاحظ في النص الشريف تراكم الخبر في أربعة مواضع هي : **(حياة القلوب، ضياء الأبصار، قوة الأبدان، يبلغ بالعبد منازل الأخيار)**، وهذا التراكم في الأخبار إنما أفاد معنا عامًا تمثل في بيان مفهوم العلم والتركيز على أهميته ومكانته ترسيخا له عند المتلقي .

ومن ذلك أيضا ما جاء في تعريفه (عليه السلام) للجهاد : **((إنَّ الجهاد أشرفُ الأعمال بعد الإسلام، وهو قوام الدين، والأجر فيه عظيم، مع العزة والمنعة، وهو الكره، فيه الحسنة، والبشرى بالجنة بعد الشهادة، وبالرزق عند الرب والكرامة))**[1] .

فقد تراكمت الأخبار كذلك في النص الشريف تعريفا بالمخبر عنه وكشف أهميته وفضائله ترغيبًا فيه .

وليس ببعيد عن هذا المعنى ما أفاده تراكم الاخبار بعد لفظ الجهاد في قوله (عليه السلام) : **((أيها الناس إنَّ الجهاد بابٌ من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباسُ التقوى، ودرعُ الله الحصينة، وجنتهُ الوثيقة))**[2] .

٢. المبالغة في التحذير من المُخبَر عنه :

ومن ذلك ما جاء في خطبةٍ له (عليه السلام) في تثريب أهل الكوفة على تقاعدهم عن نصرته، وتثاقلهم في حماية بلادهم : **((... يا أهل الكوفة عاتبتكم بمواعظ القرآن فلم أنتفع بكم، وأدبتكم بالدرة فلم تستقيموا لي، وعاقبتكم بالسوط الذي يقام به الحدود فلم ترعووا ، ولقد علمت أن الذي يصلحكم هو السيف، وما كنت متحريا صلاحكم بفساد نفسي، ولكن سيُسلَّطُ عليكم سلطانٌ صعبٌ، لا يوقرُ كبيركم، ولا يرحمُ صغيركم، ولا يُكرمُ عالمكم، ولا يقسمُ الفيء بالسوية بينكم، وليضربنكم وليذلنكم وليجرينكم في المغازي وليقطعن سبيلكم وليحجبنكم على بابه حتى يأكل قويكم ضعيفكم ...))**[3] .

فبعد أن بيَّنَ (عليه السلام) شدة تثاقل الكوفيين وتخاذلهم عن نصرته، صور لهم ما سيلاقونه من تسلط حكام البغي والظلم عليهم بعد استشهاده (عليه السلام)، وذلك من خلال تراكم النعوت الاتية : " **إنه صعب، لا يوقر الكبير، لا يرحم الصغير، لا يكرم العالم، لا يُقسم الفيء، يضرب الأعناق، يذل الرعية، يجري الناس إلى الغزو، يقطع السبيل، يمنع الناس من الوصول إليه ومقبلته** " ، ولا شك أن هذه الكثرة في النعوت لم تأتي اعتباطًا بل عمد إليها (عليه السلام) لرسم صورة ذهنية واضحة لدى الكوفيين وبيان ما ينتظرهم في المستقبل القريب وعظا وتحذيرا وترهيبا لهم .

---

١ . نهج السعادة : ٨/ ٥١ .

٢ . المصدر نفسه : ٥/ ٢٦٢ .

٣ . المصدر نفسه : ٢/ ٤٨٦ .

و ما يفيد هذا المعنى أيضا ما ورد خطبةٍ له (عليه السلام) في الحث على التقوى والردع عن التنافس في الدنيا : ((**أيها اللاهي بنفسه كأني بك وقد أتاك رسول ربك لا يقرعُ لك بابًا، ولا يهابُ بك حجابًا، ولا يقبلُ منك بديلًا، ولا يأخذ منك كفيلًا، ولا يرحمُ لك صغيرًا، ولا يوقرُ فيك كبيرًا**))[1] .

إذ يلحظ المتلقي في النص الشريف كيف راكم الامام (عليه السلام) صفات ملك الموت وساقها تتابعًا، وذلك لشدة تحذير الإنسان ووعظه إياه للابتعاد عن حب الدنيا والانجرار الى لذائذها .

وهذا المعنى تجده كذلك واردًا ومتحققًا في قوله (عليه السلام) في التحذير من الاغترار بالدنيا والوقوع في لذائذها : ((**فلا تغرنكم الحياة الدنيا، فإنَّها دارٌ بالبلاء محفوفةٌ، وبالفناء معروفةٌ، وبالغدر موصوفةٌ**))[2] .

٣. بيان الجانب الإيجابي للمُخبَر عنه :

من ذلك ما جاء في كلامٍ له (عليه السلام) ردًا على رجلٍ قد ذمَّ الدنيا في مجلسه فقال له (عليه السلام) : ((**الدنيا دارُ صدقٍ لمن صدَّقها، ودارُ نجاةٍ لمن فَهِمَ عنها، ودارُ غنى لمن تزوَّد منها، مهبطُ وحي الله، ومصلَّى ملائكته، ومسجدُ أنبيائه، ومتجرُ أوليائه، ربحوا فيها الرحمة، واكتسبوا فيها الجنة، فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ؟، ونادت بفراقها وشبهت بسرورها السرور، وببلائها إليه البلاء، ترهيبًا وترغيبًا، فيا أيها الذامُّ للدنيا المعلل نفسه متى خدعتك الدنيا ؟ ، أو متى استذمت اليك؟ . أ بمصارع آبائك في البلى ؟، أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى؟ . كم مرَّضت بيديك ؟ . وعللت بكفيك ؟، تطلب لها الشفاء ...**))[3] .

ففي النص العلوي يتبين أنَّ الامام (عليه السلام) لما رأى اختلال نظرة الناس للدنيا، وذلك بتذمرهم منها وإظهارهم الجوانب السلبية لها فحسب ، شرع (عليه السلام) سريعًا إلى تصحيح تلك النظرة الخاطئة المنحرفة عن جادة الصواب، وذلك برسم صورة جلية واضحة تبين فضل الدنيا وخيرها على بني البشر، ولم تتحقق هذه الصورة الإيجابية بخبر واحد لو جيء به، لذا عمد (عليه السلام) إلى ركم الأخبار وتعددها بعد المبتدأ رغبة منه في إظهار ما للدنيا من فضائل وحسنات .

٤. بيان مكانة المخبر عنه عند المتكلم والاستمالة إليه :

إن الناظر في كلام الإمام (عليه السلام) يجد أنَّ الأمثلة الدالة على هذا المعنى قد شكلت حيزًا كبيرًا نوعا ما، ولاسيما فيما يتعلق ببيان مكانة الخالق جلَّ وعلا، ومكانة نبيه (صلى الله عليه واله) وأهل بيته الأطهار

---

١ . نهج السعادة : ٣/ ٩٢ .

٢ . المصدر نفسه : ٣/ ١٦٥ .

٣ . المصدر نفسه : ٣/٢٢٢ .

(صلوات الله عليهم أجمعين)، ومن هذا المنطلق لا بد من الوقوف على بعض تلك الشواهد على سبيل الإيجاز لا الحصر، ومن ذلك ما جاء في كلامٍ له (عليه السلام) بحق الخالق جلت قدرته : ((**ونشهد – غير ارتياب حال دون يقين مخلص – بأن الله واحدٌ موحدٌ، وفيٌ وعدهُ، وثيقٌ عقدهُ، صادقٌ قولهُ، لا شريكَ له في الأمر، ولا وليَ له من الذل، نكبره تكبيرا، لا اله الا هو العزيز الحكيم، ونشهدُ أنَّ محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم بعيثُ الله بوحيه، ونبيهُ بعينهِ، ورسولهُ بنورهِ، أرسلهُ مجيبًا ؟، مذكرًا مؤديًا متقيًا مصابيح شهب ضياء مبصر ؟، وماحيا ماحقا مزهقا رسوم أباطيل خوض الخائضين**))[1] .

تكشف لنا بلاغة الامام (عليه السلام) في النص الشريف عن تراكمٍ عام للوظائف النحوية (الخبر، والنعت، والحال)، والتي توزعت على النحو الآتي :

١. تراكم الأخبار بعد لفظ الجلالة الله ، وهي : "**واحدٌ، موحَّدٌ، وفيٌ وعدهُ، وثيقٌ عقدهُ، صادقٌ قولهُ، لا شريكَ له في الامر، ولا وليَ له من الذل**" .

٢. تراكم النعوت الخاصة بلفظ الجلالة الله كذلك وهي : " **العزيز، الحكيم** ".

٣. تراكم الاخبار بعد اسم (إن) وهي : " **بعيثُ الله بوحيه، ونبيهُ بعينهِ، ورسولهُ بنورهِ** ".

٤. تراكم الأحوال بعد الضمير العائد إلى النبي (صلى الله عليه وآله)، وهي : " **مجيبًا، مذكرًا، مؤديًا، متقيًا، ماحيًا، ماحقًا، مزهقًا** " .

ومع اختلاف هذه الوظائف النحوية المتراكمة، إلا أنها بجملتها تهدف الى أمرين اثنين :

الاول : بيان عظمة ومكانة المُخبَر عنه .

والثاني : استمالة المتلقي إلى المُخبَر عنه بعد بيان حقيقته .

ومما جاء من تراكم الصفات الدالة على هذه الأغراض المعنوية كذلك ما جاء في قوله (عليه السلام) : ((**ولا إله إلا الله الشاكر للمطيع له، المملي للمشرك به، القريب ممن دعاه على حال بعده، والبر الرحيم بمن لجأ إلى ظله واعتصم بحبله، ولا إله إلا الله المجيب لمن ناداه بأخفض صوته، السميع لمن ناجاه لأغمض سره، الرؤوف بمن رجاه لتفريج همه، القريب ممن دعاه لتنفيس كربه وغمه، ولا إله إلا الله الحليم عمن ألحد في آياته، وانحرف عن بيناته، ودان بالجحود في كل حالاته، والله أكبر القاهر للأضداد، المتعالي عن الأنداد، المتفرد بالمنة على جميع العباد، والله أكبر المحتجب بالملكوت والعزة، المتوحد بالجبروت والقدرة،**

---

١ . نهج السعادة : ١٩٢/٣ .

المتردي بالكبرياء والعظمة، والله أكبر المتقدس بدوام السلطان، والغالب بالحجة والبرهان، ونفاذ المشية في كل حين وأوان))[١] .

ومن ذلك أيضا قوله (عليه السلام): **((فتوفى الله محمدًا (صلى الله عليه وآله) سعيدًا، شهيدًا، هاديًا، مهديًا، قائمًا بما استكفاه، حافظًا لما استرعاه))**[٢] .

إذ يلحظ المتلقي في هذا النص الشريف أنَّ تراكم الأحوال في ستة مواضع إنما جاء لبيان ما للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) من فضلٍ ومكانة عاليين عند الله تعالى .

ونظير ما تقدم أيضا ما ورد في كلامٍ له (عليه السلام) في فضل العترة الطاهرة (عليهم أفضل الصلاة والسلام) : **((فنحن أهل البيت شجرةُ النبوةِ، ومعدنُ الرحمةِ، ومختلفُ الملائكةِ، وموضعُ الرسالةِ ...))**[٣] .

فقد راكم (عليه السلام) كذلك في هذا النص الشريف أربعة اخبار بعد ضمير الفصل (نحن) وذلك رغبة منه (عليه السلام) في إظهار فضله وفضل أهل بيته ومكانتهم (صلوات الله عليهم أجمعين) عند الله وفي هذه المعمورة .

٥. التعبير عن كثافة الحالة الانفعالية لدى المتكلم .

ومن ذلك ما جاء في كتابٍ له (عليه السلام) كتبه إلى عامله على (هيت) كميل بن زياد النخعي ينكر عليه ترك مدينة هيت، والذهاب إلى قرقيسا بغير أمره (عليه السلام) مما جعل جيش معاوية يغزو الانبار : **((... فقد صرتَ جسرًا لمن أراد الغارة من أعدائك، على أوليائك، غيرَ شديدِ المنكب، ولا مهيبَ الجانب، ولا سادَ ثغرةٍ، ولا كاسرَ لعدوٍ شوكةً، ولا مغنٍ عن أهل مصره، ولا مجزٍ عن أميره))**[٤] .

يكشف لنا تراكم النعوت في النص العلوي في ستة مواضع عن معاني عدة منها : مدى انفعال الإمام (عليه السلام)، وغضبه على كميل بن زياد لما آل إليه تصرفه الشخصي من عواقب وخيمة، وذم عدم حنكته وعجلته في اتخاذ القرارات غير السليمة .

---

١ . نهج السعادة : ٥/٦ .
٢ . المصدر نفسه : ٣/ ٥١ .
٣ . المصدر نفسه : ١٢٣/٥ .
٤ . المصدر نفسه : ٢٩١/٥ .

مُدخل :

تمتاز لغات العالم بكثرة المفردات وتنوع الدلالات، ولغتنا العربية في هذا المجال من أوسع تلك اللغات ثروةً على الصعيدين اللفظي والدلالي[١]، فإنَّ اللغة العربية في دلالاتها الكثيرة، ومعانيها الوفيرة قادرة على التعبير بأكثر من دلالة، والبيان بأكثر من لفظ .

وقد أثار التعدد في اللفظ والمعنى أو التقابل بين الدال والمدلول عند علماء العربية نشاطًا لغويًا واسعًا، رُصدت فيه ظواهر لغوية عدة كالترادف، والمشترك، والتضاد، والتقابل غيرها[٢]، وهي في حقيقتها ظواهر دلالية تُعرف بـ (العلاقات الدلالية)، و قد أدرك اللغويون منذ وقت مبكر أثر هذه العلاقات بين الكلمات، ((فكانت العلاقات الدلالية محور دراساتهم اللغوية حتى تؤدي اللغة ما وقع على عاتقها من غايات سامية باعتبارها (كذا)[٣] لغة القرآن الكريم الدستور الإسلامي الخالد، وحرصًا منهم على نقاء هذه اللغة وصفائها فكانت عنايتهم شديدة ببيان أصول الألفاظ ، وميَّزوا بين اللفظ الذي تعددت معانيه، والمعنى الذي تعددت ألفاظه، واللفظ وضدَّه، وما استعمل من الألفاظ على حقيقة معناه أو ما نُدَّ عن الحقيقة إلى المجاز أو ما تطور من معاني الألفاظ من خاص إلى عام، أو المعنى العام الذي تخصص))[٤] .

ومثلما كانت بعض الألوان اللغوية فيما سلف في الفصول السابقة عاملًا مهمًا من عوامل تحقيق التراكم الدلالي فكذلك تساهم العلاقات الدلالية في هذا انتاج التراكم؛ فهي تصل مباشرة بوسائل النمو اللغوي الدلالي؛ فهي تعمل على توليد دلالاتٍ متنوعة سواء من خلال اللفظ الواحد أم من خلال تقابل المفردات، وتعددها وترابط بعضها بعض .

وعليه فالعلاقات الدلالية التي سأدرُسُها في هذا الفصل هي : المشترك اللفظي، والمشترك المتضاد، والترادف، والتقابل الدلالي، والإجمال والتفصيل، والتشبيه (التمثيل)، وقد رأيتُ من الأهمية بمكان أنْ أدرسَ كُلَّ علاقةٍ دلاليةٍ مستقلةً في مبحث خاص تسهيلًا لدراستها نظريًا وتطبيقيًا، علمًا أنَّه لا انفصال بينها، فهي ليست علاقات منفصلة عن بعضها انفصالًا تامًا؛ لأنَّها جميعًا علاقات دلالية تبحث عن صلة الدال بالمدلول عليه ولكن من زوايا متعددة .

---

١ . ينظر : الدلالة السياقية عند اللغويين : ٢٦٥ .

٢ . ينظر : علم الدلالة العربي : د. فايز الداية : ٧٧

٣ . الأصوب : بوصفها ؛ لأنَّ الاعتبار من العبرة .

٤ . الدلالة اللغوية عند العرب : ٩١ .

المبحث الأول

المشترك اللفظي

تحتلُّ ظاهرة المشترك اللفظي موقعًا مهمًا في حقل الدراسات الدلالية؛ لأنها أحدى الظواهر اللغوية التي تؤلف بمجموعها ما يُسمى في علم الدلالة الحديث بالعلاقات الدلالية[١] .

وقد عرَّفَ ابنُ فارس المشترك قائلا : ((معنى الاشتراك : أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر، كقوله تعالى : ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ﴾[طه : ٣٩] ، فقوله : "فليُلقه" مشترك بين الخبر وبين الأمر، كأنه قال : فاقذفيه في اليم يلقه اليم ...))[٢]، و هو عند السيوطي : ((اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالةً على السواء عند أهل تلك اللغة))[٣] .

وقال فيه الشوكاني بأنّه : ((اللفظة الموضوعة لحقيقتين مختلفتين أو أكثر وضعًا أوليًا من حيثُ هما كذلك، أو من حيثُ هما مختلفان))[٤] .

وقد حظيت ظاهرة الاشتراك بعناية اللغويين القدماء والمحدثين، ومن هذه العناية عند القدماء كثرة مؤلفات الوجوه والنظائر، ولعلَّ سيبويه أول من ذكر المشترك في تقسيمات الكلام، إذ قال : (((اعلم أنّ من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلافِ المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين))[٥].

وقد شهدت كتب اللغة خلافًا وقع بين العلماء في إثبات المشترك اللفظي وإنكاره، غير أنَّ أكثر اللغويين القدماء أثبتوه، وضربوا له الأمثلة، بل وأفردوا له مصنفات تجمع ألفاظه، وكان على رأس هؤلاء الخليل و سيبويه[٦]، والمبرد[٧]، وابن جني[٨]، وابن فارس[٩]، وغيرهم إذ اتفق ((الأكثرون على أنّه ممكن الوقوع))[١٠].

الوقوع))[١٠].

---

١ . ينظر : ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة : ٣٦١ .

٢ . الصاحبي في فقه اللغة : ٤٥٦ .

٣ . المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ٣٦٩/١ .

٤ . إرشاد الفحول بتحقيق الحق من علم الأصول : الشوكاني : ١٩ .

٥ . الكتاب : ٢٤/١ .

٦ . ينظر المصدر نفسه والصفحة .

٧ . ينظر : ما اتفق لفظه واختلف معناه : للمبرد : ٣ وما بعدها .

٨ . ينظر : الخصائص : ٩٣/٢ .

٩ . ينظر : الصاحبي في فقه اللغة : ١١٤، و ٤٥٦ .

١٠ . ينظر : المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ١ / ٣٦٩ .

وقد استدلّ هؤلاء المؤيدون بأنَّ ألفاظ اللغة متناهية، والمعاني الذهنية غير متناهية فوجب أن يضم اللفظ الواحد أكثر من معنى لكي تُغطي الألفاظ تناهي المعاني[١] .

ولعلَّ المبالغة في وقوع المشترك عند هؤلاء من غير تمحيص أو تقييد دفع فريقًا من اللغويين الى إنكار المشترك اللفظي، أو تضييق دائرته كثيرًا، وكان على رأس هؤلاء المنكرين ابن درستويه[٢] (ت٣٤٧هـ)، وكان وكان سبب الانكار عنده أنَّ اللغة موضوعه للإبانة، والمشترك اللفظي يسبب تعميةً، وإبهام في الدلالة، إذ قال : ((فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين، أو أحدهما ضد الآخر لما كان ذلك إبانة، بل تعمية وتغطية))[٣] ، وقد أثنى الدكتور إبراهيم أنيس على رأي ابن درستويه بقوله : ((وقد كان ٱبن درستويه محقًا حين أنكر معظم تلك الألفاظ التي عُدَّت من المشترك اللفظي واعتبرها من المجاز))[٤] .

وفي الحقيقة أن دعوى المنكرين للمشترك اللفظي لا جدوى منها؛ ((لأنَّ هذه الظاهرة ترتبط . من حيث الوضوح أو الغموض . بقضايا سياقية عديدة نسيها أو أهملها هؤلاء الدلاليون))[٥] ، فالسياق يُحدد دلالة الكلمة تحديدًا دقيقًا مهما تعددت معانيها واختلفت، يقول العالم اللغوي فندريس : ((الذي يُعيِّن قيمة الكلمات في كل الحالات إنما هو السياق، إذ إنَّ الكلمة توجد في كل مرة تُستعمل فيها في جو يُحدد معناها تحديدًا دقيقًا، والسياق هو الذي يفرضُ قيمةً واحدةً بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدلَّ عليها))[٦] .

ومثلما أغفل المنكرون أثر السياق في تحديد معاني المشترك اللفظي، كذلك أغفلوا أهمية المشترك اللفظي في ركم المعاني وتعددها؛ ذلك أنَّ المشترك اللفظي في بعض السياقات يهدف الى تراكم جملة من المعاني في آن واحد، وهو ما أطلق عليه الدكتور أحمد نصيف الجنابي بـ ((التركيز الدلالي)) ، وعرَّفه بقوله : ((التركيز الدلالي، وأعني به : تكثيف أكثر من معنى في اللفظة الواحدة، في جملة واحدة، في سياق واحد، لغاية وهدف مقصودين، بحيث تكون كل تلك المعاني مطلوبة في التركيب اللغوي مقصودة من إيراده))[٧] .

وضرب لذلك مثالًا من القران الكريم قائلًا فيه : ((ففي اللغة العربية الفصحى، ولا سيما لغة القران الكريم مواطن كثيرة تأتي فيها لفظة واحدة لتؤدي أكثر من معنى واحد في آن واحد ... ، ومن أمثلة ذلك لفظة

---

١ . ينظر : المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ٣٦٩/١، والمشترك اللفظي في اللغة العربية : د. عبد الكريم شديد : ٧٦ – ٧٧ ، وقضايا لغوية قرآنية : د. عبد الأمير كاظم زاهد : ١٣٥ .

٢ . ينظر : المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ١/ ٣٨٤ .

٣ . ينظر : المصدر نفسه : ١/ ٣٨٥ .

٤ . دلالة الألفاظ : ٢١٤ .

٥ . ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة : ٣٦١ .

٦ . ينظر : اللغة : ٢٣١ .

٧ . ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة : ٤٠٤ .

(سامدون) في الآية الكريمة : ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴾ [سورة النجم :٥٩ . ٦١]، فما دلالة " السمود " في الآية الكريمة ؟، لقد فسرها عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ) بالغناء، وقال : هي لهجة يمانية، وتابعه على ذلك تلميذه عكرمة بن عبد الله (ت ١٠٤هـ)، وفسَّرها المقرئ المفسر مجاهد بن جبر (ت١٠٣هـ) بالبرطمة (تقطيب الشفتين)، وهي دلالة على عدم الرضا، وفسرها عبد الرحمن بن زيد (ت ١٨٢هـ) فقال : السامد : الغافل، وقال الضحاك بن مزاحم الهلالي (ت بعد ١٠٠هـ) : السمود : اللهو واللعب، وقال الليث بن المظفر : سامدون : ساهون، والسمود في الناس الغفلة، والسهو عن الشيء، وقال المبرد : السامد : القائم في تحيُّر، فأي المعاني صحيحة ؟ ، أرى أنَّ كل هذه الأقوال صحيحة))[١] .

وقد أقرَّ بهذا التركيز (التراكم الدلالي) قديمًا جمعٌ من المفسرين الذين ذهبوا إلى استعمال المشترك القرآني في جميع معانيه، إذ يقول الطبري (ت٣١٠هـ) في تفسيره قوله تعالى :﴿ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾[التوبة :٨] : ((والإلّ : اسم يشتمل على معان ثلاثة : وهي العهد، والعقد، والحلف، والقرابة، وهو أيضا بمعنى "الله". فإذ كانت الكلمة تشمل هذه المعاني الثلاثة، ولم يكن الله خصّ من ذلك معنى دون معنى، فالصواب أن يُعَمَّ ذلك كما عمَّ بها جلَّ ثناؤه معانيها الثلاثة، فيقال: لا يرقبون في مؤمنٍ اللهَ، ولا قرابةً، ولا عهدًا، ولا ميثاقًا))[٢] .

ويقول الطبرسي (ت٣١٠هـ) بعد ذكر الاقوال في لفظة ((الحفدة)) في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ [النحل :٧٢] : ((... لم يكن لنا أن نوجِّه ذلك إلى خاص من الحفدة، دون عام إلا ما اجتمعت الأمة عليه أنه غير داخل فيهم))[٣] ، وقال ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾ [الاسراء :٧٨] : ((والدلوك : من أحوال الشمس، فوَرد بمعنى زوال الشمس عن وسط قوس فرضي في طريق مسيرها اليومي، وورد بمعنى : مَيل الشمس عن مقدار ثلاثة أرباع القوس وهو وقت العصر، وورد بمعنى غروبها، فصار لفظ الدلوك مشتركًا في المعاني الثلاثة))[٤].

١ . ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة : ٤٠٤ . ٤٠٥ .
٢ . جامع البيان عن تأويل آي القرآن : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : ١/ ١٤٨ .
٣ . مجمع البيان : ١٤/ ٣٠٤ .
٤ . التحرير والتنوير : ١٥/ ١٨٢ .

وقد عُدَّ هذا التركيز الدلالي في القرآن الكريم من وجوه الإعجاز البياني، يقول الزركشي : ((وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجهًا أو أكثر أو أقل ولا يوجد ذلك في كلام البشر))[١] .

ومن هذا المنطلق يتبين أثر المشترك اللفظي في إنتاج التراكم الدلالي؛ كونه ((من الدلالة الاثرائية التوسعية التي تدعو إلى إغناء النص بالآراء والأنظار الشاملة))[٢] .

ومن مصاديق المشترك اللفظي الرامي إلى ركم المعاني في نهج السعادة ما جاء في قوله (عليه السلام) : ((**يا كميل إياك وتطرُّقَ أبواب الظالمين والاختلاط بهم، والاكتساب منهم، وإياك أن تُطيعهم، أو تشهد في مجالسهم بما يسخط الله عليك، وإن اضطررت إلى حضورهم فداوم ذكر الله تعالى، وتوكل عليه واستعذ بالله من شرهم، وأطرق عنهم، وأنكر بقلبك فعلهم، وأجهر بتعظيم الله تعالى لتسمعهم فإنهم يهابوك، وتكفى شرهم**))[٣] .

يرى الشيخ المحمودي أن عبارة (**أطرق عنهم**) دالة على معنيين في آن واحد، هما : السكوت، والاطراق إلى الأرض، إذ قال : ((أطرَقَ عن من طرَقَ : إذا سكت ولم يتكلم، أو ارخى عينيه ينظر الى الأرض وهما غالبًا من لوازم الغضب وعدم الرضا، كما انه المراد هاهنا))[٤].

ويفهم من كلام المحمودي أنَّ كلا المعنيين مرادٌ مطلوب، فالإمام (عليه السلام) أراد من كميل عند اضطراره حضور مجالس الظلمة إلزام السكوت، والاطراق عنهم الى الارض، وهذا أسلم للحفاظ على نفسه، ودينه، وبذلك فقد راكم (عليه السلام) معنيين في وقت واحد بأخصر طريق وأيسره من خلال استعمال المشترك اللفظي (أطرق عن) .

وقد أيدت المعجمات اللغوية هذا الاشتراك الدلالي الحاصل في لفظ (أطرق) ، جاء في معجم الصحاح في اللغة : ((وأَطرَقَ الرجل إذا سكت فلم يتكلم، وأَطرَقَ أيضًا أَي أَرخى عينيه ينظر إِلى الأَرض))[٥].

ومن ظريف القول مجيء هذا المشترك اللفظي دالًا على هذين المعنيين معًا في المثل العربي المشهور (**أطرق كرا إنَّ النعام في القرى**) ، قال أبو هلال العسكري : ((أطرِقْ كرا إنَّ النعام في القرى ...، يضرب مثلاً للرجل الحقير إذا تكلم في الموضع الجليل، لا يتكلم فيه أمثاله، والمعنى : اسكت يا حقير حتى يتكلم

---

١ . البرهان في علوم القرآن : ١٠٢/١ ، وينظر : الاتقان في علوم القرآن : ١٢١/٢ .

٢ . نفي الغموض وإثبات التوسع الدلالي في الاشتراك والإطلاق القرآني : د. علي ناصر مطلك ، بحث منشور في مجلة مركز دراسات الكوفة ، العدد ٤٦ ، ٢٠١٧م : ٢٠ .

٣ . نهج السعادة : ٢٠٤/٨ .

٤ . المصدر نفسه والصفحة .

٥ . معجم الصحاح في اللغة : (طرق) ١/ ٤٢٣، و ينظر : لسان العرب : (طرق) ٢١٥/١٠ .

الأجلاء، والكرى : الكروان ، وهو طائر صغير، فشبَّه به الذليل، وشبَّه الأجلاء بالنعام، وأطرق أي أغض، من إطراق العين، وهو خفض النظر))[١] ، وجاء في كتاب الزاهر في معاني كلمات الناس : ((وفي المثل أَطرِقْ كَرا إنَّ النَّعامَ في القُرى ...، يضرب للرجل الحقير إذا تكلم في الموضع الذي لا يُشبهه وأَمثالَهُ الكلامُ فيه، فيُقال له : اسكت يا حقير فإنَّ الأَجلاء أَولى بهذا الكلام منك، والكرا هو الكَرَوانُ طائر صغير، فخُوطب الكَروانُ والمعنى لغيره، ويُشبَّه الكَروانُ بالذليل، والنعام بالأَعزة، ومعنى أَطرِقْ أَي غُضَّ ما دام عزيز فإياك أَن تَنطِق أَيها الذليل))[٢] .

ومن الامثلة كذلك لفظة (سائحون) الواردة في كلامٍ له (عليه السلام) في نعت شيعته وسمة أحبته المعترفين بولايته والمتبعين لطريقته : ((**شيعتنا المتباذلون في ولايتنا المتحابون في مودتنا المتوازرون في أمرنا هم الذين إن غضبوا لم يظلموا، وان رضوا لم يسرفوا، بركة على من جاوروه، سلم لمن خالطوه، أولئك هم السائحون الناحلون الذابلون، ذابلة شفاههم، خمصة بطونهم، متغيرة ألوانهم، مصفرة وجوههم كثير بكاؤهم جارية دموعهم ...**))[٣] .

فقد أورد الشيخ المحمودي وجهين دلاليين للفظة (السائحين)، حين قال : ((السائحون : الجارون، أو السائرون في الأرض في أداء واجبهم من تبليغ أحكام، أو إصلاح بين المجتمع، أو عيادة مريض، أو قضاء حاجة، أو أنَّ السائحين بمعنى الصائمين))[٤] .

ولعل المحمودي في هذا التعدد الدلالي قد استأثر بما ذكره المفسرون من توجيهات دلالية للفظة (السائحين) في قوله تعالى : ﴿التَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[التوبة :١١٢] ، إذ قال الزمخشري : ((و {السائحون} الصائمون شبهوا بذوي السياحة في الأرض في امتناعهم من شهواتهم، وقيل : هم طلبة العلم يسيحون في الأرض يطلبونه في مظانه))[٥]. وقال الفخر الرازي : ((قوله : {السائحون} وفيه أقوال : القول الأول : قال عامة المفسرين هم الصائمون ...، والقول الثاني : أن المراد من السائحين طلاب العلم ينتقلون من بلد إلى بلد في طلب العلم ...، والقول الثالث : {السائحون} السائرون في الأرض، وهو مأخوذ من السيح ، سيح الماء الجاري، والمراد به من خرج مجاهدًا مهاجرًا))[٦] .

---

١ . جمهرة الامثال : أبو هلال العسكري : ١/ ١٩٤ .
٢ . الزاهر في معاني كلمات الناس : ٣٠٣/٢ .
٣ . نهج السعادة : ٣/ ٢٨٨ .
٤ . المصدر نفسه والصفحة .
٥ . الكشاف : ١١٢/٢ .
٦ . مفاتيح الغيب : ٨/ ١٥٩ . ١٦٠ ، وينظر : ارشاد العقل السليم : ٣ / ٢١٧ .

وبالعودة إلى النص العلوي الشريف نجد أنَّ لفظ (السائحين) قد دلَّ دلالة ركامًا على تلك المعاني جميعها، وهو ما يؤيده سياق النص، فشيعة الإمام (عليه السلام) إنما هم دائمو الصيام، طالبو العلم ، سائرون في الأرض سعيا لخدمة الناس وتلبية احتياجاتهم في شتى المجالات .

ومن المشترك اللفظي كذلك ما ورد في كتابٍ له (عليه السلام) إلى محمد بن أبي بكر : ((...**وذكرت إنك قد رأيت في بعض ممن قبلك فشلا، فلا تفشل، وإن فشلوا حصن قريتك واضمم إليك شيعتك، واندب إلى القوم كنانة بن بشر المعروف بالنصيحة والنجدة والبأس، فإني نادب إليك الناس على الصعب والذلول...**))[١] .

يدل الفعل (**نادب**) في النص الشريف على وجوه متعددة، يقول الشيخ المحمودي : ((يقال: ندب فلانا – من باب نصر للأمر أو إلى الأمر : دعاه ورشحه للقيام به، وحثه عليه، وندبه إلى الحرب : وجهه ، فهو نادبٌ وذاك مندوبٌ))[٢] ، وقد أشارت المعجمات اللغوية الى بعض هذه الوجوه الدلالية، قال ابن منظور : ((... نَدَبَ القومَ إلى الأَمر يَندُبهم نَدبًا دعاهم وحَثَّهم وانتَدبوا إليه أَسرَعُوا))[٣] ، وجاء في المعجم الوسيط ((ندب فلانًا إلى الأمر ندبًا دعاه، والميت عدد محاسنه...، ندبه للأمر بعثه، ووجهه))[٤] .

ولعل ما أورده الشيخ المحمودي من معانٍ ـ والله أعلم ـ كلها مرادة مطلوبة مادام لم يكن بينها تعارض دلالي ، فالإمام (عليه السلام) قد دعا الناس، وحثَّهم على الاسراع ، ووجَّههم ، وأمرهم بالذهاب إلى مصر، وهذه المعاني جميعا يستدعيها سياق النص الشريف الذي يتحدث عن نصرة واليه على مصر محمد بن ابي بكر .

ومما تقدم يظهر أثر المشترك اللفظي في التراكم (التركيز الدلالي)، إذ عبَّر (عليه السلام) بإسلوب بليغ عن جملة من المعاني بلفظ واحد بأوجز تعبير وأحسنه .

ومن مصاديق هذا المشترك اللفظي الرامي الى ركم المعاني ما جاء في خطبةٍ له (عليه السلام) في الاستسقاء : ((... **أللهم خرجنا اليك حين فاجأتنا المضائق الوعرة، وألجأتنا المحابس العسرة، وعضتنا علائق الشين، وتأثلت علينا لواحق[٥] المين[٦]**))[٧] .

---

١ ـ نهج السعادة : ١٠٥/٥ .

٢ ـ المصدر نفسه والصفحة .

٣ ـ لسان العرب : (ندب) ١/ ٧٥٣ .

٤ ـ المعجم الوسيط : (ندب) ٧٤٠/٢ .

٥ ـ اللواحق جمع (لاحق)، وهو ما يلحق الشيء ويتبعه، ينظر : لسان العرب : (لحق) ٣٢٧/١٠ .

٦ ـ المين: الكذب : ينظر : لسان العرب : (مين) ٤٢٥/١٣ .

٧ ـ نهج السعادة : ٢١٦/٣ .

فالفعل (تَأَثَّلَ) مشترك لفظي؛ إذ دلَّ دلالة ركامًا على معاني ثلاثة، يقول الشيخ المحمودي : ((تأثلت : تجمعت، استحكمت، واستعظمت))[١] .

ولاريب أنَّ المحمودي في هذا المقام لم يتقصَ معاني الفعل (تأثل) جميعها؛ فقد أغفل معاني أُخر تدل عليها هذه المادة، منها : التأصيل، والاكتساب، والاتخاذ، والاثبات ، وهذا ما أثبتته المعجمات اللغوية قديمها وحديثها، يقول ابن منظور : ((أَثَلَ يُأثِلُ أُثولًا وتَأَثَّلَ تأَصَّل، وأَثَّل مالَه أَصَّلهُ، وتَأَثَّل مالا اكتسبه، واتخذه، وثَمَّره، وأَثَّل اللهُ مالَه زكاه، وأَثَّل مُلْكَه عَظَّمه، وتَأَثَّل هو عَظُم ...))[٢]، وجاء في المعجم الوسيط : ((تأثل : تأصل، و ثبت، و تجمع، و عَظُم))[٣] .

وفيما يبدو تظهر صلة القرابة واضحة بين هذه المعاني جميعا؛ ذلك أنَّ أجزاء الشيء إذا تجمعت مع بعضها وكثُرت تكون قد تأصلت، وثبتت، واستحكمت، ومن هنا فإن ظاهر النص العلوي يدلُّ على إرادة هذه المعاني كلها في هذا المقام؛ وذلك لمناسبة الفعل (تأثل) لسياق النص، فالإمام (عليه السلام) في هذا النص الشريف يعطينا درسًا تربويًا إرشاديًا مفاده أنَّ المين (الكذب) له تبعات سيئة لا تُحمد عقباها قد تتجمع، وتكثُر، وتستحكم ثم تتأصل وتثبت في شخص الكاذب نفسه .

ومن شواهد هذا الاشتراك اللفظي ما ورد في وصيةٍ له (عليه السلام) لما ضربه ابن ملجم المرادي لعنه الله : ((**لقد خبَّرني حبيب الله وخيرته من خلقه، وهو الصادق المصدوق عن يومي هذا، وعهد إليَّ فيه فقال : يا علي كيف بك إذا بقيت في حثالةٍ من الناس، تدعو فلا تُجاب وتنصح عن الدين فلا تُعان، وقد مال أصحابك، وشنف لك نصحاؤك، وكان الذي معك أشد عليك من عدوك إذا استنهضتهم صدوا معرضين، وإن استحثثتهم أدبروا نافرين**))[٤] .

فقد تمثَّلَ التراكم الدلالي في كلمة (نافرين) فهي من المشترك اللفظي الذي دلَّ على معاني ثلاثة، يقول الشيخ المحمودي : ((أي كارهين لما تحث عليه ، وجازعين مما تدعو إليه ، ومعرضين عما تأمر به))[٥] .

والظاهر أنَّ سبب ركم هذه المعاني في كلمة (نافرين) هو دلالتها على العمومية والشمول؛ إذ أصل النفور هو الجفاء والتباعد، يقول ابن فارس : ((" نفر" النون والفاء والراء : أصلٌ صحيح يدلُّ على تجافٍ وتباعد))[٦] .

---

١ . نهج السعادة : ٣/٢١٦ .

٢ . لسان العرب : (أثل) ١١/ ٩ ، وينظر : القاموس المحيط : (أثل) ٣/ ٤٨ .

٣ . المعجم الوسيط : (اثل) ١/١٢ .

٤ . نهج السعادة : ٨/ ٣٤٦ .

٥ . المصدر نفسه والصفحة .

٦ . معجم مقاييس اللغة : (نفر) ٥/٤٥٩ .

ولما كان التجافي والتباعد يقع على أشياء متباينة في العالم الخارجي؛ لذا أذِنَ بركم المعاني وتعددها جراء الانفتاح الدلالي، ومن هنا فإن ما قاله المحمودي من وجوه دلالية للفظة (نافرين) مقبولة وصائبة؛ ذلك أنَّ كل من (الكُره، والجزع، والإعراض) يُشم منها رائحة الجفاء والتباعد، إذ إن الكره ((يدلُّ على خلاف الرِّضا والمحبّة))[١] ، فيما يدلُّ الجزع على الانقطاع[٢]، ويدلُّ الاعراض على جعل الشيء خلف الظهر والتولي عنه[٣] .

وبالعودة إلى النص العلوي والعود أحمد تجد أنَّ تلك المعاني جميعها محتملة مقبولة، وتجيء مجيئًا صالحًا، فقد عبَّر (عليه السلام) عن أصحابه بتعبير واحد أفاد تلك المعاني جميعا دون انتفاء بعضها عن بعض .

ومن التراكم الدلالي الناتج عن الاشتراك اللفظي ما وقع في كلامٍ له (عليه السلام) في التنبيه على ادبار الدنيا واقبال الاخرة، والحث على الزهد في الاولى والرغبة في الثانية : ((**ألا ومن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات**))[٤] .

إذ لحظ المحمودي في الفعل (سلا) تراكم جملة من المعاني، إذ قال : ((و" سلا عن الشهوات " أي هجرها، ونسيها، وذهل عن ذكرها، وطابت نفسه عنها))[٥] .

وقال في موضع آخر : ((هذا اخبار يردا منه الانشاء والطلب، وسلى عن الشهوات : ذهل عنها وهجرها، يقال: (سلا زيد الشيء وعن الشيء – من باب دعا – سلوا وسلوا وسلوانا، وسلي عنه – من باب علم – سليا : نسيه، وطابت نفسه عن فواته، وذهل عن ذكره، وهجره))[٦] .

---

١ . معجم مقاييس اللغة : (كره) ١٧٢/٥ .
٢ . المصدر نفسه : (جزع) ١/ ٤٥٣ .
٣ . لسان العرب : (عرض) ١٦٥/٧ .
٤ . نهج السعادة : ١/ ٤١٣ .
٥ . المصدر نفسه : ٤١٣/١ .
٦ . المصدر نفسه : ١٨٤/٣ .

المبحث الثاني

الأضداد

الضدُ في اللغةِ : هو النظير والكفُ والخلاف ، فالجمعُ أضداد[١]، أما في الاصطلاح فهو أن يُطلق اللفظ الواحد على معنيين مختلفين أحدهما ضد الآخر، كالجون للدلالة على الأبيض والأسود، والقُرء للطهر والحيض[٢] .

وقد ذهب بعض اللغويين القدماء إلى جعل الأضداد نوعًا من المشترك اللفظي، يقول ابن الانباري (ت ٣٢٨هـ) : ((ومجرى حروف الأضداد مجرى الحروف التي تقع على المعاني المختلفة، وإن لم تكن متضادة))[٣] ، وبهذا صرّح السيوطي إذ قال : ((هو نوعٌ من المشترك))[٤] أي : الأضداد .

وتابعهم في هذا الأمر بعض المحدثين[٥]، واحتجوا لذلك بأن عوامل نشأة الألفاظ المشتركة هي عوامل نشأة الأضداد نفسها .

و في الحقيقة أنَّهما متقاربان جدًا، ولكن ثمة بينهما فوارق دقيقة، فالمشترك أعم من الأضداد، يقول أبو الطيب اللغوي (ت٣٥١هـ) : ((فالاختلاف أعمُّ من التضاد، إذ كان كُلُّ متضادّين مختلفين، وليس كُلُّ مختلفين ضدّين))[٦] ، كما ذهب الدكتور محمد حسين آل ياسين إلى أنّه ليس بين المشترك والأضداد من التشابه سوى انصراف اللفظ فيهما إلى أكثر من معنى، وأنّ أسباب نشأة الأضداد تختلف تمامًا عمّا هي عليه في المشترك، ولا تتفقان إلاّ في مسائل قليلة[٧] .

ومثلما اختلف اللغويون في أمر المشترك اللفظي كذلك اختلفوا في وجود هذه الظاهرة، فمنهم من أقرَّ وجودها في كلام العرب كسيبويه[٨]، والمبرد[٩]، وغيرهم، ومنهم من أنكرها كأحمد بن يحيى ثعلب (ت٢٩١هـ) ، يقول عنه ابن سيده : ((وكان أحدُ شيوخنا ينكر الأضداد، وكان ثعلب يقول : ليس في كلام

---

١ . يُنظر: لسان العرب : (ضَدَّ) ٢٦٣/٣.

٢ . ينظر : كتاب الأضداد : قطرب : ٢٤٣ . ٢٤٤، والأضداد : ابن الأنباري : (مقدمة المحقق) : ١.

٣ . الأضداد : ابن الانباري : ٣ – ٤ .

٤ . المزهر : ٣٨٧/١

٥ . ينظر: في اللهجات العربية : د. إبراهيم أنيس : ١٧٩، وفقه اللغة : د. علي عبد الواحد وافي : ١٦١، والتضاد في القرآن : د. محمد نور الدين المنجّد : ٢٧.

٦ . الأضداد : أبو الطيب اللغوي : ٣٣ .

٧ . يُنظر : الأضداد في اللغة : د. محمد حسين آل ياسين : ١٠١ – ١٠٣ .

٨ . ينظر : الكتاب : ٢٤/١ .

٩ . ينظر : ما اتفق لفظه واختلف معناه : ٢ .

العرب ضد، لأنّه لو كان فيه ضدٌّ لكان الكلامُ محالًا))[١]، ونقل عنه ذلك الجواليقي (ت٥٤٠ هـ)[٢]، ومنهم كذلك ابن درستويه، إذ نقل عنه السيوطي بأنّه ممن أنكر الأضداد، وأنّ له في ذلك تأليفًا، أي في إبطال الأضداد[٣] .

وبما أنَّ الأضداد هو جزءٌ من المشترك اللفظي، لذا فإنه يعمل على التركيز (التراكم) الدلالي مثلما يعمل المشترك اللفظي ذلك، إلا أنَّ التراكم الدلالي الناتج عن الأضداد يكون على مستوى أضيق من المشترك اللفظي؛ لأنَّه يقوم بركم المعنيين المتضادين فحسب، أما المشترك اللفظي فيقوم بركم معانٍ عدة غير متضادة .

ومن مصاديق هذه الظاهرة ورود لفظ (السجال) في وصيةٍ له (عليه السلام) إلى جنده : ((... **وإذا حملتم فافعلوا فعل رجل واحد، وعليكم بالتحامي، فإنَّ الحربَ سِجالٌ، لا يشدنَّ عليكم كرة بعد فرة، ولا حملة بعد جولة، ومن ألقى إليكم السلم فاقبلوا منه**))[٤] .

فلفظة (السجال) هي جمع (سَجْل) ، و ((السَّجْلُ الدلو الضخمة المملوءةُ ماءً، وقيل هو مِلْؤُها، وقيل إذا كان فيه ماء قَلَّ أَو كَثُر والجمع سِجالٌ وسُجُول))[٥]، وقد ورد هذا الجمع في النص الشريف للدلالة على الشيء وضده ، يقول الشيخ المحمودي : ((والسجال والسجول – كالبحار والبحور – جمع سجل – كفلس – بمعنى النصيب والعطاء، يُقال: الحرب بينهم سجال، أي تارة لهم، وتارة عليهم))[٦] . فقوله : تارة لهم، وتارة وتارة عليهم هما معنيان متضادان وقعا في لفظ واحد .

وتحقق التضاد في لفظة (سجال) قد أقرّهَ اللغويين القدماء؛ إذ يقول الخليل : ((والحَربُ سِجالٌ أي مرَّةٌ منها سجلٌ على هؤلاء، ومرة على هؤلاء))[٧] ، وجاء في تهذيب اللغة : ((وفي حديث أبي سفيان أنَّ هرقلَ سأله عن الحرب بينه وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له : " الحرب بيننا سِجَالٌ "، ومعناه أنا نُدال عليه مرة، ويُدال علينا أُخرى))[٨] ، و يُراد بها ((أي مَرَّة لنا ومَرَّة علينا))[٩] .

---

١ . المخصص : ٣٥٩/١٣ .
٢ . يُنظر : شرح أدب الكاتب : أبو منصور الجواليقي : ٢٥ .
٣ . يُنظر : المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ٣٩٦/١ ، والأضداد في اللغة : ٢٤٨ . ٢٥٢ .
٤ . نهج السعادة : ٨/ ٣٠٦ .
٥ . لسان العرب : (سجل) : ١١/ ٣٢٥ .
٦ . نهج السعادة : ٨/ ٣٠٦ .
٧ . كتاب العين : (سجل) /٤٦٥ ، وينظر : لسان العرب : (سجل) ٣٢٥/١١ ، والقاموس المحيط : (سجل) ١١٠/٣ .
٨ . تهذيب اللغة : (سجل) ٤٦١/٣ .
٩ . النهاية في غريب الحديث والأثر : ٨٦٦/٢ .

وقال الفيومي (ت٧٧٠هـ) : ((والحربُ سِجَالٌ... أَي نُصرَتُهَا بين القَوم مُتداوَلَةٌ))[١] أي متبادلة ،

وبلحاظ ما تقدم فإنَّ مجيء لفظ (سجال) قد راكم الدلالة وزادها في النص العلوي؛ وذلك بدلالته على الغلبة المتبادلة بين المتقاتلين، وما يؤكد ذلك قوله (عليه السلام) في سياق النص نفسه : **(لا يشدنَّ عليكم كرة بعد فرة)** الدال على النهي عن حدوث الهزيمة بعد النصر ، إذ الكر بعد الفر إنما هو الغلبة مرة لهم ومرة عليهم .

ومن الأضداد الداعمة لركم المعنى كذلك ما تجده في كتابٍ له (عليه السلام) إلى بعض عماله : **((ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وذوى البؤس والزمنى، فإنَّ في هذه الطبقة قانعًا ومعترًا))**[٢] .

إذ دلَّ لفظ القانع في النص الشريف دلالة ركامًا على معنيي : (الراضي، والسائل)، يقول الشيخ المحمودي : ((القانع أما من قولهم: قَنِعَ – قنعا وقناعة وقنعانا – من باب فَرِحَ، والمصدر على زِنة الفرح والسحابة والثعبان – رضي بما قسم له، أو من قولهم : قَنَعَ قنوعا – كمَنَعَ منوعًا – سأل وخضع وتذلل، والمعتر – بتشديد الراء – المتعرض للعطاء بلا سؤال))[٣] .

وما ذهب إليه المحمودي قد ذكرته كتب الأضداد من قبل، يقول قطرب (ت ٢٠٦هـ) : ((القانع : الراضي ، والقانع : السائل، قَنِع قناعة وقَنَعًا وقُنعانًا، أي رضي، وقَنَعَ قُنُوعًا، أي سألَ...))[٤] .

وقال محمد بن القاسم الانباري (ت ٣٢٧هـ) : ((والقانع من الأضداد، يقال : رجلٌ قانع إذا كان راضيًا بما هو فيه لا يسأل أحدًا، ورجلٌ قانعٌ إذا كان سائلًا))[٥] .

الا أنَّ أبا الطيب اللغوي زعم أنَّ لفظ (القانع) ليس من الأضداد، إذ قال : ((... ليس هذا عندي من الأضداد؛ لأنَّ شرط الأضداد على ما أصلنا أولًا أن تكون الكلمة الواحدة تنبئ عن معنيين متضادين من غير تغيير يدخل عليها، ولا اختلاف في تصرفها، ولكني أذكر كل ما ذكروا ؛ لئلا يفوت الانتفاع به من نَظَرَ في هذا الكتاب))[٦] .

---

١ . المصباح المنير : (سجل) ١٦٣/٤ .

٢ . نهج السعادة : ٨١/٥ .

٣ . المصدر نفسه والصفحة .

٤ . كتاب الأضداد : قطرب : ٩٥، وينظر : ثلاث كتب في الأضداد : الأصمعي والسجستاني، وابن السكيت : ٤٩، و ١١٦، و٢٠٢ .

٥ . الأضداد : محمد بن قاسم الانباري : ٦٦ .

٦ . الأضداد في كلام العرب : أبو الطيب اللغوي : ٣٦٢ .

وعلى الرغم من ادعاء أبي الطيب اللغوي، إلا أنَّ لفظ (القانع) يُعد من الأضداد وهذا ما أقره جملة من اللغويين مثلما مرَّ ، وبالعودة إلى النص العلوي نجد أنَّ خروج لفظ (القانع) إلى معنيي (الراضي والسائل) قد راكم الدلالة بأيسر طريق وأيسره ، وفيما يبدو . والله أعلم . أن كلا المعنيين مرادٌ مطلوب لأنه الأنسب لسياق النص؛ ذلك أنَّ الطبقة السفلى تجمع من هو قانع راضٍ برزقه، ومن خضع وتذلل للناس كسبًا للعيش .

ومن ألفاظ الأضداد المراكم للدلالة ما ورد في دعائه (عليه السلام) : ((**يا باعث ابعثني شهيدًا صديقًا رضيًا عزيزًا مغتبطًا مسرورًا مشكورًا محبورًا**))[1] .

فلفظة (رضي) وإن لم يُشر الشيخ المحمودي إلى ما تؤديه من معانٍ إلا أنها من الإضداد التي تدلُّ على الفاعلية والمفعولية، يقول الدكتور أحمد مختار عمر : (("رضي" التي جاءت محتملة للفاعلية والمفعولية في قوله تعالى : ﴿وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا﴾[مريم : ٦] ، فهي تحتمل أن تكون بمعنى راضٍ، وبمعنى مرضي))[2] .

ولعل الذي دفع الدكتور عمر إلى جعل كلمة (رضي) من الأضداد؛ هو أنها جاءت على زنة (فعيل)، وهذه الزنة تشترك فيها أحيانًا الفاعلية والمفعولية، إذ قال : ((يشيع ذلك في صيغة (فعيل) التي تجيء بمعنى فاعل، وبمعنى مفعول، وقد ورد من هذا النوع أمثلة كثيرة في القرآن الكريم، مثل : "أمين" التي جاءت بمعنى "آمن" في قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ﴾ [الدخان : ٥١] ، وبمعنى "مؤتَمَن" في قوله تعالى : ﴿إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ [القصص : ٢٦] ، و"حكيم" التي جاءت بمعنى "مُتقِن للأمور" في قوله تعالى : ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة : ٣٢]، وبمعنى "مُحكَم" في قوله تعالى : ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان : ٤]))[3] .

وبالعودة الى النص العلوي يمكن القول : إنَّ لفظة (رضي) . والله أعلم . قد راكمت المعنى؛ لأنها تدلُّ على معنى الفاعلية ويكون المعنى : أللهم ابعثني راضيًا ، وتدلُّ كذلك على معنى المفعولية ويكون المعنى : أللهم ابعثني مرضيًا، وكلا المعنيين مراد مطلوب ـ والله أعلم ـ فهو (عليه السلام) راضٍ بما قسمه الله له، ومرضي من قبل ربه تعالى .

---

١ ـ نهج السعادة : ٦/ ١١٣ .

٢ ـ الاشتراك والتضاد في القران الكريم ـ دراسة إحصائية : د. أحمد مختار عمر : ١٥٥ ، وينظر : روح المعاني : ١١/ ٤٤٤ ، وفتح القدير : ٤/ ٤٤١ ، والمعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته : د. أحمد مختار عمر : ٢٠٩ .

٣ ـ الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم : ١٥٤، وينظر : المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته : ٧٦ ، و١٥٠ .

ومن شواهد التضاد كذلك ما جاء في خطبةٍ له (عليه السلام) في بيان دعائم الكفر : ((**بني الكفر على أربع دعائم: على الجفاء والعمى والغفلة والشك، فمن جفا فقد احتقر الحق وجهر بالباطل، ومقت العلماء، وأصرَّ على الحنث العظيم، ومن عمي نسي الذكر واتبع الظن وطلب المغفرة بلا توبة ولا استكانة**))[1] .

كذلك في هذا المقام أنَّ لفظ (النسيان) هو من الاضداد وإن اغفل عنه الشيخ المحمودي ، فقد أقرت كتب الاضداد وقوع التضاد في هذا اللفظ موثقةً ذلك بالاستشهاد له ، يقول محمد بن القاسم الانباري : ((ومن الاضداد " نسيتُ " يكون بمعنى غَفَلتُ عن الشيء ، ويكون بمعنى تركتُ متعمدًا من غير غفلة لحقتني فيه، فأما كونُه بمعنى الغفلة فلا يُحتاجُ فيه الى شاهد، وكونه بمعنى الترك على تعمد شاهده قول الله عزَّ وجلَّ : {نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُم} ﴿ **نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ** ﴾ [التوبة : ٦٧] ، معناه فترك إثباتهم ورحمتهم متعمدًا؛ لأنه قد جلَّ وعلا عن الغفلة والسهو))[2] .

ولو أمعنا النظر في النص الشريف لتبين أنَّ قوله (عليه السلام) : (**من عمي نسي الذكر**) يحتمل كلتا الدلالتين، فهو يحتمل معنى النسيان صراحة، ويحتمل معنى الترك عمدًا، وكُلٌّ منهما متقبل وصالح في سياق النص .

---

١ . نهج السعادة : ١/ ٣١٥ .

٢ . الأضداد : محمد بن القاسم الانباري : ٣٩٩ .

المبحث الثالث

الترادف

الترادف في اللغة : مأخوذٌ من : رَدِفَ الرجلُ وأردفه، أي رَكِبَ خلفُهُ على الدابة وترادف الشيء : تَبِعَ بعضهُ بعضًا، فكُلُّ ما تَبِعَ شيئًا فهو رِدفُهُ[١] .

أمّا في الاصطلاح :(فهو ما كان مسمّاهُ واحد وأسماؤه كثيرة)[٢] ، أو هو(ما أُختُلِفَ لفظهُ واتفق معناه مثل : أسهب وأطنب وأفرط وأسرف وأغرق بمعنى واحد)[٣] .

والترادف ظاهرة لغوية هي خلاف ظاهرة المشترك اللفظي، وإن كانا جميعًا يتعلقان بتعدد المعنى وتشابهه، فالمشترك اللفظي كلماتٌ اتحدت لفظًا واختلفت معنى، أمّا الترادف فهو كلماتٌ اختلفت لفظًا واتفقت معنى، ولأجلِ هذه العلاقة الدلالية قالوا : إنّ كُلَّ مشترك لفظي يحملُ ترادفاتٍ متعددة، وتعدد معاني المشترك يكون عدد المترادفات[٤] .

وقد أقرَّ اللغويين القدماء هذه الظاهرة منذُ وقتٍ مبكر، وكان في طليعتهم عالم اللغة سيبويه، إذ قال : ((اعلم أنّ من كلامِهم ...، اختلافُ اللفظينِ والمعنى واحد ...، نحو : ذهبَ، وانطلقَ))[٥] ، ثم تلاه الفراء[٦] ، وتابعهما في ذلك ابن قتيبة[٧] .

أمّا ابن جني فلم يقف عند حدود تأييد الترادف فحسب، بل ذهب إلى أنّ وجود الترادف في اللغة يُعدُّ من دلائل شرفها، فقد أفرد لذلك بابًا بعنوان : (باب في تلاقي المعاني على اختلاف الأُصول والمباني) ، قال فيه : ((هذا فصلٌ من العربية حَسَن كثير المنفعة، قويُّ الدلالة على شرف هذه اللغة، وذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة ، فتبحث عن أصل كل اسم منها، فتجده مُفْضِيَ المعنى إلى معنى صاحبهِ))[٨] .

وإنّ هذه الظاهرة لم تقتصر على الإشارات في بطون الكتب، بل هنالك مَنْ أفردَ لها كتابًا مُستقِلا، كعلي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤ هـ) الذي جعل كتابه بعنوان (الألفاظ المترادفة)[٩] .

---

١ . يُنظر : لسان العرب : (ردف) ١١٦/٩ .

٢ . كتاب التعريفات : ١٦٢ .

٣ . فقهُ اللغة : د. حاتم صالح الضامن : ٦٢ .

٤ . يُنظر : فقه اللغة وخصائص العربية : ٢٠٠ ، والعربية والبحث اللغوي المعاصر : د. رشيد العبيدي : ٣٠ .

٥ . الكتاب : ١: ٢٤ .

٦ . معاني القرآن : الفراء : ٣٧/١ .

٧ . يُنظر: غريب الحديث : ابن قتيبة : ٣٥٦/٢ ، وتفسير غريب القرآن : ابن قتيبة : ٣٩٧ .

٨ . الخصائص : ١١٣/٢.

٩ . يُنظر : كتاب الألفاظ المترادفة : الرماني : ٨ .

وفيما يبدو تظهر علاقة الترادف بالتراكم الدلالي أكثرُ جلاءً ووضوحًا من علاقة المشترك اللفظي والمشترك المتضاد بهذا التراكم؛ ذلك أنه أي الترادف يعمل على إنتاج التراكم الدلالي على المستويين : الصريح، والضمني ، فإن تتابع المترادفات في الكلام يمثل تراكمًا صريحًا، وهو ما يمكن تسميته بـ (الترادف التراكمي)، والذي هو من دون شك يعمل على زيادة المعنى وركمه على المستوى الضمني، وهذا ما أكده غير واحد من العلماء، يقول الزركشي : ((مما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع أن يعتقد أنَّ مجموع المترادفين يحصل معنى لا يوجد عند انفراد أحدهما؛ فإنَّ التركيب يُحدثُ معنى زائدًا، وإذا كانت كثرةُ الحروف تُفيدُ زيادة المعنى، فكذلك كثرةُ الألفاظ))[1] .

وجاء في كتاب المزهر في اللغة : ((واحتجَّ أصحابُ المقالة الأولى بأنه لو كان لكل لفظةٍ معنى غيرُ معنى الأخرى لما أمكنَ أن نعبِّر عن شيء بغير عبارة؛ وذلك أنا نقول في " لا ريب فيه " : لا شكَّ فيه؛ فلو كان الريبُ غيرَ الشك لكانت العبارةُ عن معنى الريب بالشك خطأ؛ فلما عُبِّرَ بهذا عن هذا عُلم أنَّ المعنى واحد، قالوا : وإنما يأتي الشاعرُ بالاسمين المختلفين للمعنى الواحد في مكان واحد؛ تأكيدًا ومبالغةً؛ كقوله : " وَهِندٌ أَتى مِن دونِها النَأيُ وَالبُعدُ"[2]، قالوا : فالنَّأْيُ هو البعد))[3] .

والمنعم النظر في هذه المقولات وغيرها يتبين له أثر تتابع / تراكم المترادفين في الكلام في ركم المعنى وزيادته، والذي يهم في هذه الدراسة هو (تتابع المترادفات) فحسب؛ ذلك أنها تمثل التراكم الدلالي بنوعيه خير تمثيل، ومن شواهد ذلك ما جاء في إحدى وصاياه (عليه السلام) لأصحابه : ((**انظروا في الدنيا نظر الزاهد المفارق لها، فإنها تزيل الثاوي الساكن، وتفجع المترف الآمن، لا يُرجى منها ما تولى فأدبر، ولا يدرى ما هو آت فينتظر ...**))[4] .

فـ (التولي) و(الإدبار) يدلان على الإعراض، فهما مترادفان على الرغم من الفروق اللغوية الطفيفة بينهما، إذ (التولي) يفيد الإعراض بعد ملابسة الأمر، والإدبار يفيد الإعراض من دون ملابسة الأمر والاطلاع عليه أي إدبار من أول وهلة، يقول ابن عاشور عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [المعارج : ١٧] : ((ففي التولي معنى إيثار غير المُتولَّى عنه، ولذلك يكون بين التولي والإدبار فرق، وباعتبار ذلك الفرق عُطف و { تولَّى } على { أدبر} أي تدعو من ترك الحق وتولى عنه إلى الباطل، وهذه دقيقة من إعجاز القرآن بأن يكون الإدبار مرادًا به إدبارَ غير تَول، أي إدبارًا من أول وهلة، ويكون التولي مرادًا به الإعراض

---

١ . البرهان في علوم القرآن : ٤٧٧/٣ .

٢ . هذا عجز بيت للحطيئة، والبت كاملا هو : أَلا حَبَّذا هِندٌ وَأَرضٌ بِها هِندُ وَهِندٌ أَتى مِن دونِها النَأيُ وَالبُعدُ ، ينظر : ديوان الحطيئة : ١٤٠ .

٣ . المزهر في علوم اللغة وانواعها : ٤٠٤/١ .

٤ . نهج السعادة : ٣/ ٣٠٢.

بعد ملابسة، ولذلك يكون الإدبار مستعارًا لعدم قبول القرآن ونفي استماع دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو حال الذين قال الله فيهم : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ ﴾[فصلت : ٢٦] ، والتولي مستعار للإعراض عن القرآن بعد سماعه وللنفور عن دعوة الرسول كما قال تعالى :﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾[الأنفال : ٣١] وكلا الحالين حال كفر ومحقة للعقاب وهما مجتمعتان في جميع المشركين، والمقصود من ذكرهما معًا تفظيع أصحابهما))[١] .

ومن خلال هذا الفرق بينهما يتضح أنهما مترادفان ترادفًا غيرَ تامٍ ، ومع ذلك فإن اجتماعهما معا في النص العلوي قد راكم الدلالة من خلال إفادة أمور عدة لم تتحقق لو جيء بأحدهما، وهي :

١. إرادة التدرج في الوصف من القريب إلى البعيد، فالتولي يفيد قُرب المتولي من الشيء؛ لأنه يدل على الإعراض بعد الملابسة، والإدبار يفيد بُعد المتولي عن الشيء؛ لأنه يدل على الإعراض من أول وهلة .

٢. تأكيد وتقوية ذهاب الشيء وإدباره، وبذلك فلو قال (عليه السلام) : (لا يُرجى ما تولى) فحسب، أو (ما أدبر) فحسب لانتفى هذا الغرض، يقول ابن عاشور في تفسير قوله تعالى :﴿ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡ ﴾[النمل : ١٠] : ((... ولعل قصد إفادة قوة توليه لمّا رأى عصاه تهْتَزّ هو الداعي لتأكيد فعل { ولّى } بقوله : { مدبرًا ولم يعقب } فتأمّل))[٢] .

٣. إرادة المبالغة في ابتعاد الشيء المرجو حصوله .

ومن تتابع المترادفات المراكمة للدلالة ما ورد في خطبةٍ له (عليه السلام) خطبها بذي قار : ((... **فبايعتموني وأنا غير مسرور بذلك، ولا جذل، وقد علم الله سبحانه أني كنت كارها للحكومة بين أمةٍ محمدٍ (صلى الله عليه وآله)، ولقد سمعته يقول : " ما من والٍ يلي شيئًا من أمر أمتي إلا أتي به يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه على رؤوس الخلائق، ثم ينشر كتابه، فإن كان عادلًا نجا، وإن كان جائرًا هوى")**))[٣].

فإنَّ كلًّا من قوله **(لا جذل)** و **(غير مسرور)** يدلُّ على معنى واحد وهو عدم الفرح[٤]، وقد شكَّل تتابعهما معًا ركامًا لفظيًا أسهم في توليد معانٍ عدة أوضحها في الآتي :

---

١ . التحرير والتنوير : ٢٩/ ١٦٥.

٢ . المصدر نفسه : ١٩/٢٢٨.

٣ . نهج السعادة : ٣/ ٣٢٠ .

٤ . لسان العرب : مادة (سرر) : ٤/٣٥٦ ، و مادة (جذل) : ١١/١٠٦ .

١. زيادة الاحتجاج على من بايعوه (عليه السلام) أول الأمر ثم نقضوا البيعة، وبيان أنَّ بيعة أغلبهم كانت غير صادقة؛ لأنها مبنية على المطامع الشخصية .

٢. الدلالة على استمرار مدة عدم حصول الفرح بتلك البيعة خلال مدة خلافته كلها، فلو قال (عليه السلام) : **(فبايعتموني وأنا غير مسرور)** فحسب من غير المرادف (ولا جذل) لأحتمل أنَّ عدم السرور قد استمر لمدة من الزمن ثم حصل بعدها السرور، ولكن مجيء المرادف (ولا جذل) قد عمل على غلق باب الاحتمالات وجعل المعنى دائمًا غير منقطع، يقول أبو هلال العسكري : ((الفرق بين الجذل والسرور : أنَّ الجذل هو السرور الثابت مأخوذ من قولك جاذل أي منتصب ثابت لا يبرح مكانه، وجذل كل شيء أصله، ورجل جذلان، ولا يقال جاذل إلا ضرورة.))[١] .

٣. لغرض المبالغة في عدم حصول الفرح بتلك البيعة .

ونظير ما تقدم من مجيء الترادف التراكمي ما تجده في كتابٍ له (عليه السلام) إلى أهل المدينة بعدما افتتحت البصرة : ((... **وقدم طلحة والزبير البصرة وصنعا بعاملي عثمان بن حنيف ما صنعا فقدَّمتُ إليهم الرسلَ، وأعذرتُ كُلَّ الاعذار، ثُمَّ نزلتُ ظهرَ البصرة فأعذرتُ بالدعاء، وقدَّمتُ الحجة، وأقلتُ العثرةَ والزلةَ، واستعتبتهما، ومن معهما ممن نكث بيعتي، ونقض عهدي، فأبوا إلا قتالي، وقتال من معي، والتمادي في الغي فلم أجد بدا في مناصفتهم بالجهاد، فقتل الله من قتل منهم ناكثا، وولى من ولى منهم**))[٢] .

فقد حصل تراكم المترادفات في النص الشريف في موضعين : الاول هو تراكم الدوال (أعذرتُ بالدعاء، وقدمتُ الحجة، وأقلتُ العثرة والزلة) ، والموضع الثاني : هو تراكم الدالين (نقض عهدي) و (نكث بيعتي) ، وهنا لنا أن نسأل ما السر في تراكم كُلِّ هذه الدوال المترادفة في نص واحد .

الجواب عن هذا السؤال يكمن في أن تراكم الدوال (المترادفات) في المجموعة الاولى يدلُّ على معنى واحد عام، وهو المبالغة في الإعذار والنصح والإرشاد لمن نكث بيعته وخرج ضده حرصًا منه (عليه السلام) في الحفاظ على أرواح الناس، وعدم إراقة الدماء .

وأما تراكم المترادفين في المجموعة الثانية فإنه فضلا على إفادة معنى التوكيد فهو يفيد أمرين أثنين : الأول : هو بيان الأهمية الشرعية لبيعته (عليه السلام)؛ لأنَّها منصوص عليها من السماء، فالبيعة بمثابة العهد ومن نكث البيعة نقض العهد، ومن نقض العهد فهو مسؤولٌ عنه يوم الدين، قال تعالى :﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴾[الإسراء :٣٤] .

---

١ . الفروق اللغوية : ٢٦٦.

٢ . نهج السعادة : ٨٠/٤ .

والآخر : هو المبالغة في توبيخ من نكث بيعته (عليه السلام) ونقض عهده .

ومن ذلك التراكم الحاصل من طريق الترادف ما جاء في كتابٍ له (عليه السلام) إلى معاوية بن أبي سفيان : ((... **فقد شاهدتَ، وأبصرتَ، ورأيتَ سُحُبَ الموت كيف هطلت عليك بصيبها حتى اعتصمت بكتابٍ أنت وأبوك أول من كفر وكذب بنزوله ...**))[1] .

فالمنعم النظر في النص الشريف يجد تراكم الأفعال : (شاهدتَ، وأبصرتَ، ورأيتَ ...) ، فهي ألفاظ مترادفة قد تراكمت لبيان أمورٍ ثلاثة :

الأول : تأكيد المعنى وإثباته في نفس المتلقي .

والثاني : الدلالة على تكرار المشاهدة واستمرارها، ودليل ذلك أنَّ واقعة صفين لم تكن في وقت واحد وإنما تكررت في وقائع عدة .

والثالث : الزيادة في التوبيخ والانكار، أي أنك يا معاوية ومن معك كنتم يوم صفين تشاهدون الهزائم تتلى عليكم مرارًا وتكرارًا في الوقائع جميعها حتى اعتصمتم بكتاب الله تعالى .

ومما ورد كذلك من ترادفات تراكمية ما جاء في كتاب له (عليه السلام) الى معاوية أيضا : ((**من عبد الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى معاوية بن أبي سفيان، أما بعد فإنَّ الله تبارك وتعالى ذا الجلال والاكرام خلق الخلق، واختار خيرة من خلقه، واصطفى صفوة من عباده، يخلق ما يشاء، ويختار ما كان لهم الخيرة، سبحان الله وتعالى عما يشركون، فأمر الأمر وشرَّع الدين وقسم القسم على ذلك، وهو فاعله وجاعله، وهو الخالق، وهو المصطفي، وهو المُشرِّع، وهو الفاعل لما يشاء، له الخلق وله الأمر، وله الخير، والمشية، والارادة، والقدرة، والملك، والسلطان، أرسل رسوله ، وخيرته ، وصفوته بالهدى ودين الحق**))[2] .

إذ يكشف لنا النص الشريف عن جملة من المترادفات المتراكمة، وهي : **(واختار خيرة من خلقه، اصطفى صفوة من عباده)، و(فاعله، جاعله)، و (المشيئة، الإرادة)، و(الملك، السلطان)، و(رسوله، خيرته، صفوته)** .

ولا شك أنَّ هذا الحيز من التراكمات اللفظية إنما حصل للدلالة على معنى عام مشترك بينها جميعا وهو بيان عظمة الله تعالى وقدرته وتفرده فيما شاء وأراد .

---

١ . نهج السعادة : ٤/ ٢١٢ .

٢ . المصدر نفسه : ١٥٢/٤ .

المبحث الرابع

التقابل الدلالي

مصطلح (التقابل الدلالي) من مبتكرات الدرس اللغوي الحديث، وأول من ابتكرها هو الدكتور أحمد نصيف الجنابي ؛ إذ قال : ((وأستطيع أن أقول مطمئنًا : إنَّ مصطلح التقابل الدلالي هو من وضعي، وقد استرشدتُ بكتب البلاغة والمنطق فاستقرَّ رأيي على مصطلح "التقابل" بزنة "الترادف"، والأخير بحثه الدلاليون العرب القدامى [كذا][١] والمحدثون))[٢] .

ويُعرَّف التقابل الدلالي بأنَّه ((وجود لفظتين تحملُ كل منهما عكس المعنى الذي تحمله الأخرى ، مثل : الخير والشر، والنور والظلمة، والحب والكراهية، والكبير والصغير ...))[٣] ، وقيل : هو ((علاقة دلالية ناتجة عن تتابع قضيتين كل منهما تحمل عكس معنى الأخرى))[٤] .

ومع إقرار الدرس اللغوي الحديث لهذه الظاهرة، إلاَّ أنَّها في الحقيقة من الظواهر اللغوية القديمة التي ضربت بجذورها في أعماق التراث اللغوي، وكان يُعبَّرُ عنها بألفاظ مختلفة كـ (الضد، والخلاف، والنقيض) وغير ذلك ، يقول الخليل : ((السَّواد ضدُّ البياض، والموتُ ضِدُّ الحياة))[٥]، و ((والضُّعف خلاف القوة))[٦] ، وقال الازهري : ((الفتح نقيض الإغلاق))[٧]، و : ((والشمال خِلاف اليمين))[٨]، وذكر الزمخشري أنَّ ((أخسرت الرجل نقيض أربحته))[٩] .

وفيما يبدو أنَّ البلاغيين كانوا أكثر اهتمامًا بهذه الظاهرة من اللغويين، فقد كانت تُعرفُ عندهم بـ (الطباق) و (المقابلة)، إلاَّ أنهم فرَّقوا بين المفهومين، فالمطابقة لا تكون إلاَّ بين الأضداد، والمقابلة تحدث بين الأضداد وغيرها، يقول أبو هلال العسكري في المطابقة : ((قد أجمع الناس أنَّ المطابقة في الكلام هي الجمعُ بين

---

١ . الأصوب : القدماء .
٢ . ظاهرة التقابل في علم الدلالة : د. أحمد نصيف الجنابي : ١٣ .
٣ . المصدر نفسه : ١٥ .
٤ . نظرية علم النص (رؤية منهجية في بناء النص النثري) : د. حسام أحمد فرج : ١٤٢ .
٥ . كتاب العين : ٢/ ١٥ .
٦ . المصدر نفسه : ١/ ٦٥ .
٧ . تهذيب اللغة : ٨١/٢ .
٨ . المصدر نفسه : ٤/ ١٠٧ .
٩ . أساس البلاغة : ١١٣/١ .

الشيء وضدَّهُ في جزء من أجزاء الرّسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة، مثل الجمع بين البياض والسواد، واللّيل والنهار، والحر والبرد))[١] .

وقال في المقابلة : ((المقابلة : إيراد الكلام، ثُمَّ مقابلته مثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة))[٢] .

ويتخذ التقابل الدلالي صورًا متعددة منها[٣] : التقابل بين الاسماء نحو : (الليل، والنهار) ، أو بين الأفعال : : نحو : (يهدي، ويُضل) ، أو بين الجمل نحو قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[الإسراء : ٨١] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾[الإنفطار:١٣-١٤] .

والتقابل الدلالي كالترادف في اللغة فإنَّه يُسهم في تحقيق التراكم الدلالي على المستويين : الصريح والضمني، فعلى المستوى الصريح يقوم التقابل بركم اللفظين المتضادين معًا في كلامٍ واحدٍ، وعلى المستوى الضمني تُسهم هذه العلاقة من طريق الجمع بين قضيتين متضادتين في توليد معنى عام أو قضية كبرى، يقول الدكتور حسام أحمد فرج : ((ويُعد التضاد إحدى العلاقات الدلالية التي يتم عن طريقها تشكيل قضايا كبرى في مستويات النص الهيراركية المتتابعة، فقد تجمع تلك العلاقة بين قضيتين صغيرتين لتكوِّن قضية كبرى))[٤] .

وفي هذا الصدد يقول ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى :﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[الحديد :٣] : ((وفائدة إجراء الوصفين المتضادين على اسم الله تعالى هنا التنبيه على عظم شأن الله تعالى ليتدبر العالمون في مواقعها))[٥] ، ولما تناول قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾[الملك :٢] قال : ((وأُوثر ذكر الموت والحياة لِما يدلان عليه من العبرة بتداول العرضين المتضادين على معروض واحد، وللدلالة على كمال صنع الصانع))[٦] .

---

١ . كتاب الصناعتين : ٣١٦ .

٢ . المصدر نفسه : ٣٤٦ .

٣ . ينظر : التقابل الدلالي في القرآن الكريم : رسالة ماجستير ، منال صلاح الدين عزيز الصفار ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م : ٢٤ .

٤ . نظرية علم النص (رؤية منهجية في بناء النص النثري) : ١٤٢ .

٥ . التحرير والتنوير : ٣٦٣/٢٧ .

٦ . المصدر نفسه : ١٢/٢٩ .

ومن مصاديق التقابل الدلالي المُراكم للدلالة ما جاء في إحدى مناجاته (عليه السلام) : ((... **فالعزيزُ من أعززتَ، والذليلُ من أذللتَ، والسعيدُ من أسعدتَ، والشقيُ من أشقيتَ، والغنيُ من أغنيتَ، والفقيرُ من أفقرتَ، أنت وليي ومولاي وعليك رزقي، وبيدك ناصيتي**))[1] .

يكشف لنا النص العلوي عن تحقق التقابل بالضدين في ثلاثة مواضع وهو ما يوضحه المخطط الاتي :

العزيز من أعززتَ ⟷ الذليل من أذللتَ = تراكم ١

السعيد من أسعدت ⟷ الشقي من أشقيتَ = تراكم ٢

الغني من أغنيت ⟷ الفقير من أفقرت = تراكم ٣

وقد تراكمت هذه التقابلات لتكشف عن قضية كبرى، وهي بيان عظمة الله تعالى وقدرته .

ومن ذلك التقابل كذلك ما جاء في خطبةٍ له (عليه السلام) في تثريب أهل الكوفة على تقاعدهم عن نصرته، وتثاقلهم في حياطة بلادهم : ((... **يا أهل الكوفة قد دعوتكم إلى جهاد هؤلاء القوم ليلًا ونهارًا، وسرًا وإعلانًا، وقلتُ لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم فإنه ما غزي قوم في عُقرِ دارهم إلا ذلُّوا...**))[2] .

إذ حصل التقابل الدلالي في موضعين هما : **(ليلًا ونهارًا)** و **(سرًا وإعلانًا)**، وقد عمل التقابل هنا على إثراء دلالة النص الشريف من خلال ركم المعاني الاتية :

١. لزيادة توكيد معنى الكلام، فبعد أن أكد (عليه السلام) الكلام بالحرف (قد) الداخل على الفعل الماضي (دعوتكم) عمد إلى توكيد المعنى كذلك بصورة غير مباشرة؛ وذلك من طريق توظيف التقابل الضدي بين الليل والنهار، والسر والعلن .

٢. للدلالة على استمرار دعوته (عليه السلام) لأهل الكوفة نصرةً للحق، واستمرار رفضهم لتلك الدعوة وتخاذلهم عن إمامهم، ولاشك أن دلالة الاستمرار الأولى قد دلَّ عليها الكلام صراحة، في حين أنَّ دلالة الاستمرار الثانية تكون مفهومة من فحوى الخطاب .

٣. لإفادة الاحتجاج على أهل الكوفة فضلًا على الانكار والتوبيخ لهم، فبعد أن دعاهم (عليه السلام) مرارًا وتكرارًا لم يجنِ منهم إلا الرفض والتخاذل والعصيان .

ومن شواهد هذا التقابل ما جاء في عهدٍ له (عليه السلام) كتبه لمحمد بن أبي بكر (رضوان الله عليه)عندما ولاَّه على مصر : ((**بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به عبد الله علي أمير المؤمنين إلى محمد بن**

---

١ . نهج السعادة : ٧٣/٦ .

٢ . المصدر نفسه : ٤٨٤/٢ .

أبي بكر حين ولاه مصر، أمره بتقوى الله في السر والعلانية، وخوف الله عز وجل في المغيب والمشهد، وأمره باللين على المسلم، والغلظة على الفاجر، وبالعدل على أهل الذمة، وبإنصاف المظلوم، وبالشدة على الظالم، وبالعفو عن الناس، وبالإحسان ما استطاع، والله يجزي المحسنين، ويعذب المجرمين))[1] .

يكشف لنا النص الشريف عن تراكم جملة من الأضداد وذلك من خلال توظيف التقابل الدلالي في أربعة مواضع، يوضحها المخطط الاتي :

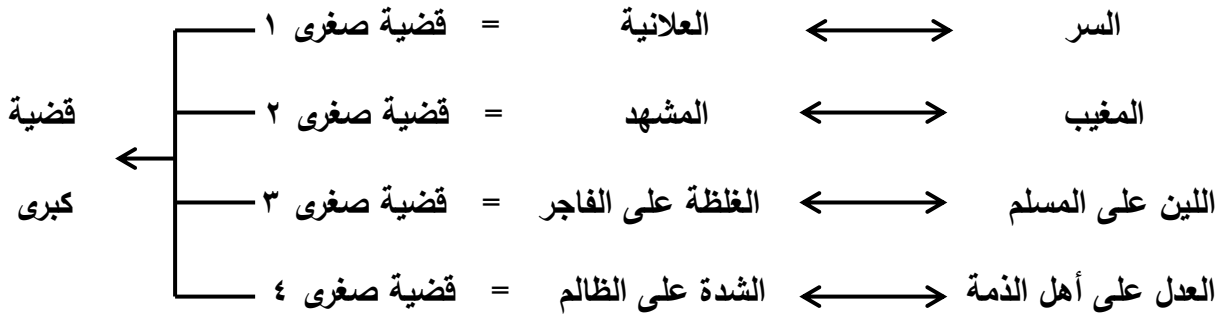

وقد عمد (عليه السلام) إلى ركم (حشد) هذه التقابلات الضدية ليكشف لنا عن قضايا صغرى قد ولَّد تراكمها قضية كبرى، وهي بيان هيأة العامل العادل الذي يتولى أمور المسلمين .

ومن شواهد التقابل كذلك ما ورد في وصيةٍ له (عليه السلام) غلى عمرو ابن العاص : **((...إنَّ أفضلَ الخلق عند الله من كان العمل بالحق أحب إليه وإن نقصه، وإنَّ أبعدَ الخلق من الله من كان العمل بالباطل أحب إليه وإن زاده))**[2] .

لقد اتخذ (عليه السلام) في هذا النص من التقابل بين قضيتين متناقضتين وسيلة للمبالغة في الترغيب والترهيب والتحذير ليس لعمر ابن العاص فحسب بل لكل انسان على مر الدهور .

---

١ . نهج السعادة : ٦٣/٤ .

٢ . المصدر نفسه : ٣٣٢/٨ .

المبحث الخامس

الإجمال والتفصيل

عرَّف أبو هلال العسكري الإجمال بقوله : ((المجمل ما لا يُفهم المُراد به إلا بغيره...، وقيل المجمل ما يتناول جملة الأشياء أو يُنبئ عن الشيء على وجه الجملة دون التفصيل))[١] .

وحدَّهُ الشريف الجرجاني بأنَّهُ ((هو ما خُفي المُراد منه بحيث لا يُدرك بنفس اللفظ إلا ببيان من المُجمل، سواء كان ذلك لتزاحم المعاني المتساوية الإقدام، كالمشترك، أو لغرابة اللفظ كالهلوع، أو لانتقاله من معناه الظاهر إلى ما هو غير معلوم، فترجع إلى الاستفسار ثم الطلب ثم التأمل))[٢] ، وقال فيه أبو البقاء الكفوي (ت١٠٩٤هـ) : ((المجمل لا يُوقف على المُراد منه إلا ببيان من جهة المتكلم))[٣] .

وقد عُرِفَ الإجمال عند البعض بتسميات أخرى منها : المُشكل[٤]، والتوجيه أو الإيهام[٥]، والإبهام[٦] وغير ذلك .

أما التفصيل فقد عُرِّفَ كذلك بتعريفاتٍ عدة، وسُمِّيَ بتسميات متعددة، فقد حدَّه أبو هلال العسكري بقوله : ((التفصيل هو ذكر ما تضمنه الجملة على سبيل الافراد))[٧]، وهو عند ابن فارس يُعرف بالتفسير موافقًا في ذلك ابن عباس، إذ قال : ((وأما التفسير – فإنَّه التفصيل كذا قال ابن عباس في قوله جلّ ثناؤه :﴿ **وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا** ﴾[الفرقان :٣٣] " أي: تفصيلًا))[٨] .

وقد أطلق عليه الراغب الاصفهاني مصطلح (البيان) معرِّفًا إياه بأنَّه ((ما يُشرح به المجمل والمبهم من الكلام))[٩]، ويقترب من هذا تعريف الكفوي إذ قال : ((التفصيل ... هو بيان وتوضيح بالنسبة إلى

---

١ . الفروق اللغوية : ١٢٩، وينظر : الاتقان في علوم القران : ٥٣/٣ .

٢ . كتاب التعريفات : ٦٦ .

٣ . الكليات : ٤٢/١ .

٤ . الصاحبي في فقه اللغة : ٥٩ .

٥ . ينظر : مختصر المعاني : التفتازاني : ٢٨٦، والتبيان في علوم المعاني والبديع والبيان : شرف الدين الطيبي : ٣٠٠ .

٦ . ينظر : الطراز : ٧٨/٢ .

٧ . الفروق اللغوية : ٢٩٨ .

٨ . الصاحبي في فقه اللغة : ٣١٤ .

٩ . مفردات ألفاظ القران : ١٥٨ .

الإجمال))[١] ، وقال فيه أحد المحدثين : ((هو بيان وتفسير وظيفته تشخيص محتملات اللفظ المجمل بمتعيِّن))[٢] .

وليس غريبًا أنَّ هذه العلاقة كغيرها من العلاقات الدلالية تُسهم في انتاج التراكم الدلالي؛ إذ تقوم هذه العلاقة بركم المعنى في الكلام مرتين : مرة عن طريق الإجمال، فيكون المعنى حينئذٍ متراكمًا مبهمًا كثير الوجوه والاحتمالات، ومرة أخرى عن طريق التفصيل إذ يكون المعنى واضحًا مفهومًا لدى المتلقي .

وقد أدرك القدماء من البلاغيين وغيرهم أنَّ هذا التراكم / التعدد في المعنى له أثره في تحقيق جملة من الأغراض البلاغية، يقول القزويني : ((الإيضاح بعد الإيهام ليُرى المعنى في صورتين مختلفتين أو ليتمكن في النفس فضل تمكن، فإنَّ المعنى إذا أُلقي على سبيل الإجمال والإبهام تشوَّقت نفسُ السامعِ إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح فتتوجه إلى ما يرد بعد ذلك، فإذا ألقى كذلك تمكن فيها فضل تمكن وكان شعورها به أتم، أو لتكمل اللذة بالعلم به فإنَّ الشيء إذا حصل كمال العلم به دفعةً لم يتقدم حصول اللذة به ألم، وإذا حصل الشعور به من دون وجه تشوَّقت النفس إلى العلم بالمجهول فيحصل لها بسبب المعلوم لذة وبسبب حرمانها عن الباقي ألم، ثم إذا حصل لها العلم به حصلت لها لذة أخرى، واللذة عقيب الألم أقوى من اللذة التي لم يتقدمها ألم أو لتفخيم الأمر وتعظيمه))[٣] .

وذكر شرف الدين الطيبي (ت٧٤٣هـ) أنَّ ((فائدة هذه الطريقة تفخيم أمر المبهم وإعظامه للإجمال والتفصيل))[٤] .

وجاء في كتاب المثل السائر : ((اعلم أن هذا النوع لا يُعمدُ إلى استعماله إلا لضربٍ من المبالغةِ فإذا جيء به في كلامٍ فإنما يُفعل ذلك لتفخيم أمر المُبهَم وإعظامه؛ لأنَّه هو الذي يطرقُ السمع أولًا فيذهب بالسامع كل مذهب ...))[٥] . وقال الرازي لمَّا فسَّر قوله تعالى :﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[البقرة :٣١] : ((اعلم أن الملائكة لما سألوا عن وجه الحكمة في خلق آدم وذريته وإسكانه تعالى إياهم في الأرض وأخبر الله تعالى عن وجه الحكمة في ذلك على سبيل الإجمال بقوله تعالى : ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة :٣٠] أراد تعالى أن يزيدهم بيانًا وأن يفصل لهم ذلك المجمل ،

---

١ . الكليات : ٢٩٧.

٢ . الإجمال والتفصيل في التعبير القرآني . دراسة في الدلالة القرآنية : سيروان عبد الزهرة هاشم الجنابي، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب، جامعة الكوفة ، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م : ١١٤ .

٣ . الايضاح في علوم البلاغة : ١١١ ـ ١١٢ ، وينظر : مختصر المعاني : ٧٨ ، والبلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها : عبد الرحمن حسن جنكه : ٦٦ ـ ٦٧ .

٤ . التبيان في علوم المعاني والبديع و البيان : ٣٩٨ .

٥ . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ١٩٦/٢ .

فبيَّن تعالى لهم من فضل آدم عليه السلام ما لم يكن من ذلك معلومًا لهم، وذلك بأن علَّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم عليهم ليظهر بذلك كمال فضله وقصورهم عنه في العلم فيتأكد ذلك الجواب الإجمالي بهذا الجواب التفصيلي))[1] .

ومما تقدم يمكن بيان تلك الأغراض البلاغية التي يرمي إليها التراكم الدلالي الحاصل من علاقة الإجمال والتفصيل في الآتي :

١. توكيد المعنى وتمكينه في النفس .

٢. تشويق المتلقي إلى معرفة المعنى بعد إبهامه .

٣. المبالغة في تفخيم المعنى وتعظيمه .

وبالانتقال الى مجال التطبيق في نهج السعادة نجد أنَّ هذه العلاقة لها حضور واضح في كلام الامام (عليه السلام)؛ وذلك لما لها من أثرٍ بالغ في ركم المعاني، ومن أمثلتها ما جاء في خطبةٍ (عليه السلام) في مقاتلة الخوارج بعدما يأس منهم : ((**قاتلوا من حادَّ الله وحاول أن يطفئ نور الله، قاتلوا الخاطئين، القاتلين لأولياء الله، المحرفين لدين الله، الذين ليسوا بقرَّاء الكتاب، ولا فقهاء في الدين، ولا علماء بالتأويل، ولا لهذا الأمر بأهل في دين ولا سابقة في الإسلام، و والله لو ولوا عليكم لعملوا فيكم بعمل كسرى وقيصر**))[2] .

فقد مثَّلت عبارة (**من حادَّ الله**) مركز الثقل في الإجمال؛ لأنها تفيد الاشتمال والعموم؛ يقول أبو حيان لما فسَّر قوله تعالى :﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة :٦٣] : ((المحادَّة المخالفة، حاددتُه خالفته، واشتقاقه من الحد أي كان على حد غير حده كقولك : شاقَّه، كان في شق غير شقه، وقال أبو مسلم : المحادَّة مأخوذة من الحديد، حديد السلاح، والمحادَّة هنا قال ابن عباس : المخالفة، وقيل : المحاربة، وقيل : المعاندة، وقيل : المعاداة، وقيل : مجاوزة الحد في المخالفة، وهذه أقوال متقاربة))[3] .

والمنعم النظر في النص العلوي يجد أنَّ هذا الإجمال الذي أفادته (المحادة) قد تم تفصيله بالبنية المتعددة المتمثلة بالخاطئين، القاتلين لأولياء الله، المحرفين لدين الله، الذين ليسوا بقرَّاء الكتاب، ولا فقهاء في الدين، ولا علماء بالتأويل، ولا لهذا الأمر بأهل في دين، ولا سابقة في الإسلام .

---

١ . مفاتيح الغيب : ١/ ٤٥٣ .

٢ . نهج السعادة : ٢/ ٢٨٥ .

٣ . البحر المحيط : ٦/١٨٤ .

ويبدو التوافق الدلالي جليًا بين هذا الإجمال وما تبعه من تفصيل؛ ذلك أنَّ الخاطئ القاتل المُحرِّف لدين الله هو محادٌّ لله تعالى من دون شك، فهو : مخالف، ومحارب، ومعاند، ومجاوز لحدود الله .

ومما تقدم تلحظ أنَّ هذه العلاقة قد أسهمت بركم المعنى مرتين : مرَّة عن طريق الإجمال، وأخرى عن طريق التفصيل، ولم يكن هذا التراكم الدلالي إلاَّ لتفخيم المعنى وتعظيمه من جهة، كما عمل على تثبيته وتوكيده في ذهن المتلقي من جهة أخرى .

ومن الشواهد كذلك على هذه العلاقة الدلالية ما نجده في خطبةٍ له (عليه السلام) في تذكير الناس بالموت وتحذيرهم عما يتعقبه من سوء العاقبة والشقاوة : ((**عباد الله الموت ليس منه فوت، إن أقمتم له أخذكم وإن فررتم منه أدرككم، الموت معقود بنواصيكم فالنجا النجا والوحا الوحا، وراءكم طالب حثيث، القبرُ، احذروا ضنكه وظلمته وضيقه، ألا وإنَّ القبر حفرهِ من حفر جهنم أو روضة، من رياض الجنة، ألا وانه يتكلم في كل يوم ثلاثَ مراتٍ فيقول: أنا بيت الوحشة، أنا بيت الظلمة، أنا بيت الدود، ألا وإنَّ وراء ذلك اليوم أشد من ذلك اليوم، نارٌ، حرها شديد، وقعرها عميق وحبلها حديد، ليس لله فيها رحمة**))[1] .

يكشف لنا النص الشريف عن تراكم علاقة الاجمال والتفصيل في ثلاثةِ مواضعَ هي :

الأول والثاني : فيما يخص القبر، فقوله : (وراءكم طالبٌ حثيث) إجمال ، وقوله : (القبرَ احذروا ضنكه، وظلمته، وضيقه) تفصيل له ، وقوله : (ألا وإنه يتكلم في كل يوم ثلاثَ مراتٍ) إجمال، وقوله : (أنا بيت الوحشة، أنا بيت الظلمة، أنا بيت الدود) تفصيل له .

والثالث : فيما يخص نار جهنم ، فقوله (ألا وإنَّ وراء ذلك اليوم أشد من ذلك اليوم) إجمال، وقوله : (نارٌ، حرها شديد، وقعرها عميق وحبلها حديد، ليس لله فيها رحمة) تفصيل له .

والمخطط الاتي يوضح تلك العلاقات الدلالية المؤثرة في النص :

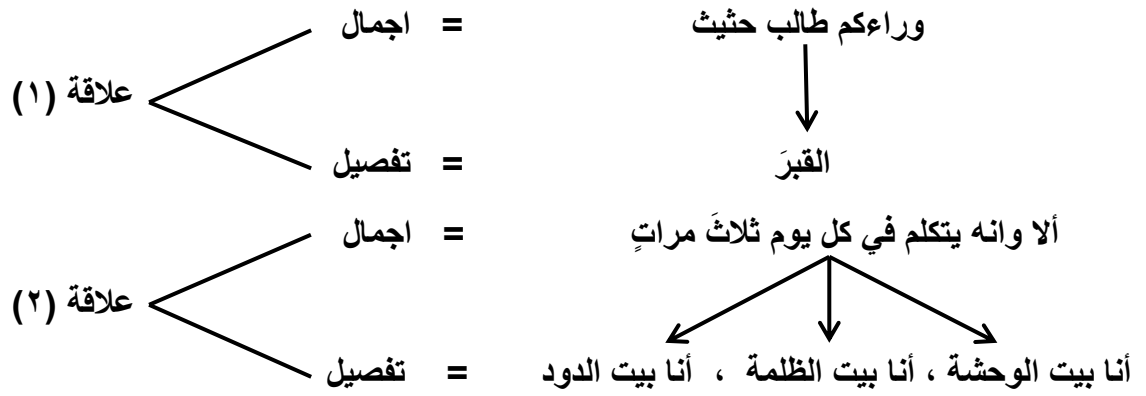

١ . نهج السعادة : ٣/ ١١٢ .

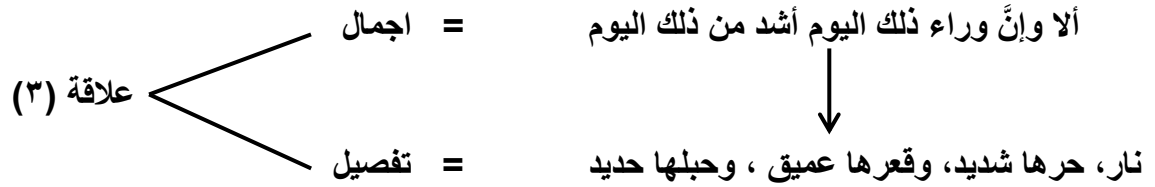

يتضح لنا من خلال هذا المخطط أنَّ الامام (عليه السلام) قد راكم المعنى في كل موضع مرتين من خلال إجماله أولًا ثم تفصيله ثانيًا؛ وذلك لأجل المبالغة في الوعظ والإرشاد؛ لأنَّ تكرار المعنى بصورتين متباينتين هو مدعاة لتفخيم المعنى وتعظيمه، فضلًا على ترسيخه في ذهن المتلقي .

ومن المصاديق كذلك ما جاء في كلامٍ له (عليه السلام) في نعت أولياء الله الخاملي الذكر عند أهل الدنيا المنهمكين في لذاتها : ((**طوبى لكل عبدٍ نومة، عرف الناس ولم يعرفه الناس، وعرفه الله منه برضوانه، أولئك مصابيح الهدى يخلى عنهم كل فتنة مظلمة، أولئك يدخلهم الله في رحمته، ليس أولئك بالمذاييع البذر، ولا بالجفاة المرائين**))[١] .

ومما أُجمل كذلك ثم فُصِّل ما ورد في قوله (عليه السلام) :((**جُمِعَ الخيرُ كُلُّهُ في ثلاثِ خصالٍ : النظر، والسكوت، والكلام، وكُلُّ نظرٍ ليس فيه اعتبارٌ فهو سهوٌ، وكُلُّ سكوتٍ ليس فيه فكرةٌ فهو غفلةٌ، وكُلُّ كلامٍ ليس فيه ذِكرٌ فهو لغو**))[٢] .

إذ يلحظ المتلقي في النص الشريف أنَّ علاقة الاجمال والتفصيل تحققت في أربعةِ مواضعَ ، وليست في موضع واحد كما يُبدو للوهلة الاولى ، فقوله : (ثلاثُ خصالٍ) يمثل مركز الإجمال الذي جاء تفصيله وتبيانه بقوله : (النظر، السكوت، الكلام) ، و أنَّ هذا التفصيلات تُمثِّلُ كذلك مراكز إجمال ولكنه إجمالٌ من الدرجة الثانية؛ فهي فسرت وبينت ما يُراد بالخصال إلا أنه تفسير يشوبه الغموض نوعًا ما، ولذلك فإنَّ الاجمال في لفظ (النظر) تمَّ تفصيله بقوله : (وكُلُّ نظرٍ ليس فيه اعتبارٌ فهو سهوٌ، وكل سكوتٍ ليس فيه فكرةٌ فهو غفلةٌ، وكُلُّ كلامٍ ليس فيه ذِكرٌ فهو لغو)

ومثله لفظ (السكوت) تمَّ تفصيله بقوله : (وكل سكوتٍ ليس فيه فكرةٌ فهو غفلةٌ) ، ومثلهما لفظ (الكلام) جاء مفصلاً بقوله : (وكُلُّ كلامٍ ليس فيه ذِكرٌ فهو لغو) .

١ . نهج السعادة : ٣/ ٢٨٠ .
٢ . المصدر نفسه : ٩/٥٤٢ .

المبحث السادس

علاقة التشبيه (التمثيل)

التشبيه لغة : هو التمثيل، يُقال : هذا شبه هذا ومثيله، وشبَّهتُ الشيءَ بالشيءِ تشبيهًا، أي مثَّلته به[١] .

أما في الاصطلاح فقد عرَّفهُ البلاغيون بتعريفات عدة، وهذه التعريفات وإن تعددت واختلفت في اللفظ إلا أنها تتفق في المفهوم ، فأبو هلال العسكري مثلًا حدَّه بقوله : ((التشبيه الوصف بأنَّ أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه))[٢] .

فيما عرَّفه ضياء الدين ابن الاثير بقوله : ((التشبيه هو أن يثبت للمشبه حكم من أحكام المشبه به))[٣] . وقال فيه أيضا : ((هو الدلالة على اشتراك شيئين في معنى من المعاني، وأنَّ أحدهما يسد مسد الآخر وينوب منابه، سواء كان ذلك حقيقة أو مجازًا))[٤] ، وهو عند القزويني : ((الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى))[٥] .

ومما تقدم يمكن بيان أنَّ التشبيه يمثلُ علاقة دلالية تقوم على الاشتراك المعنوي بين المشبه والمشبه به، ولكنه اشتراكٌ لا يكون تامًا بينهما، بل يكون في بعض الوجوه دون بعض؛ لأنَّ الشيئين إذا تشابها تمامًا في الوجوه جميعها أصبحا شيئًا واحدًا، يقول : قدامة بن جعفر : ((إنَّ الشيء لا يُشبَّه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات، إذ كان الشيئان إذا تشابها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تغاير البتة اتحدا، فصار الاثنان واحدًا، فبقي أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما ويوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها، وإذا كان الأمر كذلك، فأحسن التشبيه هو ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها، حتى يُدنى بهما إلى حال الاتحاد))[٦] .

والتشبيه كغيره من العلاقات الدلالية الاخرى يعمل على تحقيق التراكم الدلالي، إذ يقوم التشبيه بركم جملة من المعاني في بنية اختزالية واحدة، وهي بنية المُشبَّه به، وهذا ما أدركه وقال به جملة من البلاغيين القداماء والمحدثين، يقول ضياء الدين ابن الاثير : ((... إنَّ القسمين من المظهر والمضمر كليهما في فضيلة البيان سواء؛ فإنَّ الغرض المقصود من قولنا : (زيد أسد) أن يتبين حال زيد في اتصافه بشهامة

---

١ . ينظر : لسان العرب : (شبه) ١٣/ ٥٠٣ .
٢ . كتاب الصناعتين : ٢٣٩ .
٣ . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ١/ ١٥١ .
٤ . الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور : ضياء الدين ابن الاثير : ٩٠ .
٥ . الإيضاح في علوم البلاغة : ١٦٤ .
٦ . نقد الشعر : ١٢٤ .

النفس، وقوة البطش، وجراءة الإقدام، وغير ذلك مما يجري مجراه، إلا أنا لم نجد شيئًا ندل به عليه سوى أن جعلناه شبيهًا بالأسد حيث كانت هذه الصفات مختصة به، فصار ما قصدناه من هذا القول أكشف وأبين من أن لو قلنا : زيد شهم شجاع، قوي البطش، جريء الجنان، وأشباه ذلك، لما قد عرف وعهد من اجتماع هذه الصفات في المشبه أعني الأسد، وأما زيد الذي هو المشبه فليس معروفًا بها وإن كانت موجودة فيه، وكلا هذين القسمين أيضا يختص بفضيلة الإيجاز وإن كان المضمر أوجز من المظهر؛ لأن قولنا : " زيد أسد " أو " كالأسد " يسد مسد قولنا : زيد من حاله كيت وكيت، وهو من الشجاعة والشدة على كذا وكذا مما يطول ذكره، فالتشبيه إذا يجمع صفات ثلاثة هي : المبالغة، والبيان، والإيجاز كما أريتك))[١]، وقال في موضعٍ آخر : ((إنَّ التشبيه لا يُعمد إليه إلا لضربٍ من المبالغة))[٢] .

وإلى مثل هذا ذهب نجم الدين الحلبي (ت٧٢٥هـ) حينما عرَّف التشبيه بقوله : ((حدُّ التشبيه أن تُثبت للمشبه حكمًا من أحكام المشبه به قصدًا للمبالغة))[٣] ، وما المبالغة التي إلا إشارة لركم المعاني التي يحققها التشبيه في بنية اختزالية واحدة .

ويقول الدكتور مسعود بودوخة في هذا الصدد : ((لا يمكن أن يكون للتشبيه كل هذا التأثير على المتلقي لو لم يكن فيه من الطاقات الإيحائية ما فيه))[٤] ، ويقصد بالطاقات الايحائية ما تراكم في التشبيه من معانٍ إيحائية خفية .

وفضلا على ذلك فإنَّ المشبَّه به يفيد توكيد معنى المشبَّه، وتثبيته، يقول أبو هلال العسكري : ((والتشبيه يزيد المعنى وضوحًا ويكسبه تأكيدًا))[٥] .

وتأسيسًا على ما تقدم فإنَّ التشبيه عند البلاغيين يمثل وحدة اختزالية ذات وظيفة تراكمية، مثلما أنه أحد وسائل الاقتصاد اللغوي الرامية إلى إيجاز اللفظ وركم المعنى وزيادته، فضلا على توكيده وإثباته، وبيانه .

ولو أمعنا النظر في التشبيهات الواردة في كلام أمير المؤمنين لتبين أنها رامية إلى ركم الدلالة وتكثيفها في النص، ومن مصاديق ذلك ما جاء في إحدى خطبه (عليه السلام) : ((...**<u>إني فيكم كالكهف لأهل الكهف</u>، <u>وإني فيكم باب حطة</u>، من دخله نجا، ومن تخلف عنه هلك**))[٦] .

---

١ . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ٢/١٢١ . ١٢٢، وينظر : الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور : ٩٠ .

٢ . المصدر نفسه : ٢/ ١٢٧ .

٣ . جوهر الكنز : ٦٠ .

٤ . عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية : د. مسعود بودوخة : ٢١١ .

٥ . كتاب الصناعتين : ٢٤٣ .

٦ . نهج السعادة : ١/٥٦٦ .

فقد شبه الإمام (عليه السلام) نفسه المقدسة في النص الشريف بشيئين، الأول : تشبيهها بأهل الكهف، والاخر : تشبيهها باب حطة، ولعله (عليه السلام) عمد الى التشبيه في هذا النص لما يثيره المُشبَّه بهما من معانٍ متراكم فيهما، وفيما يبدو أنَّ المحمودي قد استوحى من تلك الدلالات دلالة الأمر، إذ قال : ((أي فكما أنَّ أهل الكهف كانوا مأمورين بالإيواء إليه كي ينشر الله رحمته عليهم وينجيهم من الهلاك، فكذلك أنتم معاشر المسلمين مأمورون بالإيواء إلينا، والتمسك بنا، والائتمار بأمرنا، والانزجار عن ردعنا، وإلا فلا نجاة لكم، وكما أنَّ أصحاب موسى كانوا مأمورين بدخول القرية خاضعين قائلين: يا رب حط عنا كي يغفر للمذنبين منهم ويزيد الكرامة للمحسنين، فكذلك أنتم معاشر المؤمنين يجب عليكم الأخذ مني لأني مدينة علم النبي، ويلزمكم الدخول في طاعتنا والبراءة من أعدائنا كي يغفر الله للمذنبين منكم ذنوبهم، ويرفع الله للمحسنين درجاتهم، ويزيدهم من فضله، وإلا تفعلوا فارتقبوا النكال من الله))[1] .

وفيما يبدو أنَّ فائدة التشبيه هنا لا تتوقف عند دلالة الأمر فحسب التي ذكرها المحمودي، بل تتعدى ذلك الى دلالات أخرى يوحي بها هذان التشبهان، منها : الدلالة على الفصل بين الحق والباطل فمثلما أنَّ الكهف، وباب حطة هما فصلٌ بين الحق والباطل، فإنَّه (عليه السلام) كذلك يمثل فصلًا بين الحق والباطل، وكذلك الدلالة على البرهان والحجة، فمثلما كان الكهف وباب حطةٍ حجةً، وبرهانَ حقٍ على الأقوام السالفة، فكذلك الإمام (عليه السلام) إنَّه حجةٌ وبرهانٌ على الناس كافة الى يوم الدين .

ومن شواهد التشبيه كذلك ما جاء في كتابٍ له (عليه السلام) إلى سلمان الفارسي (رضوان الله عليه)، حينما كان سلمان واليًا على المدائن : ((**أما بعد فإن الدنيا مثلها مثل الحية، ليِّنٌ مسُّها قاتلٌ سمُّها، فأعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها**))[2] .

فقد مثَّل (عليه السلام) الدنيا وهي شيء معنوي بالحية وهي شيء مادي محسوس، وذلك لما تراكم في المُشبَّه (الحية) من أمور مكروه ، فهي تمثل مصدرَ تناقضٍ، إذ تمتاز بملمسها الناعم وسمها القاتل، ومظهرها الجميل وتصرفها العدواني، و إنها تمتاز بالغدر والانتقام، وسرعة الذهاب والانفلات، وقلة الفائدة، وغير ذلك من الصفات اللازمة لها، وهذه المعاني تدل عليها لفظة الدنيا، إلا أنها لم تتكشف لو جيء بها مجردةً من التشبيه، ولكنها اتضحت وبرزت من خلال مجيء التشبيه مما جعلها كلها مرادة مطلوبة في النص الشريف .

---

١ . نهج السعادة : ١/ ٥٦٧ .

٢ . المصدر نفسه : ٢/ ١٠ .

ومن الأمثلة كذلك ما ورد في قوله (عليه السلام) في بيان فضل العلماء في الامة : ((**وإنما العلماء في الناس كالبدر في السماء يُضيء نوره على سائر الكواكب**))[١] .

إذ يلحظ المتلقي في النص الشريف تشبيه المحسوس وهم (العلماء) بما هو أكثر إحساسًا وهو (البدر)، وقد دلت العلاقة التشبيهية في هذا المقام دلالة ركامًا على أمور عدة يكشف الستار عنها المشبه به : منها تمكين المعنى في النفس، ومنها المبالغة في المعنى إذ يُشير التمثيل بالبدر إلى علو المنزلة ، وهيبة المنظر وروعته ، وعموم الفائدة ودوامها ، وعدم التكبر والامتنان ، واستمرارية الحركة من أجل تحقيق الفائدة المتوخاة ، وكل هذه المعاني إنما هي مرادة مطلوبة ـ والله أعلم ـ .

ونظير ما تقدم من مصاديق التشبيه هو قوله (عليه السلام) في وصف حكم بني أمية للأمة من بعده : ((**ألا وإنَّكم ستجدون بني أمية أرباب سوءٍ لكم من بعدي كالناب الضروس تعض بفيها، وتركض برجلها، وتخبط بيدها، وتمنع درها**))[٢] .

فقد عمد (عليه السلام) إلى تشبيه حكم بني أمية بالناب الضروس، أي الناقة الفتية، وذلك لما يحمله المشبه به من ركام دلالي قد فصَّل (عليه السلام) بعضه بقول : (تعض بفيها، وتركض برجلها، وتخبط بيدها، وتمنع درها)، وفضلا على هذا فإن (الناب الضروس) تدلُّ على صفة الحيوانية، وحداثة السن، والعداوة، وسوء الخلق، وشدة الاعتزاز بالمولود، والطمع، وغير ذلك من الصفات المذمومة[٣]، ولا شك أنَّ جميع ما تراكم من معانٍ إنما أراد (عليه السلام) ركمها في وصف بني أمية؛ وذلك لشدة وجه الشبه بين بني أمية والناب الضروس، ومن هنا يتبين أثر علاقة التشبيه في ركم هذه المعاني جميعها مع ايجاز اللفظ واختصاره .

---

١ ـ نهج السعادة : ٣/ ٣٢ .

٢ ـ المصدر نفسه : ٢/ ٣٦٥ .

٣ ـ ينظر لسان العرب : (ضرس) ١١٦/٦.

- **القرآن الكريم .**

١. أبحاث في أصوات العربية : د. حسام سعيد النعيمي ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق ١٩٩٨ م .
٢. أبنية الأسماء والأفعال والمصادر : أبو القاسم علي بن جعفر السعدي اللغوي المعروف بابن القطاع الصقلي(ت ٥١٥هـ) ، تحقيق : د. أحمد محمد عبد الدايم، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٩٩م .
٣. أبنية الأفعال ، دراسة لغوية قرآنية : د. نجاة عبد العظيم الكوفي ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٤١٠- ١٩٨٩م . د.ط .
٤. أبنية الصرف في كتاب سيبويه : د. خديجة الحديثي ، معجم ودراسة ، مكتبة لبنان ، ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣ م .
٥. أبنية المبالغة وأنماطها في نهج البلاغة : د. حيدر هادي خلخال الشيباني، ط١، اصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة لحسينية المقدسة ، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م .
٦. الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ .، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني ، مصر ، ١٣٨٧- ١٩٦٧م .
اتساع الدلالة في الخطاب القرآني : د. محمد نور الدين المنجد، ط١، دار الفكر ، دمشق . سوريا ، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م .
٧. أدب الكاتب : أبو محمد عبد الله بن سلمان بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ) ، تحقيق وشرح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، (د . ط) ، ٢٠٠٥م .
٨. ارتشاف الضرب من لسان العرب : أبو حيان ، اثر الدين ، محمد بن يوسف الأندلسي (ت٧٤٥هـ) ، تحقيق : د. احمد مصطفى النحاس ، ط١ ، مطبعة المدني ، مصر ، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٧م.
٩. إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم : ابو السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٨٢هـ) ، ط٤ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م .
١٠. إرشاد الفحول بتحقيق الحق من علم الأصول : محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) ، ط١ ، مطبعة مصطفى البابي ، مصر ، ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م .
١١. أساس البلاغة الزمخشري ، جار الله ابو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ) ، تقديم : د. محمود فهمي حجازي ، الشركة الدولية للطباعة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .
١٢. أساليب بلاغية (الفصاحة – البلاغية – المعاني) : د. احمد مطلوب ، ط١ ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٨٠ م .

١٣. أسرار البلاغة في علم البيان : عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) ، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ـ لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١م .
١٤. أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والاعجاز : د. مصطفى شاهر خلوف ، ط١، دار الفكر ، عمان الاردن، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م .
١٥. الاشتراك والتضاد في القران الكريم ـ دراسة إحصائية : د. أحمد مختار عمر، مطبعة الفاروق الحديثة للطباعة والنشر . القاهرة ، (د. ط) .
١٦. الأصوات اللغوية : د. إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية ، ٢٠٠٧م ، (د. ط).
١٧. أصول الكافي : الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ) ، ط١، منشورات الفجر ، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م .
١٨. الأصول في النحو : ابن السراج أبو بكر بن محمد بن سهيل البغدادي (ت٣١٦هـ) ، تحقيق : د. عبد الحسين الفتلي ، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ، ١٩٧٣م .
١٩. الأضداد : أبو بكر محمد بن القاسم الانباري (ت٣٢٨هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الكويت ، ١٩٦٠م .
٢٠. الأضداد في اللغة : د. محمد حسين آل ياسين ، ط١ ، مطبعة دار المعارف ، بغداد ، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م .
٢١. الأضداد في كلام العرب : أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (ت ٣٥١هـ) ، د.ط تحقيق : عزة حسن مطبوعات المجمع العلمي ، دمشق ١٣٨٢هـ – ١٩٦٣م .
٢٢. الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم : د. عبد الحميد أحمد يوسف الهنداوي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م .
٢٣. الأعلام : خير الدين الزركلي ، ط١٥، دار العلم للملايين ، بيروت ـ لبنان ، ٢٠٠٢م .
٢٤. الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى : أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (ت٣٨٤هـ) ، تحقيق وتعليق : د. فتح الله صالح علي المصري ، ط١ ، دار الوفاء ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م .
٢٥. ألفية ابن مالك في النحو والصرف : أبو عبد الله محمد جمال الدين بن مالك الاندلسي (ت٦٧٢هـ) ، تحقيق : سليمان بن عبد العزيز العويني ، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع بالرياض، (د. ط) .
٢٦. أنوار الأصول : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، ط٢، الناشر مدرسة الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، أصفهان ، إيران ، ١٤٢٨هـ .
٢٧. أوزان الفعل ومعانيها : د. هاشم طه شلاش، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٧١م ، (د. ط) .

٢٨. أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك : جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مهشام الانصاري (ت٧٦١هـ)، تقديم : د. إميل بديع يعقوب، ط٢، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان ، ٢٠٠٣م .

٢٩. الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٧٣٩هـ) ، شرح وتعليق وتنقيح : د. محمد عبد المنعم خفاجي ، ط٣ ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م .

٣٠. البحث الدلالي في كتاب سيبويه : د. دلخوش جار الله حسين ، ط١، دار دجلة ، عمان ، الاردن، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م .

٣١. البحر المحيط في التفسير : محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) ، ط ٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م .

٣٢. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد : الإمام العلاّمة أبو العباس أمجد بن محمد بن المهدي ابن عجيبة الحسني (ت ١٢٢٤هـ) ، تحقيق عمر أحمد الراوي ، دار الفكر ، بيروت ، ٢٠٠٠م .

٣٣. البديع في نقد الشعر : أسامة بن منقذ (ت٥٨٤هـ)، تحقيق : أحمد أحمد بدوي، ود. حامد عبد المجيد، مطبعة البابي الحلبي ت مصر ، ١٩٦٠ م .

٣٤. البرهان الكاشف عن اعجاز القران : كمال الدين عبد الواحد عبد الكريم الزملكاني ، ط١، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٣٩٤هـ .

٣٥. البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد اللّه الزركشي (ت٧٩٤هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ، ١٩٥٨ .

٣٦. بلاغة أرسطو بين العرب واليونان : د. إبراهيم سلامة ، ط١ ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م .

٣٧. البلاغة الصوتية في القرآن الكريم : د. محمد ابراهيم شادي ، ط١ ، الشركة الاسلامية للإنتاج و والتوزيع والاعلان ، مصر ، ١٩٨٨م .

٣٨. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها : عبد الرحمن حسن جنكة الميداني ، ط١ ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ١٤١٦هـ . ١٩٩٦م .

٣٩. البلاغة العربية في البيان والبديع : د. سامي أبو زيد ، ط١ ، جامعة الإسراء الخاصة ، ٢٠١١م .

٤٠. بلاغة الكلمة والجملة والجمل : منير سلطان ، مؤسسة المعارف للطبعة والنشر، ١٩٩٣ م .

٤١. البلاغة والاسلوبية : د. محمد عبد المطلب ، ط١، دار نوبار للطباعة، القاهرة، مصر ، ١٩٩٤م .

٤٢. البلاغة وقضايا المشترك اللفظي : د. عبد الواحد حسن الشيخ ، د.ط ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، ١٩٨٦م .

٤٣. بناء الاسلوب في شعر الحداثة (التكوين البديعي) : د. محمد عبد المطلب ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة . مصر ، ١٩٩٥م .
٤٤. بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : الشيخ محمد تقي التستري، ط١ن مطبعة سهير، طهران . إيران ، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م .
٤٥. البيان والتبيين : ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط٧، مطبعة المدني ، القاهرة ، مصر ، ١٩٩٨م .
٤٦. تاج العروس من جواهر القاموس : محب الدين أبو فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي (ت ١٢٥٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون وآخرون ، التراث العربي ، سلسلة تصدرها وزارة الإعلام في الكويت ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٦٥ –٢٠٠٠م .
٤٧. تأويل مشكل القرآن : الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، تحقيق : السيد احمد صقر ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .
٤٨. التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن : لابن الزملكاني (ت ٦٥١هـ) ، تحقيق : د. أحمد مطلوب، ود. خديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط١ ، ١٩٦٤م .
٤٩. التبيان في علوم المعاني والبديع والبيان : شرف الدين حسين بن محمد الطيبي : تحقيق : هادي عطية مطر الهلالي ، ط١ ، مطبعة عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م .
٥٠. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن : ابن ابي الاصبع المصري ، تحقيق : محمد شرف، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، لجنة احصاء التراث الاسلامي ، القاهرة .
٥١. التحرير والتنوير: الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) ،(د.ط) دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ١٩٨٤م .
٥٢. التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة (دراسة في الدلالة الصوتية ، والصرفية ، والنحوية ، والمعجمية) : د. محمود عكاشة ، ط١ ، دار النشر للجامعات ، مصر ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م .
٥٣. التراكيب اللغوية في العربية ـ دراسة وصفية تطبيقية : د. هادي نهر، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب ، ١٩٨٧م .
٥٤ . التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهرة : د. عبد الفتاح لاشين ، دار الجيل للطباعة ، مصر ، الناشر : دار المريخ ، الرياض ، ١٩٨٠م .
٥٥. تصريف الأسماء والأفعال : د. فخر الدين قباوة ، ط٢ ، مكتبة المعارف ، بيروت، لبنان ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .
٥٦. التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث : د. الطيب البكوش : ط٣، المطبعة العربية، تونس ، ١٩٩٢ .

٥٧. التضاد في القرآن الكريم : د. محمد نور الدين المنجد، ط١، دار الفكر بدمشق، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م .
٥٨. التضمين في العربية . بحث في البلاغة والنحو : د. أحمد حسن حامد ، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م .
٥٩. التطبيق الصرفي : د. عبده الراجحي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .
٦٠. التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم – دراسة دلالية مقارنة : د .عوده أبو خليل عوده ، ط١ ، مكتبة المنار ، الأردن ، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م .
٦١. التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه : د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي . القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٠م .
٦٢. التعبير الفني في القران : د. بكري شيخ أمين ، ط١، دار الشروق، القاهرة . مصر ، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م .
٦٣. التعبير القرآني والدلالة النفسية : د. عبدالله محمد الجيوسي ، ط١، دار الغوثاني للدراسات القرآنية ، دمشق ت سوريا ، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م .
٦٤. التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل : د. محمود أحمد نحلة ، مكتبة زهراء الشرق، ١٩٩٩م .
٦٥. تفسير السمرقندي : لابي الليث السمرقندي (ت٣٨٣هـ) ، تحقيق : د. محمود مطرجي، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، د. ت .
٦٦. التفسير الكبير ، أو مفاتيح الغيب : فخر الدين محمد بن عمر التميمي البكري (ت ٦٠٤هـ) ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون ، بيروت ، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م .
٦٧. تفسير غريب القرآن : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ) ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م ، (د. ط) .
٦٨. التكرير بين المثير والتأثير : د. عز الدين علي السيد ، ط٢ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٦م.
٦٩. تكملة المعاجم العربية : رينهارت دوزي ، ترجمة : د. محمد سليم النعيمي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٨٢م .
٧٠. التناوب الدلالي بين صيغ الوصف العامل : د. طه محمد الجندي ، ط١، دار النشر (الالوكة) ، ١٩٩٨م .
٧١. التنغيم اللغوي في القرآن الكريم : سمير ابراهيم وحيد العزاوي، ط١، دار الضياء للنشر والتوزيع . عمان ، ٢٠٠٠م .
٧٢. تهذيب اللغة : أبو منصور بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ) ، تحقيق : عمر سلامي ، عبد الكريم حامد ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م .

٧٣. تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي : د. أسعد احمد علي ، ط٣، دار السؤال للطباعة والنشر بدمشق ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م .

٧٣. توضيح نهج البلاغة : السيد محمد الحسيني الشيرازي ، ط١، دار العلوم للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م .

٧٥. التوقيف على مهمات التعاريف : محمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ) ، تحقيق : د. عبد الحميد صالح حمدان ، ط١، عالم الكتب ، القاهرة . مصر ، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م .

٧٦. ثلاث كتب (الاضداد) : الاصمعي، والسجستاني، وابن السكيت ، نشرها الدكتور أوغت هفنر، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليوسعيين ، بيروت ١٩١٢م .

٧٧. جامع البيان في تأويل آي القرآن : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) تحقيق : د. عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع .

٧٨. جامع الدروس العربية : الشيخ مصطفى الغلاييني ، ضبط وتخريج الاستاذ : محمد فريد ، د.ط ، المكتبة التوفيقية بالقاهرة ، د.ت .

٧٩. الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور : ضياء الدين بن الاثير الجزري : تحقيق : د. مصطفى جواد، ود. جميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٧٥هـ . ١٩٥٦م ، د.ط .

٨٠. الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) ، تحقيق : سالم مصطفى البدري ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠م .

٨١. جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب : د. ماهر مهدي هلال ، دار الحرية للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٨٠م .

٨٢. الجملة العربية والمعنى : د. فاضل صالح السامرائي ، ط٢ ، دار الفكر ، عمان ، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م .

٨٣. جمهرة الأمثال : أبو هلال العسكري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعبد المجيد قطامش ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت . لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م .

٨٤. جمهرة اللغة : أبو بكر بن الحسن بن دريد الازدي البصري (ت٣٢١هـ) ، دار صادر ، بيروت ، د. ت .

٨٥. جوهر الكنز : نجم الدين احمد بن اسماعيل بن الأثير الحلبي (ت٧٢٥هـ) ، تحقيق : أكرم عثمان ، دار الحرية ن بغداد ، ١٩٨٠م .

٨٦. حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : للشيخ محمد الخضري الشافعي ، شرح وتعليق تركي فرحان المصطفى ، ط٢ ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م .

٨٧. حاشية الصبَّان على شرح الاشموني : محمد الصبّان (ت ١٢٠٦هـ) ، تحقيق : محمود بن جميل ، ط١ ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .

٨٨. حاشية على شرح الفاكهي لقطر الندى : ياسين بن زين الدين الحمصي الشافعي (ت١٠٦١هـ)، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م .

٨٩. حسن التوسل الى صناعة الترسل : شهاب الدين محمود بن سليمان الحلبي (ت٧٢٥هـ) ، تحقيق : أكرم عثمان ، دار الحرية . بغداد ، ١٩٨٠م .

٩٠. الحقول الدلالية في القراءات القرآنية الصحيحة : د. أحمد عارف حجازي ، ط١ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٧ م .

٩١. الحيوان : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، البابي . الحلبي ، مصر .

٩٢. خزانة الأدب وغاية الأرب : تقي الدين أبو بكر علي المعروف بابن حجة الحموي (ت٨٣٧هـ) ، دار القاموس ، بيروت (د.ت) .

٩٣. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : عبد القادر البغدادي ، (ت ١٠٩٣هـ) ، تحقيق : محمد نبيل طريفي ، وإميل بديع يعقوب ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨م .

٩٤. الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ) ، تحقيق ، محمد علي النجار ، ط٢ ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٠ م .

٩٥. خصائص الحروف العربية ومعانيها : حسن عباس ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٩٨م ، (د. ط) .

دراسات في علم اللغة (القسم الثاني) : د. كمال بشر، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٩م .

دروس في الألسنية العامة : فردينان دي سوسير، ترجمة : صالح القرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة، ط١ ، الدار العربية للكتاب ، تونس، ليبيا، ١٩٨٥م .

٩٦. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : غانم قدوري الحمد ، ط١ ، مطبعة الخلود ، بغداد ، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م .

٩٧. الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري : د. محمد حسين آل ياسين ، ط١ ، مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٨١م .

٩٨. دراسات لأسلوب القران الكريم : الاستاذ محمد عبد الخالق عظيمة ، دار الحديث ، القاهرة . مصر ، د . ت .

٩٩. دراسة الصوت اللغوي : د. أحمد مختار عمر، ط١، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م .

١٠٠. دروس التصريف : القسم الأول في المقدمات وتصريف الأفعال : محمد محيي الدين عبد الحميد (ت ١٩٧٢م) ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م .
١٠١. دروس في علم أصوات العربية : جان كانتنيو ، ترجمة الاستاذ صالح القرمادي ، نشريات الجامعة التونسية ١٩٦٦ م .
١٠٢. دلالة الألفاظ ، د. إبراهيم أنيس ، ط١ ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٣م .
١٠٣. الدلالة السياقية عند اللغويين : د. عواطف كنوش ، ط١ ، دار السَّياب للطباعة والنشر والتوزيع _ لندن ٢٠٠٧.
١٠٤. الدلالة الصوتية في اللغة العربية : د. صالح سليم عبد القادر الفاخري ، المكتب العربي الحديث للنشر ت الاسكندرية . مصر ، (د. ت) .
١٠٥. الدلالة اللغوية عند العرب : د. عبد الكريم المجاهد ، دار الضياء للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٨٥م، (د.ط) .
١٠٦. الدلالة والتقعيد النحوي دراسة في فكر سيبويه : د. محمد سالم صالح ، ط١ ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٦م.
١٠٧. دلائل الإعجاز : الشيخ أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت٤٧١هـ) ، تحقيق : محمد رشيد رضا ، (د. ط) ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.
١٠٨. ديوان ابن قلاقس : لابن قلاقس اللخمي الازهري الاسكندري من فحول القرن السادس الهجري ، طُبع بمطبعة الجوائب بمصر عام ١٩٠٥م .
١٠٩. ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري (ت٦١٠هـ) المسمى التبيان في شرح الديوان ، ضبط نصه وصححه د. كمال طالب ، ط٢ ، دار الكتب ، بيروت ، ٢٠٠٨م .
١١٠. ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق : محمد عبده عزام ، ط٤ ، دار المعارف، القاهرة .
١١١. ديوان الأدب : أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي (ت ٣٥٠هـ) ، تحقيق : د. احمد مختار عمر ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، ١٣٩٤هـ– ١٩٧٤م. د.ط .
١١٢. ديوان البحتري : أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي (ت٢٨٤هـ) ، تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي ، ط٣ ، دار المعارف بمصر
١١٣. ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت : دراسة وتبويب : د. مفيد محمد قميمة ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .
١١٤. ديوان المسيب بن علس : جمع وتحقيق ودراسة : د. عبد الرحمن محمد الوصيفي ، ط١، الناشر مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م .

١١٥. ديوان النابغة الذبياني : شرح وتقديم : عباس عبد الستار ، ط٣، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م .
١١٦. ديوان سُحيم : لسُحيم هبد بني الحسحاس ، تحقيق : الاستاذ عبد العزيز الميمني ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م .
١١٧. ديوان عَبيد بن الأبرص ، تحقيق وشرح : د. حسين نصَّار، ط١، الناشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م .
١١٨. ديوان كُثير عزَّة : جمعه وشرحه : د. إحسان عباس ، نشر وتوزيع دار الثقافة ، بيروت ـ لبنان ، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م .
١١٩. ديوان لبيد بن ربيعة العامري : قدَّم له ووضع هوامشه وفهارسه : د. حنا ناصر ، ط١، الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م .
١٢٠. ديوان مهلهل بن ربيعة التغلبي الملقب الزير أبو ليلى المهلهل (ت٩٤ ق.هـ) : تحقيق : أنطوان محسن القوال ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٥م .
١٢١. الرافد في علم الأصول ـ محاضرات السيد علي الحسيني السيستاني ، بقلم السيد منير السيد عدنان القطيفي ، ١٤١٤ هـ .
١٢٢. روح المعاني : في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : أبو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ) ، تصحيح : محمد حسين العربي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤ م .
١٢٣. الزاهر في معاني كلمات الناس : أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الانباري (ت٣٢٨هـ) ، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن ، ط٢ ، دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ، ١٩٨٧م .
١٢٤. ست محاضرات في الصوت والمعنى : رومان ياكوبسن ، ترجمة : حسن ناظم، وعلي حاكم صالح، ط١، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٤م .
١٢٥. سر صناعة الاعراب : ابو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) ، تحقيق : محمد حسن اسماعيل ، وأحمد رشدي شحاتة ، منشورات محمد علي بيضون ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ٢٠٠٠م .
١٢٥. السنن الكبرى : أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م .
١٢٦. السنن الكبرى : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ) ، تحقيق : حسن عبد المنعم شلبي ، ط١ ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م .
١٢٧. شذا العرف في فن الصرف : الشيخ أحمد الحملاوي ، ط١٦ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٦٥ م .

١٢٨. شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك : ابن الناظم أبو عبد الله بدر الدين محمد بن الإمام جمال الدين بن مالك الطائي (ت٦٨٦هـ) ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م .

١٢٩. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : بهاء الدين عبد الله ابن عقيل العقيلي الهمداني المصري (ت ٧٦٩هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير ، القاهرة ، ١٣٣٦هـ – ٢٠٠٤ م ، د. ط .

١٣٠. شرح أدب الكاتب : أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي ، تقديم السيد مصطفى صادق الرافعي ، عنيت بنشره مكتبة القدس بالقاهرة ، ١٣٥٠ هـ .

١٣١. شرح الاشموني علي ألفية ابن مالك ، (منهج السالك إلى ألفية ابن مالك) : الاشموني : (ت ٩٠٠هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٧٥هـ– ١٩٥٥م .

١٣٢. شرح التسهيل : ابن مالك (ت ٧٦٢هـ) ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، وطارق فتحي السيد ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م .

١٣٣. شرح التصريح على التوضيح : الشيخ خالد بن عبد اللّه الازهري (ت ٩٠٥هـ) – ط١ ، مطبعة الاستقامة ، دار إحياء التراث الكتب العربية ، مصر ، ١٩٥٤ م .

١٣٤. شرح الرضي على الكافية : رضى الدين الاسترآباذي (ت ٦٨٦) ، تصحيح وتعليق : يوسف حسن عمر ، مؤسسة الصادق ، طهران ، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م .

١٣٥. شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع : صفي الدين الحلي (ت٧٥٠هـ) ، تحقيق الدكتور نسيب نشاوي ، ط٢، دار صادر ، بيروت . لبنان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

١٣٦. شرح الكافية الشافية : جمال الدين محمد بن عبد الله مالك الطائي الجياني ، تحقيق : د. عبد المنعم أحمد هريدي ، دار المأمون للتراث ، مكة المكرمة .

١٣٧. شرح المفصل : الشيخ موفق الدين بن علي بن يعيش النحوي (ت٦٤٣هـ) ، تحقيق وشرح : أحمد السيد أحمد ، مراجعة : إسماعيل عبد الجواد عبد الغني، المكتبة التوفيقية ، مصر (د.ت).

١٣٨. شرح ديوان الحماسة : أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي (ت٥٠٢هـ) ، تحقيق : محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة حجازي ، القاهرة ، د.ت .

١٣٩. شرح شافية ابن الحاجب : الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي (ت٦٨٨هـ) ، تحقيق وضبط وشرح : محمد نور الحسن ، ومحمد الزخزاف ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، منشورات : محمد علي بيضون ، بيروت (د. ط)

١٤٠. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب : ابن هشام الأنصاري (ت ٦٧١هـ) ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطابع الروضة النموذجية ، حمص ، ١٩٨٨ – ١٩٨٩م .
١٤١. شرح قطر الندى وبل الصدى : لابن هشام الانصاري ، ضبطه وعلق عليه : يوسف الشيخ محمد البقاعي، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت . لبنان ، ١٩٩٧م .
١٤٢. شرح كتاب الحدود في النحو : عبد الله بن أحمد الفاكهي (ت ٩٧٢هـ) ، تحقيق : د. رمضان أحمد الدميري ، ط١، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .
١٤٣. شرح نهج البلاغة : ابن ابي الحديد (ت٦٥٦هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل . بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧م .
١٤٤. شرح نهج البلاغة : كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت٦٧٩هـ) ، ط١، مطبعة وفا، قم ، ايران ، ١٤٢٧هـ .
١٤٥. الصاحبي في فقه اللغة : أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق السيد أحمد صقر ، مكتبة ومطبعة دار أحياء الكتب العربية د. ت .
١٤٦. صبح الأعشى في صناعة الإنشا : الشيخ أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي ، تحقيق : د. يوسف علي طويل ، ط١، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٧م .
١٤٧. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) : إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ) ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، ط٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٤٠٧– ١٩٨٧م.
١٤٨. صحيح البخاري : أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ) ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، ط١، دار ابن كثير . بيروت . لبنان ، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .
١٤٩. الصرف الوافي . دراسات وصفية تطبيقية : د. هادي نهر ، ط١ ، عالم الكتب الحديث ، اربد ، الاردن ، ٢٠١٠ م .
١٥٠. الصناعتين . الكتابة والشعر : أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق : محمد علي البجاوي ، ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، دار البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٧١ م .
١٥١. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز : يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي (ت٧٤٩هـ)، دار الكتب الخديوية، مطبعة المقتطف، مصر ١٩١٤م .
١٥٢. ظاهرة الحذف في العربية : د. طاهر سليمان حموده ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، مصر ، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٢ م .
١٥٣. العربية والبحث اللغوي المعاصر : د. رشيد عبد الرحمن العبيدي ، منشورات المجمع العلمي ، مطبعة المجمع العلمي ، بغداد ، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م .

١٥٤. العربية والغموض دراسة لغوية في دلالة المبنى على المعنى : د. حلمي خليل ، ط٢، دار المعرفية الجامعية للنشر ، مصر ، ٢٠١٣م .
١٥٥. عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح : بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣هـ) ، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، بيروت . لبنان ، ط١، ٢٠٠٣م .
١٥٦. علم الأصوات : برتيل مالبرج ، ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين ، مطبعة التقدم ، الناشر مكتبة الشباب في القاهرة ، ١٩٨٥م .
١٥٧. علم الأصوات : د. كمال بشير، (د. ط)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م .
١٥٨. علم الأصوات العام (أصوات اللغة العربية) : د. بسّام بركة ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، ١٩٨٨ م .
١٥٩. علم الدلالة (دراسة نظرية تطبيقية) : فريد عوض حيدر ، ط١، مكتبة القاهرة ، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م .
١٦٠. علم الدلالة : د. أحمد مختار عمر ، ط١، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٢م .
١٦١. علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي) : د. منقور عبد الجليل ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، ٢٠٠١م.
١٦٢. علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي : د. هادي نهر ، ط١، دار الأمل للنشر والتوزيع – الأردن ، ٢٠٠٧.
١٦٣. علم الدلالة العربي (النظرية والتطبيق) : د. فايز الداية ، ط٢ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٦م.
١٦٤. علم الصرف الصوتي ، د. عبد القادر عبد الجليل ، ط١ ، دار الصفاء للنشر والتوزيع ، عمان ،١٤٣١هـ – ٢٠١٠ م .
١٦٥. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، د. محمود السعران ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٢م.
١٦٦. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية . بيروت، ٢٠٠١م .
١٦٧. عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية : د. مسعود بودوخة ، ط١، عالم الكتب الحديث، الاردن، ١٤٣٢هـ ، ٢٠١١م .
١٦٨. العين : أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) ، تحقيق : د. مهدي المخزومي ، و د. إبراهيم السامرائي ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨١ م .
١٦٩. غريب الحديث : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) تحقيق : د. عبد الله الجبوري ، ط١ ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٣٩٧ هـ .

١٧٠. فتح القدير الجامع بين فنَّي الرِّواية والدِّراية من علم التفسير : محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، د.ط .

١٧١. لفروق اللغوية : أبو هلال العسكري (ت بعد ٤٠٠هـ) ، تحقيق : محمد إبراهيم سليم ، د.ط ، دار العلم والثقافة ، القاهرة ، د.ت .

١٧٢. الفعل زمانه وأبنيته : د. ابراهيم السامرائي، مطبعة العاني . بغداد، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م ، د . ط .

١٧٣. الفعل في اللغة العربية . بحث في تولد الصيغ وانتظامها : د. الازهر الزناد ، ط١ ، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع ، العراق ، ٢٠١٤م .

١٧٤. فقه اللغة : د. حاتم صالح الضامن : د.ط ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد .

١٧٥. فقه اللغة : د. علي عبد الواحد وافي ، د.ط ، دراسة نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجّالة ، القاهرة ، ٢٠٠٩م .

١٧٦. فقه اللغة وإسرار العربية : أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ) وضع وتعليق :د. ديزيزه سقال ، ط١ ، مطابع يوسف بيضون ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٩م.

١٧٧. فقه اللغة وخصائص العربية : محمد المبارك ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م ، (د. ط) .

١٧٨. فن الجناس (بلاغة . أدب . نقد) : د. علي الجندي ، دار الفكر العربي ، (د. ت) .

١٧٩. في البلاغة العربية . علم البديع : د. عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت . لبنان د.ت .

١٨٠. في البلاغة العربية . علم المعاني : د. عبد العزيز الصيغ، ط١، دار النهضة العربية بيروت . لبنان ، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م .

١٨١. في اللهجات العربية : د. إبراهيم أنيس ، ط٨ ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٢م .

١٨٢. في النحو العربي – نقد وتوجيه : د . مهدي المخزومي ، ط٢ ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٨٣. في ظلال نهج البلاغة : الشيخ محمد جواد مغنية ، تحقيق : سامي الغريري ، ط١، مطبعة ستار ، الناشر مؤسسة دار الكتاب الاسلامي ، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م .

١٨٤. في نحو اللغة وتراكيبها : د. خليل أحمد عمايرة ، ط١ ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، جدّة ، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

١٨٥. القاموس المحيط : محمد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ) ، دار الجيل ، المؤسسة العربية للطباعة ، بيروت (د. ت) .

١٨٦. القانون في الطب : أبو علي الحسين بن علي بن سينا (ت٤٢٨هـ) ، وضع حواشيه : محمد أمين الضناوي ، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان ، ط١ ، ١٩٩٩م .
١٨٧. قضايا لغوية قرآنية (دراسات نظرية وتطبيقية في المنهج الأصولي لتحليل النص القرآني) : د. عبد الأمير كاظم زاهد ، ط١ ، مطبعة أنوار دجلة ، بغداد .، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م .
١٨٨. الكتاب : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ) ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، ط١ ، دار الجبل ، بيروت .
١٨٩. كتاب الأضداد : محمد بن المستنير (قطرب) : تحقيق : د. حنا حداد ، ط١ ، دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠٥هـ . ١٩٨٤م .
١٩٠. كتاب الأغاني : لأبي الفرج الأصفهاني ، تحقيق : د. إحسان عباس، ود. إبراهيم السعافين، والاستاذ بكر عباس، ط٣ ، دار صادر ، بيروت ـ لبنان ، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م .
١٩١. كتاب الأفعال : أبو القاسم علي بن جعفر السعدي اللغوي المعروف بابن القطاع الصقلي(ت ٥١٥هـ) ، ط١، مطبعة المعارف العثمانية ، حيدر آباد، ١٣٦٠هـ .
١٩٢. كتاب التعريفات : السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ، تحقيق : إبراهيم الانباري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢ م .
١٩٣. كشاف اصطلاحات الفنون : محمد بن علي التهانوي (ت ١١٥٨هـ) ، تحقيق : د . لطفي عبد البديع ، ترجمة : د. عبد النعيم محمد حسنين ، الناشر : الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٧م .
١٩٤. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، ط٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ٢٠٠١م .
١٩٥. الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) : أبو البقاء الحسين الكفوي (ت١٠٩٤هـ) ، إعداد : د. عدنان درويش ، ومحمد المصري ، ط٤ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٨م .
١٩٦. لسان العرب : ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(ت ٧١هـ) ،(د.ط)، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٦ م .
١٩٧. اللغة : فنذريس – تعريب : عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، الناشر : مكتبة الانجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٥٠م .
١٩٨. اللغة العربية معناها ومبناها : د. تمام حسان ، ط٥ ، عالم الكتب ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.
١٩٩. ما اتفق لفظة وأختلف معناه من القرآن المجيد : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ) ، تعليق : عبد العزيز المنيمي الراجوني ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٥٠م.

٢٠٠. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين ابن الأثير (ت٦٣٠هـ) ، تقديم : د. أحمد الحوفي ، ود. بدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة (د. ت) .
٢٠١. مجمع البيان في تفسير القرآن : أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) ، ط٢ ، دار الكتاب ، بيروت ، ١٣٧٧هـ – ١٩٥٧م .
٢٠٢. مجموعة القرارات العلمية في خمسين عامًا : أخرجها وراجعها : محمد شوقي أمين ، وابراهيم الترزي ، الهيئة العامة للمطابع الاميرية ، القاهرة . مصر ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
٢٠٣. محاضرات في اللغة : د. عبد الرحمن أيوب ، ط١ ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٦م.
٢٠٤. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، تحقيق : علي النجدي ناصف و د. عبد الحليم النجار ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، مطابع التجارية ، القاهرة ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤ م ، (د. ط) .
٢٠٥. المحكم والمحيط الاعظم : أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده (ت٤٥٨هـ) ، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م .
٢٠٦. مختصر المعاني : سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢هـ) ، ط١، مطبعة القدس ، قم ، ١٤١١هـ .
٢٠٧. المخصص : أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده (ت٤٥٨هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (د. ط) ، (د.ت) .
٢٠٨. المدخل إلى علم أصوات العربية : د. غانم قدوري الحمد، ط١ ، دار عمار للنشر والتوزيع ، عمان الاردن ، ٢٠٠٤م .
٢٠٩. المدخل إلى علم اللغة العربية : د. محمود فهمي حجازي ، ط٢ ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٨ م.
٢١٠. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي : د. رمضان عبد التواب، ط٢، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .
٢١١. مرجع الضمير في القران الكريم : د. محمد حسنين صيرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ـ مصر ، ٢٠٠١م .
٢١٢. المزهر في علوم اللغة وأنواعها : جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) : تحقيق محمد أحمد جاد المولى ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد التجازي ، دار الجبل ودار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت (د. ت) .
٢١٣. المشترك اللفظي في اللغة العربية : د. عبد الكريم شديد ، د. ط ، ديوان الوقف السنّي ، مركز البحوث والدراسات الإسلامية ، ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٧م .

٢١٤. المشتقات الدالة على الفاعلية والمفعولية – دراسة صرفية دلالية إحصائية : د. سيف الدين طه الفقراء ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .
٢١٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي : احمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت ٧٧٠هـ) ، ط٣ ، المطبعة الاميرية ، مصر ، ١٩٠٢م .
٢١٦. المصباح في علم المعاني والبيان والبديع : بدر الدين بن مالك . الشهير بابن الناظم ، تحقيق : د. حسني عبد الجليل يوسف ، ط١، طباعة ونشر مكتبة الآداب في الجماميز، ١٩٨٩م .
٢١٧. المصطلح الصوتي في الدراسات العربية : د. عبد العزيز الصيغ ، ط١، دار الفكر المعاصر بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٧ م .
٢١٨. المطلع على ابواب المقنع : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي الفتح الحنبلي (ت٧٠٩هـ) ، الناشر المكتب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠١هـ ـ١٩٨١م .
٢١٩. المطول على تلخيص المفتاح : سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩١هـ)، القاهرة ١٣٣٠م، د. ط .
٢٢٠. معاني الأبنية في العربية : د. فاضل صالح السامرائي ، ط١، جامعة الكويت، دولة الكويت، ١٩٨١م .
٢٢١. معاني القرآن : أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء (ت٢٠٧هـ) ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .
٢٢٢. معاني النحو : د. فاضل صالح السامرائي ، ط٢ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م .
٢٢٣. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القران الكريم : د . محمد حسن حسن جبل ، ط١ ، الناشر مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠١٠م .
٢٢٣. معجم الأفعال المتعدية بحرف : موسى بن محمد بن الملياني الاحمدي ، ط١، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان، ١٩٧٩م .
٢٢٤. معجم الأوزان الصرفية : د. إميل بديع يعقوب، ط١، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م .
٢٢٥. معجم اللغة العربية المعاصرة : د. أحمد مختار عمر ، ط١ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م .
٢٢٦. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : د. أحمد مطلوب، ط١ ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت . لبنان ، ٢٠٠٦م .
٢٢٧. المعجم المفصل في علم الصرف : الاستاذ راجي الاسمر، مراجعة : د. أميل بديع يعقوب، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م .

٢٢٨. المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته : د. أحمد مختار عمر ، ط١ ، مؤسسة التراث . الرياض ، ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م .
٢٢٩. المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ، إخراج : إبراهيم مصطفى ، وآخرون ، دار الدعوة للتأليف والطباعة والنشر والتوزيع ، استانبول ، ١٩٨٩م .
٢٣٠. معجم مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، د . ط ، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .
٢٣١. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ابن هشام الأنصاري ، تحقيق : د. مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله ، د٦ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٥ م.
٢٣٢. المغني في علم الصرف : د. عبد الحميد السيد ، ط١ ، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠١٥م .
٢٣٣. مفتاح العلوم : السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر (ت ٦٢٦هـ) ، ط١ ، مطبعة مصطفى البابي ، مصر ، ١٩٣٧م.
٢٣٤. مفردات ألفاظ القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥هـ) : تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، ط٤ ، دار القلم ، دمشق ، ٢٠٠٠م .
٢٣٥. المفصل في علوم البلاغة العربية ك د. عيسى علي العاكوب، كمشورات جامعة حلب، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م .
٢٣٦. المقتضب : أبو العباس المبرّد ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة أحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ ، د. ط .
٢٣٧. المقرب : علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور (ت٦٦٩هـ) تحقيق : د. أحمد عبد الستار الجواري، وعبد الله الجبوري، ط١، ١٩٧٢ م .
٢٣٨. من ظواهر علم الدلالة في القرآن : د. أحمد عبد التواب الفيومي ، المكتبة الأزهرية للتراث، ط١، ٢٠١٩م .
٢٣٩. مناهج البحث في اللغة : د . تمام حسّان ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، ١٩٨٦م. د. ط .
٢٤٠. المناهج الكافية في شرح الشافية : زكريا بن محمد الانصاري المصري (ت٩٢٦هـ)، تصحيح : عثمان حلمي، المطبعة العامرة، عالم الكتب، بيروت،١٣١١هـ .
٢٤١. المنصف : شرح لكتاب التعريف لابي عثمان المازني : ابن جني ، تحقيق : إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، ط١ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٧٣هـ– ١٩٤٥م .

٢٤٢. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : العلامة المحقق ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي، تحقيق : علي عاشور ، ط١، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ٢٠٠٣م .
٢٤٣. المنهج الصوتي للبنية العربية – قراءة جديدة : د. عبد الصبور شاهين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .
٢٤٤. المهذب في علم التصريف : د. صلاح مهدي الفرطوسي ، ود . هاشم طه شلاش ، ط١، مطابع بيروت الحديثة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م .
٢٤٥. موسيقى الشعر : د. ابراهيم انيس ، نكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٥م .
٢٤٦. نحو المعاني : د. أحمد عبد الستار الجواري ، ط١ ، دار الفارس ، الأردن ، ٢٠٠٦ م.
٢٤٧. نظرية المعنى في الدراسات النحوية : د. كريم حسين ناصح الخالدي ، ط١ ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .
٢٤٨. نظرية علم النص (رؤية منهجية في بناء النص النثري) : د. حسام أحمد فرج ، ط١ ، الناشر مكتبة الآداب ، القاهرة ١٤٢٨هـ . ٢٠٠٢م .
٢٤٩. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ) ، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي ، ط٢ ، محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .
٢٥٠. نقد الشعر : أبو الفرج قدامة بن جعفر ، تحقيق وتعليق : د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، د. ط .
٢٥١. النكت في إعجاز القرآن : أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (ت٦٨٦هـ) ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق : محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر ، د. ت .
٢٥٢. النهاية في غريب الحديث والأثر : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير (ت٦٠٦هـ) ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي، ط١ ، المكتبة الاسلامية ، ١٩٦٣م .
٢٥٣. نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة : الشيخ محمد باقر المحمودي (ت١٤٢٧هـ)، مؤسسة الطباعة والنشر ـ وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي ـ إيران ، ط١ ، ١٤١٨هـ .
٢٥٤. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوفيقية ، مصر ، د. ط .
٢٥٥. وصف اللغة العربية دلاليًا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية ـ دراسة حول المعنى وظلال المعنى : د. محمد محمد يونس علي، منشورات جامعة الفاتح، ١٩٩٣م .

الرسائل الجامعية :

٢٥٦. أثر تعدد المعنى في تفسير النص القرآني : د. هدى عبد الحسين مير ، أطروحة دكتوراه ، كلية الفقه، جامعة الكوفة ، ٢٠١١م .

٢٥٧. الإجمال والتفصيل في التعبير القرآني . دراسة في الدلالة القرآنية : سيروان عبد الزهرة هاشم الجنابي ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الكوفة ، كلية الآداب ، ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦م .

٢٥٨. الآليات البلاغية في التأويل عند الزمخشري : د. علي أحمد شعبان، اطروحة دكتوراه ، جامعة اليرموك ، كلية الآداب ، ٢٠٠٩م .

٢٥٩. انفتاح الدلالة في النص القرآني . دراسة لغوية تحليلية : عدنان حسن ابراهيم، رسالة ماجستير، كلية الآداب ، جامعة اليرموك ، ٢٠٠٦م .

٢٦٠. البحث الدلالي في إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (ت ٩٨٢ هـ) : زينب عبد الحسين بلال السلطاني ، اطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ، ٢٠٠٥م .

٢٦١. التراكم الدلالي في النص القرآني : مجيد طارش عبد ، أطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد . كلية التربية للبنات ، ٢٠٠٠م .

٢٦٢. التقابل الدلالي في القرآن الكريم : منال صلاح الدين عزيز الصفار ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .

٢٦٣. التكثيف الدلالي في نهج البلاغة : محمد باسم درهم السعيدي، رسالة ماجستير، كلية التربية الأساسية، جامعة الكوفة، ١٤٤١هـ ـ ٢٠٢٠م .

٢٦٤. التوسع في المعنى في التعبير القرآني عند القاضي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) : منذر محمود جاسم ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة ديالى ، ٢٠١١م .

٢٦٥. التوسع في المعنى في الجامع لأحكام القرآن : طه سبتي إبراهيم ، أطروحة دكتوراه ، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م .

٢٦٦. التوظيف البلاغي للتجنيس والمشاكلة في شعر المتنبي : رائد حمد خلف، رسالة ماجستير ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة ديالى ، ٢٠١٤م .

٢٦٧. الدلالة النحوية في المعلقات العشر : لمى عبد القادر خنياب ، أطروحة دكتوراه ، جامعة القادسية، كلية الآداب ، ٢٠٠٦م .

٢٦٨. صيغة فعيل في القرآن الكريم . دراسة نحوية صرفية دلالية :: مرزوق عطيوي مرزوق ، أطروحة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، ١٩٨٧م .

٢٦٩. ظاهرة تعدد الوظيفة النحوية (الخبر . الحال . النعت) في التركيب اللغوي : مها عبد الرحمن السبيعي ، رسالة ماجستير ، جامعة الملك سعود ، ١٤٢٩هـ .

البحوث العلمية :

٢٧٠. (إنما) في السياق . التركيب والدلالة : د . مها صالح عبد الرحمن، مجلة الدراسات اللغوية ، جامعة الملك سعود ، العدد ٤ ، ٢٠٠٤م .

٢٧١. الانفتاح الدلالي في سورة الشعراء . دراسة بلاغية تحليلية : د. سعد محمد علي ، مجلة كلية الآداب، جامعة المستنصرية ، العدد ٤٩ ، ٢٠٠٩م .

٢٧٢. التراكم الدلالي في المقولاتِ الباقرية التوظيف والنتائج – قراءة لسانية : د. حسام عدنان الياسري، مجلة القادسية للعلوم الانسانية، العدد ١، المجلد ٢١ ، ٢٠١٨م .

٢٧٣. التشاكل الصوتي القرآني وأثره في تكثيف الدلالات : د. سعاد كريم خشيف، مجلة جامعة ذي قار، العدد ٢ ، المجلد ٦ ، آذار ٢٠١١م .

٢٧٤. التفسير الصوتي لقراءات سورة عبس على ضوء النبر والتنغيم : د. محمد جعفر العارضي ، ود. أسعد جواد يوسف ، مجلة جامعة القادسية ، كلية الآداب ، عدد ٣ ، سنة ٢٠٠٢م .

٢٧٥. التكثيف اللغوي والدلالي في قصائد محمد الماغوط النثرية : علي محمد عاصي الإزيرجاوي ، مجلة أوروك للعلوم الإنسانية ، العدد الرابع ، المجلد الثالث عشر ، ٢٠٢٠م .

٢٧٦. دلالة استفعل على المبالغة في القران الكريم : د. زهير محمد علي الأرناؤوطي ، مجلة الاستاذ ، العدد ٢٠٠ ، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م .

٢٧٧. سورة الناس دراسة صوتية دلالية : د. شاكر سبع الاسدي ، مجلة آداب ذي قار ، العدد : ٣ ، مجلد : ١ ، ٢٠١١م .

٢٧٨. ظاهرة التقابل في علم الدلالة : د. أحمد نصيف الجنابي ، مجلة آداب المستنصرية، العدد١٠، ١٩٨٤م .

٢٧٩. ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة : د. أحمد نصيف الجنابي ، مجلة المجمع العلمي العراقي – الجزء الرابع – المجلد الخامس والثلاثون ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م .

٢٨٠. المبني للمجهول بين اختزال البنية واسترسال المعنى : د. دليلة مزوز ، مجلة كلية الآداب، جامعة محمد خيضر ، الجزائر ، العدد الخامس ، ٢٠٠٩ م .

٢٨١. نظرة اخرى في قضايا النحو . الوصف بالمصدر : د. أحمد عبد الستار الجواري ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، ج١ ، مج ٣٥ ، ١٩٨٤.

٢٨٢. نظرة أخرى في قضايا النحو . الوصف بالمصدر : د. أحمد عبد الستار الجواري ، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد : ٣٥، جزء : ١، عام ١٩٨٤ .
٢٨٣. نفي الغموض وإثبات التوسع الدلالي في الاشتراك والإطلاق القرآني : د. علي ناصر مطلك ، مجلة مركز دراسات الكوفة ، العدد ٤٦ ، ٢٠١٧م .

الخـاتمـــة

بعد هذه الرحلة الممتعة مع التراكم الدلالي في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) في مستدرك نهج البلاغة ، ومع مصادر اللغة والصوت والنحو والبلاغة والتفسير ، لابد من بيان أهم نتائج البحث وثماره ، وذلك في الآتي :

١. اتضح في البحث أنَّ مصطلح (التراكم الدلالي) هو من المصطلحات الحديثة التي ابتكرها علم اللغة الحديث؛ في حين أنَّ مصطلح (التراكم) فحسب هو قديمٌ جدًا، إذ يعود استعماله إلى العصر الجاهلي ، فقد وظَّفه جملة من الشعراء الجاهليين كعبيد بن الأبرص، والمسيب بن علس، وغيرهما .

٢. كشف البحث أنَّ مفهوم التراكم ليس مفهومًا ذا طابع سلبي مثلما يتصور بعضهم، بل هو مفهوم إيجابي أكثر مما هو سلبي؛ إذ كشفت المعجمات اللغوية القديمة والحديثة أنه يفيد الدلالة على التجمع، والترتيب، والقوة، والتماسك، والتمكن، وغيرها، وكُلُّ هذا يجعله مصطلحًا ينبض بالحيوية والإيجابية .

٣. بيَّنت الدراسة أنَّ مصطلح التراكم هو مصطلح واسع الاستعمال وغير مقيد في اختصاص معين؛ إذ وظَّفه القرآن الكريم، والشعر العربي، وتخصصات اللغة بشتى أنواعها، وعلم الاقتصاد، وعلم الأصول، وعلم الكيمياء ، وغيرها من العلوم كُلٌّ حسب تخصصه ومنواله .

٤. وضَّحَ البحث أن مصطلح (التراكم الدلالي) مصطلح عام يدلُّ على أمورٍ ثلاثة : الأول : هو تراكم الدوال و تكثيرها من أجل تكثير المدلولات وتعددها، والثاني : هو تراكم المدلولات مع إيجاز الدوال وتقليلها، والثالث : هو تكثير الدوال للدلالة على إثبات معنى عام واحد .

٥. ثبت أنَّ ظاهرة التراكم الدلالي هي ظاهرة قديمة؛ إذ ثبت وجودها في كتب القدماء ولكن بتسميات أخرى كالتوكيد، والتكرار، والاطناب، والايجاز، زيادة المبنى، وزيادة المعنى ، وغيرها .

٦. ظهر أنَّ لهذه الظاهرة في كلام الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) مسارين عامين هما :

أ ـ المسار الصريح (المباشر) وهذا يعني أنَّ التراكم الدلالي يكون مباشرًا ظاهرًا في النص، وهذا يتعلق بالتراكم اللفظي .

ب ـ والمسار الآخر هو المسار الضمني (غير المباشر) أي أن التراكم الدلالي يكون غير مباشرٍ أو رمزيًا، وهذا ما يتعلق بالتراكم المعنوي (الدلالي) المستنبط من الأسلوب التعبيري .

٧. كشف البحث بالأدلة أن المشاكلة هي محسن بياني بديعي، وله أثره الفاعل في تحقيق التراكم الدلالي على المستويين الصريح والضمني .

٨. أظهرت هذه الدراسة أنَّ التنغيم أحد المستويات الصوتية التي تُسهم في تحقيق التراكم الدلالي، ولكن من النوع الضمني وليس الصريح، فهو وحدة تعبيرية ذات شحنات دلالية تراكمية .

٩. تبين من البحث أنَّ الجناس قد شكل ظاهرة لافتة في كلام الامام (عليه السلام) ، وذلك لما يقوم به من ركام صوتي فضلا عن ركام دلالي الحاصل من خلال التلاعب بالألفاظ .

١٠. تجلى في البحث أن الصوت اللغوي و بالرغم من أنه وبحسب الدرس اللغوي الحديث يمثل أصغر وحدة لغوية إلا أنه يُسهم في تراكم الدلالة وتكثيرها ، وذلك بما يحمله جرس الصوت من طاقات إيحائية جمالية متراكمة .

١١. من خلال استقراء كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) تبين توظيف الفواصل ذات المقاطع الطويلة في مواضع كثير، ومن خلال التحليل المقطعي لها انكشف أن طول المقطع له أثر واضح في إشباع المعنى وتراكمه .

١٢. استطاع البحث أن يُثبت أن بنائي (فَعُلَ) و (فَعِلَ) المجردين لهما علاقة وثيقة الصلة بالتراكم الدلالي؛ وذلك لما تراكم فيهما من أمور دلالية كالمبالغة، واستمرارية الزمن، والثبوت وتعدد الفاعل .

١٣ . اتضح في الدراسة أن المبالغة بحد ذاتها إنما هي تراكم دلالي؛ ذلك أنها تفيد التكثير، وليس التكثير إلا عماد التراكم، فالشيء المتراكم يدل على كثرة أجزائه وتعددها .

١٤. كشف البحث أن بنية الفعل الرباعي المجرد ، وكذلك الابنية المزيدة الاخرى نحو : (فعَّل، وتفعَّل، وتفاعل) تمثلُ أبنية عطف أولية ذات عناصر تراكمية، وهذه الابنية الاولية تُختزل في بنية عطف ثنائية تدل على المعاودة والاستمرار والتعدد .

١٥. استطاع البحث أن يبين في كثير من المواضع بعض الفروق اللغوية بين بعض الابنية ، ومن ذلك الفرق بين (فعلَ) و(أفعل) كـ (مدَّ، وأمد) و (رصدَ ، وأرصدَ) و(لحد ، والحد) ، وكذلك الفرق بين (فعل) و (استفعل) كـ (قرَّ، واستقر) ، و(علم، واستعلم) ، ومن خلال التفريق بينها تبين أن الابنية المزيدة تؤدي وظيفة تراكمية؛ وذلك لأنها أبنية مزيدة ، وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى .

١٦. توصل البحث إلى أنَّ اسمي الفاعل والمفعول يمثلان وحدة اختزالية تراكمية، فهما وحدة اختزالية من ناحية مجيئهما بلفظ واحد، ووحدة تراكمية من ناحية إفادتهما لأكثر من معنى؛ إذ يدلان على الحدث وهي دلالة وضعية، والحدوث (التغيير) وهي دلالة صرفية تخص الزمن، والدلالة على ذات الفاعل أو المفعول، وهي دلالة إحالية تحيل على ذات الفاعل أو المفعول .

١٧. أشارت الدراسة الى أن المشرك الصيغي هو أحد آليات التراكم الدلالي سواء في الدرس الصرفي أم في موضوع الدراسة في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، نحو بنية (فعيل) التي يشترك فيها أكثر من معنى فهي صالحة لأن تكون اسم مفعول، أو صفة مشبهة، أو صيغة مبالغة، وكذلك بنية (مَفْعَل) التي تصلح لأن تكون مصدرًا، أو اسم مفعول، وغير ذلك الكثير .

١٨. بينت الدراسة أنَّ التراكم الدلالي في ضوء الاداء النحوي متحقق بنوعيه (الصريح والضمني)، إلا أن التراكم الضمني كان أوسع وأكثر من التراكم الصريح ؛ وذلك لسببين : الأول : هو كثرة الأبواب النحوية التي تحقق بها التراكم الضمني، ومن تلك الأبواب : التضمين، والاعراب ، والتنكير، والتقديم والتأخير، والنعت بالمصدر، واختلاف عود الضمير ... الخ ، بيمنا لم يتوفر التراكم الصريح إلا في ثلاثة أبواب هي : التعريف ، والتوكيد ، وتعدد الخبر والحال والنعت ، والسبب الثاني : هو أن التراكم الصريح يرمي الى تحقيق التراكم الضمني دون أي شك .

١٩. اتضح في البحث أن التوكيد هو أوسع أنواع التراكم الصريح؛ ذلك أن باب التوكيد واسع المجال كثير التداخل والتعالق مع الأبواب النحوية الأخرى .

٢٠ ـ ثبت في البحث أن التراكم الدلالي ولاسيما في المجال النحوي لا يعمل على انفتاح الدلالة وتراكمها فحسب مثلما يفُهم من العنوان، بل إنَّه يعمل كذلك على تخصيص الدلالة أحيانا كما جاء في باب التمييز، وباب التوكيد بالضد .

٢١. تبين أنَّ التراكم الحاصل من تعدد الخبر والحال والنعت لا يرمي الى معنى محدد ، بل يرمي الى معنى عام شامل، لا يُفهم الا من طريق هذا التراكم الصريح .

٢٢. في ضوء العلاقات الدلالية أوضح البحث أنَّ علاقتي الاشتراك اللفظي والتضاد تعملان على التراكم الضمني، وهو ما أسماه الدكتور أحمد نصيف الجنابي بـ (التركيز الدلالي) ، إلا أن التراكم الحاصل من خلال المشترك اللفظي كان أوسع مما يحصل عن طريق التضاد؛ ذلك أن التضاد يجمع بين المعنى وضده .

٢٣. بينت الدراسة أنَّ أغلب العلاقات الدلالية تنتج تراكمًا دلاليًا على المستويين الصريح والضمني، ومن تلك العلاقات : الترادف والتقابل الدلالي، والاجمال والتفصيل، والتشبيه .

٢٤. من كل تلك الدراسة اتضح أنَّ التراكم الدلالي هو أحد عوامل الاقتصاد اللغوي؛ ذلك أنه يقوم أحيانًا ومن خلال التراكم الضمني على إيجاز اللفظ واتساع المعنى .